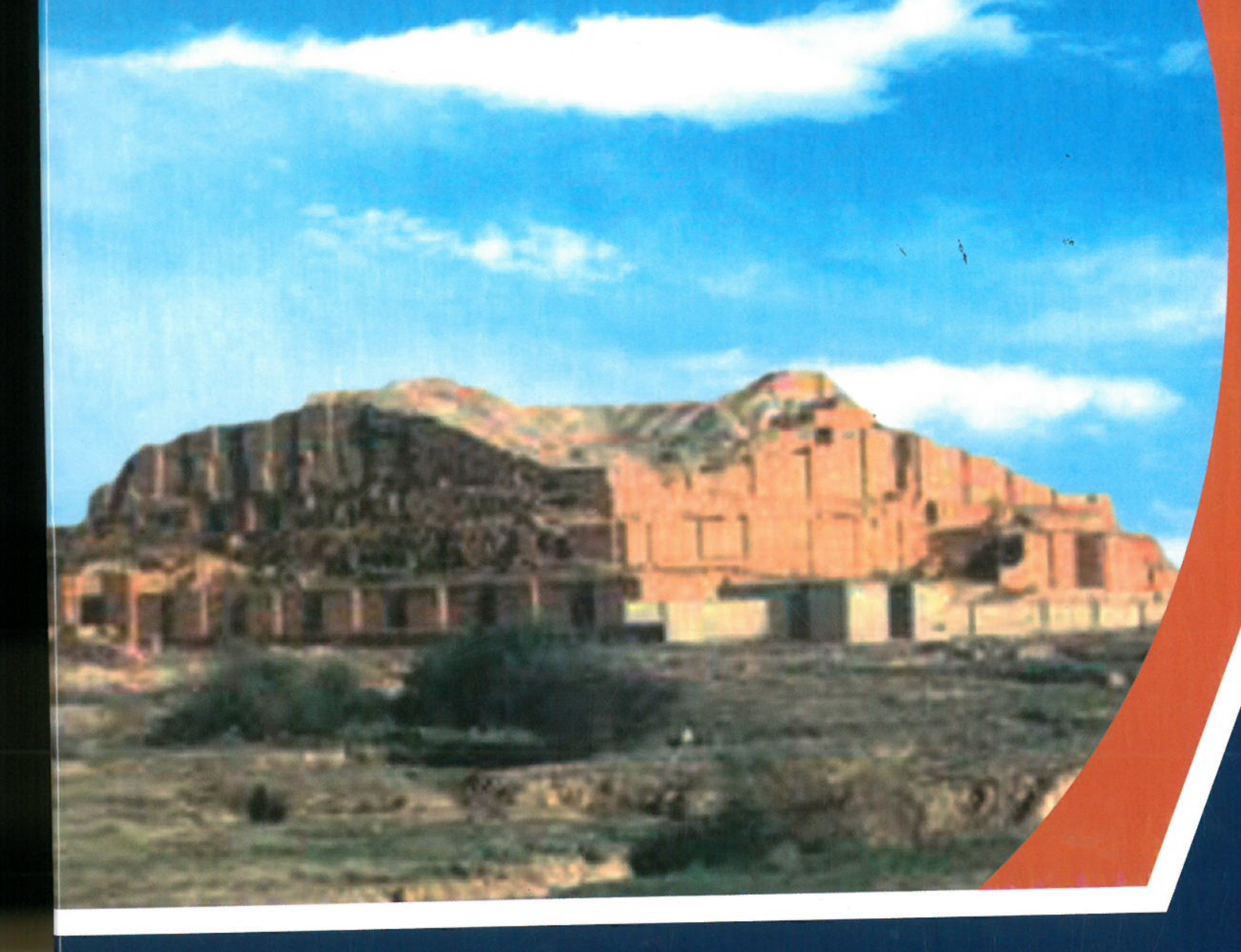
المكتبة التاريخية

تاريخ مملكة المناذرة

(٢٦٨ - ٦٣٤م)



الدكتور يوسف فيصل صقر

دار النفائس

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل الكتاب رسالة دكتوراه
الجامعة اللبنانية

صورة الغلاف: من آثار المناذرة في العراق

تاريخ مملكة المناذرة

(٢٦٨ ـ ٦٣٤م)

تأليف
الدكتور يوسف فيصل صقر
أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

دار النفائس

تاريخ مملكة المناذرة

تأليف: الدكتور يوسف فيصل صقر

الطبعة الأولى: 1435هـ ـ 2014م

ISBN 978 - 9953 - 18 - 530 - 9

Publisher

نشر



DAR AN-NAFAES

Printing-Publishing-distribution

Verdun Str - Safiedine bldg.

P.o.Box 14-5152

Zip code 1105-2020

Fax: 009611 861367

Tel: 00961 1 803152 - 810194.

Beirut - Lebanon

دار النفائس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان ـ بناية الصباح

وصفي الدين ـ ص.ب 5152 ـ 14

الرمز البريدي: 2020 ـ 1105

فاكس: 009611861367

هاتف: 803152 ـ 009611810194

بيروت ـ لبنان

Email: alnafaes@yahoo.com

Web Site: WWW.alnafaes.com

إهــــداء

إلى المخلَّدين في نفسي أبدًا...

أمي وأبي...

نسمة وفاء لروحيهما

مقدمة

أسَّس اللَّخميون مملكة قبل الإسلام تعتبر من أقوى الممالك العربية في شبه الجزيرة العربية، وقد امتد حكمهم لفترة زمنية غير قصيرة (٢٦٨ ـ ٦٣٤م)، على مساحة جغرافية تأرجحت بين التقلُّص والتمدُّد على الحوض العراقي لنهر الفرات والسواحل الشرقية للخليج العربي، وصولًا إلى بلاد الشام وقلب شبه الجزيرة العربية. فسمحت هذه المساحة الجغرافية للمناذرة أن يتَّصلوا مع العديد من الامبراطوريات والممالك والقبائل اتصالًا يختلف في القوة والضعف، ويتباين في السلام والحرب، وفي المودَّة والعداء، ويتفاوت في التأثير والتأثر، وتقوم علاقاتها على السلم تارة وعلى الحرب تارة أخرى، وتتبادل العطاء فيأخذ بعضها من بعض، ويعطي بعضها بعضًا في شتى النظم والعادات والعقائد والثقافات.

وقد تناولنا بالبحث في فصول هذا الكتاب ما يلي:

الفصل الأول اشتمل على تراجم ملوك المناذرة، ونسبهم وعائلاتهم وصفاتهم، محدِّدين الفترة التاريخية لزمن حكم كل واحد منهم، ومعتمدين بشكل رئيس على المصادر السريانية والإغريقية المتَّسمة بالدِّقة، بالإضافة إلى المصادر العربية، ومقابلة فترة حكم ملوك المناذرة مع ملوك الفرس.

وأمّا النظام السياسي ومعالم المملكة الإدارية والمؤسّسات التي اعتمدوا عليها لممارسة الحكم، فاتَّبعنا فيه أسلوب العقلانية في توصيف علاقة المناذرة مع حليفهم الأول الفرس، غير أنّنا لم نُسلِّم لهذا التحالف القائم على المصالح، بل تطرَّقنا إلى علاقة المناذرة السياسية مع كل من البيزنطيين والغساسنة، محاولين قدر الإمكان تقديم الأسباب وتحليلها للوصول إلى النتيجة التي غالبًا ما كانت ترجِّح كفَّة تحالف المناذرة مع الفرس على البيزنطيين. ولعلاقة مملكة كندة مع المناذرة حديث وضَّحْنا فيه دور الفرس في إقصاء المناذرة عن الحكم وإسنادهم الحكم إلى كندة لأسباب قُمنا بتحليلها وشرحها.

وفي **الفصل الثاني** تحدَّثنا عن الاستراتيجية العسكرية والتكتيك الحربي الذي استخدمه هؤلاء في معاركهم الذي كان يدور في قالب قوامه الكرُّ والفرُّ، والفنون

القتالية التي برعوا فيها في أيامهم، وفصَّلنا كتائب الجيش المنذري المقسَّمة على أساس جنسياتها وأصلها الفارسي والعربي، متطرِّقين إلى تعداد أفرادها. وقد كان للأمن نصيب وافر في حياة المناذرة، سواء على صعيد العيون الخارجية (الجواسيس) التي زرعوها داخل خطوط العدو، أو على صعيد مراقبة الأمن الداخلي، وما يستلزم ذلك من سجون ووسائل إكراه وتعذيب، من دون أن نُسقط من اعتبارنا أنواع الأسلحة الفردية الدائمة الحمْل، أو تلك المخصَّصة للأيام.

وكانت لأيام المناذرة حظًا وفيرًا بسبب كثرتها، فرتَّبناها بشكلٍ تاريخي، متَّخذين من فترة حكم الملك والحدث التاريخي الحكم في ذلك، كاشفين النقاب عن أسباب المعارك ونتائجها، لما كانت تستأثر في الفكر العربي؛ لذلك لعبت دورًا في فحوى شعرهم، متقمِّشين أبيات الشعر التي تتعلَّق باليوم، لنبتعد قدر الإمكان عن الإطالة في ذكر كامل القصيدة التي اقتبسنا منها.

وأمّا **الفصل الثالث** فكان مستهل الحديث فيه عن الزراعة ومجالاتها، حيث إنَّ أراضي بلاد المناذرة وزّعت على الأفراد بشكل إقطاعات، يتولَّى كلُّ صاحب إقطاعٍ حرية التصرُّف فيه، ونوع المحاصيل والغلال الزراعية المنتَجة، محاولين قدرَ الإمكان إيصال صورة شبه مكتملة عن كل نوع زراعي، سواء أكان نباتًا أو أشجارًا. وقد كان للدولة دورٌ بارزٌ في الزراعة من خلال نظام الري المستخدم، وطريقة الضرائب الزراعية المفروضة. واستحوذت الثروة الحيوانية على قسطٍ وافرٍ من حياة المنذري، وبشكل خاص الأحصنة التي أعطوها أسماء وسلالات تعرف بها، ولمّا كانت الثروة الحيوانية كبيرة فقد اتَّبعوا نظام حِمَى المراعي لتأمين قوت حيواناتهم. وبرع المناذرة بالصيد البرّي والبحري، فالطبيعة أغوتهم بنعمها المتنوِّعة. ومن جهة أخرى كان لأنواع الصناعات والحِرَف التي أتقنها وتفنن بها المنذري، ما حدانا إلى تصنيفها ضمن المواد الأولية التي تتألف منها.

وعلى الصعيد التجاري حدَّدنا أهم طرق التجارة الرئيسة، البريَّة والبحريَّة، التي تربط بلاد المناذرة مع الممالك والشعوب الأخرى، ذاكرين اسمَ كلّ بقعة جغرافية كانت تنتعلها القوافل التجارية برًّا، أو ترسو على موانئها السفن، متخذين وسائل استدلال متنوعة من نجوم وعلامات تستدل بها القوافل طريقها من سوق لسوق، أو من ميناء لآخر، بحيث عمدت إلى تصدير منتجات بلاد المناذرة واستيراد حاجات متنوعة في بيوع جاهلية مختلفة. ولم تكن العملة من دراهم ودنانير الوسيلة الوحيدة للتبادل، بل تخللها عمليات مقايضة، رفدت خزينة الدولة بمورد مالي مهم من خلال الضرائب التي فرضت على التجار.

وفي **الفصل الرابع** بيَّنا مقام كلّ طبقة من طبقات المجتمع، المقسَّمة إلى طبقتين أساسيتين، انطوت كل طبقة منها على العديد من المستويات الاجتماعية والقبلية. متكئين في معرفة الجذور التاريخية الأولى على انتشار الديانة المسيحية في بلاد المناذرة، ومن اعتنقها من ملوكهم، ناهيك عن صراع التمدُّد المذهبي بين النساطرة واليعاقبة، وتراجم الأساقفة الذين كان لهم موطئ قدم في الحيرة، ودورهم في تفعيل طقوس النصارى من صلاة وصيام وأعياد وقراءة الإنجيل. ولم تكن المسيحية الديانة الوحيدة، بل هناك من عبد الأوثان والأصنام، أو اعتنق المجوسية، أو الصابئة، ومنهم من اتَّبع الزندقة من مانوية ومزدكية. وللعادات والتقاليد حيّزٌ وافرٌ في الحياة الاجتماعية التي ارتبطت بالحياة الدينية، ومنها ما ارتبط بالعقلية القبلية، كوأد البنات، التي تعدُّ من أبشع الجرائم الإنسانية عبر التاريخ. وقد كان لأنواع الأطعمة والأشربة التي دأبوا على تناولها، ومن أهمّها الخمر الذي تفننوا في صنعه وتقديمه، حيِّز في هذا الفصل. ولاتِّقاء قيظ الشمس والحماية من زمهرير البرد كان نسج الألبسة، بحيث دعمنا كل نوع من الألبسة ببيت شعر ورد فيه اسم الثوب، وكشفنا عن أسماء جديدة في عالم الملبوسات والمجوهرات، وتوقَّفنا عند الترف الاجتماعي وما يكتنز من تبرُّج وتزيُّن النساء بالجواهر والملابس والعطر.

وفي **الفصل الخامس** أبرزنا مكانة المناذرة العلمية والأدبية والتي تجلَّت في أوجه مختلفة، من أهم مظاهرها الخط الذي أشرنا إلى نشأته، والصعوبات التي اعترضت علماء اللغة في التعرُّف إلى أصله، وكيفية انتقاله من الحيرة إلى مناطق أخرى، وتتبَّعنا نظام المدارس وأدوات الكتابة وموادها. وأمّا الطبابة فكانت على نوعين: بشري وحيواني، عُولجت حسب الأمراض عبر طرق متعدِّدة، وبأنواع مختلفة من الأدوية. ولم يفتنا أن نذكر بعض الأساطير الخرافية في علاج الأمراض. ولعلَّنا لا نكون مبالغين إذا قلنا أنَّ الموسيقى والغناء كانتا من أهم مظاهر الترف المادي الذي تمتَّع به المناذرة، فبرز مصطلح «القين»، وأنواع الغناء، وأدوات الموسيقى، مفرِّقين بين ما هو عربي وما هو دخيل. والعلوم الأخرى كالتقويم وطرق تأريخهم، وعلم القيافة، «ذكر من خبر»، في حين ظهرت الفلسفة بأغلبها في كلام الشعراء. واستمدوا القضاء والتشريع من عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم.

أما **الفصل السادس** فكان فحواه قصور الحيرة وحصونها التي تميزت بها من دون سواها من الممالك العربية الأخرى، في طابع البناء أو المواد المستخدمة، وقد حدَّدنا الموقع الجغرافي لهذه القصور إلى جانب الأديرة التي انتشرت في جميع بقاع بلاد المناذرة تقريبًا، وسبب بناء الدير وأصل التسمية. وللبِيَع والكنائس حيِّز من الذكر.

ومن ثَم أصبح من الأهمية بمكان أن نلقي الضوء على الفتح الإسلامي لبلاد المناذرة من البحرين مرورًا بالحيرة وصولًا إلى عين التمر، مسهبين بالحديث عن الفتح المتكرر لمدينة الحيرة ومعاهدة الصلح التي عقدها سكان الحيرة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وأخيرًا **الخاتمة** التي احتوت على مجمل الاستنتاجات. وذيَّلتُ بحثي هذا بملاحق تضمَّنت بعض الحقائق والتوضيحات لبعض الأشياء لتصبح الصورة أكثر وضوحًا. إلى جانب تعزيز الدراسة بجملة من الفهارس الخاصة بالأعلام والشعوب والقبائل، والأماكن.

وختامًا، لا أدَّعي أنني توصلت إلى الغاية القصوى التي أبتغيها ولا يمكن الوصول إلى حدِّ الكمال لأي إنسان، فهذا صعب المنال، ولكنني توخَّيت أن أقدِّم هذا البحث على أحسن وجه أستطيع، فلكل شيء إذا ما تم نقصان، وأقول اللَّهُمَّ إني قد اجتهدت، فإن أصبت فهذا توفيق منك، وإن أخطأت فمن طبيعة ابن آدم الخطاء نسأل الله أن يجنِّبنا الخطأ والزلل، وهو الموفق، والحمد لله رب العالمين.

يوسف فيصل صقر

جزيرة العرب قبل الإسلام

عن بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا، **العرب علىٰ حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمه عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م، ص٣٣٩.

الفَصْلُ الأولُ

الحياة السياسية

أولًا ـ تراجم ملوك المناذرة.
ثانيًا ـ نظام الحكم.
ثالثًا ـ العلاقات السياسية بين المناذرة والفرس والبيزنطيين.
رابعًا ـ العلاقات السياسية بين المناذرة والممالك العربية:
١ ـ العلاقة بين المناذرة والغساسنة.
٢ ـ العلاقة بين المناذرة وكندة.

أولاً ـ تراجم ملوك المناذرة

هاجرت القبائل العربية من اليمن فحطَّت رحالها في بلاد ما بين النهرين، واستلم زِمام الأمور السياسية فيها جُذَيمة الأبرش وهو جَذِيْمَة، وكنيته: أبو مالك[١] نسبة إلى والده، وجُعِل جذيمة بن فهم[٢]، أي أخو مالكٍ وليس ابنه. وذُكِرَ نسب آخر غريب ومشكوك فيه ولا يمتُّ إلى موضوعِنا بأي صلة، فنُسب إلى العاربة الأولى من بني دمار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح ﷺ[٣]، مع العلم بأنَّ قبائل العاربة الأولى أُبيدَت عن بكرة أبيها، ولم يبقَ لها أثر على وجه الأرض[٤]، أمّا نَسَبَه فهو ابن مالك بن فهم الأزدي[٥]، وأُرجِعَ نسبه على وجه الخصوص إلى

(١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ أجزاء، تحقيق يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، طـ١، جـ٢، ص٦٥، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، ٨ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٩٦٨م، جـ٦، ص١٨.

(٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، ١٠ أجزاء، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ١، ١٩٨٧م، جـ١، ص٢٦٢.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، ٦ أجزاء، (د.م)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ١، ٢٠٠١م، جـ١، ص٣٦٢، ابن الأثير، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٢٦٢، ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك الأندلسي (ت٤٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، جزآن، تحقيق نصرت عبد الرحمٰن، مكتبة الأقصى، عمان، (د.ط)، ١٩٨٢م، جـ١، ص٦٧.

(٤) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ١، ١٩٨٣م، جـ١، ص٨ ـ ٩، أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **المختصر في أخبار البشر**، جزآن، تحقيق محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، جا، ص١٥٥.

(٥) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام**، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، =

العماليق[١] برواية مشكوك فيها[٢]. ولا نعلم سبب نسبه إلى المناذرة، وجعله أوَّل ملوكهم[٣]، رغم النسب المختلف بينهما، فربما يعود ذلك إلى ضعف الإلمام

= بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٩، ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت٢٤٦هـ/ ٨٨٩م)، **من كتاب المعارف**، جزآن، تحقيق منير عبد القادر حديد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (د.ط)، ٢٠٠٠م، جـ٢، ص٥٥٢، أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمٰن بن مروان بن عبد الله بن عبد مناف (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، **الأغاني**، ٢٤ جزء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، جـ١٥، ص٣١٢، المطهر المقدسي بن طاهر (ت حوالي ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)، **كتاب البدء والتأريخ**، ٣ أجزاء، (د.ت)، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٨٩٩م، جـ٣، ص١٩٦، حمزة بن الحسن أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٧٥، الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **مفاتيح العلوم**، دار المناهل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص١١٠، ابن مسكويه، أبو علي الرازي (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، **تجارب الأمم**، جزآن، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، طـ١، ١٩٨٧م، جـ١، ص٤٦، ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، جزآن، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، جـ٢، ص١٦٥، أبو البقاء هبة الله الحلي (توفي في النصف الأول القرن السادس للهجرة/ القرن الثاني عشر الميلادي)، **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية**، جزآن، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، وصالح موسى دراكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، العين، طـ١، ٢٠٠٠م، جـ١، ص٩٨، الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، **الحور العين**، تحقيق كمال مصطفى، (د.ن)، طهران، (د.ط)، ١٩٧٢م، ص٣٠٠، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ١٨ جزء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ٢، ١٩٩٥م، جـ٢، ص٥٠، شهاب الدين أبي عبد الله الحموي، (ت٦٢٦هـ، ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س جـ٦، ص١٨، أبو الفداء، م.س، جـ١، ص١١٥، ابن نباته، جمال الدين محمد المصري (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، **سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق محمد قطة العدوي، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٨٦١م، ص٤٤.

(١) العماليق: هم أولاد عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ﷺ، وكان لهم ملوك كثيرة في مواضع من أرض الشام وغيرها، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص١١٢، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٥٤، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٥٣.

(٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٨٢هـ/ ٩٩٢م)، **كتاب الأوائل**، تحقيق محمد السيد الوكيل، نشر أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة، (د.ط)، ١٩٦٦م، ص٦٠.

(٣) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م، ص٧٣.

بملوك المناذرة، والخلْط فيما بينهم وبين الملوك التنوخيين الأزديين، وليست المسألة مسألة فرض واحتمال، بل هي مسألة نقشٍ حُمِلَ إلينا من علماء اللغات السامية فجاء كدليل قاطع بأن جُذَيمة من تنوخ[١].

تزوَّج لميس ابنة زهير بن عمرو بن فهم بن يتم الله بن أسد بن وبرة، ولم تلد له غير بنت اسمها زينب[٢]، وروي أن له ولد اسمه جَهْضم[٣]، وذُكر أنَّ له ولدين جهضم وهبيل[٤]، وممَّا يَثْبُت عدم دقَّة هاتين الروايتين وأن جهضم هو أخو جذيمة الأبرش وليس ابنه[٥]، بالإضافة إلى أنَّ جذيمة كان عقيمًا ولم يُنجِب أولادًا[٦]، ولو كان له عقب لخلفه في تسلُّم زمام الحكم.

عاصر جذيمة ملوك الطوائف[٧]، بل هناك من يذكر أن الذي مَلَّك جذيمة على ثغر العرب وأنزله الحيرة أردشير بن بابك[٨]. ورُوِيَ أنَّه حكَم في فترة ملوك الطوائف، وزمن أردشير بن بابك وابنه شابور[٩]، فهو «عاش في أواخر عهد الدولة الفرثية وشهِدَ انحلالها وسقوطها»[١٠]، غير أنَّ هناك من يخالف هذا الرأي ويعتبر تولِّيه الحكم في العراق قبل هذه الفترة التاريخية[١١]، وحُدِّدت بثلاثين سنة

(١) انظر الملحق رقم (١).

(٢) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٥.

(٣) ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٩م)، **كتاب النسب**، تحقيق مريم محمد خير الدرع، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص٢٩٧، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، **الاشتقاق**، جزآن، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر مؤسسة الخانجي، مصر، ١٩٥٨م، ج٢، ص٤٩٨، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، ج١، ص٢٢٠.

(٤) ابن الكلبي، هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، **نسب معد واليمن الكبير**، ٣ أجزاء، تحقيق محمود فردوس العظيم، دار اليقظة العربية، سورية، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢١٩.

(٥) **المصدر نفسه**، ص٢٠٥، ابن سلام، **كتاب النسب**، م.س، ص٢٩٧.

(٦) ابن الكلبي، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٠٥، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦٠.

(٧) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، ج٢، ص٥٤٣، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٣٠٠.

(٨) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، ج٣، ص١٩٦، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦١، و**جمهرة الأمثال**، جزآن، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج١، ص١٩٠.

(٩) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، ج٢، ص٦٥.

(١٠) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص١١٠.

(١١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، ج١، ص١٠٥.

بعد الميلاد[١].

أمام هذا الاختلاف نستطيع أن نرجِّح فترة حكمه على ضوء معادلة أساسها أن حكم ملوك الطوائف كان أربعمائة سنة[٢]، والمتفَق عليه أن جُذيمة مات في زمن أردشير بن بابك، وهو زمن النصف الأول من القرن الثالث الميلادي[٣]، وهذا التاريخ هو تاريخ قضاء أردشير على ملوك الطوائف، وهذا ما أكَّده دخول جذيمة تحت سلطة أردشير بن بابك مؤسِّس الدولة الساسانية وقاهر الطوائف سنة ٢٢٦م[٤].

استفادَ جذيمة بدوره من دخوله تحت سلطة الفرس فأوجد لنفسه حماية من دولة قويَّة أصبحت أعظم قوة في الشرق لأكثرَ من ثلاثة قرون، وهكذا نجا من المصير الذي آلت إليه القبائل التي قاومت حكم الساسانيين، كقضاعة التي أُخرِجت مِنْ قِبَلِ الفرس من العراق إلى الشام[٥].

اتَّصف جذيمة بصفة خاصة، ألا وهي البرص، فكان يقال له الوضاح أو الأبرش، تفاديًا لذكر البرص[٦]، أو إعظامًا وإجلالًا له حتَّى لا يلقِّبوه بالأبرص[٧]،

(١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٦، ص١٨.

(٢) **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٣٦١.

(٣) Sykes. S. p, A History of Persia' II, St. Martim's press, third edition, Macmillan, New York, 1963, I, p.399.

(٤) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، المكتبة السلفية، مصر، (د.ط)، ١٩٢٠م، ص١٤.

(٥) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٥ - ١٠٦.

(٦) ابن حبيب، **المحبّر**، تحقيق سيد كسروى، نشر دار الغد العربي، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٠م، ص٣٠٠، الجاحظ، **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، تحقيق مرسي الخولي، دار الاعتصام للطبع والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٢م، ص٢٤، ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، **الأعلاق النفيسة**، تحقيق خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٩، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٦، الخوارزمي، أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، **مفاتيح العلوم**، تحقيق جودت فخر الدين، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص١١٠، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٤٧، الميداني، أبو الفضل أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، **مجمع الأمثال**، جزآن، تحقيق نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، جـ١، ص٣٠١، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٣٠١، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٠.

(٧) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٥٩، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.

حيث كان يكره البرص؛ لذلك كان يُعظَّم أن يسمى به[1]، وذُكِر بأنَّه لم يكن مصابًا بمرض البرص بل «سُمِّي الأبرش لأنه أصابه حر ونار، فبقيَ فيه نُقَطٌ سوداء وحمراء»[2]، ولكن بالنظر إلى معنى البرص «فهو داء معروف، وهو بياض يقع في الجسد»[3]. وكان من أحسن الناس وجهًا[4]. هذا بالنسبة إلى الشكل الخارجي، أمّا المضمون فكان من أفضل الملوك رأيًا، وأبعدهم مفازًا، وأشدَّهم نكاية، وأظهرهم حزمًا، وكان شديد السلطان، خافته العرب وتهيَّبه العدو[5]. فاكتسب سمعة وشهرة أكثر ممن سبقه من ملوك تلك الحِقْبة[6]، وبشكلٍ خاص في مجال حكمته وولعه بالحرب[7]، فأصبح شخصيةً بارزةً في تاريخ العرب قبل الإسلام[8]، فاستُجمع له المُلك بأرض العراق، واتَّسع جغرافيًا ليشملَ ما بين الأنبار، وبقة، وهيت، وعين التمر، وأطراف البرِّ إلى الغمير، والقطقطانة، وخفية، وبيبرين، والحيرة، واستولى على السواد[9]، ومُدَّ نفوذه حتى وصل إلى الحضر، وهو الحاجز بين الروم والفرس[10]، من المُلاحَظ اتِّساع المساحة الجغرافية التي سيطر عليها جذيمة، ولكن في المقابل نعتقد أن هذه السيادة على تلك المساحة، كانت سيادة اسمية، ولم تكن

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣٢١، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٥.

(٢) اليوسي، نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد (ت١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م)، **زهرة الأكم في الأمثال والحكم**، ٣ أجزاء، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨١م، جـ١، ص١٨٨.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، جـ٧، ص٥.

(٤) العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦١.

(٥) ابن فقيه الهمذاني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، **كتاب البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص١٨١، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٤٦، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٠.

(٦) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، ط١٠، بيروت، ١٩٩٢م، جـ٢، ص١١٤.

(٧) Nicholson. A. Reynold, **A Literary History of the Arabs**, Cambridge University press, London, Second edition, 1930, p.35.

(٨) **Encyclopaedia of Islam**, 12 Volumes, E.J. Brill, Leiden, third edition, 1986. Kawar. I, II, p.365.

(٩) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢٩ ـ ٣٠، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٢.

(١٠) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٠.

فعلية، وبلا شك أنَّ الذي ساعده على بسط سلطته على هذه المناطق هم الساسانيون الذين «أدركوا ما يجنونه من هذه المحالفة في تأمين حدودهم الغربية وفي إيقاف تدخل البدو في العراق، كما يُحتمَل أنهم أرادوا استخدامه في حروبهم المنتظرة ضد الروم»[1]. ولا يغيب عن بالنا تأمين طرق التجارة من قُطّاع الطرق واللصوص، وشُكِّك في اتساعه الجغرافي، فرُفِضت مقولة استيلائه على الحضر[2]، واقتصرَ سلطانه على الأنبار فقط[3]، وأُضيف إليها الحيرة[4]، وزِيْدَ إليهما السواد أيضًا[5].

أمّا عن مكانته بين القبائل العربية، فقد كانت تُجبَى إليه الأموال، وتَفِدُ إليه الوفود[6]، وهذا مردُّه بالدرجة الأولى إلى حيثيَّته العربية، وسياسته الخارجية المعتمِدة على الفرس، فلا مفرَّ من الاعتراف بدوره وحجمه من قِبَل الأعداء قبل الأصدقاء، واستخدم كاتبًا مخصصًا له[7]، لمراسلة القبائل، واحتساب الأموال.

تكهَّن جذيمة وأوجد لنفسه صنمين يقال: لهما الضيزنان[8]، ويبدو أنه تأثَّر بالأوضاع المحيطة به، فأراد أن يَصبُغ مُلكَه بصبغةٍ دينية[9]، لزيادة هيبته وسطوته على القبائل وللظهور بمظهر الملك. وللتقليل من سطوته والكفِّ من أذاه سرَقَت قبيلة إياد الصنمين بإسكار حارسهما وأخذهما، ونجحت الخطَّة، وتفاوضوا معه على أن يكفَّ عن غزوهم مقابل ردِّ الصنمين له، ولكن طلب أن يكون معهما عدي بن نصر اللخمي، وهو رجل كنور القمر في جماله، يسكن في أخواله الإياديين، وتَكْمُل الرواية برؤية رُقاش أخت جذيمة لعدي، فعشقته، فأراد الزواج منها، ولكنه خشي غضب وبطش جذيمة، فحاكت رقاش حيلة بإسكار جذيمة بالخمر أمام القوم ومن ثم طلب يدها أمامهم، فوافق جذيمة ونجحت المكيدة، ولما صحا جذيمة من سكره، وعرف ما أقدم عليه ندم، وقال مخاطبًا أخته:

---

(١) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١٠.

(٢) ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٤٥.

(٣) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣١٦.

(٤) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٦.

(٥) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٣٠٠.

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٢، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٤٧.

(٧) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٨٢.

(٨) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، **تاريخ اليعقوبي**، جزآن، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، جـ١، ص١٧٨، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٣.

(٩) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١١.

خبِّريني رُقاشُ لا تكذبيني ... أبحُرٍّ زنيت أم بهجينِ

أَمْ بعبدٍ فأنت أهل لعبدٍ ... أم بدونٍ فأنت أهلٌ لدونِ

فأثمر هذا الزواج بحبل رقاش من عدي، أمّا الأخير فقد خاف وهرب إلى قومه، فرماه فتى بقوس فمات[1]. والذي يهمُّنا من هذه الرواية ابن رقاش الذي أنجبته وسمّته عَمْرًا. وتكمل الأسطورة لتروي عن اختطافه من قِبَل الجنِّ الذي استهواه لجماله، ووجده مالك وعقيل ابنا فارج بن كعب بن بلقين بن جسر بن قضاعة في البراري، فردّاه إلى جذيمة فكافأهما بمنادمته لفترة طويلة، فقال متمم بن نويرة[2] يرثي أخاه مالكًا:

فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالكًا ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معًا

وكنّا كندماني جذيمة حقبةً ... من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا[3]

«والظاهر أنَّ الغلام اختطفه أحد اللصوص طمعًا بما عليه من الحِلي، أو أن أباه أو أحد رجال قبيلته اختطفه ليبقيه عنده، فلما رأوا تشدد جذيمة في أمره خافوا العاقبة، فتركوه في الطريق المؤدِّية إلى الحيرة فوجداه مالك وعقيل وهما قاصدان الحيرة التماسًا لكرم جذيمة، فعرفاه وحملاه إلى جذيمة، «وما قيل عن أن الجنَّ اختطفته فلا صِحَّة له، وهي قصة خرافية كغيرها من الخرافات التي تُتداول حتى الآن

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٣، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) متمم بن نويرة بن جمهرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع (ت نحو ٣٠هـ/ ٦٥٠م)، شاعر فحل، كان قصيرًا أعورًا، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٢٤، وانظر أيضًا: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٥، ص٢٧٤.

(٣) ذكر مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك بن كعب بن القين بن جسر بن سبع اللات بن أسد بن وبرة، وهذا النسب ينتهي إلى قضاعة، ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٤٠٧ ـ ٤٠٨، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٣ ـ ٣٦٤، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت٥٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦٥م، ص١٨٢ ـ ١٨٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٣ ـ ١٠٤، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) **المستقصى في أمثال العرب**، جزآن، (د.م)، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ٢، ١٩٨٧م، جـ٢، ص٢١٤، وص٢٣٤ ـ ٢٣٥، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ١٧ جزء، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، جـ١٥، ص٣١٦ ـ ٣١٧، ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٤٥.

على ألسنة العامة»[1]، ونوافق أنَّها قصة خرافية، لكنها بالواقع أسطورة اختلط بها الواقع مع الخيال. وما يهمُّنا منها هو الحدث الذي يجزم بأن عمرو بن عدي ليس من التنوخيين، وبتسلُّمه السلطة انتقل الحكم من التنوخيين إلى اللخميين.

أمَّا حادث مقتله فمرتبط بغزوة قام بها على عمرو بن الظرب بن حسان بن أُذينة بن السميدع بن هوبر العمليقي، الذي حكم ما بين مشارف الشام والجزيرة، فقتله، واستلمت زمام الحكم من بعده ابنته الزباء[2]، والتي بدورها وضعت نصب عينيها الثأر من جذيمة، فاحتالت عليه وأوهمته بحبها له وكره حكم النساء، وطلبت منه القدوم للزواج منها، فأغرت جذيمة، وتوجه إليها رغم معارضة قصير بن سعد اللخمي[3]، فلمَّا وصل كانت المكيدة قد اكتملت خيوطها، فأوقعت به وقتلته، ونجا قصير على فرس لجذيمة تدعى العصا[4]، وسوف نكمل قصة ثأر قصير من الزباء في ترجمة عمر بن عدي فيما بعد.

أمَّا مدة حكم جذيمة الأبرش فكانت ستين سنة[5]، وقيل: إنَّه ملك مائة وثماني عشرة سنة[6]، وزُعِم أنه حكم عشرين ومائة سنة[7]، لكن من المرجّح أن فترة حكمه لم تتجاوز الستين سنة، فتولى الحكم من سنة ٢٠٨م إلى ٢٦٨م[8]، وربَّما قُصِد من فترة حكمه الطويلة فترة عمره منذ ولادته حتى وفاته. وبوفاته انتقل الحكم من التنوخيين إلى اللخميين.

---

(١) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١٦ ـ ١٧.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص١١٣، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٥.

(٣) قصير بن سعد بن عمرو بن حذمة بن قيس بن هليل بن ربي بن نمارة، ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٥٩. هو قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هليل بن دمي بن نمارة بن لخم، ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٣١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣١٧. ورد قصير بن عمرو بن رزين بن ثماره بن لخم، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٢.

(٤) ابن حبيب، **المصدر نفسه**، ص٣٠ ـ ٣١، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٢٦١، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٦.

(٦) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٧٨، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٥.

(٧) ابن دريد، **المصدر نفسه**، ص٥٤٣.

(٨) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١.

واللخميون: مفردها لخم، وهو مالك بن عديّ بن الحارث بن مُرَّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأمُّه رقاش بنت همدان(١)، وذُكِر أيضًا، هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ(٢)، وقيل: هو ابن عمرو بن عدي بن الحارث بن مرَّة بن أدد بن زيد بن عريب بن كهلان(٣)، ويقال في نسبهم أيضًا: لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ، ومنهم بني نصر ملوك الحيرة(٤)، وسمي لخمًا لأنه لَخَمَ أخاه، أي: لَطَمَه(٥). إذًا هناك اختلاف في أجداد لخم، ويُعزَى ذلك إلى طول الفترة الزمنية التي تفصل المؤرخين عن المناذرة وأجدادهم، وتنوع المصادر التي اعتمدوا عليها في نسب اللخميين، فمنهم من اختصر، ومنهم من أوردها كما هي، ونرجِّح النسب الأول، بسبب طول الفترة الزمنية التي تفصل بين لخم وسبأ.

وبطون لخم كثيرة: «بنو عبد الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم، وبنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم، وبنو راشدة بن أذب بن جزيلة بن لخم، وبنو حدس بن أُريش بن إراش بن جزيلة بن لخم، وبنو ذُعر بن حُجر بن جزيلة بن لخم»(٦)، وبنو عدي بن الزُّميل بن أسسٍ(٧)، وبنو مرينا ينسبون إلى لخم أيضًا(٨).

---

(١) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٦٢ وص١٥٧، ابن سلام، **النسب**، م.س، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥، ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، **العقد الفريد**، ٩ أجزاء، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، جـ٣، ص٣٤٩، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٨٥.

(٢) ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، **السيرة النبوية**، ٤ أجزاء، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، جـ١، ص٢٥.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٣.

(٤) ابن هشام، **السيرة**، م.س، جـ١، ص٢٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٦٩.

(٥) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٥٧، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، **الروض الأنف**، ٤ أجزاء، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، جـ١، ص٢٧.

(٦) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٧٧.

(٧) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ١، ص٣٧٧.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٦، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٥.

١ ـ عمرو بن عدي

أوَّل الملوك اللخميين عمرو بن عدي، واختلف الرواة حول أجداده، فقيل: إنَّه عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم(١)، وذُكِر من دون أجداده عمرو ومسعود(٢)، وأحيانًا من دون مسعود فقط(٣)، وهو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن نمارة بن لخم(٤)، فالملاحَظ أنَّهم اختلفوا في أجداده، ولكنهم متفقون على أنَّه من قبيلة لخم. أمُّه هي رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان، أخت الملك جذيمة الأبرش. وزُعِمَ أنَّه نصر بن عدي بن ربيعة اللخمي، وهو جرمقاني من أهل الموصل(٥)، عَهِد إليه خاله بالحكم قبل المغادرة إلى الزباء، وما إن وصل خبر مقتله إلى مسامع عمرو حتى وقع خلاف حول سُدَّة الحكم بينه وبين عمرو بن عبد الجن الجرمي، فذهب فريق مع هذا الأخير، وفريق مع عمرو بن عدي، وقبْل أن تتفاقم الأمور أصلحها قصير، وصُبَّت الأمور في مصلحة عمرو بن عدي الذي قال في ذلك:

دَعَوْتُ ابن عبد الجنِ للسِّلم بعدوا ... تتابعَ في غرب السِفاهِ وكَلْسَما

فلما أرعَوَى عن صدِّنا باعترافه ... مَـرِيْـتُ هـواهُ مَـرِّيَ أمِّ رَوائِـمـا

وقال عمرو بن عبد الجن مجيبًا له:

أمَـا ودِمَـاءٍ مـائـراتٍ تَـخَـالُـهـا ... على قِلة العزَّى أو النشر عندما

وما قدَّسَ الرهبانُ في كلِّ هيكلٍ ... أبيـل الأبيـلـيـن بِـنْ مَـرْيَـمـا(٦)

ونقرأ في رواية أخرى أن قصير طلب من عمرو بن عبد الجن الثأر لجذيمة

---

(١) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٦٧، ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٢ ـ ٤٢٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٧٤، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٢٦٩.

(٢) ابن حبيب، **المحبّر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٦.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٦، ص١٨.

(٤) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٥٢.

(٥) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، جزآن، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، جـ٢، ص١٦٥.

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٦، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٣٠٣. أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٨٢.

فرفض، فذهب قصير إلى عمرو بن عدي، وهذه إشارة إلى تولّي عمرو بن عبد الجن الحكم في غياب جذيمة[1]، وجُعِلْ عمرو بن عبد الجن مع جذيمة الأبرش أثناء توجّهه للزباء وكان على جنوده وخيوله[2]، ونحن نعلم أن مكيدة الزباء لم ينجو منها إلَّا قصير، فهذا الاختلاف مردُّه إلى أنَّ عمرو بن عبد الجن كان قائد الجيش عند جذيمة، وهذا منصبٌ مهمٌّ في ذلك الوقت، ممَّا أدّى إلى ضياع الحكم بينه وبين عمرو بن عدي، وممَّا يُثبِتُ عدم صحة تولي عمرو بن عبد الجن الحكم، أنَّ جذيمة قبْل توجهه إلى الزباء عهد بالحكم إلى عمرو بن عدي[3].

تولّى عمرو بن عدي الحكم، ورغم الحيطة والحذر اللَّذين اتبعتهما الزباء من إرسال مصوِّر لرسم عمرو بن عدي بهيئات مختلفة، واتخاذها نفقًا تحت القصر للهروب منه «مخرج طوارئ»، غير أنها وقعت في شباك مؤامرة حاكها قصير، الذي توجه بدوره إلى الحيرة وطلب من عمرو بن عدي أن يجدع أنفه ويضربه بالسياط حتى تظهر آثاره على جسده، وبعد ما تمّ له ذلك على يده، توجَّه إلى الزباء وأوهمها بأن ابن أخت جذيمة فعل به ذلك لشَكِّه بخيانته لخاله، ولما رأت ما هو عليه، طارت الريبة من عقلها وارتاح قلبها له فأكرمته، وبعد مدة غير طويلة أقنعها بالعمل التجاري، وجهَّز نفسه للذهاب إلى الحجاز لعقد الصفقات التجارية، فتوجَّه إلى عمرو بن عدي وجلب أموالًا وبضائعًا، وبعد أن أمَّنت لقوافل قصير، توجه مرَّة أخرى إلى الحيرة وجهَّز ألف بعير عليهم ألفي رجل نيام (مختبِئين) في الصناديق، وعندما اقتربت القافلة من القصر قالت الزباء:

ما للجمالِ مشيها وئيدًا	أجُندلا يحملْنَ أم حديدا
أم صُرفانًا باردًا شديدًا	أم الرجال جثَّمًا قعودا

وبدخول أخر بعير من بوابة المدينة، غزَّ الحارس النبطي بيده أحد الصناديق، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيه، فقال البواب بالنبطية: (بشتا بسقا)، يعني بذلك: «في الجواليق شر» ولكن إنذاره جاء متأخرًا، فخرج الرجال، واستباحوا المدينة، وكانت الزباء قد أطلعت قصير على النفق، وهو بدوره أخبر عمرو بن عدي عنه،

---

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣١٩.

(٢) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٣٠٢.

(٣) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٩٠، **والأوائل**، م.س، ص٦٢، الميداني، **المصدر نفسه**، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٨، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٦١، اليوسي، **زهرة الأكم**، جـ١، ص١٩٠.

فلحقه الأخير وهي تهرب منه، فعندما رأته مصَّت خاتمها وكان فيه سُمٌّ، وانتقم منها بقتلها بالسيف والسبي والنهب، وعاد ظافرًا إلى الحيرة محققًا ثأر خاله جذيمة الأبرش[1]. قال المتلمِّس:

ومن طلبَ الأوتارَ ماحزًا أنفه	قصير، رام الموتَ بالسيف بَيْهَسُ[2]

وقال ابن دريد:

وقد سَمَا عمرو إلى أوتارِهِ	فاحتطَّ منها كلُّ عالي المُستَمَى
واستنزلَ الزباءَ قسرًا وهي من	عقابِ لوحِ الجوِّ أعلى مُنْتمى[3]

---

(١) التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، **كتاب الديباج**، تحقيق عبد الله بن سليمان الجربوعي، وعبد الرحمٰن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طـ١، ١٩٩١م، ص١١٠ ـ ١١١، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٦ ـ ٣٦٨، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧١ ـ ٧٢، المطهر المقدسي، **كتاب البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٨ ـ ١٩٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣١٩ ـ ٣٢٠، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٩١، **والأوائل**، م.س، ص٦٢، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٤٩ ـ ٥١، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، ص٣٠٣ ـ ٣٠٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٨٢ ـ ٣٨٦، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٣٠٢ ـ ٣٠٤، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٤ ـ ٦٨، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٢٦٧ ـ ٢٦٩، القزويني، زكريا محمد بن محمد (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٦٠م، ص٤٢٤ ـ ٤٢٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٦٣ ـ ٦٦، أبو الفدا، **المختصر**،م.س، جـ١، ص١١٦، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣١٧ ـ ٣١٨، ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٤٨ ـ ٤٩.

(٢) الطبري، **المصدر نفسه**، ص٣٦٧، المسعودي، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٧٢، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ١٥، ص٣٢١، **والمصدر نفسه**، ص٦٢، أبو البقاء، **المصدر نفسه**، جـ١، ص١٨٨، ابن الجوزي، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٥٩، النويري، **المصدر نفسه**، جـ١٥، ص٣١٨، اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ١، ص٢٠٨.

(٣) أبو البقاء، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٨٥، اليوسي، **المصدر نفسه**، ص١٨٩.

ـ قال عدي بن زيد في قصة الزباء وجذيمة وقصير الطالب بالثأر:

فطاوع أمرهم وعصى قصيرًا	وكان يقول لو تبع اليقينا
أطفَّ لأنفه الموسى قصيرٌ	ليجدعه وكان به ضنينا
فأهواه لمارنه فأضحى	طلاب الوتر مجدوعًا مشينا
أتتها العيس تحمل ما دهاها	وقنَّع في المسوح الدارعينا
ودسَّ لها على الأنفاق عمرًا	بشكَّته وما خشيت كمينا
فأضحت من خزائنها كأن لم	تكن زبَّاء حاملةً جنينا =

وقيل في هذه الرواية أنها لا تستند إلى أُسُس تاريخية[1]، غير أنَّنا نرى فيها حقيقة تاريخية دخلَ في سردها الخيال، فتحوَّلت إلى أسطورة تاريخية، وهذا لا ينفي قتل الزباء على يد عمرو بن عدي.

أمّا الزباء، فهي الزباء ابنة عمرو بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر من العماليق ملكة الشام والجزيرة[2]، وقيل إنَّها من أهل باجرمي[3] وتتكلَّم بالعربية[4]، ورُوِيَ أنَّها الزباء بنت مليح بن البراء[5]، كانت رومية وتتكلم بالعربية[6]، وذُكِر أنَّ زنوبيا ملكة تدمر هي نفسها الزباء ملكة الشام والجزيرة[7]، وتعصَّب أغلب المؤرخين

= ـ التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، **الديباج**، تحقيق عبد الله بن سليمان الجربوعي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩١م، ص١١١ ـ ١١٢، ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء**، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٣١ ـ ١٣٢، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦٣ ـ ٦٤.

(١) علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب**، ١٠ أجزاء، جامعة بغداد، بغداد، ط٢، ١٩٩٣م، جـ٣، ص١٨٧.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣١٦، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٥، **والدرة الفاخرة في الأمثال السائرة**، جزآن، (د.م)، دار المعارف، مصر، ١٩٩٦م، جـ١، ص٣٠١، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦١، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٤٧، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص٣١١، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٦، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٣٠٠، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٥ ـ ١١٦. والزباء كان لقب لأنها كانت بارعة الجمال وكان لها شعر إذا مشت سجته وراءها، وإذا نشرته جللها فسميت الزباء، والأزب: الكثير الشعر، وهي تأنيث الأزب، واسمها نائلة، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٢٦٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٥٩، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٥، ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٤٨، اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ١، ص١٨٨. واسم زنوبيا هو اسم آرامي.

- Musil. A, **Palmyrena,** New York, 1928, p.268.

(٣) باجَرْمي، قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٣١٣.

(٤) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٣٠١.

(٥) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٤٢٤، ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٤٨.

(٦) التيمي، **الديباج**، م.س، ص١٠٩، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص١١٣، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ١، ص٢٤٣.

(٧) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، مكتبة المثنى، ط٤، بغداد، ١٩٦٨م، ص٦٦.

الغربيين لبيزنطة، فذكروا أنَّ أورليان قائد الجيش الروماني هزم زنوبيا وقادها أسيرة إلى شوارع روما سنة ٢٧٢ أو ٢٧٣ أو ٢٧٤م[1].

والمرجَّح أنَّ زنوبيا ملكة تدمر هي ذاتها الزباء التي قضى عليها عمرو بن عدي، لأنَّها كانت تقضي فصل الصيف في تدمر، وأن الأخبار القديمة كانت تتشوَّه على ألسنة الرواة الذين كانوا يضيفون عليها أشياء جديدة من مخيِّلتهم أو ينقصون منها بسبب النسيان وتقادُم الزمن[2]. وأنَّ الرومان لم يقضوا على زنوبيا ومملكتها على ضفاف الفرات، ولم يقتادوها أسيرة إلى شوارع روما، بسبب علاقة السلام والمحبة المتبادلة بين زنوبيا والرومان[3].

وقبْل توجُّه جذيمة إلى الزباء، استشار عمرو بن عدي، فشجعه على السير إليها[4]، ولعلَّه أراد من ذلك التخلُّص منه ليؤول الحكم إليه، وفي حال نجاح جذيمة في مهمته يرث مملكة أوسع ممَّا هي عليه؛ لذلك نرى أن عمرو بن عدي كان يخطِّط منذ زمن للوصول إلى سُدَّة الحكم، وهذا واضح من صفاته التي غلب عليها القوة، وخوف الملوك منه، واستبداده بالحكم، وكثرة مغازيه، ووسع الغنائم، وتردُّد الوفود إليه، وعدم خضوعه لملوك الطوائف في العراق، وهو أوّل ملوك العراق من العرب الذي يمجِّده أهل الحيرة في كتبهم[5]. فكان أعظم أمير عربي في العراق[6]، وأوَّل من اتَّخذ مدينة الحيرة منزلًا ودار ملك[7]، فأصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة

(١) Nicholson. A. R, **A Literary History of the Arabs**, p.34, Lewi. B, **The Arabs in History**, p.22, David F. Graf, **The Saracens and the Defence of the Arabia frontier Bulletin of the American school of oriental research,** Atlenta, 1978, p.13, Sykes. S. p, **A History of Persia**, II, St. Martim's press, third edition, Macmillan, New York, 1963, I, p.403, Halm Heinz, **The Arabs A Short History,** Translated from German by Allison Brown, Thomas Lampert, Marks Wiener, Publishers Princeton, 2007, p.13.

(٢) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني، بيروت، طـ١، ٢٠٠٤م، ص٣٠٧، سيديو، **خلاصة تاريخ العرب**، دار الآثار، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص٢٨.

(٣) Procopius of caesarea, (D.approximate 600AD), **History of the Wars**, 2 parts, Translated to English by H.B. Dewing, Cambridg, Massachuetts, Harvard University Press, London, fifth Edition, 1979, II, p.296-297.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٥٧، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٦٠.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩.

(٦) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٠٧.

(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩.

المناذرة[١]، وذلك لإظهار نفسه بمظهر الملوك كالفرس والروم.

اتَّبع سياسة خاله القائمة على التحالف مع الفرس، فساعدوه عسكريًا[٢]، فقويَ نفوذه على القبائل النازلة في العراق[٣]، أمّا عن علاقته بالفرس فقد دان لملك الفرس أردشير بن بابك بعد استلامه الحكم[٤]، ونعتقد أنَّه خضع منذ توليه الحكم للفرس، ولم يكن منفردًا حسْبَ ما جاء في أوصافه، ولا ننسى أنَّ مَنْ عيَّنه على كرسي الحكم هو شابور بن هرمز كملك[٥].

وارتبطت أهميَّة عمرو بن عدي السياسية بالوضع الإقليمي، فانهيار مملكة تدمر، وظهور قوة الدولة الفارسية الجديدة واعتمادهم عليه لصدِّ هجمات العرب، جعلت من جميع القبائل العربية تلتجئ إلى ركن وثيق، فوقع الاختيار على عمرو بن عدي[٦].

مَلَكَ خمسين ومائة سنة[٧]، أو عشرين ومائة سنة[٨]، أو ثماني عشرة ومائة سنة[٩]، أو أربع عشرة ومائة سنة[١٠]، أو مائة سنة[١١]، أو نيفًا وستين سنة[١٢]، أو ستين سنة[١٣]، أو خمسًا وخمسين سنة[١٤]. فمدَّة حكمه تجاوز طور المعقول[١٥]،

(١) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١١، و:

- Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam**, V, p.633.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٦.

(٣) عاقل، نبيه، **تاريخ العرب القديم وعصر الرسول (ص)**، (د.ن)، دمشق، ١٩٦٨م، ص١٧٧.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٦.

(٥) Brockelmann. Carl, **History of Islamic peoples**, translated by Joel Carmicheal and Moshe perlmann, Rout ledge and Kegan paul, London, 1979, p.8.

(٦) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، ط١٢، ١٩٦٠م، ص٤٤.

(٧) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٦.

(٨) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٦، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦١.

(٩) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٧٦، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٢.

(١٠) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١.

(١١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٦ وص٧٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣١٩.

(١٢) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦١.

(١٣) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٧٨.

(١٤) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩.

(١٥) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، دار الهلال، القاهرة، (د.ت)، ص٢٢١.

غلب عليها الاختلاف والتشويق، فهي أقرب إلى القصص التي تخلو من أي حسٍّ منطقي أو منظور تاريخي، وذلك بسبب بُعد الفترة الزمنية التي تفصل الرواة عن عمرو بن عدي، واختلاف الروايات وعدم تدقيق معظمها، فالمعقول والمقبول أنَّه كان ما يزال ملكًا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة[١]، فربط الرواة عمره بمدة حكمه فحصلوا على أرقام خيالية.

وبالنظر إلى ملوك الفرس الذين عاصرهم عمرو بن عدي، فذُكر «أنه حكم في زمن أردوان وملوك الطوائف خمسًا وتسعين سنة، وفي زمن ملوك فارس ثلاثًا وعشرين سنة، من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وفي زمن شابور بن أردشير ثماني سنين وشهران»[٢]. والواضح أنَّ فترة حكمه وملوك الفرس الذين عاصرهم لم تكن دقيقة، فالمرجَّح أن فترة حكمه بدأت في سنة ٢٦٨م واستمرَّت حتىٰ ٢٨٨م[٣].

٢ ـ امرؤ القيس بن عمرو بن عدي

استلم زمام الحكم بعد وفاة أبيه عمرو بن عدي وكان يلقَّب بالبَدء، أي: الأوَّل[٤]، ونُسِب إلى قبيلة كِندة[٥]، وهذا خطأ بسبب تشابه الاسم مع امرئ القيس الشاعر الكِندي. ويقال إنَّ الذي ملَك بعد عمرو بن عدي هو الحارث بن عمرو بن عدي[٦]، ونرى في هذه المعلومة نوعًا من الشك قطعناه بيقين نقش نمارة، الذي

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٥٢، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٩، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣٣١، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٢٦٩. ذُكر أنه مات وهو ابن مئة وثماني عشرة سنة، ابن الأثير، **المصدر نفسه**، ابن الجوزي، **المصدر نفسه**.

(٢) الطبري، **المصدر نفسه**، ص٣٩٢، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٦، ابن الجوزي، **المصدر نفسه**، ابن الأثير، **المصدر نفسه**، ص٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٣) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٢١، زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٢٦.

(٤) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٦٧، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٧، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٠.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦١، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٥.

أثبت أنَّ امرأ القيس هو من استلم الحكم[١]، وليس الحارث، ولُقِّب بالبدن[٢]، وزُعم أنه لم يلقب بالبدن، ورَدُّ ذلك إلى خطأ وقع في الروايات من الرواة، أو الكتابة للحرف الأخير من كلمة البدء أو البدن، فصارت الكلمة الواحدة في الأصل كلمتين[٣]، ولكن يجب ألّا نقف موقف المسلِّم بهذا التحليل، فهو كان يلقَّب بالبدن وذلك للبسه الدروع بشكل متواصل، والبدن[٤]من أسماء الدرع[٥]، وهذا ليس مستبعد بسبب الحروب المتواصلة التي قام بها. أمُّه هي ماوية بنت عمرو بن مالك الغساني الأزدي[٦]، وتزوَّج من هند بنت كعب بن عمرو[٧].

تحلّى بصفات كثيرة، فهو أقوى ملوك دولة المناذرة[٨]، وفي ذلك مبالغة، مصدرها نقش نمارة الذي ذكر بأنَّ سلطته امتدت إلى بادية الشام والعراق والحجاز، والأصح أنَّه لم يبلغ مبلغه في زمانه[٩]، وهذه الصفة نسلِّم بها من دون أدنى شك، وورد في النقش أنه هو الذي نال التاج، وأوَّل من تقلَّده من ملوك الحيرة[١٠]، وكلمة تاج من الألفاظ الفارسية المعربة[١١]، ممَّا يدلُّ على اتصاله بالفرس والثقة الكبيرة المعطاة له، ومكانته عندهم، في حين يُذكَر أنَّه لم يدِن بالتبعية للفرس[١٢]، وكيف ذلك وقد ألبسه الفرس التاج، وكان عامل شابور على ضاحية مضر وربيعة[١٣]، ومن المُلاحَظ أنَّه كان «محاربًا قويًّا»[١٤]،

---

(١) انظر الملحق رقم (١).

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٧، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠.

(٣) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص١٩٧.

(٤) البَدَنُ: الدرع القصير على قدر الجسد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٤٩.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٧.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٧، أبو البقاء، **المصدر نفسه**.

(٧) حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٧٨.

(٨) الخليفة، عبد الله بن خالد، **البحرين عبر التاريخ**، المطبعة الشرقية، البحرين، ١٩٧٠م، ص٦٢.

(٩) المعطي، علي، **تاريخ العرب**، م.س، ص٣٠٩.

(١٠) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٢٧.

(١١) التاج: العرب تسمي العمائم التاج، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر، فالعمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢١٩.

(١٢) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م، ص٤٣.

(١٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٢.

(١٤) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam**, V, p.633.

تصرَّف بتروٍّ وذكاء وبُعد نظر، واستعمل عقله قبل شجاعته فهابته القبائل العربية.

وتضاربت الآراء واختلفت حول مدَّة مُلكه، فملَك مائة وأربع عشرة سنة[١]، وقيل: ستين سنة[٢]، وخمسًا وثلاثين سنة[٣]، وثلاثين سنة[٤]، وعُلِّق على الفترة الأولى التي زادت على المائة سنة: «فقد ساروا على خطَّة إطالة أعمار الملوك الأولين، فملك يتجاوز حكمه مئة عام بسنين أمر لا بأس به في نظر هؤلاء الرواة، غير أننا نلاحظ أنهم بخلوا على الملوك المتأخرين، فجعلوا لهم مددًا مقبولة»[٥]، ونرى هذه الفترات الطويلة من ألدِّ أعداء الحقيقة، فالأقرب إلى فترة ملكه خمس وثلاثون سنة، وبحسْبِ نقش نمارة توفي عام ٢٢٣م، وكان أهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصروي، نسبة إلى بصرى[٦] عاصمة حوران، وهو يبدأ بدخولهما في حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد، فإذا أُضِيفت إلى ٢٢٣، كان المجموع ٣٢٨ للميلاد، وهي السنة التي توفي فيها هذا الملك، فيكون قد ملك أربعين سنة[٧].

عاصر من ملوك الفرس «شابور بن أردشير ثلاثًا وعشرين سنة وشهر، وفي زمن هرمز بن شابور[٨] سنة وعشرة أيام، وفي زمن بهرام بن هرمز[٩].. ثلاث سنين

---

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٨، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٧، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٧، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٠، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧١.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣١٩.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩.

(٤) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٤.

(٥) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص١٨٨.

(٦) بُصْرى: هي بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٤٤١.

(٧) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٢٨، المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٠٩.

(٨) هرمز بن شابور بن أردشير بن بابكان، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٤. ملَك بين (٢٧١ ـ ٢٧٢م).

- Sykes S. P, **A History of Persia**, I, p.406-407.

(٩) بهرام بن هرمز بن شابور بن أردشير بن بابكان، ابن حبيب، **المصدر نفسه**، ملك بين (٢٧٢ ـ ٢٧٥م).

- Sykes. S.P, **Ibid**, I, p.407.

وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وفي زمن بهرام بن بهرام[١].. ثماني عشرة سنة»[٢]، فمجموع سنوات ملوك الفرس التي ملك فيها امرؤ القيس ٤٦ سنة، وذُكِر أيضًا أنّه ملَك «في زمن شابور بن أردشير ثلاثًا وعشرين سنة، وفي زمن هرمز شابور سنة وعشرة أيام، وزمن بهرام بن هرمز تسع سنين وثلاثة أشهر، وفي زمن بهرام بن بهرام ثلاثًا وعشرين سنة، وفي زمن بهرام بن بهرام بن بهرام[٣] ثلاث عشرة سنة وستة أشهر، وفي زمن نرسي بن بهرام بن بهرام[٤] تسع سنين، وفي زمن هرمز بن نرسي بن بهرام[٥] ثلاث عشرة سنة، وفي زمن شابور الأكتاف عشرين سنة وخمسة أشهر»[٦]، فيكون مجموع سنوات ملوك الفرس التي ملك فيها امرؤ القيس ١١٢ سنة.

وفي سياق الحديث عن سنوات ملكه فقد ذُكر أنه ملَك لمدة أربع عشرة سنة ومائة، ولكن عند إحصائنا لعدد سنين حكمه نحصل على رقم أقل من ذلك بكثير، ونقف بالمقارنة الزمنية عند الملك الساساني بهرام الثاني، غير أن السنين التي أُوردت لا تطابق هذا العدد، وحقيقة أن هذا الضرب من الجداول غير دقيق[٧].

٣ ـ عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي

أعقب والده امرأ القيس في الحكم، وهو عمرو الثاني[٨]، وحسب نقش نمارة يكون ذلك في سنة ٣٢٨م. ولم يُدرج في قائمة ملوك الحيرة[٩]، وذُكر أنه ملَك بعد الحارث بن عمرو بن عدي[١٠]، وليس بمستبعد أن يكون الحارث قد تولّى الحكم لفترة قصيرة أو كان الوصي على ابن أخيه، ولكنَّ الفترة الزمنية الطويلة التي شغل

---

(١) بهرام بن بهرام بن هرمز بن شابور بن أردشير بن بابكان، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٤. ملك بين (٢٧٥ ـ ٢٨٢م).

- Sykes. S.P, **Ibid,** I, p.407.

(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٨.

(٣) بهرام بن بهرام بن هرمز بن شابور بن أردشير بن بابكان، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٤، حكم لمدة أربعة أشهر فقط، - Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.409.

(٤) نرسي بن بهرام بن بهرام، ملَك بين (٢٨٢ ـ ٣٠١م)، - Sykes. S.P, **Ibid**, I, p.409-410.

(٥) هرمز بن نرسي الملقب بهرمز الثاني، ملَك بين (٣٠١ ـ ٣٠٩م)، - Sykes. S.P, **Ibid**, I, p.411.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٧ ـ ٨٧.

(٧) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٤٥.

(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٢.

(٩) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٥.

(١٠) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩.

فيها الحكم سبعًا وثمانين سنة، تجعلنا نقف موقف المشكّك فيها. أمُّه هي هند بنت كعب بن عمرو بن مالك الغساني، وهي بنت خال أبيه[١]، نُسب إلى أمِّه فقيل عنه عمرو بن هند[٢]، ولا نرجّح أنه هو من لقب بعمرو بن هند، بل ملك أخر غيره، وفي خبر آخر، أمُّه هي مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان[٣].

وُصِفَ بمحرق العرب[٤]، وبأنَّه كان محاربًا[٥]، لكن بالنظر إلى معارك المناذرة فيما بعد لم يرد اسمه في أي معركة، وعدم توسُّع الرواة في الحديث عنه مردُّه بالدرجة الأولى إلى أنَّ أيامه كانت أيام سلام ورخاء وهناء وسعادة مرَّت بها مملكته[٦]، فلم يحدث أي عمل يخلد ذكره في التاريخ أو يتناوله الرواة في كتبهم.

وفي المعلومات حول سنوات ملكه فقيل: إنَّه ملك ستين سنة[٧]، وذُكِر أربعين سنة[٨]، وأُنقِصَت إلى ثلاثين سنة[٩]، وجُعلت خمسًا وعشرين سنة[١٠]، بموازاة هذه الأرقام نلقي نظرة على سنوات حكم ملوك الفرس الذين عاصرهم، فقد كان ملكًا في «زمن شابور ذي الأكتاف إحدى وخمسين سنة وسبعة أشهر، وفي زمن أردشير أخي شابور[١١] خمس سنين، وفي زمن شابور بن شابور[١٢] أربع سنين وخمسة أشهر»[١٣]، وقيل: «وهذا يوافق الستين سنة، فبقى في عمله بقية ملك شابور، وجمع

---

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٨، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠.

(٢) الخوارزمي، **المصدر نفسه**.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣١٩.

(٤) المسعودي، **المصدر نفسه**، النويري، **المصدر نفسه**.

(٥) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص١٩٤.

(٦) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٢٩.

(٧) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٨.

(٨) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩.

(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٢.

(١٠) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣١٩.

(١١) أردشير بن هرمز بن نرس بن شابور، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٤. حكم بين (٣٧٩ ـ ٣٨٣م). - Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.427.

(١٢) شابور بن شابور ملك الفرس بعد خلع أردشير بن هرمز، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٤١. حكم بين (٣٨٣ ـ ٣٨٨م). - Sykes. S.P, **Ibid**, I, p.427.

(١٣) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٨.

أيام أردشير بن هرمز بن نرسي، وبعض أيام شابور بن شابور»[1]، وأُردف: «إن شابور ملك اثنتين وسبعين سنة، وأخاه أردشير بن هرمز أربع سنين، ثم شابور بن شابور خمس سنين»[2]، وهذه المقابلة مع ملوك الفرس لسنيّ حكم عمرو بن امرئ القيس لا توافق الثلاثين سنة التي ذُكرت لسنوات ملكه.

وبالعودة إلى سنوات حكمه، فقد كانت بدايتها حسب نقش نمارة في ٣٢٨م، وهذا أمر لا يختلف عليه أحد، وحسب فترات الملوك اللخميين اللاحقين، فهو لم يتعدّى فترة الملك الفارسي شابور ذي الأكتاف[3]. فيكون قد ملك بين ٣٢٨ - ٣٧٤م.

ويحيط الغموض بوفاته، وأغلب الترجيحات أنه لم يمت بالحيرة، لأنَّ الفرس أوصلوا إلى سدة الحكم من بعده شخصًا لا يمتُّ إلى آل لخم بأيّ وشيجة قربة، وهذه قرينة تدل على خروجه عن طاعة الفرس في أواخر أيام حكمه وهروبه إلى مكان مجهول.

٤ ـ أوس بن قلام

اعتدنا فيما سبق أن يكون حاكم بلاد المناذرة من بني لخم، وخرق هذه القاعدة أوس بن قلام، ممّا دعا ببعض الرواة إلى عدم ذكره ضمن تراجم المناذرة[4]، فهو أوس بن قلام بن بطينا بن جمهير بن لحيان، وذكر أنه من العماليق[5]، ورويَ في نسبه أيضًا أنه أوس بن قلام بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أخوه الخزرج[6]، وإنَّ الأوس والخزرج[7] لم يسكنوا بلاد المناذرة، فكيف يرد نسبه إلى الأوس والخزرج؟ وحسب ما نعتقد أنَّ الذي جعلهم ينسبوه إلى الأوس هو تقارب اللفظ بين اسمه الأول وقبيلة الأوس.

ورُوي أنه لم يكن ملكًا إنَّما كان مستخلفًا إلى أن يرتئي كسرى فيمن يولّيه

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٢، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٤.
(٢) الطبري، **المصدر نفسه**، ص٤٠٢ ـ ٤٠٣.
(٣) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧.
(٤) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩ ـ ١٨٠، المسعودي **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.
(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤.
(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٧٢.
(٧) الأوس والخزرج: هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن أزد، وأمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٣٢.

الحكم[1]، والذي حدا بهذا القول أنّه كان دخيلًا في دولة المناذرة، وليس له نسب فيهم[2]، فالدافع وراء توليّه الحكم من قِبَل الفرس، وهو الثروة المادية الضخمة التي كان يتمتع بها[3]، فربما دفع المال وأرسل الهدايا للفرس مقابل وصوله إلى سدَّة الحكم، خصوصًا أنَّ الفرس في فترة توليه الحكم كانوا يتمتعون بعلاقة تسودها السلام مع البيزنطيين[4]، فلم يجدوا حاجة إلى ملك قوي يهدد استقرارهم الداخلي، فسلّموا زمام السلطة لأوس الذي ربما كان ضعيفًا في تسيير دفة الحكم، وعملوا في نفس الوقت على خلق بلبلة واضطرابات في بلاد المناذرة على قاعدة فرِّق تَسُد، وليس بسبب الفتنة التي حصلت بين أولاد عمرو بن امرئ القيس، وقيام كل منهم بطلب الملك لنفسه، فاضطربت المملكة وكثر فيها القتل والنهب، فغضب عليهم شابور بن شابور، وملَّك أوس وقوّاه بالجنود، فسكنت الفتن وانهزم أولاد عمرو، ثم سار بنو لخم وهجموا عليه وقتلوه[5]، وهذا الكلام لا ينطبق في تلك الفترة التاريخية لأن ظاهرة اختلاف الأولاد على الملك تشكِّل سابقة مبكرة على سياسة المناذرة، وكيف يجرؤ أحد على قتله وهو بحماية جنود الفرس.

ولم يُذكر أي شيء عن صفاته وأعماله بسبب الفترة الزمنية القصيرة التي حكم فيها، فقيل: إنه ملك ثلاث سنوات[6]، أو خمس سنين[7]، والقَدَر الذي وافاه باكرًا على يد جحجبا ـ قيل: جحجبي ـ بن عتيك بن لخم[8]، وذُكر في نسب القاتل أيضًا: جحجبا بن عبيل، أحد بني فاران، وهو فاران بن عمر بن عمليق، وهم بطن بالحيرة يقال لهم بنو فاران، وجحجبا منهم[9]. ولم نجد له ترجمة في كتب النسب، لكن يُذكر أنَّ بني جحجبي من بني كلفة من مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر[10].

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٤.
(٢) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٢٩.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨.
(٤) Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.427.
(٥) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٣٠.
(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٤.
(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٧.
(٨) ابن حبيب، **المصدر نفسه**. الطبري، **المصدر نفسه**.
(٩) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٨، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٢.
(١٠) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ١، ص٤٤١ وص٤٧٧. وجحجبي، حي من الأنصار، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٢٥٣.

وبالعودة إلى كلفة، فهو بن عوف بن عمر بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد[1]، فإذًا يتأرجح نسب جحجبا بين عدة قبائل، ولكن من أبعد الاحتمالات أنَّه من قبيلة لخم، ولو كان منها لاستلم زمام الحكم بعد قتله لأوس.

ويكمن وراء دوافع قتله عاملين اثنين، الأول: المناذرة، من أجل استعادة السلطة، والثاني: الفرس، فربما تغيرت الظروف السياسية ودخلوا في صراع عسكري مع البيزنطيين، فاحتاجوا إلى ملك قوي يحمون به حدودهم ويواجه البيزنطيين، فمهدوا للتخلُّص من أوس.

وبالعودة إلى اسم القاتل فقد وقع اختلاف عليه فقيل: جحجبا، أو جحجبي، أو حجحبا، فهذا الاختلاف يرجع إلى خطأ وقع في تدوين الروايات، إمَّا سهوًا، وإمَّا جهلًا بحقيقة الاسم[2].

أمّا بالنسبة إلى من عاصر من ملوك الفرس، فقد ذكر عن استخلاف شابور بن شابور له، وأنَّه مات في عهده[3]، وهذا يوافق تاريخنا، أي أنَّه حكم بين ٣٧٤ - ٣٧٩م، فيكون قد ملَك لفترة خمس سنوات، والمرجَّح أنه لم يقتل سنة ٣٦٨م[4]، فهذا لا يتوافق مع من عاصره من الفرس، ووُرِدَ أنَّ رجلًا آخر ملك من العماليق بعد أوس[5]، وهذا غير دقيق.

٥ - امرؤ القيس بن عمرو (الثاني)

عاد الملك إلى آل المنذر، واستلم زمام السلطة امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر، ولُقِّب بمحرق الأول، لأنَّه أول من عاقب بالنار[6]، وهذا برهان على الاستبداد الذي طبع به عصره، وقيل: إنه سُمي بذلك لأنَّه كان إذا حارب ملكًا وظفر به وسم وجهه بالنار[7]، وإياه عنى الشاعر الأسود بن يعفر في قوله:

---

(١) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٣٢.

(٢) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص١٩٦.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٧.

(٤) شير، أدي، **تاريخ كلدو وآثور**، جزآن، طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، جـ١، ١٩١٢م، وجـ٢، ١٩١٣م، جـ٢، ص٢٠٨.

(٥) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٨.

(٧) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٥.

مـــاذا أؤمِّــل بـــعـــد آل مـــحـــرّقٍ   تـركـوا مـنـازلـهـم وبـعـد إيـاد[1]

فلقب محرق ارتبط باستعمال النار لعقاب الأعداء وليس لحرق الذبائح التي تقدم للإله[2].

مَلَكَ خمسًا وعشرين سنة[3]، وعاصر من الفرس «أردشير بن شابور، وزمن شابور بن شابور، وزمن بهرام بن شابور[4]، وزمن يزدجرد بن شابور»[5][6]، وكان هلاكه في عهد يزدجرد الأثيم[7]، وحسب سنوات ملكه المذكورة يكون قد مَلَكَ بين ٣٧٩ - ٤٠٤م.

٦ - النعمان بن امرئ القيس

تواصل الحكم في بني نصر، واستلم النعمان بن امرئ القيس المُلك[8]، وقيل: إن النعمان هذا هو أخ امرئ القيس ومَلَكَ من بعده[9]، وهذا غير دقيق، وزُعم أنه النعمان بن المنذر[10]، وهذا ليس مرجَّحًا في نسب النعمان، لأن جميع صفات النعمان التي تحدث عنها النويري في كتابه هي للنعمان بن امرئ القيس وليست للنعمان بن المنذر. ورُوي في معنى اسم النعمان أنه: الدم[11].

وهو ابن الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان[12]؛ لذلك غلب عليه لقب

---

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٨، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٥.

(٢) الخليفة، عبد الله بن خالد، **البحرين عبر التاريخ**، م.س، ص٩٥.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤.

(٤) بهرام بن شابور بن أردشير بن هرمز بن نرسي، ابن حبيب، **المصدر نفسه**، ص٣٤٤. حكم بين (٣٨٨ - ٣٩٩م)، - Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.428.

(٥) يزدجرد بن بهرام بن شابور يقال له: «يزدجرد الخشن»، ابن حبيب، **المصدر نفسه**. حكم بين (٣٩٩ - ٤٢٠م)، - Sykes. S.P, **Ibid**, I, p.429.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٢.

(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤. مات في ٣٩٠م، شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٠٨، ولكن في سنة ٣٩٠م، لم يكن يزدجرد الأثيم قد تولى الحكم في بلاد الفرس. قيل أيضًا: إن نهاية حكمه كانت في سنة ٣٨٨م، ديسو، رينه، **العرب في سوريا قبل الإسلام**، ترجمة عبد الحميد الدواحلي، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص٣٦.

(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **المصدر نفسه**.

(٩) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٨٢.

(١٠) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣١٩.

(١١) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٨٢، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٨٣.

(١٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤.

ابن الشقيقة تيمنًا بأمّه، وقيل: إنَّ أمّه هي الهيجمانة بنت سلول بن مراد، ويقال: إنها من إياد[1]، ولعلَّ هذه من زوجات امرئ القيس، ولكن ليست أمّه، وذُكر أن أمّه هي هند بنت زيد مناة من غسان[2]، ونرجّح أن تكون زوجته وليست أمّه أيضًا، ورُوي أن أخا النعمان لأمّه شقيقة، حسان بن زهير اللخمي[3]، وهذا دليل على أن أمّه هي شقيقة، وهناك ظاهرة متكررة في ملوك المناذرة، هي زواجهم من نساء متزوجات لديهن أولاد، فربما لها دلالة انتصار عسكري، أو استحواذ جاه.

عُرِف النعمان بالنعمان الأكبر[4]، ربما لأنّه هو أول ملك من المناذرة يسمى بالنعمان، وعُرف بالأعور[5] أيضًا، فهل كان الأعور لقبًا؟ أم عاهة جسدية؟[6]. وكان من أشدِّ الملوك نكاية في الأعداء وأبعدهم مغازًا، صارمًا حازمًا ضابطًا لملكه، واجتمع له من الأموال والخيول والرقيق ما لم يملكه أحد[7]، ونال من الشهرة ما لم ينله أحد من ملوك الحيرة قبله أو بعده[8]، وبلغت الحيرة في عهده قمَّة مجدها، وفاقت غيرها من المدن العربية بالثروة والعمران[9]، فذكرته المصادر السريانية[10]، وزُعِم أنَّهُ قاتَلَ الفرس[11]، وربما في هذه العبارة خطأ في نقل كلمة «قاتل»، بدل «قائد»، لأنَّ النعمان كان في أحسن العلاقات الطيبة مع الفرس.

ونُسجت عن وفاته قصة خيالية، فحواها أنَّه سأل أحد مستشاريه عندما جلس في قصره والفصل ربيع والأرض مغطاة بالزهور والأشجار مخضرَّة، هل يدوم هذا؟ قال

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(٢) أبو البقاء، **المصدر نفسه**.

(٣) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٥.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(٦) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam**, V, p.633.

(٧) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(٨) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٤٣١.

(٩) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٣٣.

(١٠) John of Ephesus (D.586AD), **Live of the Eastern Saints** II, Syriac Text Edited and Translated By E.W. Brooks, Paris, Di Dot Etc. Imprimeurs editeurs, Librairie De Paris, 56 Rue Jacob, (patrologia orientalis. 17), I, p.140 & p.145.

(١١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.

مستشاره له: لا يدوم، قال: فما الذي يدوم؟ قال: ما عند الله في الآخرة، قال: فيم يُنالَ ذلك؟ قال: بتركك الدنيا وعبادة الله، فترك ملكه من ليلتها، وساح في الأرض ولا يعلم به أحد، فلُقِّب بالسائح[1]، وقيل: إنَّه رُئِيَ بعد ذلك، وقد نحل جسمه، وتخدَّد لحمه[2]، قال عدي بن زيد العبادي:

ثـم أَضـحُـوا كـأنّـهـم ورقٌ جـــفَّ فـألـوَت بـه الـصَّـبا والـدَّبـور[3]

والعبادة المقصود بها المسيحية، وظاهرة تعبُّد الحكام وتركهم لكرسي السلطة ليست ممكنة في زمن غلبت فيه العصبية القبلية، بالإضافة إلى شخصية النعمان الصارمة وميله إلى الغزو ونكايته بالأعداء؛ لذلك لا نعتقد إمكان تقبُّل فكرة الزهد وترك الحكم. أمّا بالنسبة إلى القصيدة التي أنشدها عدي بن زيد له لعله «نظمها للنعمان صاحبه على سبيل الفطنة والتذكّر ليدخل في النصرانية»[4]، أي أنّها لم تكن توصيفًا لحقيقة.

وبوفاته يكون قد مَلَكَ ثلاثين سنة[5]، وقيل: تسعًا وعشرين سنة وأربعة أشهر[6]، وهما رقمان قريبان من بعضهما، ورُوِيَ أنه مَلَكَ خمسًا وستين سنة[7]، وزادت السنوات لتصل إلى ثمانين سنة[8]. وبالعودة إلى ملوك الفرس الذين عاصرهم النعمان، فقد كان «في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد[9] أربع عشرة سنة»[10]، وذُكِر أنّه في «زمن يزدجرد بن بهرام بن شابور

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٢٦٢، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **مسالك الأبصار**، ٢٢ جزء، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، المجمع الثقافي أبو ظبي، (د.ط)، ٢٠٠٣م، جـ١، ص٢٩٥.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢١.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٢ ـ ٥٦٣، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠.

(٤) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٠٤.

(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٨.

(٧) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.

(٨) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٢، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٠١.

(٩) بهرام جور بن يزدجرد بن بهرام بن شابور، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٤. حكم بين (٤٢٠ ـ ٤٤٠م)، - Sykes. S. P, **A History of Persia**, I, p.431 & p.435.

(١٠) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٨.

خمس عشرة سنة وثمانية أشهر، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأربعة أشهر»[1]، إذًا الاختلاف بينهما في عدد الأشهر وليس في عدد السنين. والمعطيات تبيِّن أنَّه حكم في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة، واثنتي عشرة سنة في زمن بهرام جور بن يزدجرد، فتكون سنوات حكمه بين ٤٠٤ ـ ٤٣١م، أي: سبعًا وعشرين سنة[2].

٧ ـ المنذر بن النعمان

أعقب والده في الحكم[3]، وهو ابن هند بنت زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني[4]، زوجة النعمان. كان شجاعًا حازمًا مهابًا مظفَّرًا منصورًا[5]، مخلصًا للفُرس[6]، قضى أربعًا وعشرين سنة في حروب متواترة ضد الروم[7]، وقد اختصَّ بِهرام جور المنذر وحباه «بمرتبتين سنيَّتين تُدعَى إحداهما (رام ابزوذ يزدجر) وتأويلها (زاد سرور يزدجر)، وتدعى الأخرى (بهمشت) وتأويلها (أعظم الخَوَل)»[8][9]، ونستغرب شخصية هذا الملك المناقضة للملوك العرب المميزين بالغدر والخداع، فربما كان مجبورًا على الطاعة للفرس من أجل المحافظة على كرسي الحكم؟ أم أنَّه حَفِظ الجميل للفرس الذين أوصلوه إلى سدَّة الحكم[10]؟

أمّا بالنسبة لسنوات ملكه فقد حكم أربعًا وأربعين سنة[11]، وأُنقصَت إلى أربعين

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٦.
(٢) مَلَكَ بين ٣٨٨ ـ ٤٨٨م، ديسو، رنيه، **العرب في سوريا قبل الإسلام**، م.س، ص٣٦. حكم بين ٣٠٤ ـ ٤٣١م، البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٣١. ومَلَكَ بين ٤٠٠ ـ ٤١٨م، سقال، ديزيره، **العرب في العصر الجاهلي**، دار الصداقة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص١٢٠.
(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠.
(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤١٧، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١. وزُعِم أنَّ أمَّه هي الفراسية بنت مالك بن المنذر من آل نصر، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢١.
(٥) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٤٠.
(٦) Nicholson. R.A, **A Literary History**, p.41.
(٧) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م، ص٨٧.
(٨) الخَوَل، مأخوذة من التمليك، وهي اتباع الرجل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٢٢٥.
(٩) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦.
(١٠) **المصدر نفسه**.
(١١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **المصدر نفسه**، ص٤١٧، حمزة الأصفهاني، =

سنة[1]، وجُعِلت ثلاثين سنة[2]، وقيل: إنه ملك خمسًا وعشرين سنة[3]، وبالعودة إلى قائمة ملوك الفرس المعاصرة للمنذر، نجد أنه مَلَكَ «في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمان سنين وتسعة أشهر، وفي زمن يزدجرد بن بهرام[4] ثماني عشرة سنة، وفي زمن فيروز بن يزدجرد[5] سبع عشرة سنة»[6]، وذُكِر أنّ مدة حكم يزدجرد بن بِهرام ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر[7]، أي أكثر بثلاثة أشهر، ليصبح عدد السنوات ٤٤ سنة، وهي موافقة لِما قاله عن مدة ملك المنذر، فمن خلال هذه المقابلة يمكن الخروج بنتيجة فحواها أنَّه ملك من ٤٣١ ـ ٤٧٣ أي ٤٢ سنة[8].

٨ ـ الأسود بن المنذر

استلم الحكم بعد المنذر ابنه الأسود[9]، واختلفت الروايات حول والدته، فهي هرُّ بنت النعمان من بني الهيجمانة بنت عمرو أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان[10]، ورُوي أنَّها الهيجمانة بنت عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان[11]، ونُسبت إلى آل لخم، وقيل: إنها هرُّ بنت النعمان وهي من بني الهيجمانة من لخم[12]، وذُكِر أنَّها

= **تاريخ سني**، م.س، ص٨٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣١٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٥.
(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢١.
(٢) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠.
(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.
(٤) يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد مَلَكَ بعد بهرام جور، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، جـ١، ص١٤٢. حكم بين (٤٤٠ ـ ٤٥٧م)، - Sykes. S.P, **A History of Persia, I**, p.435-436.
(٥) فيروز بن يزدجرد بن بهرام مَلَكَ بعد يزدجرد، اليعقوبي، **المصدر نفسه**. حكم بين (٤٥٧ ـ ٤٨٣م)، - Sykes. S.P, **Ibid, I**, p.436-437.
(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤١٧.
(٧) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣١٥.
(٨) ورد نفس فترة حكمه، البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٤٠.
(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤١٧. رُوي عن ملك خلف المنذر هو النعمان، وهذا لا يخرج عن كونها حدس لا يقوم على دليل، وفيها الكثير من صفات وأعمال الملوك الذين سبقوه، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.
(١٠) الطبري، **المصدر نفسه**.
(١١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٢.
(١٢) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٠، أبو البقاء، **المصدر نفسه**.

هند بنت الهيجمانة من آل نصر[1]، وقيل: «كان للمنذر ابنٌ آخر يقال له الأسود، أمُّه ماريَّة بنت الحارث جلهم من تيم الرباب»[2]، وأثناء بحثنا عن بني الهيجمان وجدنا (هند) اسم رجل، ابن أسماء بن الهيجمان بن مالك بن ربيعة من مذحج[3]، ولم نجد لهم أي ذكر في كتب الأنساب الأخرى، فالمرجَّح أن اسمها هرُّ وليست هند.

كان للأسود بن المنذر ولد اسمه سرَحْبيل، وجعله عند سنان بن أبي حارثة[4]، وكان تحت الأخير امرأتان سلمى بنت ظالم أخت الحارث، وسلمى بنت ربيعة من بني غنم بن دوداون بن أسد بن خزيمة[5]، وتولَّى أمر إرضاع وتربية سرَحْبيل إحداهما[6].

استمر في الملك لمدة عشرين سنة[7]، ولكن اعتُبر أنَّ العشرين سنة أمضاهم في الأسر من قِبَل الفرس، حيث أُسِر في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين، وفي زمن بلاش بن يزدجرد[8] أربع سنين، وفي زمن قباذ بن فيروز[9] ست سنين[10]. وبالنظر إلى قوائم ملوك الفرس المقابلة للأسود بن المنذر نجد أنه «ملك في زمن فيروز بن يزدجرد عشرة سنين، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين، وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين»[11]، وزُعِم أنَّه سُجن عشرين سنة، والمعقول أنه مَلَكَ عشرين سنة في سنوات ملوك الفرس.

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.
(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٥.
(٣) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٩٧ وص٤٠١ ـ ٤٠٣.
(٤) سنان بن أبي حارثة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢٥٢.
(٥) بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن حزم، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٤٧٩.
(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٢ ـ ٤٦٣.
(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.
(٨) بلاش بن فيروز بن يزدجرد، ملك بعد فيروز، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١ ص١٤٣. حكم بين (٤٨٣ ـ ٤٨٧م). - Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.438 & p.441.
(٩) قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك بعد بلاش، اليعقوبي، **المصدر نفسه**. حكم بين (٤٨٧ ـ ٥٣١م)، - Sykes. S.P, **Ibid**, I, p.441 & p.499.
(١٠) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤١٧.
(١١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، =

وإذا حقَّقنا في مدة حكم ملوك المناذرة وما يقابلها من فترات حكم ملوك الفرس نجد أنَّ المنذر بن النعمان قد مَلَكَ سبع عشرة سنة في زمن فيروز بن يزدجرد، وابنه الأسود مَلَكَ عشرة سنين، وبالرجوع إلى لائحة ملوك الفرس نجد أنَّ فيروز قد مَلَكَ سبعًا وعشرين سنة[1]، وهذا موافق لِمَا ذُكِر، وزُعِم أنَّه ملك ستًّا وعشرين سنة[2]، وهذا غير دقيق بسبب اختلاف المصادر التي نقلوا عنها، فربما نقلوا تراجم الفرس من مصدر، والمناذرة من مصدر آخر.

وقيل: إنَّ الفرس أسروه، وهذا مُستبعد، لأنَّه قُتِل في إحدى المعارك مع الغساسنة[3]، وهذا ما نميل إليه، فيكون قد حكم قبل وفاته من سنة ٤٧٣ ـ ٤٩٣م، أي: عشرين سنة[4].

٩ ـ المنذر بن المنذر بن النعمان أخو الأسود

ورثَ المنذر بن المنذر أخاه الأسود في ملكه، فأصبح حاكمًا لبلاد المناذرة[5]، ولم يُذكر في قائمة ملوك المناذرة[6]، وهذا غير دقيق. أمُّه هي نفس أمّ الأسود بن المنذر؛ أي: هرُّ بنت النعمان[7]. امتدَّت فترة حكمه لمدة سبع سنوات[8]، في زمن قباذ بن فيروز[9]، فيكون قد مَلَكَ بين (٤٩٣ ـ ٥٠٠م). ولم يُذكَر غير ذلك عن المنذر بن المنذر، ربما لأنَّ عهدَه كان عهد استقرار وسلام بين الفرس والبيزنطيين[10].

= ص٣١٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٢، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٥.
(١) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، جـ٢، ص٥٨٤ ـ ٥٨٥، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٤٢ ـ ١٤٣، برشينا، أو النصيبيني، الأب القديس مار إيليا مطران نصيبين المعروف بابن السني (ت٤٣٧هـ/١٠٤٦م)، **تاريخ إيليا برشينايا**، عرَّبه من السريانية د. يوسف حبي، مطبوعات جمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٥م، ص٦١.
(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤١٦، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣١٤.
(٣) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٧.
(٤) ذُكر أنه مَلَكَ بين ٤٧٣ ـ ٤٩٣م، البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٤٢.
(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٤.
(٦) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٢١.
(٧) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٠، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٢.
(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٤.
(٩) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٠، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٢.
(١٠) Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.441-442.

١٠ ـ النعمان بن الأسود

آلت دفّة الحكم بعد المنذر إلى ابن أخيه النعمان بن الأسود[(١)]، فالمُعتاد أن ينتقل الحكم من الأب إلى الابن، أو استثناءً إلى الأخ، وربما يُعزى ذلك لعدم وجود أولاد ذكور لدى المنذر بن المنذر فانتقل الحكم إلى ابن أخيه، وذُكر بالمصادر السريانية بالنعمان بن الأسود[(٢)].

أمُّه هي أمُّ الملك بنت عمرو بن حجر آكل المرار الكندي[(٣)]. يُعتبَر من الملوك الأقوياء الذين أبلوا بلاء حسنًا في محاربة البيزنطيين في سورية والجزيرة[(٤)]، وذُكِرت معارك هذا القائد العسكري ضد الروم في سنة (٤٩٦م)[(٥)]، ولعلّ هذه المعركة حدثت قبل وصول النعمان إلى الحكم، أي: في زمن المنذر بن المنذر، وربما نُسبت إليه بسبب معاركه الكثيرة ضد الروم. اتَّصف بإخلاصه للفرس حتى إنَّهم هم من ولُّوه الحكم في زمن قباذ بن فيروز[(٦)]، ووصلت به شجاعته أن مات متأثرًا بجراح أصيب بها في رأسه في معاركه الضارية ضد الروم لصالح الفرس[(٧)] في قرقيسيا[(٨)]، بعد أن ملَكَ أربع سنوات[(٩)]، ومات في شهر آب من سنة ٥٠٣م[(١٠)]، فيكون قد مَلَكَ بين ٥٠٠ ـ ٥٠٣م. وعاصرَ من البيزنطيين الملك انسطاسيوس الأول[(١١)(١٢)].

---

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٤.

(٢) Joshua the stylite, (D. 518D), **The Chronicle of Joshua**, translated from Syriac to English by William Wright, Amsterdam Philo press, 1988, p.39.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٤ ـ ٤٢٥، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١.

(٤) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٣٢.

(٥) Theophanes Confessor, (D. 818AD), **The Chronicle of Theophanes Confessor Byzantine and Near Eastern History AD284-813,** translated to English by Mango, Cyril. and Scott, Roger, Clarendon Press, Oxford, 1997, p.217.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٣.

(٧) Joshua the Stylite, **Ibid**, p.46-47.

(٨) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam,** V, p.633.

(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٥.

(١٠) Joshua the Stylite, **Ibid**, p.46.

(١١) انسطاسيوس Anastasios مَلَكَ الروم لـ ٢٧ سنة، كانت السنة الأولى لحكمه ٤٩١م، ومات في ٩ نيسان ٥١٨م. Theophanes, **Ibid**, p.249 -

(١٢) رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، جزآن، دار المكشوف، بيروت، ط١، ١٩٥٥، جـ١، ص١٣٦.

١١ ـ أبو يعفر بن علقمة

استُخلِف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسس بن ربى بن نمارة بن لخم[(١)]، ونلاحِظ أنَّه كان مستخلفًا على حكم بلاد المناذرة، ولم يكن ملكًا، لأنَّه لم يكن من آل بيت الملك، ولكن سمّاه بعض الرواة ملكًا[(٢)]، حتّى إنه لم يُذكَر أبدًا في قائمة ملوك الحيرة[(٣)]، واستُخلِف على الحكم بظروف سياسية وعسكرية قاهرة، فبعد موت النعمان بن الأسود في ساحات المعارك بقرقيسيا، كانت المعارك الطاحنة ما تزال تدور رحاها بين الفرس والبيزنطيين، وقباذ ليس في وضع يؤهِّله للتباحث بأمر خليفة النعمان بن الأسود، فعُيِّن على عجل ملكٌ جديدٌ في جبهات القتال[(٤)]، ومن المرجَّح أن أبا يعفر تمتع بقيادة عسكرية، وقوة جسدية، وجرأة في القتال؛ لذلك تم استخلافه على الملك إلى أن تنجلي الأمور. ولم تتجاوز فترة حكمه الثلاث سنوات[(٥)]، في زمن قباذ بن فيروز[(٦)]، فيكون قد حكم بين ٥٠٣ ـ ٥٠٦م.

١٢ ـ امرؤ القيس بن النعمان

ثم مَلَكَ ابن للنعمان الأعور يقال له: امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ القيس[(٧)]، وذُكِر أنّه ابن النعمان الثاني ابن الأسود بن المنذر بن النعمان الأعور[(٨)]، وهذا غير دقيق. وشُكِّك في وجوده بين ملوك المناذرة[(٩)]. أَسَرَه الناموس «وهو سلمة بن مرة بن ذهل بن شيبان»، وعندما جاء الأخير ليأخذ فدية أَسَر امرئ القيس من الحيرة، وكان الناموس قصيرًا، فلمّا رأته نساء امرئ القيس قالت بنت له: أهذا القصير أَسَرَ أبي؟ فبلغ الناموس ذلك، فقال:

ألا زعمَتْ بنتُ امرئِ القيسِ أنَّني ... قصيرٌ فقدْ أعَيا أبَاها قصيرُها

---

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٥.

(٢) ابن حبيب، **المصدر نفسه**، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٦.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤ ـ ٧٥، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٢١.

(٤) Joshua the Stylite, **The Chronicle of Joshua,** p.74.

(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٥.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٣.

(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٥.

(٨) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٤٧.

(٩) Olinder, Gunnar, **The kings of kinda of the family of Akil Al-Murar**, printed by Hakan Ohlsson, Lund, 1927, p.76.

وربَّ طويلٍ قدْ سُلِبَتْ بناتُه … وعائقتُهُ والخيلُ تُدمى نحورُها
وقد عَلِمَتْ بنتُ امرئِ القيسِ أنَّني … أكرُّ إذا ما الحربُ شَبَّ سعيرُها
ولو شهدتني يوم ألقيت كلكلي … على شيخها لاشتد مني نكيرها»[1]

عقد قباذ صلحًا في عام (٥٠٥م) مع الروم بعد حربٍ استمرَّت لفترة غير قصيرة[2]، مما جعل فترة حكمه تسودها السلام والاستقرار؛ لذلك لم يقم بأعمال تستحق الذكر في السبع سنوات التي ملك فيها[3]، وعاصر من الفرس قباذ بن فيروز[4]. امتدت فترة حكمه من ٥٠٦ ـ ٥١٣م.

١٣ ـ المنذر ابن ماء السماء

آل الملك في بلاد المناذرة إلى المنذر بن امرئ القيس بن النعمان[5]، وهو ابن ماوية بنت عوف بن حشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن الخزر بن تيم الله النمر بن قاسط[6]، وكان يقال لها: ماء السماء، نسبة إلى منطقة السماوة، كانت تُدعى بماء، فسمَّتها العرب: ماء السماء[7]، وسُميت بها لجَمالها وحسنها[8]، وذُكِر أيضًا أنَّ العرب دعوها بماء السماء لكرمها ورقَّة طباعها[9]، ونستبعد أن تلقب بماء السماء لجمالها وحسنها، ونرجّح أنَّها نعتت بهذا اللقب لكرمها وعطائها وخيرها، وهذا تشبيه قريب من ماء السماء الذي يعني هذه الصفات، سباها امرؤ القيس بن النعمان في إحدى معاركه[10]، وذُكرت في المصادر السريانية، فقيل عن المنذر: ابن ساسيس saccice[11] وذلك لشهرتها، وفي المصادر

---

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٨ ـ ٤٤٠.

(٢) Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.442-443.

(٣) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١. قيل إنَّه مَلَكَ سبع عشرة سنة، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٦.

(٤) حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ابن سعيد، **المصدر نفسه**.

(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**.

(٦) ابن حبيب، **المصدر نفسه**، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٣، زُعم أن اسمها الأول مارية، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، جـ١، ص١١٠.

(٧) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٤٥.

(٨) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٣، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢.

(٩) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٨٨.

(١٠) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٤.

(١١) Procopius, **Wars**, I, p.145.

الإغريقية: المنذر بن زكيك zekike[1].

تزوَّج من هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي آكل المرار[2]، وأنجبت له ثلاثة ذكور على التوالي، عمرًا، وقابوسًا، والمنذرَ بن هند الأكبر[3]، وذُكِر أنَّها أنجبت له عَمْرًا والمنذر فقط[4]، وهذا القول غير دقيق لأنَّ المنذر كان يُكنَّى بأبي قابوس[5]، ولا نعرف لماذا كُنّي باسم ابنه الأوسط مع أن عمرو هو الأكبر، فمن عادة العرب أن يكنّوا باسم ابنهم البكر، فربَّما لأنَّ شهرة ابنه قابوس أكثر من عمرو. ولم يكتب الدوام والاستمرار لهذا الزواج، ففي إحدى زياراته رأى بنت أخي هند، أمامة بنت فلان الحارث بن عمرو بن حجر، فوقَعت في قلبه ومال إليها بعاطفة وإعجاب، فطلَّق عمَّتها هند وتزوج بها، وأنجب منها عمرو بن أمامة، وقال في هند:

كَبِرَتْ وأدركها بناتُ أخٍ لها فأزلْنَ … أمَّـتَـهـا بـركْـضٍ مُـعَـجَّـلِ[6]

وقالت ابنة المنذر ابن ماء السماء:

بـعـيـنِ أُبـاغ قـاسـمـتُ الـمَـنـايـا … فـكـانَ قسيمُهَا خيرُ القسيمِ[7]

وقد عُرِف المنذر بالمنذر ابن ماء السماء[8]، نسبة إلى لقب أمّه، وهذه ظاهرة عائلية جديدة في تاريخ ملوك المناذرة، ربما بسبب تسمية العديد من ملوك المناذرة

---

(١) Theophanes, **The Chronicle**, p.270.

(٢) قيل إنَّ أمَّه هي مارية بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل التغلبيين، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٦. ومن الممكن أن تكون هذه إحدى زوجات امرئ القيس.

(٣) التيمي، **كتاب أيام العرب قبل الإسلام**، جزآن، تحقيق عادل جاسم البياتي، عالم الكتاب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، جـ٢، ص٤٦.

(٤) **المصدر نفسه**، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٣.

(٥) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٦١.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٤.

(٧) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٦١، أبو البقاء، **المصدر نفسه**، ص١٢٥ ـ ١٢٦، وجـ٢، ص٤٤٢.

(٨) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٦، ص٤٢٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٣٧، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٤١٧، والبيت لابنة فروة بن مسعود، ترثي أباها الذي قتل بعين أباغ، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٦١، والبيت للرياشي، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ١، ص٩٥.

(٩) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٥٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٢، ص٢٠٩.

بالمنذر، فعُرِف بالمنذر ابن ماء السماء تمييزًا له عن بقية الملوك، ولُقِّب أيضًا بذي القرنين، لذؤابتين في شعره[1]، وعُرف بذي القرنين تشبيهًا بإلهِ الرعد[2]، لأنَّه كان الأقوى بين ملوك الحيرة جميعًا[3]، وكُرِّم بلقب فيلارخ العرب[4]، وذُكِر بمَلِكِ العرب[5] أيضًا، وهو المنذر الأكبر[6]، لأنَّه أشهر ملوك الحيرة وأكثرهم علمًا وعملًا[7]، وذُكِر في المصادر السريانية بالمنذر الشقيقي[8]، نسبة إلى لقب النعمان بن الشقيقة[9].

وطبيعة المنذر العسكرية جعلت نهاية حياته في ساحات المعارك، فقتله الحارث الأعرج[10] في إحدى المعارك مع الغساسنة في عين العوديين بمنطقة قنسرين[11][12]. ولمّا مَلَكَ قباذ كان ضعيف الملك، فوثبت ربيعة على المنذر ابن

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٥، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، **وأسماء المغتالين**، م.س، ص٦٩.

(٢) Olinder. G, **The kings of Kinda,** p.108.

(٣) John Ephesus, (D. 586AD), **Ecclesiastical History**, Translated to English from the original Syriac by R. Payne Smith, M.A, Oxford University Press, 1860, p.246.

(٤) Theophanes, **The Chronicle** p.240-241.

(٥) Zachariah of Mitylene, (D569AD), **The Syriac Chronicle, Translated to English by F.G. Hamilton, D.D,** and E.W. Brooks. M.A, Methuen and CO.36 Essex Street, W.C. London, 1899, p.206.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٢، ص٢٠٩، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٥.

(٧) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٤٨.

(٨) مار ميخائيل الكبير ابن ايليا آل قنداسي السرياني، **تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية**، ٣ أجزاء، عرَّبه عن السريانية مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، ط١، ١٩٩٦م، جـ١، ص١٥٨.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٢، ص٢٠٩.

(١٠) الحارث الأعرج: هو الحارث بن أبي عمرو بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الحسحاس، وهو حارثة بن بكر بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٥١. ذُكر أنه حكم عدة سنوات في الفترة الممتدة بين ٥٨٣ ـ ٦١٤م، نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، تعريب بندلي جوزى وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣، ص٧٥.

(١١) قِنَّسْرين: مدينة بينها وبين حلب من جهة حمص مرحلة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٤٠٤.

(١٢) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٤، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢.

ماء السماء، فخرج هاربًا منهم حتى مات في إياد[1]، لكن المنذر مَلَكَ في عهد أنوشروان، وزُعِم أنَّ من قتله مرة بن كلثوم التغلبي[2][3]، وهذا الأخير قتل عمرو بن هند، وقيل: إنَّ شمر بن عمرو السحيمي قتل المنذر ابن ماء السماء، وهو حينئذٍ مع الحارث بن أبي شمر الغساني[4]، ولعلّ المقصود هنا غير المنذر ابن ماء السماء، وذُكِرَ أنَّ المنذر أُسِر في إحدى المعارك على يد الروم ونفاه القيصر موريقيوس[5] سنة (٥٨٠م)[6]، وهذا ليس المنذر المناذري، بل المنذر بن الحارث الغساني[7][8].

وجزِّئَت فترة حكمه إلى مرحلتين اثنتين: الأولى في زمن قباذ بن فيروز[9]، وحكم المنذر فيها ست سنوات[10]، واعتنق قباذ الديانة المزدكية ودعا المنذر إلى الدخول فيها فأبى.

وإزاء هذا الواقع استغلَّ الحارث بن عمرو الكندي[11] الأوضاع المضطربة بين

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٢، ص٢٠٩.

(٢) مرة بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٠٤.

(٣) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

(٤) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٦٦ ـ ٦٧.

(٥) موريقيوس Maurice، مَلَكَ الروم لعشرين سنة وحكم بعد طيباريوس الثاني Tiberius امتدت سنوات ملكه من ٥٨٢ ـ ٦٠٢م.

- Theophanes, **The Chronicle**, p.473 & p.418.

(٦) De lacy O'Leary, D.D, **Arabia before Muhammad**, Kegan paul, trench trubneu and CO, LTD, London, 1927, p.160.

(٧) المنذر بن الحارث، هو المنذر بن الحارث بن جبلة، ابن مارية ذات القرطين، وهو المنذر الأكبر حكم بعد وفاة والده، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٩١. حكم بلاد الغساسنة بين ٥٦٩ ـ ٥٨٢م، نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٥٧.

(٨) نولدكه، ثيودور، **المصدر نفسه**، م.س، ص٣١.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٧٩، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٠.

(١٠) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢.

(١١) الحارث بن عمرو: هو ابن حجر آكل المرار الكندي، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٧. توفي حوالي ٥٤٠م، زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٤٧.

المنذر وقباذ، واعتنق الديانة المزدكية، فنصَّبه قباذ مكان المنذر الذي غادر الحيرة[1].

وهناك سببين اثنين لتولّي الحارث بن عمرو المُلك في الحيرة: الأوَّل، يتعلَّق بضعف حكم الفرس، فانعكس ذلك على المنذر ابن ماء السماء، فملَّكت بكر بن وائل عليها الحارث بن عمرو، فهرب المنذر. والسبب الثاني، يرجِع إلى خطف ماء السماء من قبيلة ربيعة، وكانت بكر بن وائل معه في هذه الغزوة، فاختلف معهم على الأسرى، فبقيت تلك العداوة إلى أن وهى حكم الفُرس فأرسلت بكر إلى الحارث بن عمر بن حجر فملَّكوه، ودانت له العرب[2].

وتعليقًا على ما ذُكِر، نرى أن الحارث لم يعتنق المزدكية، ولا نعتقد أن العامل الديني سببًا، لأنَّ الفرس لم يفرِضوا دينهم على المناذرة، ونرجِّح السبب الثاني المنوط بالخلاف مع بكر بن وائل لأنَّ طبيعة القبائل العربية التحدي، والأخذ بالثأر. وربما كانت فترة الحارث قصيرة، ولم يملِك فيها جميع بلاد المناذرة، بل اقتصر ملكه على أماكن تواجد بكر بن وائل فقط؛ لذلك لم يذكر الرواة الحارث في قائمة الملوك الذين حكموا بلاد المناذرة[3]، وعندما استقلَّ كسرى أنوشروان بالملك نبذ المزدكية وردَّ المنذر بن امرئ القيس إلى حكم الحيرة[4]، وهذا عهده الثاني الذي تميَّز بأعماله العسكرية، فقد أركع البيزنطيين لمدة خمس عشرة سنة، وقتل الكثير من جيوش أعدائه[5]، ولم تقتصر أعماله على الشقِّ العسكري، فظهر رونق المملكة الحيريَّة، حتى كان عصره من أزهى العصور[6]، ووصلَت الحيرة لأهم استقلال لها تحت حكمه[7]. ومَلَكَ المناذرة في الفترتين تسعًا وأربعين سنة[8]، وأُنقِصَت إلى اثنتي وثلاثين سنة[9]،

---

(١) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، جـ٩، ص٧٩، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

(٢) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢ ـ ٨٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٨٣.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٧٩ ـ ٨٠، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

(٥) Procopius, **Wars**, I, p.157.

(٦) سيديو، **خلاصة تاريخ العرب**، م.س، ص٢٩.

(٧) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.159.

(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٠.

(٩) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢. ذُكر أنه قتل قبل مولد النبي محمد ﷺ بنحو أربعين سنة، حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٨٤، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، =

ولكنَّ النتيجة التي حصلنا عليها لسنوات حكمه من خلال مقابلته مع ملوك الفرس هي من ٥١٣ ـ ٥٥٧م.

١٤ ـ عمرو ابن هند، عمرو بن المنذر بن امرئ القيس

تواصل الحكم في بني المنذر بعد موت المنذر ابن ماء السماء، واستلم مقاليد الحكم ابنه عمرو[1]، أمُّه هي هند بنت الحارث بن حجر الكندي[2]، وزُعِم أن أمَّه هي حليمة بنت الحارث من آل معد يكرب[3]، وهذا النسب غير دقيق.

ونُسِبَ إلى أمِّه هند، فكان يقال له: عمرو ابن هند[4]، وله عمرو بن كلثوم التغلبي يقول:

أبا هندٍ فلا تَعْجلْ علينا ... وأنظِرْنا نخبركَ اليقينا

وغلبَ عليه هذا اللقب لاشتهار أمِّه، أو تقليدًا لأبيه المنذر بن ماء السماء، وعيّره طرفة بن العبد بذلك فقال له:

أنتَ ابنُ هندٍ مخبِّرٍ مِنْ أبوكَ إذًا ... لا يَصلحُ المُلْكَ إلّا كُلَّ بذّاخ

ومن المرجح أنَّه كان لديه ولد اسمُهُ المنذر، لأنَّه كان يُكنّى بأبي منذر، وله يقول طرفة:

أبا منذرٍ جازيْتَ بالودِّ سخطةً ... فمَاذا جزاء المبغض المتبغِّض[5]

ورُويَ أنَّه جرمقاني من أهل الموصل من رستاق[6] باجرمي[7]، وهذه الرواية غير

= جـ١، ص٢٧٧. حكم من ٥١٤ ـ ٥٦٣م، البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٤٨. حُددت سنوات ملكه بين ٥١٠ ـ ٥٣٣م، زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٣٢. وقيل بين ٥١٢ ـ ٥٦٣، الحوافي، أحمد حمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ط٤، ص١١١ ـ ١١٢. مَلَكَ من ٥١٣ ـ ٥٦٢م، سيديو، **خلاصة تاريخ العرب**، م.س، ص٢٩. ذكر عرضًا أن طوال فترة حكمه (٥٠) سنة كانت معاركه مع الرومان لا تتوقف، - John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.246.

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠.

(٢) ابن حبيب، **المصدر نفسه**، ص٢١٨، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٥.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.

(٤) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٠٥، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر داوود البغدادي (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، **فتوح البلدان**، م.س، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٥م، ص٣٩٨.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٠.

(٦) رستاق: كلمة فارسية معرَّبة والجمع الرساتيق، وهي السواد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص١١٦.

(٧) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٠٥.

قابلة للنقاش، وورد ذكره باسم والده، فقيل فيه: عمرو بن المنذر(١)، فنَسبه لأمِّه اشتهر به عند القبائل العربية فقط.

وغلب عليه لقب: مضرط الحجارة، لشدة سطوته ووطأته وصرامته ولِهيبته(٢)، وذُكر أيضًا: يضرط الحجارة(٣)، وهو المحرق الثاني(٤)، وسمي بمحرق لأنه أحرق مئة من بني البشر، معظمهم من بني دارم لقتلهم ابنًا له خطأ(٥)، وذُكِرت نفس الرواية السابقة ولكنَّ القتيل فيها كان أخوه أسعد بن المنذر(٦)، ونرجِّح أن يكون القتيل ابنه وليس أخوه لأنَّه كان يُكنّى بأبي المنذر ولم يتولّى الملك بعده، ممّا يعني أنه مات، ولم يذكر سوى ثلاثة إخوة لعمرو بن هند، ولم تأتي المصادر على ذكر أسعد، وكشفنا عن معطيات تروي عن حرقه لنخيل ملهم(٧) عند اليمامة(٨)، ونرجِّح المعلومة الأولى لأنَّه ليس عمرو بن هند من أحرق نخيل ملهم؛ بل قبيلة أخرى.

تميَّز بصفات عن غيره من الملوك، فقد كان شديد الملك والسلطان ومشهور بالبطش(٩)، فهو رجل عنيف ذو طبع حقود(١٠)، كانت العرب تهابه(١١)، لأنَّه كان جبارًا عظيم الشأن والملك(١٢)، وطاغية مستبدًا(١٣)، ولكونه شريرًا(١٤) لا يبتسم ولا

---

(١) Theophanes, **The Chronicle**, p.353.

(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص١٢٨ وص٣٤٢، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٢٦٤.

(٣) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص٢٠٣.

(٤) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٤، الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، م.س، ص١١٠.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٤.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٤، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٢، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٨.

(٧) مَلْهَمُ: قرية من قرى اليمامة موصوفة بكثرة النخيل، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٩٦.

(٨) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٥، السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٣٣.

(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٨، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٤.

(١٠) Nicholson, R.A, **A Literary History**, p.108.

(١١) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٥٠٣.

(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٤٢.

(١٣) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٤٥.

(١٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٢.

يضحك(١)، ضُرب المثل بظلمه، فقال فيه أحد الشعراء:

بِهِ البَقُّ والحمَّى وكلُّ مصيبةٍ ... وعمرو ابنُ هندٍ يَعتدِي ويجور(٢)

كان ملكًا طموحًا قوي الشكيمة(٣)، ألقى الرعب في قلوب الأعداء وخاصّة البيزنطيين الذين ناقشوا أعماله العسكرية ضدهم مع الغساسنة في عام ٥٦٣م(٤). قال المتلمِّس يهجوه:

قولًا لعمرِ بن هندٍ، غيرَ متَّئدٍ ... يا أخنس الأنف والأضراس كالعدس(٥)

ومعنى أخنس الأنف، أي: قصير الأنف ملزوق بالوجه، وأسنانه كانت صغيرة حسب بيت الشعر. أمّا قصة مقتله فهي مشهورة، وتدور فصول أحداثها بدعوته لعمرو بن كلثوم التغلبي، ووالدته ليلى بنت المهلهل بن ربيعة إلى الطعام، وكان القصد من ذلك إذلالها، واتفق على أن تُبعِد أم عمرو بن هند خدَمَها وتطلب من ليلى أن تناولها الأطباق، فما كان من الأخيرة غير أن نادت واذلاه! يالتغلب، فركض ابنها عند سماع الصوت إلى سيف عمرو بن هند المعلّق في الخيمة وقتله به(٦)، وقال صريم بن معشر في ذلك:

لعمرُكَ ما عمرو بنُ هندٍ وقدْ دعَا ... لتخدُمَ ليلَ أمِّهِ بموفَّقِ
فقامَ ابن كلثوم إلى السيفِ مصلّتا ... وأمسك من ندمانه بالمخنَّقِ
وجلّلهُ عمرو على الرأسِ ضربةً ... بذي شَطْبٍ صافي الحديدةِ رونَقُ(٧)

فجرَّ عليه غرورُه وجبروتُه سوءَ العاقبة(٨)، فقدْ بالغَ في العظمةِ والكبرياء، حتى

---

(١) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٥٠٣.

(٢) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٣) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٦٩.

(٤) Theophanes, **The Chronicle**, p.353.

(٥) أبو زيد القرشي محمد بن أبي الخطاب (ت حوالي ١٧٠هـ/٧٨٦م)، **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص١٠٢.

(٦) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٠٥ ـ ٦٠٧، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٨ ـ ٢١٩، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٥٣ ـ ٥٥، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٤، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٣٠، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ١، ص٢٢٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٤، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٨.

(٧) التيمي، **المصدر نفسه**، ص٦٠٧ ـ ٦٠٨، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٥٥، أبو البقاء، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٤٤٦.

(٨) محمود، محمود عرفة، **العرب قبل الإسلام**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٢١.

توهَّم في نفسه الفضل على الناس كلهم، وخُيِّل له أنَّه ليس من أمير في العرب لا يخدمه ويتمنّى رضاه، وكانت تلك الدعوة سبب قتله[١]، وهذه من عادات العرب قبْلَ الإسلام، حيث كانوا دائمًا يعملون على شحن النفوس بالخوف والهلع من خلال القيام بأعمال سخيفة، ولكن في نفس الوقت خطيرة ومميتة. ورُغم ذلك فقد شُكّك بصحَّة قصة قتله[٢]، ولكن لا نستبعد صحَّة هذه الواقعة بسبب طبيعة الحياة القبلية القائمة على التحدِّي والمآثر.

مَلَكَ ست عشرة سنة[٣]، وعاصر من ملوك الفرس أنوشروان بن قباذ[٤]، ولثماني سنين وثمانية أشهر من ملك عمرو ابن هند وُلِد الرسول محمد ﷺ[٥]، وقيل لثماني سنين وستة أشهر[٦]، ورُوِيَ لثماني سنين مضت من ملكه[٧]، فالاختلاف في الأشهر وليس في السنوات، ومَلَكَ عمرو بن هند بعد مولد النبي محمد ﷺ سبع سنين وستة أشهر[٨]. ولأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر، بل رُوِيَ لإحدى وأربعين سنة مضت من ملك أنوشروان بن قباذ كان مولد النبي محمد ﷺ[٩]، فإذا كان أنوشروان قد ملك في ٥٣١م، فهذا لا يتطابق مع ما ذُكِرَ، لأن عام مولد النبي محمد ﷺ كان في ٥٧١م، وعملية جمع ٣٤ أو ٤١ إلى ٥٣١، لا يعطي ٥٧١. ورُوِيَ أنَّه في عام الفيل ولد الرسول محمد ﷺ وكان الملك أنوشروان، وعلى الحيرة النعمان بن المنذر[١٠]، ولعلَّه أراد بالنعمان بن المنذر، عمرو بن المنذر. وحسب تسلسل

(١) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، ص٣١٨.
(٢) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٥٥.
(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٠٥، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٥، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٤، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٤، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٤٠، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٨، وقيل إنّه مَلَكَ أربعًا وعشرين سنة، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٥، ص٣٢١، وصلت سنوات ملكه إلى ثلاث وخمسين سنة، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٥٠٣.
(٤) الطبري، **المصدر نفسه**، أبو البقاء، **المصدر نفسه**، ابن الأثير، **المصدر نفسه**، ابن سعيد، **المصدر نفسه**.
(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **المصدر نفسه**.
(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٤.
(٧) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٨.
(٨) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٤.
(٩) **المصدر نفسه**.
(١٠) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٨٨.

ملوك الحيرة وما يقابلهم من ملوك الفرس يكون عمرو بن هند قد ملَكَ من عام ٥٥٧ ـ ٥٧٣م[١].

١٥ ـ قابوس بن المنذر

مَلَكَ بعد عمرو بن المنذر أخوه قابوس بن المنذر[٢]، وكلمة قابوس ليست عربية، فهو اسم أعجمي، وبالفارسية تعني «كَاووس» معرَّب، فقيل: «قابوس» فوافق اللغة العربية[٣]. ورُوِيَ أنَّ قابوسًا مَلَكَ بعد المنذر بن عمرو بن المنذر[٤]، وهذه أخبار مضطَّربة بحاجة إلى تدقيق، ولم يذكره بعض المؤرخين في قائمة ملوك الحيرة[٥]، وأكثر من ذلك يُقال: إنَّه لم يملِكْ وإنَّما سمّوه ملكًا لأنَّ أباه وأخاه كانا مَلِكَين[٦].

أمُّه هي هند بنت الحارث بن عمر[٧]. كان يلقب بقينة العرس، لأنَّه كان ضعيفًا وفيه لين[٨]، وهذا الوصف غير دقيق، ويبدوا أنَّ الذين كتبوا عنه تأثروا بشعر الهجاء الذي قاله فيه أعداؤه، بسبب علاقته السيّئة مع الشعراء، على خلاف بقية ملوك

(١) حكم بين (٥٥٤ ـ ٥٦٩م)، سقال، ديزيره، **العرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٢٤.
(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٩، حمزة الأصفهاني، م.س، ص٨٥، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٤، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٩، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٨٠، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٣٧٩، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٨.
(٣) الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، طـ٣، ١٩٩٥م، ص٥٦ وص٢٥٩.
(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٥، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٢١.
(٥) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص٢٠٤، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٥.
(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٨.
(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٩، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٤.
(٨) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٦، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠٦، أبو البقاء، **المصدر نفسه**.

الحيرة، وبتحريض واضح من قِبَل الغساسنة[1]، حيث وصل الأمر إلى حدِّ إزالة صفة المخنَّث عنه[2]، بسبب وصف بعضهم له بهذه الصفة. أولع بالصيد من أيام مُلك أخيه عمرو بن هند، فقد كان يتصيَّد يومًا ويشرب يومًا[3]، واستمرَّت هذه العادة معه حتى توليه الملك فأصبح يتصيد كل يوم[4]، ونحن نعرِف ما يتطلَّبه الصيد في ذلك الوقت من مهارة جسدية، وقوة بدنية. وفي هجائه قال طرفة:

لعمرُك إنَّ قابوسَ بنَ عمرو   ليخلُطُ ملكَهُ نوكٌ كثير[5]

كان محاربًا قويًا خاض العديد من المعارك الحربية[6]، وممّا يتقدَّم يتَّضح المدى الذي وصل إليه الشعراء من تشويه لحقيقة صفات الملك قابوس، وعلينا أن لا ننسى عمره كونه رجل كبير في السن لا يقدر على إدارة دفة الحكم والكيد لأعدائه والانتقام منهم كما يجب. بالإضافة إلى الفترة الزمنية القصيرة التي حكم فيها، وهي عبارة عن أربع سنوات فقط[7]، عاصرَ فيها من ملوك الفرس أنوشروان فقط[8]، امتدت من ٥٧٣ ـ ٥٧٧م. أمّا حادثة وفاته فذُكر أنه كان ضعيفًا مهينًا، فقتله رجل من قبيلة يشكر وسلبه[9]، وهذا الخبر من ألدِّ أعداء الحقيقة، وكيف بملكٍ يُسلَبُ ويُقتَلُ؟ فالمرجَّح أنَّ هذه القصة من تأليف الشعراء. فسببُ وفاته هو كِبَرُ سنِّه فوافته المنية، فهو الملك الوحيد من بين الملوك اللخميين الذين ماتوا بالحيرة، بينما مات الباقون في ساحات الوغى[10].

(١) عاقل، نبيه، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٩٢ ـ ١٩٣.
(٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٤.
(٣) أبو البقاء، **المصدر نفسه**، ص١٤١.
(٤) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٥٠١.
(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤١، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٩.
(٦) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.370-371.
(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(٨) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٤، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٠. ذُكر أنَّه مَلَكَ في زمن أنوشروان ثمانية أشهر، وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين وأربع أشهر، الطبري، **المصدر نفسه**، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٩، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٨٠ ـ ٣٨١. رُوي أن ملكه كان في زمن كسرى بن هرمز، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٩. ذُكر أن النبي محمد ﷺ ولد في زمانه، ومع أن ابن سعيد نقل معلوماته عن حمزة الأصفهاني لكننا لم نجد هذه المعلومات عند حمزة، ابن سعيد، **المصدر نفسه**.
(٩) حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٨٥، ابن سعيد، **المصدر نفسه**.
(١٠) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٤.
=

١٦ ـ السهراب أو فيشهرب

تولّى الحكم بعد وفاة قابوس بن المنذر رجل فارسي، اختُلف حول اسمه، فذُكِرَ باسم الشُّهْرَب الفارسي[1]، والسهراب[2]، وقيل إنَّ اسمه هو: فيشهرت الفارسي[3]، ورُوِيَ أنَّه فيسهرب الفارسي[4]، وعُرِفَ باسم فيشهرب الفارسي[5]، والواضح أنَّهم متَّفقون على أنَّه فارسي لا ينتمِي إلى آل لخم، فالاختلاف حول اسمه الأول، وسبب ذلك أنَّ اسمه أعجمي، لُفظ بأشكال مختلفة. وذُكِرَ أنَّ كسرى أنوشروان استخلف زيد بن حماد العبادي مرَّة على الحيرة إلى أن استقرَّ بها[6]، ما يدلُّ على أنَّ زيدًا قد شارك السهراب الفارسي في الحكم[7]. وأنَّ هذا كان إجراء مؤقَّتًا حدث بسبب الخلاف على الملك بين المناذرة، فتدخَّل الفرس وعيَّنوا ملكًا فارسيًا واستعانوا بزيد لمساعدته في الترجمة، فسمّي ملكًا، ولم تكن فترة حكمه طويلة، فهي لم تتجاوز السنة الواحدة[8]، امتدت من ٥٧٧ ـ ٥٧٨م، في زمن أنوشروان بن قباذ[9]، ممّا يدلُّ على أنَّه إجراء مؤقَّت، بسبب الأوضاع العسكرية على جبهات القتال، خاصةً أنَّ المعارك بين الفرس والبيزنطيين كانت على أشدِّها، وتميلُ دفة الانتصار فيها لمصلحة البيزنطيين[10]، فهم في وضع لا يسمَحُ لهم بالتمهُّل لاختيار خليفة لقابوس كما يجب. ومن المرجَّح أنَّ القصد كان إحداث بلبلة بين القبائل العربية، بسبب السعي للجلوس على كرسي الملك، فترتمي بأحضان الفرس.

= و- Musil. Alios, **The Middle Euphrates, A topographical itinerary, published by the institute for the History of Arabic - Islamic Science, Belin,** 1929, p.102.
(١) ابن حبيب، **المحبر**، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(٢) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٨١.
(٣) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥.
(٤) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠.
(٥) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٠.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٣، ص١٠٣. ورد اسم زيد بن حمار عند أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٥.
(٧) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٤.
(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٠.
(٩) حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠، ابن سعيد، **المصدر نفسه**.
(١٠) Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.477.

١٧ ـ المنذر بن المنذر ابن ماء السماء

تتابع أولاد المنذر ابن ماء السماء الثلاثة على الحكم، ومَلَكَ المنذر بن المنذر ابن ماء السماء أخو عمرو بن هند وقابوس[١]، ولقِّبَ بالمنذر الأصغر[٢]، والأسود[٣]، وكُنّي بأبي النعمان[٤]، ولا نعلمَ لماذا كان يكنّى بابنه النعمان الذي لم يكن البكر بل كان أصغر أولاده[٥]، فهل كان أشهرهم؟ وسُمّي بابن هند، تيمنًا بأمّه هند بنت الحارث، قال النابغة الذبياني:

ولـكـنْ مـا أتـاكَ عـن ابـنِ هـنـدٍ   مِـنَ الـخـبـرِ الـمـبـيّـنِ لـلـتـمـامِ[٦]

تزوَّج سبيَّة من إحدى المعارك اسمها سلوى بنت وائل بن عطية الصائغ بن العدبس بن زيد بن حارثة بن صخر بن الحارث، وهي يهودية من أهل فدك[٧]، هجرها المنذر لفعلٍ غير محمود قامت به[٨]، ثم تزوَّجها رومانس بن معقل الكلبي، فولَدت له وبرة، وكان أخ النعمان بن المنذر لأمّه[٩]، وتزوَّج امرأة أخرى هي بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم، وتزوَّجها بعد وفاته عبد الرحمٰن بن عوف[١٠]، فولَدت له أبا سلمة الفقيه، وهي أخت النعمان بن المنذر لأمّه[١١]، ورُوِيَ أنَّه تزوَّج أيضًا مارية بنت الحارث بن جلهم من تيم الرباب، وهي

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨١.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٤.

(٣) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ١، ص١٦ وص١٠٧، وجـ٢، ص٣٣٦.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٦٩.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، م.س، جـ٦، ص١٠٩.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٦.

(٧) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٣١٥، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢.

(٨) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، **الحيوان**، ٧ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٣٨، جـ٤، ص٣٧٧.

(٩) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٣١٥، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٣٧٦.

(١٠) عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث أبو محمد الزهري القرشي (ت٣٢هـ/ ٦٥٢م)، صحابي، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٣، ص٣٢١.

(١١) البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، جزآن، تحقيق مصطفى السقا، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م، جـ٢، ص٥٦٥.

أمُّ الأسود ابنه[١]. كان له عشرة أولاد، وقيل: ثلاثة عشر ولدًا، يقال لهم الأشاهب لجمالهم. فقال الأعشى فيهم:

وبـنـو الـمـنـذرِ الأشـاهـب فـي الـحيـ   ـرةِ يـمـشـونَ غـدوةً كـالـسـيـوف[٢]

وعمِلَ المنذر على الأخذ من أموال الناس ما يعجبه، فكرهه الجميع، وهمّوا بقتله، فبعث إلى زيد بن حمّاد، يطلب منه المساعدة، فأصبح الأخير إلى جانبه في الحكم، مقابل تسوية المسألة مع الناس، فقبِل المنذر بالعرض الذي نصَّ على أن يكون مسؤولًا عن الغزو والقتال فقط، واحتفظ بهذا الجميل لزيد الذي وافته المنية باكرًا[٣]، وإذا صحَّت هذه الرواية، فإنَّ الأمور السياسية في الحيرة أخذت منحًى ديمقراطيًّا تتوَّج في رفض الشعب لحكم ملكهم، وهذه ظاهرة سياسية جديدة وغريبة في ذلك المجتمع، فهل كان وراء هذا التحرُّك الشعبي زيد بن حمّاد الذي أراد استرجاع كرسي الحكم من آل المنذر، فحرَّض الناس عليه؟

تميَّز المنذر بالقسوة والظلم[٤]، فربما جعله هذا غير مقبول شعبيًا[٥]، وكان جميع ملوك المناذرة في عداوة مستمرَّة مع البيزنطيين باستثنائه[٦]، حيث وُصف بالحكمة والبلاغة في الكلام[٧]، ونشكُّ في المقولة التي وصفته بالضعف في ملكه، وأنَّه مات حتف أنفه[٨]، بل قيل: في إحدى غزواته ضد الحارث بن أبي شمر الغساني مُطالبًا له بدم أبيه[٩]، وقيل: إنَّ المعركة كانت عين أباغ[١٠]، وسوف نفصِّل ذلك في باب المعارك.

مَلَكَ المنذر أربع سنوات[١١]، وذلك في زمن أنوشروان ثمانية أشهر، وفي زمن

(١) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣.

(٢) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٢، ص٣٠٣، الطبري، **المصدر نفسه**، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٦.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص١٠٣ ـ ١٠٤.

(٤) **المصدر نفسه**، ص١٠٣.

(٥) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam**, V, p.633.

(٦) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.247.

(٧) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٤ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م، جـ٤، ص.٧٣

(٨) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٦.

(٩) **المصدر نفسه**، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٠.

(١٠) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٩.

(١١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.

هرمز بن كسرى أنوشروان[1] ثلاث سنين وأربعة أشهر[2]، فتكون فترة حكمه امتدت بين ٥٧٨ ـ ٥٨٢م.

١٨ ـ النعمان بن المنذر، أبو قابوس

مات المنذر بن المنذر وله من الأولاد كما أسلفنا ثلاثة عشر ولدًا، جعل على أمرهم إياس بن قبيصة الطائي، وملّكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى من يحلّ مكانه، فكان عليها أشهرًا[3] ـ وسوف نأتي على مناقشة الفترة الزمنية ـ والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يُسند المنذر أمر الحيرة إلى إياس بن قبيصة، والمتعارف عليه أنَّ الفرس هم من يعيّنون ملوك الحيرة؟ فهل كان هذا الأمر بالتوافق مع كسرى، بسبب خلاف وقع بين أولاد المنذر الطامعين في الملك بحيث استعصى على أبيهم أن يختار واحدًا منهم من بعده[4]؟ أم كان تصرفًا فرديًا من المنذر؟ وتوضيحًا لذلك، إنه لما مات المنذر جعل إبرويز بن هرمز[5] على أمر أولاده إياس بن قبيصة الطائي، وقام باختبارهم[6]، وأرسل إلى عدي بن زيد وسأله عن أولاد المنذر، وطلب منه أن يُحضِرهم له فرادى ويمتحنهم، ففعل ولقّنهم ما يجيبون به على أسئلة ملك الفرس ـ كيف لا يعرف كسرى أولاد المنذر؟ ـ فقابلهم كسرى وسألهم، واختار من بينهم النعمان بسبب ترشيح عدي بن زيد له، كون النعمان ترعرع عندهم، ولإعجابه بأجوبته عندما قال له كسرى: أتكفيني إخوتك والعرب، قال: نعم، وإن عجزت عن إخوتي أنا عن غيرهم أعجز، طبعًا هذه الأجوبة كانت من فبركة عدي بن زيد الذي

(١) هرمز بن كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز وكان ملكه اثنتي عشرة سنة، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، جـ١، ص١٤٥ ـ ١٤٦. حكم بين (٥٧٩ ـ ٥٩٠م).
- Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.476 & p.478.

(٢) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥، ذُكر أنه مات في زمن كسرى أنوشروان، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣، وقيل: إنَّ ملكه كان في زمن كسرى بن هرمز، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٦، وفي أيام أنوشروان، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٧. ورُوي أنه كان في زمن أنوشروان وابنه هرمز، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٠.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٦.

(٤) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٤٤.

(٥) كسرى إبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباذ، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٥، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٨٧ ـ ٥٨٨. حكم بين (٥٩٠ ـ ٦٢٨م)،
- Sykes. S.P, **A History of Persia**, I, p.478 & p.486.

(٦) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٢.

لقّنه للنعمان[1]، فإذًا لم ينتقل المُلْك إلى النعمان بن المنذر بعد مقتل أبيه بسهولة، وذلك لكثرة إخوته وطمعهم بالملك. واشتهر النعمان بكنيته: أبي قابوس[2]، وكان يُكنّى أيضًا: أبو قبيس، قال النابغة الذبياني:

فإنْ يقبِضْ عليكَ أبو قبيسٍ ... تَلُطْ بكَ المعيشةُ في هَوانِ

وقال عبد المسيح بن بقيلة:

وصرنا بَعدَ مُلْكِ أبي قبيسٍ ... كشاءٍ ظلَّ في يومِ مطيرِ[3]

وقيل له: النعمان الأصغر[4]، لأنَّه آخر مَلِك اسمه النعمان حَكَمَ المناذرة، وهو ابن سلمى بنت عطية بن العدبس بن زيد بن حارثة بن صخر بن الخزرج، اليهودية الأصل[5]، وهُجيَ بها وبوالده الصائغ، فسمِيَ وارث الصائغ، قال النابغة الذبياني:

قبَّحَ اللّهُ ثمَّ ثنّى بلَعنٍ ... وارثُ الصائغِ الجبانِ الجَهُولا[6]

أشهر زوجاته: المتجرِّدة[7]، التي كانت من أجمل نساء عصرها وسُمّيت بهذا الاسم لفرط جمالها، وقيلَ: إنها ابنة خالد بن جعفر بن كلاب، ورُوِيَ أنَّها كانت امرأة من بقايا جرهم[8]. وأنجبَ منها ولدان، كان الناس يقولون: إنهما من الشاعر المنخل[9]، لارتباطه بعلاقة حب معها.

ومن جملة نسائه، زينب بنت أوس بن حارثة بن لأم من طيء، وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم من طيء وقد ولدت له ولدًا وبنتًا، وكانت عنده لمّا طلبه كسرى إبرويز[10]، ممّا يدلُّ على أنها آخر زوجاته. وأولاده، المنذر وهو المغرور

(١) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٥.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٨ وص١٦١.

(٤) **المصدر نفسه**، ص١٤٧.

(٥) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٣١٥، الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٤، ص٣٧٧.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٨٨ ـ ٨٩، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٧.

(٧) ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**، ص٢٥٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٠.

(٨) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٥٠.

(٩) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٢٥٥، أبو البقاء، **المصدر نفسه**، ص١٥١.

(١٠) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٥.

وبه سُمِّي نفسه، وهند، وحرقة، وحريقة، عنفقير[١]، وزُعم أنَّ هند لم تكن بنت النعمان بل كانت أخته[٢]، ويُذكَر أيضًا أنَّ مارية الكندية هي زوجة النعمان، وأمُّ هند التي تزوجها عدي بن زيد[٣]، وأُوردَ أنَّ هند بنت النعمان[٤]، وذُكر أن هند كانت تسمّى حرقة[٥]، ولكن حرقة هي أخت هند[٦]، ولم يكن حرقة لقب هند.

اتَّصف النعمان بصفات خَلْقية ميَّزته عن غيره، فقد كان أحمر اللون أبرشًا وقصير القامةِ[٧]، وفي حمرة العين يقول أبو قردودة في ابن عمار حين قتله النعمان:

إنّي نهيْتُ ابن عمّار وقلْتُ لَهُ ... لا تأمَنَنْ أحمرَ العينين والشعرَ[٨]

وتميَّز بصفات أخرى، فقد كان ذميمًا، قاسيًا، سفاكًا، باغيًا، قبيحًا[٩]، مستبدًّا كرَّس نفسه للخمر والنساء والمغنّين[١٠]، وعُلِّق على هذه الصفات فقيل: «وهذه السجايا التي اتّصف بها تعبِّر عن عقدة (مركب النقص) التي كانت ملازمة له، وقد كان لقبح النعمان ودمامته ولأصل أمّه دخلٌ ولا شك في تكوين الخُلق العصبي فيه، فصار يهيج ويتأثّر به، ويأخذ بأقوال الوشاة من غير تمحيص ولا تروّي، فنقمَت منه الناس وهجاه بعض الشعراء»[١١]. وبغضِّ النظر عن هذه السجايا، فقد بلغت مملكة المناذرة في أيامه درجة عالية من الترف والنمو الاقتصادي[١٢]، اقتداءً بالفرس[١٣]، فكان عظيمَ الملك[١٤]، لم يقتصر عمله على الاقتصاد والبناء، بل اهتمَّ بالعلم ونبغ

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٦.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٣.
(٣) **المصدر نفسه**، ص١٢٩.
(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٨٠.
(٥) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٠، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٤١.
(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٩.
(٧) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣.
(٨) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٧، ص١١٣.
(٩) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٩.
(١٠) Nicholson. R.A, **A Literary History**, p.49.
(١١) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٦٢.
(١٢) علي، المعطي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص١١٩.
(١٣) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٣٦.
(١٤) الجاحظ، **البرصان**، م.س، ص١٠١ ـ ١٠٢.

في عهده جماعة من العلماء والحكماء والفلاسفة، وتهافت إلى بلاط قصره الشعراء[١]، حتى نُسِبَ إليه من الأعمال ما قام به غيره من الملوك وأهل بيته، لخفَّة اسمه وقرب عهده، فحظُّه في ذلك كحظ أنوشروان من بيت الأكاسرة، تسبق الألسنة في ذكره[٢]، قال النابغة الذبياني فيه:

فإنَّك شمسُ الملوكِ كواكبَ ... إذا طلعَتْ لَمْ يَبْدُ منهنَّ كوكبُ[٣]

ونُسجَت قصَّة مقتله على مِنوال وشاية حاكها زيد بن عدي لدى كسرى بسبب قتل النعمان لوالد عدي بن زيد، حيث طلب كسرى إبرويز أن يتزوَّج، فأغراه زيد ببنات النعمان، فتوجّه زيد مع رجلٍ من الفرس يكسِّر بالعربية، وعندما عرضَ زيد طلب كسرى على النعمان، أجابهُ الأخير: أما وُجِدَ في مها السواد وعين فارس ما يكتفي به؟ فقال الفارسي لزيد: وما المها والعين؟ قال: كوان ـ أي البقر ـ، وعند العودة أخبر الفارسي لكسرى ما قاله النعمان له، بأنَّ ليس في بقر سواد فارس ما يكتفي به الملك، فغضِبَ كسرى، وطلب النعمان[٤]، الذي أقام سنة يتنقل بين القبائل هربًا من كسرى[٥]، فاستطاع زيد من خلال دسِّ سُمِّ المكيدة في عسل اللغة من الإيقاع بالملك النعمان، الذي اختلفت الروايات حول طريقة قتله، فقيل إنَّ كسرى إبرويز ألقى به تحت أرجل الفيلة بساباط[٦] حتى مات[٧]، قال الشاعر في ذلك:

إنَّ ذا التاج لا أبالك أضحى وذرى ... بيتـه يجـوزُ الفيولَ
إنّ كسرى عدا على الملك النّعمـ ... ـانِ حتّى سقاهُ أمَّ البليلِ[٨]

(١) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٩٦.
(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٩٠ ـ ٩١.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٨٨، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٩.
(٤) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٠، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٦.
(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠١.
(٦) ساباط: بليدة كانت بقرب مدائن كسرى، أصله بلاد شأباد يعني عمارة بلاش، فعربته العرب وقالوا ساباط، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٣٨٥.
(٧) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٧، ص١١٣، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٤، البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، ٣ أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طـ١، ١٩٨٢م، جـ٣، ص٣٢٥.
(٨) الجاحظ، **المصدر نفسه**، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٨.

وقال الأعشى:

هو المدخلُ النعمان بيتًا سماؤه ... نحورُ الفيولِ بعدَ بيتٍ مسردقِ[1][2]

وقيل: إنه قُيِّد وبُعث إلى خانقين[3]، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه، والناس يظنّون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى:

فذاك وما أنجى من الموتِ ربّه ... بساباطِ حتّى ماتَ وهو محرزقُ[4]

ولا نعتقد بأنَّ كسرى قد طرح النعمان تحت أرجل الفيلة، بل من المرجَّح أنه وضعه في السجن، لأنَّه في تاريخ علاقة الفرس مع المناذرة لم يقدِم الفرس على القيام بهذا العمل، لأنَّ أعداءهم البيزنطيين سوف يستغلّون هذا الحدث ويبثّوا نار الفرقة بين الفرس والمناذرة، ممّا يُضعِف دور الفرس الإقليمي.

وبالعودة إلى أسباب قتل كسرى للنعمان، فقد وردت رواية مخالفة عن سبب قتله، فحواها أن «النعمان وأهل بيته واطؤوا العرب، وأعلموهم توكُّفهم خروج المُلك عنا إليهم»[5]، وفي شرح هذه الجمل «يتوكَّف الخير، ينتظره ويتوقعه»، ومعنى الجملة بكاملها: «أنَّ النعمان وجماعته تعصَّبوا لقومِهم من العرب وجعلوهم يتوقَّعون خروج المُلك من الفرس إليهم، لذا قتل كسرى النعمان وأزال أسرته من الحكم وسلَّم الأمر إلى أعرابي لا مطامع له ولا خطر يخشى منه على النفوذ الفارسي»[6]، ولعلَّ الدافع الأساس لذلك، هو ما جاء في هذا الكتاب، وإن صحَّت قصة عدي فقد اتَّخذت حُجَّة عليه[7]، ومن المرجَّح أن ظاهرة الشعور القومي عند العرب لم تكن قد تبلورت بعد وأصبحت حالة سياسية مريبة تبرر قتل كسرى للنعمان.

وذُهِبَ بعيدًا في تحليل أسباب قتل النعمان فتمحورت حول تنصُّره وتركه الوثنية،

---

(١) مُسَرْدَق: هو أن يكون أعلاه وأسفله مشدودًا كله، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص١٥٨.

(٢) الأصمعي، أبو سعيد الأندلسي عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، **الأصمعيات**، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، طـ٢، ١٩٦٤م، ص١٣٧.

(٣) خَانِقين: موضع في بلاد فارس، وهو طسوج من طساسيج حلوان، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٤٨٤.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٨، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٨.

(٥) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٦) عاقل نبيه، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٩٦.

(٧) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١٥.

فخشي ملك الفرس من تحوله إلى الروم، فقبل المكيدة التي دبَّرها زيد بن عدي[1]، ومن الأسباب البعيدة والقديمة لقتل النعمان، هو أنَّ إبرويز بن هرمز انهزم في إحدى المعارك، وكتب إلى النعمان يطلب منه المساعدة، وفرسه أيضًا، فظنَّ الأخير أنَّ إبرويز لا يصلُح له بعد ذلك أمر ولا يستقيم له ملك، فاعتذر من القدوم إليه، فأوغل الغمِّ في صدر إبرويز على النعمان[2]، ولم ينسَ له ذلك[3].

ولعلَّ هذا سبب مقنع في قتل النعمان، فإبرويز لم يؤمِّن له، وانتظر أقرب فرصه لقتله والتخلُّص منه، فكانت حادثة طلب إحدى نساء أهل النعمان للزواج، فاستغل هذه الحادثة لتحقيق مأربه. وقَبْرُ النعمان في دير ابنته هند الصغرى بالحيرة[4]. والسؤال المطروح هل نُقِلت جثة النعمان من بلاد الفرس إلى الحيرة ثم دفن في دير ابنته هند؟ أم كان القبر عبارة عن ذكرى لوالدها فقط؟

أمضى النعمان في الحكم اثنتي وعشرين سنة[5]، توزَّعت على فترة مُلْك هرمز بن أنوشروان سبع سنين وثمانية أشهر، وفي زمن كسرى إبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر[6]، فامتدت سنوات ملكه بين ٥٨٢ ـ ٦٠٤م[7].

١٩ ـ إياس بن قبيصة الطائي

ملك إياس بن قبيصة الطائي بلاد المناذرة بعد موت النعمان[8]، وهو إياس بن قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن حيَّة بن سَعْنَة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سفر بن هانئ بن عمرو بن الغوث بن طيء[9]، وله أخٌ اسمه قيس بن

---

(١) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٥.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٩٦.

(٣) Trimingham. J. Spencer, **Christianity among the Arabic pre-Islamic times**, Longman Group Limited, London, First Edition, 1979, p.199.

(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٤٢.

(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.

(٦) الطبري، **المصدر نفسه**، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٦.

(٧) ذُكر أنه مَلَكَ بين ٥٨٥ ـ ٦١٣م، البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٨١، زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٣٦. قيل إنه مَلَكَ بين ٥٨٠ ـ ٦٠٣م، ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٤٦. روي أنه مَلَكَ بين ٥٨٣ ـ ٦٠٥م، عاقل، نبيه، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٩٤.

(٨) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٧.

(٩) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٩٧، ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٨٦.

قبيصة كان يسكن في عين التمر[١]، وقيل: إنَّه لم يَملُك بمفرده، بل مَلَك معه النّخيزجان الفارسي[٢]، وذُكِر باسم البحرجان[٣]، ورويَ النخيرخان[٤]، وعُلِّق على هذا الاختلاف اليسير، بأنَّه: «يعود سببه على ما يظهر إلى عدم تمكُّن النُسّاخ أو الرواة على ضبط الكلمة، والظاهر أنَّها وظيفة ومركز، حسِبَها الرواة اسم علم فأطلقوها على شخص»[٥]، وذُكِرَ بغير اسم فقيل: «ولي إياس بن قبيصة الطائي وشهرام الفارسي»[٦]. أمّا سلطة من كانت الأقوى؟ بالتأكيد خضع إياس لسلطة الحاكم الفارسي[٧]، لاعتبارات عديدة، فهذا الأخير على المستوى الفارسي ممثِّل دولة الأكاسرة وقائد الجيش الفارسي الموجود في بلاد المناذرة، وعلى المستوى القَبَلي، يُعطِي إياس سلطة على جميع القبائل العربية التي كانت تحت حكم المناذرة ويبعِد عنه شبح ورثاء آل لخم، وعلى المستوى الإقليمي يرتبط بتحالف استراتيجي مع الفرس، وبالتالي فإنَّ الانصياع للحاكم الفارسي يعني إصابة أكثر من عصفور بحجر واحد.

وهذه ليست ولايته الأولى، بل رأينا كيف عُهد إليه أمر الحيرة بين موت المنذر وحكم ابنه النعمان أبي قابوس، أمّا الأسباب التي تكمن خلف وصوله إلى الحكم فهي متعدِّدة، منها مساعدة إياس لكسرى، وإكرامه له[٨]، فنجد أنه بعد فترة، أي قبْل أن يُملَّك أقطعه كسرى عين التمر وما والاها من الحيرة، وأطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات[٩]، حيث إن إبرويز طلب فرسًا من النعمان ينجو عليها، فأبى النعمان ذلك، فقدَّم حسان الطائي له فرسًا فهرب عليها إلى دار إياس بن قبيصة، فأهدى له فرسًا أيضًا وأقراه جزورًا[١٠][١١]، وظلَّ يحفظ له هذا الجميل حتى جاءت

(١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٣.
(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(٣) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٦.
(٤) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٨١.
(٥) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٩٢.
(٦) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص٢٠٦.
(٧) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.200.
(٨) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٧٣.
(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٦٠، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨.
(١٠) الجَزُورُ: الناقة المذبوحة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص١٣٤.
(١١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٨، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٧٨.

اللحظة التي كافأه فيها بتوليته أمر الحيرة[١].

ولعب دورًا في الحرب بين البيزنطيين والفرس أيضًا، فقد بعث كسرى إياسًا لقتالهم بـ«ساتيدما»[٢]، فأدركهم بدرب الكلاب، فهزم جيش البيزنطيين، وعاد إياس منتصرًا[٣]. بالإضافة إلى الدور المهم الذي لعبه إياس في مملكة الحيرة، فكانت كلمته راجحة في قصر النعمان بن المنذر في كثير من الأمور العالقة[٤].

أمّا الفترة الزمنية التي حكم فيها، فذكر أنَّها «لسنة وثمانية أشهر مضت من ملك إياس بن قبيصة بعث الله ﷻ النبي محمدًا ﷺ رسولًا»[٥]، وأُنقصت إلى سنة وستة أشهر[٦]، وذُكر لثمانية أشهر من ولايته بعث النبي محمد ﷺ[٧]، وروي لستة أشهر[٨]، والمعروف أنَّ الله بعث الرسول محمدًا ﷺ في ٦١٠م[٩]، وهذا لا يتفق مع الفترة الزمنية التي نحن بصدد الحديث عنها. فبالرجوع إلى فترة ملوك الفرس نجد أن فترة ملك إياس كانت في زمن كسرى إبرويز بن هرمز[١٠]، الذي ملك بين (٥٩٠ ـ ٦٢٨م)، وذكرنا أن مُلك النعمان بن المنذر من فترة مُلك إبرويز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، ومَلَكَ خليفة إياس بن قبيصة ـ كما سنرى ـ فيما بعد أربع عشرة سنة وثمانية أشهر في زمن كسرى إبرويز بن هرمز، فمجموع ما مَلَكَ النعمان بن المنذر وخليفته إياس بن قبيصة ٢٩ سنة، والمتبقّي تسع سنوات، وهي الفترة الزمنية الموافقة لما ذكر عنه بعض المؤرخين[١١]،

(١) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٥٤.
(٢) ساتِيدمَا: هو جبل، منه جبل بارما وهو الجبل المعروف بجبل حُمْرين وما يتصل به قرب الموصل والجزيرة تلك النواحي، وقيل ساتيدما نهر بقرب أرزون، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٦٨ ـ ١٦٩.
(٣) **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٤٤٨، وجـ٣، ص١٦٨ ـ ١٦٩.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٣٧٢.
(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٦، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٥.
(٧) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٨٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٨١.
(٨) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٨.
(٩) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٥٧٤.
(١٠) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(١١) **المصدرين السابقين نفسيهما**. سبع سنين، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٦، وابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٥. قيل: ولي ثمانية أشهر، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٧.

فمَلَكَ بين ٦٠٤ ـ ٦١٣م[١].

والواضح أنَّ إياس لم يمت على كرسي الحكم بل نُحِّي عن الحكم، لأنَّه لم يكن محبوبًا من الشعب ولم يتمكَّن من ملء مركز المناذرة الذين كانوا قد ثبَّتوا سلطانهم ونفوذهم، فلم يطق أهل الحيرة إياس[٢]، بالإضافة إلى معركة ذي قار[٣] وما ترتَّب عليها من نتائج، فبعد خسارة الفرس أمام العرب، فرَّ إياس إلى كسرى وأبلغه بانتصاره على العرب، وكان من عادة كسرى من يأتيه بخبر هزيمة عسكرية لجيشه يخلع أكتافه، ثم استأذنه بالذهاب إلى عين التمر، فأذن له[٤]، فلمّا تبيَّن لكسرى غير ذلك، وأنَّه خُدع من إياس غضب عليه وعزله، وغابت أخباره عن الروايات التاريخية ليعود اسمُهُ للظهور من جديد أثناء الفتح الإسلامي للحيرة في سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م[٥] بعين التمر، حيث مات فيها[٦].

٢٠ ـ آزاذبه

ثم استُخلف على بلاد المناذرة رجل فارسي، اختُلِف حول اسمه فهو آزاذبه الفارسي[٧]، أو آزاذبه بن ماهان بن مهر بنداذ الهمذاني[٨]، وزاديه بن ماهبيان بن مهرا بنداد الهمذاني[٩]، وزادويه الفارسي[١٠]، وأزاذبه بن مابيان الهمداني[١١]، وزادبه الفارسي[١٢]، وزاذويه ابن ماهسان الهمداني[١٣]، وسُمِّيَ

---

(١) ذُكر أنه حكم بين ٦١٣ ـ ٦١٨م، البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١١.

(٢) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam,** V, p.634.

(٣) ذو قار: عين ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٩٣.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٣.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٥، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠٤.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٧.

(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣.

(٨) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.

(٩) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٦.

(١٠) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠.

(١١) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٨١.

(١٢) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٦.

(١٣) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٨.

روزبي بن مرزوق[١]، فكون الكلمة فارسية جاءت متنوعة الكتابات. ووصف بأنَّه كان من أشراف الفرس وساداتهم، فقُدِّرَ ثمن قلنسوته بخمسين ألفًا[٢]، والسؤال الذي يُطرح: لماذا قام الفرس وللمرة الأولى بتعيين حاكم فارسي بمفرده على بلاد المناذرة، فهل قصدوا إلحاقهم بشكل مباشر ومركزي إلى الإدارة الفارسية؟

ويمكن الاستدلال على هذه الأسئلة من خلال معركة ذي قار وتجاذباتها والتي بدأت عوارضه بالظهور تدريجيًا، تمثّلت بالتخلّي عن الحكام العرب وتعيين فُرس مكانهم، مخافة الانقلاب السياسي عليهم، والتخفيف من الروح الوطنية التي بدأت بالتبلور والظهور.

مَلَكَ لمدة سبع عشرة سنة[٣]، وتوفِّي رسول الله ﷺ لخمس عشرة سنة وثمانية أشهر مضت من ولاية آزاذبه[٤]، وهذا غير دقيق لأن الرسول محمدًا ﷺ توفي في (١١هـ/ ٦٣٢م)[٥]، فتكون فترة حكم آزاذبه قد وصلت إلى سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م، وهذا لا يتوافق مع الأحداث التي جرت فيما بعد، وللوقوف على التاريخ الصحيح نرجع إلى قائمة ملوك الفرس المقابلة له، فنجد أنه حكم في «زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر وفي زمن شيرويه بن كسرى[٦] ثمانية أشهر، وفي زمن أردشير بن شيرويه[٧] سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت بنت كسرى[٨] شهرًا»[٩]، فإذا كانت فترة حكم كسرى بن هرمز قد انتهت في سنة ٦٢٨، فيكون قد حكم بين ٦١٣ ـ ٦٣٠م[١٠]. وهذا موافق لسبع عشرة سنة.

---

(١) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٤٣.

(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٥.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣، الطبري، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٤٨٣.

(٤) ابن حبيب، **المصدر نفسه**، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٧.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص١٨٧.

(٦) شيرويه بن كسرى إبرويز مَلَكَ الفرس ثمانية أشهر، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٤١ ـ ١٤٢.

(٧) أردشير بن شيرويه بن كسرى إبرويز مَلَكَ الفرس ثمانية أشهر، **المصدر نفسه**.

(٨) بوران دخت بنت كسرى إبرويز مَلَكَت الفرس ثمانية أشهر، **المصدر نفسه**، ص١٤٣.

(٩) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٨٣، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٦ ـ ٨٧.

(١٠) ذُكر أنه حكم عشرة سنين ولم يعاصر غير كسرى إبرويز، وامتدت فترة حكمه بين ٦١٨ ـ ٦٢٨م، البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١٥.

٢١ ـ المنذر بن النعمان (المغرور)

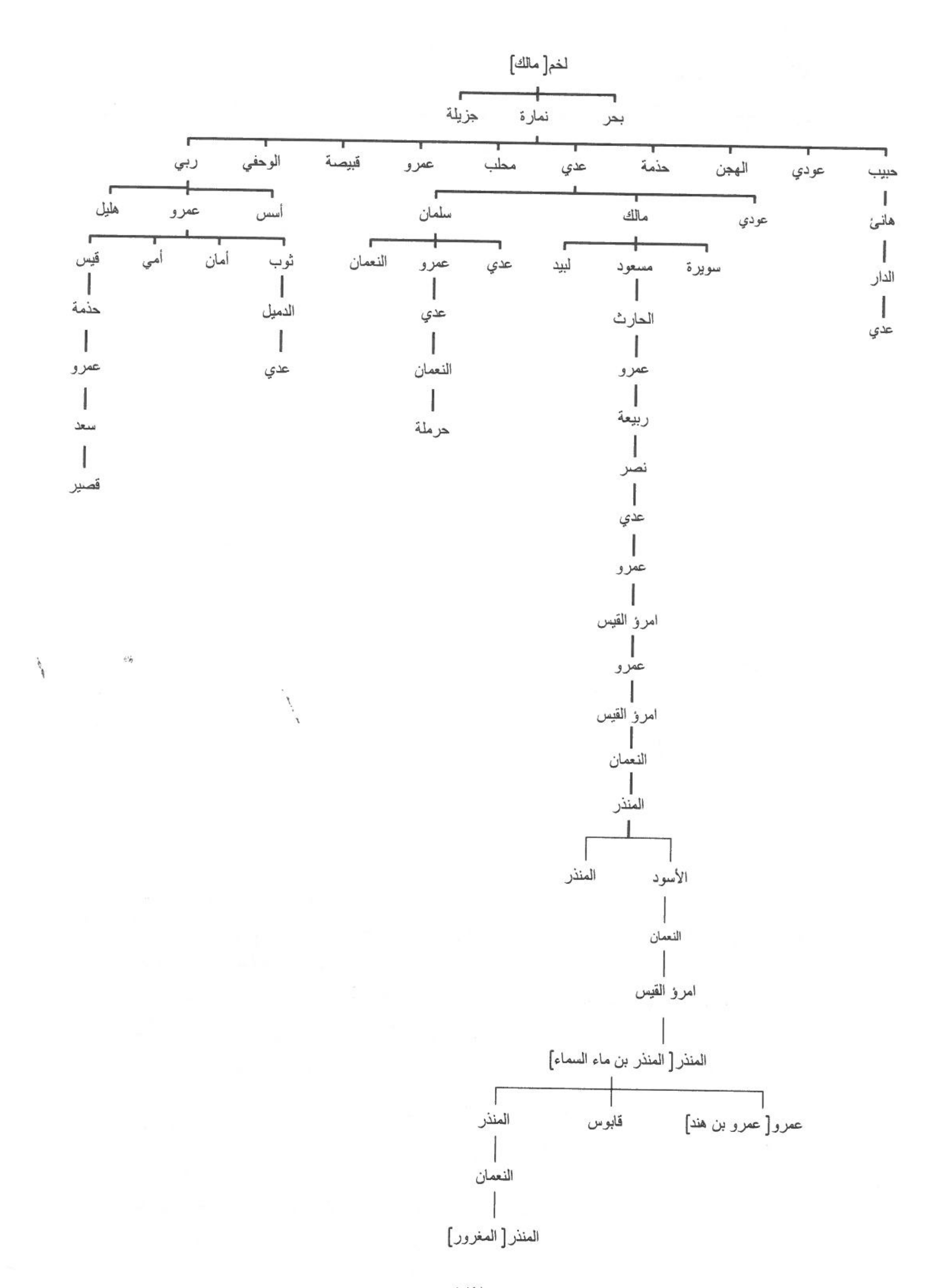
عاد الملك إلى المنذر بن النعمان بن المنذر، وهو الذي تُسمِّيه العرب الغرور[١]، وعندما أسلم قال: لست بالغرور ولكن المغرور[٢]، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا عاد آل نصر إلى الحكم بعد استغناء الفرس عن خدماتهم لفترة غير قصيرة؟ فالأوضاع السياسية الداخلية للفرس والأوضاع الخارجية المحيطة بهم حملتهم على القيام بهذه الخطوة، فبعد مقتل شيرويه استردَّ البيزنطيون البلاد التي كان الفرس قد سيطروا عليها، وبالإضافة إلى توغُّلهم في مملكة الفرس بقيادة ملكهم هرقل[٣]، هذا فضلًا عن استمرار الثورات الداخلية[٤]. وفي سياق متَّصل، لم يتمكن آزاذبه «من أن يعيد الثقة التي كانت بين المناذرة والأكاسرة، وأن يحسِّن العلاقة التي ساءت بين العرب والفرس طيلة الفترة التي قضاها في بلاط الحيرة»[٥].

وبالعودة إلى المنذر المغرور ذُكِر أنَّ قصره كان بالحيرة[٦]، وهذا غير دقيق؛ لأنَّ أولاد النعمان هربوا من الحيرة بعد مقتل والدهم على يد الفرس، بالإضافة إلى أنَّ بني ربيعة بن نزار اجتمعوا في البحرين في الردّة فارتدوا وملَّكوا عليهم الغرور، وهو المنذر بن النعمان[٧]، ممّا يدل على أنَّ مقرَّه لم يكن بالحيرة وإنَّما بالبحرين. أمّا فترة ملكه فكانت إلى أن قَدِم خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر[٨]، وذُكِر أشهر من دون تحديد عددها[٩]، وشُكِّك في هذه الفترة الزمنية[١٠]، ورُوي أنَّه مَلَك أربع

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(٢) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، **كتاب الردة**، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص١٦٦.
(٣) هرقل، ملك الروم بعد فوقاس phokas، وكان اسمه بالرومي أرقليس Herkaleios، حكم البيزنطيين لمدة ٣١ سنة امتدت من ٦١٠ ـ ٦٤١م.
- Theophanes, **The Chronicle**, p.427 & p.475.
(٤) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١٦.
(٥) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٢٣.
(٦) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٦٤، محمود، محمود عرفة، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص١٢٦.
(٧) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٩٤، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٢٥٦.
(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(٩) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١١.
(١٠) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٣٠٠.

سنوات[١]، وحسب ما رجح لدينا حكم بين ٦٣٠ ـ ٦٣٢م. وانتهت حياته بالقتل في يوم جواثا[٢]، وقيل جُؤَاثى[٣]، وذكر جؤاثا[٤]، على يد العلاء بن الحضرمي[٥][٦]، فكان آخر من بقي من ملوك آل نصر بن ربيعة[٧].

(١) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١٦، زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٣٩.
(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٣، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٧.
(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.
(٤) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٣٤.
(٥) العلاء بن الحَضْرمي، هو العلاء بن عبد الله بن عبده بن ضماد بن مالك، من حضرموت، ولّاه الرسول محمد ﷺ البحرين، مات في (٢١هـ/ ٦٤٢م)، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٦١.
(٦) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص٢٠٦.
(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٣.



ثانيًا ـ نظام الحكم

بعد الحديث مفصلًا عن تراجم ملوك المناذرة، نلقي نظرة على النظام السياسي، أو نظام الحكم، الذي ارتكز عليه الملوك لإدارة دفَّة البلاد «فبلاد المناذرة ضمَّت العديد من القبائل التي اتَّحدتْ فيما بينها وكوَّنت نوعًا من الأحلاف، حيث اندمجت القبائل الضعيفة بالقبائل القوية، فأصبح نظام الأحلاف هو نفسه نظام القبيلة، والرابط الذي يوثِّق الصلة بين أفراد القبيلة هو العصبية»[(١)]، والعصبية متألِّفة من عُصْبات كثيرة تكون واحدة منها أقوى من الأخرى كلها، فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيِّرها جميعًا في ضمنها، وبذلك تكون الدُوَل[(٢)]، فإذًا المفهوم السياسي للحكم كان قائمًا على القبيلة؛ فلذلك لم يكن لملك المناذرة نظام، وإنَّ الرئيس منهم إنَّما كان ملكًا على بلاده ونواحيها، ولا يجاوز ذلك[(٣)]، وذُكِر: «إنَّ العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك»[(٤)]، فالنظام القبلي كانت له إدارة خاصة متمثلة في رئيس القبيلة ومجلس يساعده من رؤساء العشائر وأصحاب الرأي والخبرة والحرب، ولم يعرفوا النمط البيزنطي في الحكم من وجود «مجلس شيوخ وهيئة كبرى»[(٥)]، أو النمط الفارسي الذي أوجد سبع مراتب إدارية تساعد الملك[(٦)]، فالنظام السياسي عند المناذرة كان محدودًا[(٧)]، استعان الملوك بنظام القبيلة الذي ربط بين أبنائها روابط، مثل قربة الدم، والدين، والمصالح المشتركة مع القبائل الأخرى، لذلك فإنَّ

---

(١) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٥٧.

(٢) ابن خلدون عبد الرحمٰن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، ط٢، ١٩٩٧م، ص١٥٥.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٥٢.

(٤) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص١٤٠.

(٥) Procopius, **The Secret History** Translated by Williamson. G.A, Printed in Cox & Wyman Ltd, First Published, London, 1966, p.96.

(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٧) عكاشة، محمود أبو المعاطي، **الحكم القبلي في العصر الجاهلي**، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ٢٠٠٢م، ص١٤.

إخلاص القبائل كان ضروريًا لتأمين سيطرة الملك[١]، وفي هذا الصدد سوف نتحدث عن مملكة المناذرة كنظام حكم، من رأسها، الملك وتوليه للحكم، والنظام الذي اتَّبعه، وأهم صفاته، وصولًا إلى الجهاز الإداري الذي أحاط به وشارك في تنظيم البلاد.

١ ـ الملك

معنى «المَلِكُ، هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور»[٢]، وسمي حكام المناذرة بهذا المصطلح منذ القدم، بل قبْل المناذرة في عهد التنوخيين، فقد ورد في نصِّ أمِّ الجمال أن جذيمة ملك تنوخ[٣]، وشاهد أثري آخر تحدثنا عنه أيضًا وهو قبر الملك امرئ القيس، أي: نقش النمارة، الذي وصَف امرأ القيس بالملك، وأشار الشاعر عمرو بن كلثوم إلى عمر بن هند، فقال:

إذا ما المَـلْكُ سامَ الناسَ خسفًا   أبـيـنـا أن نُـقِـرَّ الـذلَّ فـيـنَـا[٤]

يتضح لنا من سياق بيت الشعر أنَّ حكام المناذرة عُرِفوا بلقب الملك[٥]، وسمّوهم ملوك العرب[٦]. أمّا عن كيفية انتقال الملك، فكانت ملكية وراثية في تنصيب الملك، أي: تنتقل من الأب إلى الابن الأكبر[٧]، وتعد الوراثة نظام عُرْف في تعيين الحاكم، لأنَّ الأمم الأولى كانت تخضع لنظام الأسرة التي يقودها أب واحد[٨]، وخرج عن هذا العرف ستة ملوك، وهم: أوس بن قلام، أبو يعفُر بن علقمة، الحارث بن عمر الكندي، فيشهرت، إياس بن قبيصَة، زاديه، ويُعزى ذلك إلى التدخُّل المباشر من الفرس في تعيين الحكام على بلاد المناذرة، وأمام هذا ينبغي أن لا نبالغ فنظنُّ أنَّ نظام الحكم قد تحوَّل عن المناذرة، فالوضع السياسي

(١) Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya and Early Islam,** VorioRum, Rprints, London, Second Edition, 1980, p.149.

(٢) مرتضى زبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، **تاج العروس**، ٢٠ جزء، تحقيق علي بشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، جـ١٣، ص٦٤٦.

(٣) انظر الملحق رقم (٢).

(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٤.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٩٩، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٥، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٦.

(٧) الواقدي، **الردة**، م.س، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

(٨) عكاشة، محمود أبو المعاطي، **الحكم القبلي**، م.س، ص٧٢.

تحكّم بحيزٍ غير ضيِّق في تعيين ملوك في بلاد المناذرة، وهذا الأمر ما يلبث أن يرجع إلى ما كان عليه سابقًا، من توريث ملوك المناذرة الحكم لأولادهم. وخلال عرضنا لتراجم المناذرة لم نجد اسم ملكة على عرش الملك، فهذه إشارة إلى أنَّ المُلْكَ كان وراثيًا ذكوريًا، لا يحق للنساء المشاركة به، ولم يصل إلينا ما يشير إلى أن المناذرة عرفوا نظام الانتخاب الديمقراطي.

وتمتَّع حاكم بلاد المناذرة بألقاب أخرى غير الملك، فقد أُطلِق عليه اسم الراعي، لأنَّ الراعي هو الوالي، أي: الذي يهتم بأمور وشؤون شعبه، أي بمنزلة الراعي للماشية، والقوم هم الرعية[١]، ويجب عدم النظر إلى هذا التشبيه بنظرة غير سياسية لأنَّ الراعي كان محورًا مهمًا من محاور الاقتصاد في ذلك الوقت، ففرض هذا التشبيه، ويعبِّر عن الرعية بالسوقة، وسمّوا سوقة لأن الملوك يسوقونهم، قالت هند بنت النعمان أثناء الفتح الإسلامي للحيرة:

فبينا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنَا   إذا نحنُ فيهم سوقة نتنصِفُ[٢]

ولم يكتفِ الحاكم بهذه الألقاب بل أُطلق عليه لقب الربِّ[٣]، فهل كان القصد من كلمة الربِّ أنه المسؤول الديني والدنيوي عنهم؟ قال حلزة اليشكري مشيرًا إلى عمرو بن هند:

وهـو الـرَّبُّ والـشـهـيـدُ عـلـى يَـوْم   الـحـيـاريـن والـبـلاءُ بـلاء[٤]

وأُطلِق على رئيس القوم لقب: السيد المطاع[٥]، ولا فرق بين معنى السيد أو المَلِك فكلاهما وجهان لعملة واحدة[٦].

واستُعمل لقب سيِّد للتعبير عن سلطانه الواسع وحكمه لقبائل متعددة، وهو سيِّدهم في أيام الحرب فيقود جيشه في حربهم ويقسِّم الغنائم، ويستقبل وفد القبائل الأخرى، ويعقد الصلح والمحالفات ويقيم الضيافات[٧]. وقيل للملك: عميد، الذي

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٣٢٧.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٩. ورد: بينا، بدل فبينا، تتنصَّف بدل ننتصف، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٢. ورد وبتنا بدل فبينا، تتنصف بدل ننتصف، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٣٣٥.

(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٣٩٩.

(٤) الأنباري، أبو بكر محمد القاسم (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، طـ٥، (د.ت)، ص٤٧٥.

(٥) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٣٢٨.

(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٢٢٩.

(٧) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٥٩.

هو سيد القوم وقائدهم[١]، قال الممزق العبدي لبعض ملوك الحيرة:

فأنتَ عميدُ الناسِ مهما تقلْ نقلْ ومهما تضعْ من باطلٍ لا يحقَّقُ[٢]

فالواجب تقديم الطاعة له، ونراه يجمع بين يديه جميع السلطات إذا جاز التعبير (التشريعية ـ والتنفيذية ـ والقضائية)، ويطلِق الأحكام من دون الاستناد إلى أي نص تشريعي أو قانوني، إنَّما يعتمد على الأعراف التي ورِثَها عن أجداده، وطبيعة الأمور المستجدة، ولا يسمح لأحد التدخل في حكمه إلا نادرًا، فبالنسبة للعامّة أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها[٣]. وتميَّز الملك بالاستبداد والظلم، حتى إنَّ الأشخاص مُنِعوا من التكلم أثناء وجوده[٤]، فمارس سلطة مطلقة، فهو الدولة كلها، وحوَّل نظامها إلى نظام قبيلته[٥]، ولا مانع عند الملك من الإخلال بوعوده والغدر بالناس وقتلهم حتى بعد إعطائهم الأمان، لو كان بنصٍّ مكتوب[٦]، لأنَّ لأهل بيت الملك دائمًا فضل على سائر البيوت[٧]، وكان يقبل الشفاعات في الأشخاص في بعض الأحيان[٨]. ووصل ببعض الملوك الاستبداد برأيهم حتى ولو كلَّفهم ذلك قتل المئات من الناس والتمثيل بجثث الأعداء وحرقهم، حتى أطلق لقب المحرق على بعض ملوك المناذرة[٩].

والسؤال المطروح: هل اعترفت المملكتان (الفرس والبيزنطيون) بالحكام المناذرة كملوك تمتعوا بنفس المنزلة التي تمتعوا بها؟ أم أنَّ هذا اللقب كان يطلق فقطّ من العامة بدافع الخوف، أو من الشعراء بدافع التزلّف والرغبة بالحصول على بعض المال؟ رُوِيَ «كان أمر آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولاة ملوك الفرس وعمالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعالمًا مثبتًا عندهم في

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٣٠٥.
(٢) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٢٥٢.
(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٠.
(٤) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.198.
(٥) عكاشة، محمود أبو المعاطي، **الحكم القبلي**، م.س، ص١٢.
(٦) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢٣٨، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٨.
(٧) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٨.
(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٣٧٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٥٤.
(٩) الأصمعي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٥٩، ص١٠٩، ابن حبيب، **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٤٢.

كنائسهم وأسفارهم»: وأُردف «وإنّي كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى، وتاريخ سنيهم من بِيَع الحيرة، وفيها ملكهم وأمورهم كلها»[١]، فحكام بلاد المناذرة هنا كانوا عمالًا للفرس، ولم يصلوا إلى درجة الملك في نظرهم. ولكن ذُكر أنَّ المنذر ابن ماء السماء لقب بملك العرب[٢]، وكان الأقوى بين ملوك الحيرة[٣]، وحكم جميع بلاد العرب التي كانت تحت سيطرة الفرس[٤]، وأُطلِق عليه لقب فيلارخ العرب[٥]، ومعناها: سيِّد القبيلة[٦]، وأحيانًا ذُكِرَ بلقب قائد عسكري، ولم يذكر بلقب مَلِك[٧]، وأثناء تنصيب حاكم على بلاد المناذرة كان الفرس يطلقون عليه لقب مَلِك[٨]، وشُكِّك في نعت حكام المناذرة بلفظة مَلِك لأنَّ هذا اللقب كان خاصًّا بالقيصر الرومي فقط[٩]، ورُبِطَ هذا الاستنتاج من خلال المقارنة لمملكتي المناذرة والغساسنة، وإطلاق نفس الحكم على كلتيهما، ولم يُؤخَذ بعين الاعتبار أنَّ المناذرة عرفوا المَلِك أكثر من الغساسنة[١٠]، وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب[١١]، وعند تعداد ملوك العالم كان يذكر مَلِك المناذرة إلى جانب بقية الملوك[١٢]، حتّى إنَّ تسميتَهم بالملوك جاءت من العز الذي بلغوه[١٣]، فكانوا أكثر تحضرًا وترفًا من الغساسنة[١٤].

ووردت لفظة: عمّال، وليس ملكًا، وبعض المصادر السريانية أوردت لفظة: مَلِك، فمن المرجّح أن بعض حكام المناذرة حازوا لقب ملك ولكن ليس جميعهم، فهذا متوقّف بالدرجة الأولى على عاملين اثنين: الأول القوَّة العسكرية التي وصلها

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩ ـ ٣٧٠.
(٢) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.206.
(٣) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.246.
(٤) Procopius, **Wars, I**, p.159.
(٥) Theophanes, **The Chronicle**, p.240 - 241.
(٦) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص١٢.
(٧) Theophanes, **Ibid**, p.217.
(٨) Joshua the stylite, (D. 518AD), **The Chronicle of Joshua**, translated from Syriac to English by William Wright, Amsterdam Philo press, 1988, p.47.
(٩) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص١١.
(١٠) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص ٤٧.
(١١) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٦٠ ـ ١٦١.
(١٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص١٨٧.
(١٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٩٠.
(١٤) سقال، ديزيره، **العرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٢٧.

المناذرة، وثانيًا الأجواء السياسية والعسكرية السائدة آنذاك بين الفرس والبيزنطيين، فقد وصل ملوك المناذرة أحيانًا إلى حدٍّ من القوّة العسكرية ساوى بينهم وبين ملوك الفرس والبيزنطيين[١].

وعلى سبيل المثال، فقد اعترف المَلِك الروماني انسطاسيوس بالعرب وعقد معهم في سنة ٥٠٣م معاهدة سلام مع حُجْر بن الحارث الكِنْدي[٢][٣]، فهذا اعتراف صريح بمعاملة حكام العرب معاملة المساوي لملوك الروم، فالمعاهدة لا توقَّع إلّا بين الملك والندِّ له، أي: المساوي، ما يدلُّ على أنَّ لقب ملك أُطلِقَ على بعض حكام العرب.

وأُوضِح الفرق بين تسمية المَلِك عند العرب والدول الإقليمية الأخرى، فكان يقال لعظيم ملوك الفرس: كسرى، ولعظيم ملوك الروم: قيصر، ولرئيس العرب وسيِّدهم: ملك، وتسمية كسرى وقيصر فوق تسمية المَلِك[٤].

استعمل ملوك الحيرة أشياء للتعبير عن صفة الملك لديهم ومنها:

أ ـ التاج: اعتاد ملوك الفرس أن يتقلَّدوا بأشياء تميّزهم عن بقية الناس، فعقدوا التاج على رؤوسهم[٥]، الذي صُنع من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد[٦] والذهب والفِضة[٧]، والعرب قديمًا عرَفوا العمائم التي كانت تيجان العرب[٨]، والتاج كلمة فارسية[٩] دخيلة في اللغة العربية، فبعد خضوع المناذرة للفرس، قلَّدوهم التاج المصنوع في الغالب من اللؤلؤ والذهب[١٠]، واستمرَّ المناذرة في لبس التاج تقليدًا

---

(١) الحوافي، أحمد محمد، **الحياة العربية**، م.س، ص١١١.

(٢) حجر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٧. توفي سنة ٥٥٠م، زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٤٧.

(٣) Theophanes, **Ibid**, p.223.

(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٤٧.

(٥) السهيلي، **الروض الأنف**،م.س، جـ١، ص٨٢، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٦) الزَّبَرْجَدُ: هو الزمرد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص١٩٤.

(٧) ابن هشام، **السيرة**، م.س، جـ١، ص٨٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٤٥.

(٨) الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧، ص١٣٨، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٥٩.

(٩) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam**, V, p.634.

(١٠) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٨.

للملوك الفرس في مظهرهم[١]، وبدوره نقش نمارة الذي يعتبر أقدم مدوَّن تاريخي وردت فيه كلمة تاج الذي تقلَّده الملك عمرو بن امرئ القيس، فعقدُ التاج على الرأس يعني إسناد مهمة الحكم إلى هذا الشخص[٢]. ورويَ أنَّ ملوك المناذرة كانوا كلّما مضت سنة من سنين ملكهم زيدت في تاجهم خرزة، وقيل لتلك الخرزات: خرزات الملك، أي جواهر تاجه، قال لبيد بن ربيعة في خرزات النعمان المنذر:

رَعَى خرزاتُ المُلْكَ عشرينَ حجّةً وعشرين حتّى فادوا الشَّيب شاملُ[٣]

وصُنع تاج النعمان بن المنذر من الزبرجد والياقوت والذهب[٤]، وما هذا إلّا تشبُّهًا بملوك الفرس. واستعاض الشعراء بلفظة التاج كناية عن المُلْك، قال هانئ بن قبيصة[٥] في النعمان بن المنذر:

إنّ ذا التّاجِ لا أبالكَ أضحى وذرَى بيتهِ بجورِ الفيولِ[٦]

ووضع ملوك الحيرة على رؤوسهم الإكليل المصنوع من الذهب[٧]، والإكليل هو شِبهُ عصابة مزينة بالجواهر، وهي الترجمة العربية لكلمة التاج[٨]، وخَلْع التاج كان بمثابة ترك كرسي الحكم[٩]، إذًا لبس التاج دليل على أن ملوك المناذرة قد وصلوا لدرجة الملك، حتى أنَّهم ساووا ملوك الفرس في بعض الفترات الزمنية، ولا نستبعد أنَّ لبسه كان عنوان تبعيَّة ملوك المناذرة للفرس[١٠]، وفي الوقت ذاته اعتُراف من قِبل

---

(١) هبو، أحمد رحيم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب، سوريا، ط٢، ١٩٨١م، ص١٧٣.

(٢) الواقدي، **الردة**، م.س، ص١٥٤ وص١٤٨، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٦.

(٣) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، **كتاب الأمالي**، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، م١، جـ١، ص٧٥، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٨٣ ـ ١٨٤، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٣٤٥.

(٤) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٥٦.

(٥) هانئ بن قبيصة بن هاني بن مسعود بن المزدلف عمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣١٢ ـ ٣١٣.

(٦) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٧، ص١١٣، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٨.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، تحقيق جليل عطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط١، ١٩٩١م، ص١٤٠.

(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٩٥.

(٩) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٩.

(١٠) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam**, V, p.634.

الفرس بملك المناذرة[١]، لأنَّ التاج له قدسية خاصة عند كل ملوك الفرس، وأولى هؤلاء الملوك التاج أهمية كبيرة[٢].

ب ـ خاتم الملك: ختم ملوك المناذرة الرسائل التي تصدر عنهم بالخاتم لتصبح مصدَّقة وغير قابلة للتزوير، وأول من ختم رسائله كان الملك عمرو بن هند[٣]، واستعمل ملوك الفرس الختم أيضًا[٤]، ومن المستبعد أن يكون الختم تقليد فارسي استعمله ملوك الحيرة تشبُّهًا بهم. قال المخبل السعدي[٥] يذكر رجلًا أعطاه النعمان بن المنذر خاتمه:

وأعْطى منّا الحِلْقَ أبيضَ ماجدُ   رديفُ ملوكٍ ما تغبُّ نوافلُه[٦]

فقيل لخاتم الملك: الحِلق، الذي هو خاتم الملك المصنوع من الفضة من دون فصٍّ يختم به رسائله[٧][٨]، ولا تُزال أو تمحَى آثاره بسهولة لعدم تزويره.

ت ـ عرش الملك: من ميّزات ملوك الحيرة اتخاذهم سرير الملك[٩]، الذي كان رمزًا من رموز الملك والنعمة[١٠]، قالت حرقة بنت النعمان تنذر قومها قبل غزو كسرى لهم:

فليتَ الجيشَ كلَّهم فِداكمْ   ونفسي والسَّريرُ وذا السَّريرِ[١١]

فالسرير هنا يعني: الملك والنعمة، واتّخاذ ملوك الحيرة السرير ما هو إلّا تشبهًا بملوك الفرس الذين جلسوا على سرير المُلْك[١٢]، فقلَّدهم ملوك الحيرة بشارات الملك.

---

(١) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab,** p.188 - 189.

(٢) عبد الرزاق، ناهض، **المسكوكات،** طبع في مطابع دار السياسة الكويت، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، (د.ت.)، ص١٦.

(٣) البطليوسي، **الاقتضاب،** م.س، جـ١، ص٢٠٠.

(٤) البلاذري، **فتوح،** م.س، ص٦٥٠.

(٥) المُخَبَّل: هو ربيعة بن عوف بن قتال بن جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة، ابن حزم، **جمهرة أنساب،** م.س، جـ١، ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٦) البطليوسي، **الاقتضاب،** م.س، جـ١، ص١٨٧، ابن منظور، **لسان،** م.س، جـ١٠، ص٦٥.

(٧) ابن منظور، **المصدر نفسه**.

(٨) البطليوسي، **الاقتضاب،** م.س، جـ١، ص١٦٨.

(٩) المسعودي، **مروج الذهب،** م.س، جـ٢، ص٨٤، القالي، **الأمالي،** م.س، م١، جـ١، ص٢٣٩.

(١٠) ابن منظور، **لسان،** م.س، جـ٤، ص٣٦١.

(١١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني،** م.س، جـ٢٤، ص٦٣، البيت لهند بنت النعمان، أبو البقاء، **المناقب،** م.س، جـ٢، ص٤١٣.

(١٢) الطبري، **تاريخ الأمم،** م.س، جـ١، ص٤٥٩، ابن عبد ربه، **العقد،** م.س، جـ١، ص٢٩٤.

ث ـ تحية الملك: عمد الناس أثناء الدخول إلى الملك أن يحيّوه بتحيّات اختصَّ فيها دون غيره من الناس، ومن أشهرها: أبيتَ اللعن[١]، وهي «كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية، ومعناها: أبيتَ أيها الملك أن تأتي ما تلعن عليه، واللعن: الإبعاد والطرد من الخير»[٢]، وقيل تحيّات أخرى للملك منها أسعدك إلٰهك[٣]، نِعمَ وكرامة[٤]، وأنعم صباحًا، وأنعم ظلامًا، كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم؟[٥]، أقرَّ الله عينه[٦]، ذُكِرت هذه التحيّات لهيبة الملك ولتعظيمه، ومن الواضح أنَّ ملوك المناذرة تعمدوا أن يجبروا الناس على إلقاء هذه التحيات وذلك تشبهًا بملوك الفرس[٧]، وفي الوقت نفسه كان يزداد سرور الملك بتحيات الناس له[٨]، ووردت إشارة إلى أنَّ الناس عندما يدخلون إلى الملك كانوا يسجدون له[٩]، ممّا يدلّ على أنَّ الملوك شبَّهوا أنفسهم بالإله الذي يُسجَد له.

٢ ـ الردافة

مصدرها اللغوي كلمة الرِّدْفُ، أي: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئًا فهو ردافة[١٠]، و«الرديف، الرجل الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم»[١١]، وتعني الرادفة إذا ركب الملك ردف وراءه وإذا نزل نزل، وإذا جلس الملك يجلس الردف عن يمينه، وإذا شرب الملك شرب الردف بعده

---

(١) التيمي، **أيام العرب،** م.س، جـ٢، ص١٢١، ابن حبيب، **أسماء المغتالين،** م.س، ص٢٣٨، المفضل بن سلمة، أبو طالب بن عاصم (ت٢٩١هـ/ ٩٠٤م)، **الفاخر،** تحقيق عبد العليم الطحاوي، الجمهورية العربية المتحدة، دار إحياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٩٦٠م، ص١٧٣، الثعالبي، **تاريخ غرر السير المعروف بكتاب أخبار ملوك الفرس وسيرهم،** (د.م)، مكتبة الأسدي، ميدان بهمارستان طهران، ط٢، ١٩٦٣م، ص٥٤٦.

(٢) ابن منظور، **لسان،** م.س، جـ١٣، ص٣٨٧.

(٣) المفضل بن سلمة، **الفاخر،** م.س، ص٥، التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) **المستجاد من فعلات الأجواد،** تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٩٧٠م، ص١٦٧.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم،** م.س، جـ١، ص٤٧٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني،** م.س، جـ٢، ص١٢١.

(٥) الجاحظ، **الحيوان،** م.س، جـ١، ص٣٢٨. (٦) ابن سلمة، **الفاخر،** م.س، ص٦.

(٧) ابن منظور، **لسان،** م.س، جـ١٤، ص٢١٧.

(٨) النويري، **نهاية الأرب،** م.س، جـ٣، ص١٧٧.

(٩) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، **فتوح الشام،** جزآن، تحقيق عمر أبو النصر، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، طـ١، ١٩٦٦م، جـ٢، ص١٨٦.

(١٠) ابن منظور، **لسان،** م.س، جـ٩، ص١١٤.

(١١) الطبري، **تاريخ الأمم،** م.س، جـ٢، ص٣٨١.

وقبل الناس، وإذا غزا الملك جلس الردف مكانه على العرش، وإذا غنم جيش الملك أخذ الردف ربع ما غنم[١]. وكان للردافة موضعان، أحدهما: «أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من مواضع الأنس، والموضع الثاني أنبل، وهو أن يَخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فَيَنْظُر بين الناس بعده»[٢]، وكان الرديف شاهدًا على كلام الملك والأحداث التي تحصل معه[٣].

والأسباب التي تقف وراء تأسيس الردافة، هي الغارة التي شنَّها بنو يربوع على ملوك المناذرة، فأوجدوا الردافة وأسندوها إليهم ليكفّوا أذاهم وغزواتهم عن بلاد المناذرة[٤]، فمن أجل تأمين إخلاص وتعاون قبيلة بني يربوع مع المناذرة أُوجِدت الردافة[٥]، وتشبُّهًا بالملوك الفرس[٦]، وأوّل من تولّاها عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع، ثم خلفه ابنه عوف بن عتاب، ثم ابنه يزيد بن عوف[٧]، فأصبحوا يتوارثون هذا المركز صغيرًا عن كبير[٨]، وسبّبت عملية انتزاع هذا المنصب من بني يربوع لصالح قبيلة أخرى حربًا بين جيش المنذر ابن ماء السماء وبني يربوع، حيث اقتتلوا بطخفة، فهُزم جيش المنذر وبقيت الرادفة لبني يربوع، قال المتلمس:

ويوم أتى قابوسُ لم نعطه المُنى ... ولكنْ صدعْنا البيضَ حتّى تهزَّما[٩]

ومن غير المستبعد أنَّ الرديف بحكم جلوسه إلى جانب الملك أن يكون قد أثَّر في بعض القرارات الصادرة، وعلى هذا الأساس اعتبر مركز الرادفة من أعظم الوظائف الإدارية بعد الملك، ممّا أدّى إلى تشبيهه بالوزارة في العصر الإسلامي[١٠]، ورغم ما

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٧، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٩.
(٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٦، ص١٣.
(٣) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٨٤، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٢٧.
(٤) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٩.
(٥) Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya,** p.149.
(٦) شرف الدين، عمر، **الشعر في ظل المناذرة والغساسنة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٧م، ص١٢.
(٧) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٧، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٧٠. عتاب بن هرمي كان ردفًا لملوك الحيرة، ابن دريد، **الاشتقاق**، جـ١، ص٢٢١.
(٨) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٨٤، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٥١٢.
(٩) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٧٠، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٨٧ ـ ٨٨.
(١٠) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٧٦.
- Kister. M. J, **Ibid,** p.149.

لهذا المركز من أهمية في إدارة دفة الحكم غير أنَّ بعض الأشخاص مثل مالك بن نويرة اليربوعي، رفض الردافة لمَّا عرضت عليه[١]، فربّما خوفًا من غضب الملك، أو قتله حين تأخذه السكرة، ولم تسعفنا المصادر بممارسات وأعمال الرديف، فكان منصبًا تفاخريًا لقبيلة بني يربوع تُميِّز به نفسها عن بقية القبائل بسبب العصبية القبلية السائدة آنذاك.

٣ ـ الندماء

الندماء مفردها النَّدِيمُ، وهو الذي يجالس الملك عند كل شراب[٢]، فقد نادم جذيمة الأبرش مالك وعقيل، واتَّبعَ ملوك المناذرة نفس التقليد باتِّخاذهم ندماء لهم يلازمونهم في طعامهم وشرابهم[٣]، وأكثر الذين نادموهم كانوا من الشعراء، فالنابغة الجعدي نادم المنذر بن المنذر، فقال:

نداماي عندَ المنذرِ بن محرقٍ ... أرَى اليومَ منهُم ظاهرَ الأرضِ مقفرًا[٤]

ونادم الشاعر المنخل اليشكري النعمان بن المنذر[٥]، والشاعران طرفة بن العبد، والمتلمس الضبيعي نادما الملك عمرو بن هند[٦]، والنابغة الذبياني كان نديمًا للملك المنذر بن المنذر وابنه النعمان من بعده[٧]، ونادم الشاعران الأسود بن يعفر، وحسان بن ثابت النعمان بن المنذر[٨]. والواقع أنَّ هذا المركز من المراكز المهمة، فجذيمة الأبرش لم ينادم أحدًا قبْل مالك وعقيل ترفُّعًا وتكبُّرًا[٩]، ولم يقتصر هذا المنصب على الشعراء، فالربيع بن زياد العبسي[١٠] الذي نادم النعمان بن المنذر كان

---

(١) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٥٦.
(٢) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٧٣.
(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٠ ـ ٣٧١.
(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٣٥٨، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٧.
(٥) ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**، ص٨٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢١، ص٤.
(٦) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢١٨، ابن قتيبة الدينوري. **الشعر والشعراء**، م.س، ص٩٩ ـ ١٠٠ وص١٠٥.
(٧) ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**، ص١٧٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٣.
(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٩، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٢٢.
(٩) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٨٢، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٧٢.
(١٠) الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسي (ت٣٠ق.هـ/ ٥٩٠م)، أحد دهاة العرب =

أديبًا وحسنَ الحديث[1]، وكان عمر بن عمار الطائي خطيب قبيلة مذحج كلّها، فبلغ النعمان حسن حديثِهِ فحمله على منادمته[2]، حتى إنَّه كان للنعمان نديمًا من تجّار الشام[3]، واتَّخذ الملوك المناذرة أكثر من نديم في وقتٍ واحد فالمنذر بن امرئ القيس ابن ماء السماء كان له نديمان من بني أسد[4]، وبعضهم نادم أكثر من نديمين[5].

وتعرَّض الندماء للأذى من الملوك، فالنعمان كان قتّالًا للندماء[6]، فربَّما حصل هذا في لحظات السكر، أو استشارة غير موفقة للنديم، لأنَّ الملوك عملوا على استشارة الندماء والأخذ بآرائهم[7]، فدورهم لم يكن يقتصر على الأكل والشرب مع الملك؛ بل تخطّى ذلك إلى المشورة، ولا نرى في استعمال الندماء من قِبَل ملوك المناذرة إلّا تشبهًا بالملوك الفرس، لأنَّهم صاغوا مملكتهم على النمط الفارسي[8]، وهذا المنصب ليس أكثر من كونه مركزًا عمد الملوك إلى إسناده للشعراء، للتباهي بالأعمال التي يقوم بها الملوك وذكرها بأشعارهم.

٤ ـ الوزراء

الوَزِيرُ، هو الذي يحمل ثقل الملك ويعينه برأيه[9]، أي كان بمثابة المستشار لملوك الحيرة في كثير من الأمور، فقد كان قصير وزيرًا لجذيمة[10]، استشاره في أمر الزباء والذهاب إليها فعارضه في ذلك، ممّا يدلُّ أن الوزير كان يأخذ موقفًا سلبيًا من بعض آراء الملك، لكن موقفه غير ملزمٍ للملك، وكان قصير يرتبط بصلة

= وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية، يروى له شعر جيد، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٣، ص١٤.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣٦٣، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ٢، ص٥٣٤.
(٢) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص٤٣٩.
(٣) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٠٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٤٦٣.
(٤) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٤٢٦.
(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢١، ص٤، وجـ١١، ص٥٣.
(٦) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص٤٣٩.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٥٣.
(٨) شرف الدين، عمر، **الشعر في ظل المناذرة**، م.س، ص١٢ ـ ١٣.
(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٢٨٣.
(١٠) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٤٢٤.

قرابة مع جذيمة ممّا أهَّله لأن يشغل هذا المنصب المرموق الذي تمتع فيه بدرجة من الاستقلال[1].

واستمر ملوك الحيرة في استعمال الوزير[2]، ولا مانع من أن يستوزر الملك العديد من الأشخاص[3]، وبعض الوزراء عملوا كمستشارين وندماء لملوك الحيرة في نفس الوقت[4]. ولا نرى في نظام الوزير إلّا تقليدًا لنظام الحكم السياسي عند الفرس، فقد استعملوا الوزراء من الحكماء لاستشارتهم[5]، ولكن يجب أن لا يتبادر إلى أذهاننا أنَّ ملوك المناذرة قاموا بتنظيم عمل الوزير على النحو الذي عرفه الفرس أو البيزنطيون الذين كان لديهم مجلس شيوخ وهيئة كبرى[6]، يستشيرهم الملك في أمور البلاد، بل كان نظامًا بدائيًا لا يخرج عن الاستشارة وكثيرًا ما يخالف الملك رأي وزيره، ومن المرجّح أنَّ هذا المنصب أُعطي لرؤساء القبائل لمشاورتهم في بعض الأمور[7]، وذلك إرضاءً لهم لعدم خروجهم عن طاعة ملوك المناذرة.

٥ ـ الحجابة

الحِجَابَةُ، حجبه، أي: منعه من الدخول، وعامله هو: الحاجب، أي: البواب[8]، الذي يتولى إدخال الناس والإذن لهم بالدخول على الملك، ومن أشهر الحُجّاب، عصام الباهلي بن شهبر بن الحارث الجرمي من قضاعة، حاجب النعمان بن المنذر، الذي وصل إلى منزلة رفيعة عنده حتى استطاع حجب الشاعر النابغة الذبياني عن الدخول إلى الملك بسبب مرض ألمَّ به[9]، بالإضافة إلى أنَّه استلم مهامًا عسكرية، فإذا أراد النعمان أن يبعث بألف فارس بعث بعصام[10]، ومنع عصام النابغة الذبياني ذات مرة من الدخول إلى مجلس الملك النعمان، لأنَّ

(١) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٣.
(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٥، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣، الحميري، محمد ابن عبد المنعم (ت حوالي ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق حسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٢٦.
(٣) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٠٨.
(٤) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ٢، ص٥٣٤.
(٥) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٦ وص٣٤٦.
(٦) Procopius, **The Secret History**, p.96.
(٧) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٩.
(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٢٩٨، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١، ص٤٠٤.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٨٦، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣٢٤.
(١٠) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٥٤٤.

الأخير كان على شرابه[١]، فربَّما الذي دعا عصامًا إلى القيام بهذه الخطوة هو عدم حصوله على جزء من المال الذي يتقاضاه النابغة من الملك.

وسُمّي بالحاجب لأنَّه كان المسؤول عن الحجاب (الستار) الذي يفصل الملك عن زواره[٢]، وما تقليد استعمال الحجابة عند المناذرة إلّا عادة فارسية استعان بها ملوك المناذرة تشبهًا بملوك الفرس[٣]، ووردت نفس المهنة في بلاط الروم حيث كان الموظفون العاملون كقنوات اتصال بين الامبراطور وعامة الشعب، وأطلق عليه اسم ريفيرينداري Referendarii[٤]، ومن غير المستبعد أن يكونوا قد تأثَّروا برسوم أباطرة الروم فاستعملوا الحاجب تشبهًا بهم أيضًا.

والواضح أنَّ الملك النعمان بن امرئ القيس اتَّخذ أكثر من حاجب[٥]، وبسبب قرب الحاجب من الملك استطاع الاطّلاع على جميع أسرار الملك، فعلى سبيل المثال، أنذر عصام النابغة الذبياني بالهروب لسبب معرفته المسبقة بنيَّة النعمان بن المنذر التخلص منه[٦]، ولا يتردّد الحاجب في ترك الشخص على باب الملك لمدة شهر أو شهرين ليأذن له بمقابلته[٧]، وبسبب استبداد هؤلاء الحجاب بمركزهم أصبح العامة لا يعرفون شكل الملك وملامحه[٨]. ومن المهام الأخرى التي مارسها الحاجب تجريد الداخلين على الملك من سلاحهم وإيداع الأمانات عنده[٩]، وانتساب الأشخاص، وشرح ما يريدون عرضه على الملك[١٠]، فسبَّب ذلك ابتعاد العامَّة عن الملك. وشغل الفرس أحيانًا منصب الحجابة[١١]، فمن المرجَّح أنَّ استعمال الحُجّاب الفرس لعدم ائتمان ملوك المناذرة للعرب، أو توجُّهًا فارسيًا لحماية الملك ومراقبة أعماله.

(١) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٥٤٤، المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص١٨٧.
(٢) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ٢، ص٦٣٦.
(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٢٦٩.
(٤) Procopius, **The Secret History**, p.112.
(٥) الواقدي، **فتوح الشام**، م.س، جـ٢، ص١٨٦، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣.
(٦) أبو زيد القرشي، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٨٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٢.
(٧) أبو زيد القرشي، **المصدر نفسه**، ص٨٢.
(٨) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٠٦.
(٩) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢٣٨، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٢٠.
(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٨٢.
(١١) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٢١.

٦ ـ الأمين

الأمين، المؤتمن وهو الذي يثق به[١]، فقد كان هانئ بن قبيصة أمينًا للنعمان بن المنذر[٢]، حافظًا لأسراره، ومن غير المستبعد أن يكون مستشاره في بعض الأمور، ولكنه يختلف عن الندماء والوزراء باطلاعه على أسرار الملك وحفظهم، ومنصب أمين السر كان موجودًا في بيزنطة، فمن غير المستبعد تقليد المناذرة لهم في اتِّخاذ أمين السر[٣].

٧ ـ النقيب

النُّقباء، جمع نقيب، وهو كالعريف على القوم المقدَّم عليهم، فهو يتعرَّف أخبارهم وينقِّب عن أحوالهم، أي: يفتِّش[٤]، وهم من العِرْقِ الصميم[٥] الصريح[٦]، وعندما فتح خالد بن الوليد الحيرة صالح نقباءها[٧]، فربما كان مركزًا لأقرباء الملك.

٨ ـ عمال الأقاليم

العامل، هو الخليفة عن الشخص، وهو الذي يتولّى أمور الرجل في ملكه وماله وعمله[٨]، وانطلاقًا من هذا التعريف فقد اتسعت مملكة المناذرة جغرافيًا، فاضطر ملوكها للاستعانة بالعمّال، أي: نواب عنهم لإدارة الأقاليم، وكانت كلمة ملوك المناذرة نافذة عند عمالهم، فعامل البحرين قتل الشاعر طرفة بن العبد بأمر من الملك[٩]، وكان لدى الملك عمّالًا بنواحي ريف العراق أيضًا[١٠]، وتطوَّر هذا المنصب حتى أصبح للملك عمال من العراق إلى البحرين[١١]، وكانوا على اتصال وثيق بالملك، ولم نقرأ أي محاولة لتمرُّد عمّال الأقاليم على الملك في تاريخ

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٢١.
(٢) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٥٨.
(٣) Procopius, **The Secret History**, p.110.
(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٧٦٩.
(٥) الصَميم: صميم قومه إذا كان من خالصهم، **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص٣٤٧.
(٦) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٤٠.
(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٧.
(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٤٧٤.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٩٨، ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢١٩.
(١٠) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص١٠١.
(١١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٦٩.

المناذرة؛ فنالوا من السطوة العظيمة والنفوذ ما لم ينله من ملوك العرب قبلهم أحد[١].

إذًا كانت «الدولة مؤسّسة اجتماعية متماسكة، وهي الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع والناظم لحياته الجَماعية، حيث نقلوا إرادة الدولة شرعًا فوق إرادة الأفراد والجماعات في المجتمع، من خلال امتلاك سلطة إصدار القوانين ـ سلطة التشريع ـ واحتكار وسائل الإكراه ـ السلطة التنفيذية، وحق استخدامها في سبيل تطبيق القوانين بهدف ضبط حركة المجتمع وتأمين السلم والنظام وتحقيق التقدم في الداخل والأمن من العدوان في الخارج، وإلى جانب الاستخدام العام بمعنى الجسم السياسي للمجتمع»[٢]، فهل يمكن تطبيق هذا التعريف على نظام الحكم في مملكة المناذرة؟

---

(١) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١٩.

(٢) عكاشة، محمود أبو المعاطي، **الحكم القبلي**، م.س، ص٧.

ثالثًا ـ العلاقات السياسية بين المناذرة والفرس والبيزنطيين

نشأت مملكة المناذرة بتشجيع من الفرس، وترعرعت في أكنافهم، وقد شكَّل قيامها نقطة تحوّل تاريخية لدى العرب الذين انتقلوا معها من مرحلة الإحساس بالخطر إلى مرحلة الإحساس بفائض القوّة، ولدى ملوك المناذرة أنفسهم الذين انتقلوا من طور الوريث البيولوجي لمملكة التنوخيين الآتين بزخم «منطق الجينات»، إلى طور الملوك الصانعين لتجربة الحكم، وبهذا المعنى لا أحد يستغرب العلاقة المتينة بين المناذرة والفرس، المبنية على أساس المصالح المشتركة والمتبادلة، فملوك المناذرة أدُّوا الطاعة للفرس[١]، وخضعوا لهم خضوعًا اسميًا باستثناء بعض الفترات التاريخية، وبالمقابل كان الفرس يعفونهم من الإتاوات كفاء حمايتهم للحدود ممَّن يُغِيْر عليها[٢]، وتأمينهم سلامة القوافل التجارية. «وفيما بعد أصبح المناذرة يشغلون وضعًا فريدًا على حدود الامبراطورية الفارسية، ذلك أنَّ دورهم كدولة عازلة بين الفرس والبيزنطيين قد تحدَّد بعد مشاركتهم في الحروب الدائرة بين هاتين الامبراطوريتين»[٣]. واستطاعوا إثبات وجودهم، وبالتالي نالوا احترامهم عند الفرس، حتى كسبوا بالخدمات العسكرية والأمنية التي قدموها للفرس ثقة ملوكهم، فكانوا في معادلة الفرس السياسية سدًا منيعًا بوجه البيزنطيين[٤].

وبالمقابل كان المناذرة بحاجة إلى الفرس أيضًا، فقد اتَّصفت مملكتهم بخصوبة تربتها ووفرة مياهها، وطيب مناخها، فكانوا بحاجة إلى راعٍ إقليمي قوي للمحافظة على هذه الخيرات، ومساعدتهم في مدِّ يد العون إليهم لاحتواء القبائل العربية، وإخضاعها لنفوذهم، وسوف نرى كيف وضع الفرس كتيبة من الجنود

---

(١) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨١.

(٢) الحوافي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر**، م.س، ص١١٠، محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص١١٧.

(٣) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٣٩.

(٤) Halm. H, **The Arabs a Short History**, p.14.

الفرس تحت إمرة ملوك المناذرة لحمايتهم وتقوية شوكتهم بوجه الأعداء، حتى أُطلق عليهم اسم «محمية الفرس»[1]. والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان لماذا اختار المناذرة التحالف مع الفرس، ولم يتعاونوا مع البيزنطيين؟ أو لماذا لم يمارسوا سياسة مستقلة تضطلع هي بمسؤوليتها؟

اتَّحد التاريخ والجغرافية للإجابة عن هذا السؤال السياسي، فالمناذرة ورثوا علاقتهم السياسية بالفرس عن أخوالهم التنوخيين. وأملاك المناذرة الرئيسة التي كانت تحيط بالعاصمة إنَّما هي امتداد طبيعي لمناطق الفرس الغربية، بحيث شكَّلت معها ما يشبه أن يكوّن وحدة جغرافية، ولهذا فإنَّ أية محاولة للفكاك من الفرس كان معناها تعرُّض هذه الأملاك للخطر[2]، والمناذرة لا يستطيعون أن يمارسوا سياسة مستقلة لأنَّهم سوف يصبحون لقمة سائغة في فم الممالك العربية المستقوية بالبيزنطيين أو بالفرس.

ولم يكن امرؤ القيس بن عمرو «موكّلًا لا للفرس ولا للبيزنطيين، وإنَّ سيادته ووصوله إلى سورية يمكن فهمها بالمملكة المستقلة»[3]، وتعليقًا على هذه الجملة لا نعتقد أن امرأ القيس استطاع مدَّ نفوذه إلى سورية إلّا بتوفُّر عاملين اثنين:

الأوَّل: مساعدة الفرس له ليكون عائقًا أمام تغلغل النفوذ البيزنطي داخل بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، ولفظة تاج في نقش النمارة أكبر برهان على خضوعه للفرس، لأنَّ التاج كلمة فارسية، ممّا يعني أنَّه تقلَّد الحكم على يد ملوك الفرس، ومن هنا كان تأسيس الحيرة من قِبَل الفرس تحدٍ ضد المصالح البيزنطية[4].

ثانيًا: الأحوال السياسية المتصدِّعة والمضطربة في بلاد الروم، فاستغل امرؤ القيس هذه الأحوال ومدَّ نفوذه إلى أراضيها بحيث لم تكن الامبراطورية البيزنطية في وضع يسمح لها بالتصدي للمناذرة بسبب الفتن والحروب الداخلية التي تشهدها[5].

وعلى أساس هذين العاملين بدأ امرؤ القيس يمنّي نفسه بقيام دولة عربية كبيرة ومستقلة عن النفوذ الساساني، والملاحظ أنَّه أحسن استخدامه للأجواء السياسية في

(١) ماسينيون: لويس، **خطط الكوفة** وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، تحقيق سلمان الجبوري، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٨.

(٢) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١١٨.

(٣) Graf. D. F, **The Saracens and the Defence**, p.16.

(٤) Shahid, Irfan, **Byzantium and the Arabs in the fourth Century**, Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University Washington, 1984, p.488.

(٥) رستم، أسد، **الروم**، م.س، جـ١، ص٥٢ ـ ٥٣.

ذلك الوقت، فحاز على دعم الفرس، ونال اعتراف البيزنطيين؛ لذلك نلاحظ جملة في نقش نمارة فحواها: أوكل للفرس والروم.

وذُكِر أنَّ «أمرأ القيس هرب من الفرس، وأصبح ضدهم في الحروب، ونصَّبه الروم ملكًا لحماية الحجاز وشبه الجزيرة العربية»[1]، ولا نرجِّح أنَّ امرأ القيس اختلف مع الفرس، ووصل إلى سورية لصالح الروم ضدِّ الفرس، وخير دليل على ذلك نقش نمارة الذي يذكُر بأنَّه أوكل للفرس والروم، فالكتابة سبَّقت الفرس على الروم، فكيف يكون ضد الفرس؟

ونجد في قاموس السياسة أنَّ العلاقات السياسية تُبنى على المصالح، ولا تضع في حسابها المنطق الإنساني أو الحسَّ الأخلاقي، مع أنَّه في رأينا هذا ما يجب أن تقوم عليه الدول في الأساس. فقد تعرَّضت العلاقة بين المناذرة والفرس في بعض الفترات الزمنية لفقدان الثقة، فالتوسع الجغرافي، والقوَّة العسكرية التي تمتَّع بها المناذرة، كانت سيفًا ذا حدَّين، فبعد وفاة عمرو بن امرئ القيس استخلف الفرس على بلاد المناذرة أوس بن قلام طمعًا في ثروته[2]، ورغبة منهم في تحجيم دور المناذرة السياسي. وبالمقابل استطاع المناذرة أن يقوموا بدور تخطى حدود التبعية للامبراطورية الفارسية فسجَّل لهم التاريخ التدخل المباشر في شؤون العرش الفارسي ذاته. وتدور أحداث القصة حول بهرام جور بن يزدجرد، ذلك أن أباه سأل المنجِّمين عن مستقبل ولده فأخبره بأنه يُرَبَّى خارج بلاد الفرس، فدفعه إلى المنذر بن النعمان، الذي سار به إلى الحيرة، واختار لرضاعته ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة وأذهان ذكية من بنات الأشراف، فتداولن رضاعته ثلاث سنين، وأحضروا له مؤدِّبين ذوي علم ومدرِّبين للتعليم ليعلِّموه الكتابة والرمي والفِقه من جميع البلاد، وتعلَّم الفروسية والصيد، مات يزدجرد وبهرام غائب، فتعاقد ناس من عظماء الفرس وأهل البيوت ألّا يملّكوا بهرام لأنَّه لم يتأدب بأدب العجم، وإنَّما تأدب بأدب العرب[3].

ولقاء هذه الخدمة القيِّمة، ارتفع شأن المنذر عند يزدجرد وحباه مرتبتين سنيَّتين[4]، ولم تنتهِ مهمة المنذر بانتهاء مدة حضانة بهرام، فالفرس اجتمعوا على

(١) Shahid. I, **Ibid**, p.63.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨.

(٣) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٤٤، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٤١ ـ ١٤٢.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦.

تعيين رجل من أهل بيت الحكم غير بهرام، فتوجَّه هذا الأخير إلى المنذر وطلب منه العون العسكري لاستعادة عرش أبيه، فجهَّز المنذر عشرة آلاف رجل من فرسان العرب ووجَّههم مع ابنه النعمان لمساعدة بهرام، وأمره أن يعسكر قريبًا من العاصمة الفارسية ويرسل الطلائع، فإن تحرَّك أحد لقتاله قاتله، ونهاه عن سفك الدماء، وعندما وصل النعمان إلى بلاد فارس استعظم قتال الفرس، فأوفد عظماء الفرس جواني صاحب رسائل يزدجرد إلى المنذر، وكتبوا إليه يعلمونه أمر النعمان، فلما ورد جواني على المنذر وقرأ الكتاب الذي كُتب إليه، قال له: الْقَ الملك بهرام، ووجَّه معه من يوصله إليه، فدخل جواني على بهرام وكلَّمه، ووعده من نفسه أحسن الوعد، وردَّه إلى المنذر، وأرسل إليه أن يجيب في الذي كتب، فقال المنذر لجواني: قد تدبَّرت الكتاب الذي أتيتني به. وإنَّما وجَّه النعمان إلى ناحيتكم الملك بهرام حيث ملَّكه الله بعد أبيه، فلمّا سمع جواني مقالة المنذر، قال للمنذر: سرْ إلى محلَّة الملوك فيجتمع إليك من بها من العظماء وأهل البيوت وتشاوروا في ذلك، فإنَّهم لن يخالفوك في شيء ممّا تشير به، فردَّ المنذر جواني إلى من أرسله إليه، واستعدَّ وسار بعد مضي جواني من عنده بيوم ببهرام في ثلاثين ألف رجل من فرسان العرب إلى مدينة الملك، وجلس بهرام على منبر من ذهب، وجلس المنذر عن يمينه، وشرح عظماء الفرس للمنذر فظاظة يزدجرد، وسألوا المنذر ألّا يجبروهم في أمر الملك على ما يكرهونه، ومن ثمَّ وضع بهرام التاج على رأسه[١]، فأصبح للمنذر فضلين على بهرام، الأوَّل تربيته، والثاني مساعدته في استعادة ملك أبيه، وقدَّر بهرام ذلك حق تقدير، ففوَّض إليه ملك جميع أرض العرب[٢]. هذه القصة صحيحة ولكن يوجد فيها التباس في اسم ملك المناذرة، فالذي ربّى بهرام جور هو النعمان بن امرئ القيس[٣] وليس المنذر بن النعمان، ونرجِّح ذلك لأنَّه بَنى له قصر الخورنق.

استمرت العلاقة وثيقة بين المناذرة والفرس، حيث شارك جيش المناذرة إلى جانب الفرس في كثير من معاركهم ضد البيزنطيين، ففي فترة ملك يزدجرد ساد السلام مع البيزنطيين[٤]؛ لذلك لم يقم النعمان بن امرئ القيس بغزوِ الأراضي

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٧ - ٤٠٩، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٧٩ - ٨١.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، بن داود (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، **الأخبار الطوال**، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٤٧.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، **والمنمق**، م.س، ص٢٧٨، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤.

(٤) Theophanes, **The Chronicle**, p.124.

البيزنطية[١]، وذُكِر أنّ «المنذر أخذ طرفًا في الحرب الفارسية - البيزنطية لعام ٤٢١ - ٤٢٢م»[٢]، ولكن لم يكن المنذر قد وصل إلى الحكم بعد، بل كان النعمان بن امرئ القيس هو ملك الحيرة الذي اشترك في معارك الفرس ضد البيزنطيين[٣]. وتمحورت أسباب الحرب حول طلب قباذ المال من انسطاسيوس، لكن الأخير رفض دفع المال إليه، فأعلن قباذ الحرب مستعينًا بالنعمان بن الأسود[٤]، ولعلَّ الدافع الاقتصادي كان العامل الأوَّل لاشتراك النعمان في هذه الحرب طمعًا بالنهب والسبي من الأراضي البيزنطية التي كانت غنية على ما يبدو، إلى جانب العامل السياسي حيث ارتبط المناذرة بحلف سياسي مع الفرس، جعل القوَّة العسكرية للمناذرة بخدمة الجيش الفارسي.

ورُوِيَ أنَّ المناذرة التابعين للفرس تقهقروا أمام البيزنطيين في سورية عام ٤٩٨م، وكانوا قبيلة الفيلارخ النعمان[٥]، ولكن هذه الغزوة تسبق وصول النعمان بن الأسود إلى الحكم، وحدثت في فترة ملك المنذر بن المنذر، والمقصود لم يكن اسم الملك النعمان[٦] بل ربما قبيلة النعمان.

تقدم الفرس باتّجاه بيزنطة في شهر تشرين من سنة ٥٠٢م، وأرسلوا النعمان بن الأسود مع جميع قوّاته باتِّجاه الجنوب نحو حران[٧]، وتقدَّم الفرس بمكان ليس بعيدًا عن القسطنطينية، وأخذ المناذرة بالسلب والنهب، وتعرَّض البيزنطيون لخسائر بشريَّة وعسكرية واقتصادية فادحة[٨]، بسبب القوَّة العسكرية للفرس والمناذرة، والزلزال الذي ضرب بلادهم ودمَّر جميع مدنهم، ما أدَّى إلى ظهور المجاعة والأوبئة في نفوس البيزنطيين[٩]. وكادت أن تسقط القسطنطينية بيد الفرس، ولو سقطت لكان تغيَّر وجه العالم السياسي، ووصلت مملكة المناذرة من الاتّساع الجغرافي إلى الحدود التي يشغلها العالم العربي حاليًا.

(١) Sykes. S.P, **History of Persia, I**, p.429.

(٢) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٨٩.

(٣) Theophanes, **The Chronicle**, p.134.

(٤) رستم، أسد، **الروم**، م.س، ص١٣٦.

(٥) Theophanes, **Ibid**, p.216 - 217.

(٦) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٩٣.

(٧) حرّان: مدينة عظيمة كان عاصمة ديار مضر، بينها وبين الرها وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٢٣٥.

(٨) Joshua The Stylite, **The Chronicle of Joshua**, p.39 - 41.

(٩) Joshua The Stylite, **Ibid**, p.38, Theophanes, **Ibid**, p.223.

وفي الواقعة الحاسمة قرب قرقيسيا أصيب الملك النعمان بن الأسود بجروح في رأسه، فدفعه اندفاعه للدفاع عن مصالح الفرس السياسية ضد البيزنطيين إلى التضحية بنفسه، حيث فارق الحياة بعد ثلاثة أيام من إصابته[١]. وهنا تظهر متانة العلاقات بين المناذرة والفرس، فمنذ أن مَلَك النعمان شهِدَت الجبهة الفارسية البيزنطية اندلاع الحرب بين الملكين انسطاسيوس وقباذ، فما كان من الأخير غير أن أوعز إلى النعمان بالهجوم على سورية، حتى إنَّه يمكن القول: «إنَّ النعمان قضى مدة حكمه القصيرة، وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سورية والجزيرة وأبلى بلاءً حسنًا»[٢].

وبالانتقال إلى عهد المنذر ابن ماء السماء فقد تابع جوستين Justin[٣] (٥١٨ - ٥٢٧م) سياسة سلفه العدائية تجاه الفرس[٤]، فانعكس ذلك «ربيعًا سياسيًا» على دور المناذرة، وتجلّى ذلك في نجاح المنذر في لعب دور إقليمي مميَّز كسب الاعتراف الدولي آنذاك به. فالسياسة البيزنطية لم تلوِّح بغصن الزيتون بوجه الفرس، ولا يمكن التعامل به مع الواقع، ولصنع موازين القوى، فقام جوستين بالقبض على الجمر كأهوَن الشرور، وأُرسِل إلى المنذر ابن ماء السماء في عام ٥٢٤م أبراهام Abraham ومعه سيمون Symeon لإطلاق سراح القائدين البيزنطيين اللذين أسرهما المنذر في إحدى غاراته على بلاد بيزنطة، وهما تيموستراتوس Timostratus، وجون ابن لوكس John Lucas، ولعقد معاهدة صلح وسلام معه[٥]، وعلى ما يبدو أنّ القيصر حقّق مبتغاه في عقد هدنة أو معاهدة مع المنذر[٦] رأب الصدع فيها بينهما، وحُدِّد تاريخ هذا الوفد البيزنطي إلى المنذر بـ ٥٤٢م[٧]، فربَّما ذلك خطأ مطبعي، حيث وضع رقم ٤ مكان ٢، و٢ مكان ٤، فاقتضى التوضيح.

وبالعودة إلى البيزنطيين وسياستهم الجديدة تجاه المناذرة، فالمعلَن منها يختلف على الأرجح عمّا يُضمَر من حسابات ونوايا، فالدوافع الأساسية تجاه الانفتاح البيزنطي على المناذرة هو قوة المنذر العسكرية، وغاراته المباغتة على الأراضي

(١) Joshua The Stylite, **Ibid**, p.47.

(٢) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٣٢.

(٣) جوستين Justin، رجل ذو تجارب، بدأ كجندي في الجيش البيزنطي، وترقى حتى وصل إلى عضو في مجلس الشيوخ حكم بيزنطة بين ٥١٨ - ٥٢٧م.

- Theophanes, **The Chronicle**, p.249.

(٤) Sykes. S.P, **History of Persia**, I, p.444.

(٥) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.192 - 193, Theophanes, **Ibid**, p.258.

(٦) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٢٠.

(٧) Musil. A, **Palmyrena**, p.267.

البيزنطية، فقد «كان قادرًا على القيام بغارة بكامل جيشه في أي منطقة يريدها تقع تحت السيطرة البيزنطية»[١]، إلى جانب رغبة جوستين في إضعاف الفرس من خلال استمالة المناذرة إليهم، لكنَّ إرسال الوفد البيزنطي إلى المنذر أعاد تكريس حقيقة ثابتة فحواها «إنَّ المناذرة والبيزنطيين لم يفهموا بعضهم، وعلاقاتهم كانت مشوَّشة بشكل دائم بعدم الثقة وسوء الفهم، والفرس كانوا أكثر نجاحًا»[٢]، ورغم ذلك استمرّت محاولات البيزنطيين في استمالة المناذرة إليهم، فدفعوا الأموال للفرس التي كانت تصل إلى ٥٠٠ رطل[٣] من الذهب، ورغم ذلك فقد اعتاد الفرس من وقت إلى الآخر إرسال المناذرة لسلب ونهب بلاد البيزنطيين، وبعد فشل المفاوضات بين الفرس والبيزنطيين لزيادة كميَّة الذهب، توسَّع المنذر بهجومه على الأراضي البيزنطية[٤]، ونرجِّح أنَّ هذا التوسع كان بضوء أخضر من الفرس الذين أرادوا الضغط على البيزنطيين بهجمات المنذر، لابتزازهم وحصوله على مقدار أكبر من الذهب، ونعتقد أنَّ المناذرة حصلوا على حصَّة من هذا الذهب مقابل غزواتهم.

وبناءً على ما ذُكِر توجَّه المنذر إلى قباذ مَلِك الفرس الذي ضَعُف أمام البيزنطيين، وأُرجع سبب فشله في حربه ضدَّهم إلى الحظِّ، فقال له المنذر: «ليس كل شيء أيها الملك يجب أن نرجعه إلى الحظِّ، ولا يجب أن يربح المقاتل جميع المعارك التي يخوضها لأن هذا غير محبوب، بالإضافة إلى أنَّه لا يتطابق مع مسيرة الأحداث الإنسانية، ولكن فكرة الحظِّ هي للتعساء الذين يتَّكلون عليها، والرجال الذين يتوقَّعون أنَّ كل الأشياء الجيدة سوف يحصلون عليها يسقطون أمام أول تجربة، وإذا حصل ذلك فهم ينهارون ويأخذهم الأمل إلى التعاسة، وبناءً على ذلك، الرجال الذين لا يثقون بالحظِّ، هم لا يدخلون في خطر خسارة الحروب، حتى إنَّهم يفتخرون بأنَّهم كبحوا أو أوقفوا العدو في كل الأشكال، وبالمكر والمكائد المتعدِّدة هم أنفسهم يخدعون أخصامهم... ومن ثمَّ وضع المنذر الخطة الحربية للهجوم عبر الفرات على إنطاكية، وتمَّ تنفيذ الخطة بنجاح تام»[٥].

فأثبت المنذر بزيارته البلاط الفارسي ووضعه خطة المعارك والمشاركة المباشرة

(١) Procopius, **Wars**, I, p.159.

(٢) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.184.

(٣) الرَّطل: الذي يوزن به ويكال، وهو اثنتا عشرة أوقية، والأوقية أربعين درهمًا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٢٨٥ - ٢٨٦.

(٤) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.206.

(٥) Procopius, **Wars**, I, p.153 - 157.

في الحرب أنَّه ندٌّ للفرس وحليف قوي يمكن الاعتماد على أفكاره العسكرية وجيوشه المقاتلة.

توقَّف قطار العلاقات السياسية المتينة بين الفرس والمناذرة بإيعاز من صافرة قباذ الذي ضَعُف مُلكُه بسبب المصاعب الداخلية التي كان يعانيها من جراء المذهب الذي دان به، وهو مذهب يناقض ما كان عليه الناس، فوثبت قبيلة ربيعة على المنذر ابن ماء السماء وأخرجوه من ملكه، وأسندوا الحكم إلى الحارث بن عمرو[1]، ومن المرجَّح أنَّ البيزنطيين ساندوا الأخير أيضًا ضد المنذر ابن ماء السماء، لأنَّ الحارث كان حليفًا لهم، ولإضعاف المناذرة، وبالتالي إضعاف الفرس الذين اعتمدوا على المنذر في كثير من معاركهم ضدهم، فنجحت سياسة، فرِّق تَسُدْ البيزنطية.

ونرجِّح أنَّ هذه الأحداث وقعت في عام ٥١٨م، فضَعْف ملك الفرس انعكس سلبًا على المناذرة، لأنَّ قوَّتهم كانت من جهة الفرس[2].

وعندما اعتلى العرش الفارسي كسرى أنوشروان وفد عليه المنذر ابن ماء السماء الذي كان طريدًا ضائع الملك، فأعاده إلى ملك المناذرة[3]، فاحتفظ له بهذا الجميل، فأنوشروان كان ذو نظرة سياسية بعيدة المدى، وكان على يقين بأنَّ أعداءه هم البيزنطيون والقبائل العربية معهم، وليس المناذرة الذين في تاريخ علاقتهم مع الفرس كانوا دائمًا يخدمونهم كمساعدين أساسيين في حروبهم ضد البيزنطيين[4]، وما إن مكَّن أنوشروان ركائز حكمه حتى أعاد تحالفه السابق مع المناذرة، ومعنى ذلك أنَّه لم يعد بحاجة إلى الصلح مع البيزنطيين، خاصةً أن أنوشروان ارتعدت فرائصه من تلذُّذ جوستنيان[5] بالنصر الذي أحرزه في إيطاليا «وأشارت كل الدلائل بأنَّ الامبراطورية الفارسية ذاتها أصبحت معرَّضة للخطر، إذا ما ظل الفرس يرقبون ما يجري على الساحة دون حِراك»[6]؛ لذلك اخترع ذريعة من أجل إلغاء معاهدة

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٢، ص٢٠٩.

(٢) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٧٩.

(٤) Lewis. Bernard, **The Arabs in History,** Oxford University press, Fifth Edition, 1993, p.28.

(٥) جوستينان Justinian ملك الروم لـ ٣٨ سنة ابتدء حكمه عام ٥٢٧م، وهو ابن أخ جوستين.

- Theophanes, **The Chronicle,** p.265.

(٦) الشاعر، محمد فتحي، **السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي، عصر جوستنيان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٩م، ص١٩٥.

السلام بينهما، فتباحث أنوشروان مع المنذر من أجل خلق ظروف وأسباب للحرب، وبالفعل قام المنذر باتّهام البيزنطيين بالتعدِّي على حدود مملكته في أيام السلم، وبدأ بمهاجمته الأراضي البيزنطية تحت هذه الذريعة. وادَّعى الفرس بأنَّ العرب ليس لهم ذكر في تلك المعاهدة مع البيزنطيين، حتّى إنَّ الفرس ادَّعوا أنَّ البيزنطيين هم من كسر مواد المعاهدة[1]، فلمّا ساءت العلاقة بين البيزنطيين والفرس ووقعت الحرب في سنة (٥٢٨م) بين الجانبين، هاجم المنذر البيزنطيين مؤيّدًا للفرس، وكان له أثر خطير في هذه الحرب[2].

وتعقيبًا على ما ذكر فقد وردت رواية شبيهةٌ بالرواية السابقة فحواها: «وكان فيما ذُكِر بين كسرى أنوشروان وبين يخطيانوس - جوستنيان - ملك الروم موادعة وهدنة، فوقع بين رجل من العرب كان ملَّكه يخطيانوس على عرب الشام يقال له: خالد - الحارث - بن جبلة[3]، وبين رجل من لخم كان ملَّكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة، إلى الطائف، وسائر الحجاز، ومن فيها من العرب، يقال له: المنذر بن النعمان نائرة، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أموالًا من أمواله، فشكا ذلك المنذر إلى كسرى وسأله الكتاب إلى مَلِك الروم في إنصافه من خالد، فكتب كسرى إلى يخطيانوس يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ويعلمه ما لقِيَ المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي مَلَّكه على من في بلاده من العرب، ويسأله أن يأمر خالدًا أن يردَّ على المنذر ما غنم من حيِّزه وبلاده ويدفع إليه ديَّة من قتل من عربها، وينصف المنذر من حالٍ، وأن لا يستخفَّ بما كتب به من ذلك فيكون انتقاص ما بينهما من العهد والهدنة بسببه، وواتر الكتب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر فلم يحفَل به»[4]، وتعليقًا على النص فالمراد هنا بالمنذر هو المنذر بن امرئ القيس، وليس ابن النعمان، ولعلَّ ذلك ذُكر سهوًا، فهذا النص كتب لتبرير أعمال الفرس العسكرية ضد البيزنطيين، وكسر المعاهدة المعقودة بينهم، فعندما أغار المناذرة على الغساسنة

(١) انظر الملحق رقم (٣)، و - Procopius, **Wars,** II, p.261 - 263.

(٢) علي جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٢٠.

(٣) الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن مزيقياء، وأمّه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، لذلك قيل له الحارث بن مارية، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٢.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٤٩ ـ ٤٥٠، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص١٣٤ ـ ١٣٥. ورد النص بنفس المعنى مع اختلاف بسيط بالشكل، أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٥٦.

أحسَّ البيزنطيون بفداحة الأمر، فسارع رسول البيزنطيين إلى كسرى لاسترضائه، فما كان من الأخير غير أن طلب منه أن يدفعوا مبلغًا سنويًا من الذهب للمناذرة مقابل السلام[1].

وفي سنة ٥٣١م بدأت التحضيرات للقيام بحملة عسكرية بالتعاون بين الفرس والمناذرة ضد البيزنطيين بعد فشل المفاوضات، ورغم تقدُّمها باتّجاه الأراضي البيزنطية غير أنَّها فشلت[2]، «لأنَّ جوستنيان انتهج أسلوبًا دبلوماسيًا تِجاه الشعوب المجاورة، استطاع من خلاله حماية القسم الشرقي من الامبراطورية من السقوط في أيدي تلك الشعوب، بل والعمل على تطويع معظمها بالقدر الذي يخدم مصالح الامبراطورية»[3]، ممّا ساعده على الصمود في وجه جحافل جيش الفرس.

وهنا تظهر العلاقة السياسية بين المناذرة والفرس، ففترة استقلال المناذرة الأطول تحت حكم المنذر[4]، جعلت منه ندًّا للفرس، يفرض نفسه على الساحة السياسية الإقليمية من خلال قوته العسكرية، ممّا جعلَ جوستنيان يسعى دائمًا للأخذ بزمام المبادرة تجاه المنذر، فعرض عليه صداقة وحلفًا، إلى جانب الأموال الطائلة التي كانت «الوسيلة الأولى والمباشرة في التأثير على الشعوب»[5]، حتى إنَّ كسرى أنوشروان كشف عن مكاتبات الامبراطور لملِك المناذرة، ومِن عُروضه حيث كان رسول البيزنطيين سموس summus الذي سافر لتسوية المسألة مع المناذرة[6]، فدفعت كسرى هذه الحادثة إلى نسف معاهدة السلام الدائم سنة ٥٣٢م، ففشل البيزنطيون في استمالة المنذر لأنَّه ظلَّ «مخلصًا للفرس طوال حياته»[7].

انتقل جوُّ التهدئة السياسية في نهاية عصر المنذر إلى مُلك عمرو بن هند، فعندما عقد الصلح بين جوستنيان وأنوشروان عام ٥٦٢م، نصَّت المعاهدة على فترة سلم لسبعة عشرة سنة[8]، وقد تضمَّنت المعاهدة دفع أموال من البيزنطيين للفرس، وطلب أنوشروان بدفع مبالغ سنوية من الذهب للمناذرة[9]، لكنَّ البيزنطيين رفضوا دفع

---

(١) Procopius, **Wars**, II, p.351.

(٢) Sykes. S.P, **History of Persia**, I, p.446.

(٣) الشاعر، محمد فتحي، **السياسة الشرقية**، م.س، ص١٦١ ـ ١٦٢.

(٤) Lewis. B, **The Arabs in History**, p.28.

(٥) الشاعر، محمد فتحي، م.س، ص١٦٢.

(٦) Procopius, **Ibid**, II, p.265. & p.349.

(٧) Procopius, **Ibid**, II, p.157.

(٨) Theophanes, **The Chronicle**, p.351.

(٩) الحوافي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص١١٢.

الأموال للمناذرة، لأنَّهم رأوا أنَّهم «بعد عقد الصلح مع الفرس لا حاجة البتَّة لدفع العطايا للعرب»[1]، والملاحَظ أنَّ الفرس اعتادوا على دفع الأموال البيزنطية للمناذرة، فهم غضّوا النظر عن الأموال التي دفعت للمنذر ابن ماء السماء وأرادوا دفعها لعمرو بن هند، أملًا بإضعاف البيزنطيين اقتصاديًا وماليًا، وبالتالي إضعافهم أمام الفرس، وعندما تجدَّدت الحرب بين الفرس والبيزنطيين في عام ٥٧٢م[2]، وانتهت بتوقيع معاهدة صلح بين الطرفين تضمَّنت دفع البيزنطيين فدية كبيرة من النقود الذهبية للفرس[3]، ولم يذكر اشتراك عمرو بن هند في هذه الحرب لصالح الفرس، غير أنَّنا نرجِّح أنَّه شارك فيها إلى جانب أنوشروان بسبب وفادته في كل سنة في وقت معين عليه ليفاوضه في الأمور السياسية التي تخصُّ المملكتين[4].

لكن هذا الودّ والاتفاق لم يدم طويلًا، فقد حاول الفرس اخضاع بلاد المناذرة بشكل مباشر إلى حكمهم، وقامت الحكومة المركزية الفارسية بتولية رجل فارسي أمر ملك المناذرة ـ سهراب ـ وذلك لم يَرُق لشعب بلاد المناذرة الذين تعوَّدوا على حكم بني جلدتهم، ممّا أوجد نوعًا من الشكِّ والريبة في العلاقة بينهما، والذي دفع الفرس إلى هذا التصرُّف خشيتهم بعض الشيء من حليفهم القوي، وخوفًا من تطلعاته نحو الاستقلال[5]، ولا نستبعد انفتاح البيزنطيين على المناذرة وإرسال السفراء إليهم لإغرائهم بالمال والسلام، فأحسَّ الفرس بالأمر، فأرادوا تأديب آل المنذر، ومن بعدها أخذ عهد المناذرة بالضعف ونفوذهم بالتقلُّص، وظهر الانقسام بين أعضاء البيت الواحد، حتّى إنَّ المنذر بن المنذر عند وفاته لم يستطع إسناد الحكم إلى أحد من أولاده، وبالمقابل لم يكن الفرس شديدي الثقة بولاء المناذرة لهم.

فأوكل إبرويز بن هرمز حكم بلادهم إلى إياس بن قبيصة الطائي، ريثما يرى كيف ستؤول الأمور. وبلغ الشك عند الفرس بولاء المناذرة إلى درجة عظيمة دفعت كسرى إلى القول: «لأبعثنَّ إلى الحيرة اثنتي عشرة ألفًا من الأساورة، ولأُملِّكنَّ عليهم رجلًا من الفرس، ولآمرهم أن ينزلوا على العرب في دورهم، ويملكوا أموالهم ونساءهم»[6].

---

(١) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤١.

(٢) Theophanes, **Ibid**, p.361.

(٣) Sykes. S.P, **History of Persia**, I, p.456 - 457.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٤٦، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٣٥.

(٥) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب علىٰ حدود**، م.س، ص١٤٢.

(٦) أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٦.

ابتعد الفرس عن هذه الفكرة، لأنَّه كان لديهم معلومات عن بلاد المناذرة، ولم يكن لديهم معرفة مكتملة بأمور القبائل العربية مما سيترتَّب عليهم نتيجة سلبية على مستوى التعامل مع القبائل العربية.

فشاور عدي بن زيد في الأمر، فاقترح عليه أن يولّي أحد أولاد المنذر، فأمر بإحضارهم، فذهب عدي إلى الحيرة، وعادوا معه جميعًا، ونزلوا عنده، وكان عدي ميّالًا إلى النعمان بن المنذر، فوعده أن يسعى في تمليكه، وجعل يخلو بهم رجلًا رجلًا، فيقول: إذا دخلتم على الملك، فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا، فتباطؤوا في الأكل وصغّروا اللُّقم، فإذا قال لكم: أتكفونني العرب؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شذَّ أحدكم عن الطاعة وأفسد أتكفونني؟ فقولوا: لا إنَّ بعضنا لا يقدر على بعض ليهابكم، فقبولًا منه، وخلا عُدَي بالنعمان وقال له: البس ثياب السفر وادخل متقلّدًا سيفك، وإذا جلست للأكل فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع، وزد في الأكل، وتجوَّع قبل ذلك، فإن كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة، ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكولًا شرهًا، وإذا سألك هل تكفينني العرب؟ فقل: نعم، فإذا قال لك، فمن لي بإخوتك؟ فقل له: إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز، فلما دخلوا على كسرى دعا لهم بالطعام، ففعلوا ما أمرهم به عدي، وكسرى ينظر إليهم، ثم جعل يدعوهم رجلًا رجلًا، فيسأله: أتكفينني العرب؟ فيقول: نعم أكفيها إلّا أخوتي حتى وصل إلى النعمان، فسأله، فأجابه بما أمره عدي، فملّكه وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب[(١)].

وبوصول النعمان إلى الحكم عادت العلاقات إلى سابق عهدها من القوَّة والمتانة بين المناذرة والفرس، حيث أصبح للنعمان في كل عام وفادة على كسرى[(٢)]، فكانت هذه السفارة بمثابة مباحثات بين الطرفين يتمُّ من خلالها الاطّلاع على آخر المستجدّات على الساحة الإقليمية، وتنسيق المواقف، والإعداد للمرحلة المقبلة.

وربّما احتاجت الأوضاع السياسية إلى زيارات مستعجَلة بين الطرفين، فقد ورد ذكر طلب سريع من كسرى للنعمان: «بسم الله الرحمن الرحيم، ولي الرحمة، من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أن أقدِم فإن للملك إليك حاجة»[(٣)].

---

(١) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣.
(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، م.س، جـ١، ص٨٢، أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٥٢.
(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٩٨.

وتدخَّل النعمان كثيرًا لحلِّ مشاكل العرب عند الفرس، فذُكرت سفارة النعمان لصالح سيف بن ذي يزن[(١)] على كسرى لمساعدته[(٢)]. فالنعمان لعب دور الوسيط بين القبائل العربية والفرس وهذا يُظهر دوره الريادي وموقعه المتقدم على سائر القبائل عند الفرس.

تطوَّرت العلاقات السياسية لتصل إلى منحى علمي في بعض جوانبها، فبعد رؤية كسرى لمنام مزعج أرسل إلى النعمان: «من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، وجِّهْ إليَّ رجلًا عالمًا بما أريد أن أسأله»[(٣)]. وهذا يظهر المدى الذي وصلت إليه الاتصالات الوثيقة، وعودة الثقة المتبادلة إلى سابق عهدها، حتى إنَّ النعمان عندما أراد أن يتنصَّر أرسل سفارة إلى كسرى ليستشيره ويأذن له بذلك[(٤)].

وفي إحدى الزيارات التي قام بها النعمان على كسرى وجد عنده وفود الروم والهند والصين، وافتخر النعمان أمامهم بالعرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثني فارس ولا غيرها، ودار حديث طويل بين النعمان وكسرى حول صفات العرب ومناقبهم وعاداتهم وتقاليدهم وشريعتهم وحكمتهم، ولما قدِمَ النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها ممّا سمِع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين أمرهم، حتّى إنَّه خاف أن يطلب منه كسرى الخراج مثل بقية الأمم، فأرسل سفارة إلى كسرى كانت مهمَّتها إخباره أنَّ العرب على غير ما ظنَّ أو حدَّثته نفسه[(٥)].

سجَنَ النعمان عُدي بن زيد على أثر مكيدة دبَّرها عدي بن أوس بن مرينا، فقد أبلغوا النعمان بأنَّ عُديَ يقول بأنَّ النعمان عامله وهو الملك، لا بل زوّروا كتابًا عن لسانه وأتوا به النعمان فقرأه فاستشاط غضبًا، وطلب عدي بن زيد، فاستأذن الأخير كسرى، وعندما وصل إلى النعمان حبسه، وأخذ يقول الشعر وينظِم القصيدة تلو الأخرى في استعطاف النعمان، لكنَّه لم يُجبه، فكتب إلى أخيه في بلاط كسرى:

فـأبـلـغْ أبـيًّـا عـلـى نـأيِـهِ   وهـلْ يـنـفعُ الـمـرءَ مـا قـدْ عـلِـمْ!
بـأنّ أخـاك شـقـيـقُ الـفـؤا   دِ كـنـتَ بـهِ والـهًـا مـا سِـلـمْ

---

(١) سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري (ت نحو ٥٧٤م)، من الملوك العرب اليمانيين، قيل: اسمه معد يكرب، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٣، ص١٤٩.
(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٤٥.
(٣) **المصدر نفسه**، ص٤٥٩.
(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦٩.
(٥) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٥ ـ ٢٧٩، ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

لدى مَلِكٍ موثقٌ بالحديـ ـدِ إمّا بحقٍّ، وإمّا ظُلَمْ

فلمّا قرأ أُبيّ بن زيد كتاب عدي، كلَّم كسرى في الأمر، فبعث كسرى رسولًا للنعمان، وحمّله كتابًا، يأمره فيه بإرساله إليه، فدخل الرسول وشاهد عدي في السجن، وأخبر بعض من كان هناك النعمان بأمر رسول كسرى، فبعث إلى عدي جماعة خنقوه في حبسه، ثم دخل الرسول على النعمان وسلَّمه الكتاب فأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهبًا وجارية حسناء، وقال له: إذا أصبحت فادخُلْ أنت بنفسك فأخرجه، فلمّا أصبح ركِب فدخل السجن، فأعلمه الحرس أنَّه قد مات منذ أيام، فرجِع إلى النعمان وقال له: إنّي كنت أمس دخلت على عدي وهو حي، وجئت اليوم فقال السجّان لي: إنَّه مات منذ أيام، فرشاه، ورغِب إليه أن يخبرَ كسرى أنَّ عديًّا مات قبل وصوله بأيّام[1].

ولا يميل المرء إلى تفسير حوادث التاريخ بالمكائد والحيل، فلا بدَّ من البحث عن الدوافع الحقيقية للأحداث، والبواعث التي دفعت النعمان إلى الضغن على عدي بن زيد فحبسه ثم قتله، فالحكم الفعلي في الحيرة كان لعدي بن زيد لا للمناذرة، وأنَّ أعمال عدي كانت تصبُّ في مصلحة الفرس أكثر ممّا هي في مصلحة المناذرة، فأدرك ذلك النعمان، فعاقب عدي[2].

ولم تنتهِ الأحداث بمقتل عدي بن زيد، فقد ندم النعمان على قتله، بسببٌ جميل عدي عليه، فعندما رأى ابنه زيدًا، أراد أن يغفر ذنبه، فقرَّبه إليه، ثم أرسله إلى بلاط كسرى بناءً على طلبه، وأراد كسرى بن هرمز صفة من النساء مكتوبة عند ملوكهم، وكان المنذر ابن ماء السماء أهدى أنوشروان جارية[3]، فاستغل زيد بن عدي طلب كسرى للانتقام لقتل والده، وأخبر كسرى أنَّ هذه الصفة من النساء موجودة في نساء النعمان، وزيد على يقين أن آل المنذر لا يزوِّجون نساءهم للأعاجم، فبعث كسرى زيدًا ورسولًا فارسيًا معه إلى النعمان، فلمّا دخلا عليه، قال له زيد: إن كسرى أراد كرامتك بصهره، فشقَّت على النعمان، وقال لزيد: «أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته»، فسأل الرسول زيدًا بالفارسية: «ما المها؟ فقال زيد: «كاوان» أي البقر، وكتب النعمان إلى كسرى يعتذر عن فقدان هذه الصفة عنده، فلمّا

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٤ ـ ٤٧٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٠ ـ ١٢١.

(٢) فروخ، عمر، **تاريخ الجاهلية**، م.س، ص١٣٩.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٣.

رجع الرسولان إلى كسرى قرأ زيد عليه كتاب النعمان، وقال الرسول: أيها الملك، إنه قال: أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا، فعُرِف الغضب في وجه كسرى، وسكت أشهرًا، ووجه كتابًا إلى النعمان يأمره بالمجيء إليه، فبلغ النعمان ذلك، فهرب واستجار بالقبائل العربية، حاول النعمان استرضاء كسرى لما عزم على العودة إليه بعد هربه منه، فأهدى إليه لبنًا مجففًا وسمنًا وطلب منه رضاءه وإزالة حقده وضغينته وعودته إلى ملكه[1]، وبعد أخذ وردٍّ مع رؤساء القبائل قرَّر الذهاب إلى كسرى، فلمّا وصل المدائن[2] لقيه زيد بن عدي، فقال له: انْجُ نعيم، إنْ استطعت النجاة، فقال له: أفعلتها يا زيد! إنّي والله لئن عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربي قط، ولألحقنك بأبيك، فقال زيد: امضِ لشأنك نعيم والله أخيت لك أخيَّة لا يقطعها المُهْر الأرن، فلمّا بلغ كسرى خبر وصول النعمان، أمر به فقتله[3].

فالأسباب الظاهرة والتي بدت كقصة مسلّية لا يمكن تجاوزها من دون البحث عن الأسباب التاريخية الحقيقية التي تكمن وراءها، فطلب كسرى لنساء آل المنذر لا يعدو أن يكون سببًا مباشرًا للأحداث، ولا يمكن أن يكون تفسيرًا لحدث تاريخي كهذا، ذي أبعاد خطيرة، كان له أثر كبير في العلاقة بين المناذرة والفرس، فمن المرجَّح أن يكون تبلور الشعور القومي عند العرب، والقوّة العسكرية للمناذرة، وظهورها بمظهر مملكة عربية ذات سياسة مستقلَّة هي الأسباب غير المباشرة لقتل النعمان، لأنَّ المناذرة في نظر الفرس كانوا عمّالًا على أراضيهم[4]، ولا يتقبلون فكرة تكوين مملكة تتصرف باستقلالية عن الفرس. وفي الوقت ذاته لم يكن الفرس يرغبون بخسارة ولاء المناذرة لهم، فقاموا بتعيين إياس بن قبيصة حاكمًا على بلاد المناذرة كونه من قبيلة طيء ولها منزلة عظيمة عند العرب تستطيع أن تملأ الفراغ الذي تركه اللخميون ويتقبلها السكان العرب، وفي أول مهمة أُوكِلَت إليه أظهر براعة وقوة مكَّنته من الحكم، فقد قام البيزنطيون بالاعتداء على حدود الفرس، فأرسل

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٥.

(٢) المدائن: مدينة بناها أنوشروان بن قباذ، بينها وبين بغداد ستة فراسخ، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٧٤ ـ ٧٥.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٦ ـ ٤٧٨، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٢ ـ ١٢٥.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، م.س، جـ١، ص٨٢، أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٥٦.

إبرويز إياسًا لقتالهم بـ «ساتيدما» وحالفه النصر بحيلة من كسرى فعاد ناجحًا في أول امتحان عسكري[1].

ورغم الثقة السريعة التي حصل عليها إياس غير أنه لم يولِّه وحده حكم بلاد المناذرة، فجعل إلى جانبه رجلًا فارسيًا «في قبضته زمام الأمور ليصبح الأمير العربي مجرّدًا من أي سلطة فعلية»[2]. فيمكن توصيف العلاقة السياسية بين الفرس من جهة والمناذرة ومن والاهم من جهة أخرى، بأنَّها كالبالون الممتلئ بالهواء لا يستطيع مقاومة وخزة إبرة حتى ينفجر، وهذا التوصيف يظهر الخطورة التي وصلت إليها العلاقة، فقَتْل النعمان وإزاحة أسرة المناذرة الحاكمة لن يمرَّ من دون ردة فعل سلبية، تمثّلت أولى بوادرها بخروج قبيلة بكر بن وائل عن طاعة الفرس وقيامها بثورات ضدهم، وقطعهم للطرق التجارية بين بلاد الفرس وشبه الجزيرة العربية[3]. فشابت العلاقة بين الطرفين حالة من الصعود والهبوط، وتعرَّض طريق بناء الثقة المتبادلة إلى مطبّات سياسية، فأصيبت العلاقة بشيء من الفتور، اقترن بامتعاض بعض القبائل العربية من التعامل الفارسي مع المناذرة، فوقعت معركة ذي قار بين الفرس والعرب، وعلى إثرها قام الفرس بعد ذلك بإسناد بلاد المناذرة إلى رجل فارسي، ممّا يعني إلحاق بلاد المناذرة بشكل مباشر لبلاد الفرس خوفًا من مطامع البيزنطيين في احتلال العراق[4].

وبعد قتل إبرويز اضطرب الوضع الداخلي في بلاد الفرس ولن يستقيم أمر الملك لأحد، فربما سهَّلت هذه الاضطرابات السبيل أمام المنذر بن النعمان الغرور للوصول إلى الحكم، فعيَّنه كسرى ملكًا على بلاد المناذرة، ودعاه إلى بلاد الفرس فخلع عليه، وتوَّجه بتاج وضمَّ إليه سبعة آلاف فارس، وندم كسرى على تتويجه للمنذر بسبب صغر سنِّه، فعندما علم المنذر بذلك توجه إلى كسرى ليظهر صواب رأيه في تولّيه للحكم[5]، وأراد المنذر بزيارته البلاط الفارسي «استعادة سلطان أسلافه»[6]، بالاعتماد عليهم في تقوية سلطته، لكن هكذا تكون الحال عندما تعمل

(١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٤٨، وجـ٣، ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، طـ١، ١٩٧٨م، ص٤١٣.

(٣) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad,** p.160.

(٤) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٣٨.

(٥) الواقدي، **الردة**، م.س، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

(٦) محمود، محمود عرفة، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص١٢٦.

الحياة كلّها مع الساعات لا مع البوصلة، فدخل المسلمون وفتحوا مملكة المناذرة.

قيل: إنَّ الدور الذي قام به المناذرة في حكم العراق كان مقتصرًا على أمرين: جمع الضرائب من القبائل العربية القريبة منهم وتقديمها للفرس، كما كانوا يحمون تخوم الامبراطورية الساسانية من غزوات البدو الآتية من نجد وبادية الشام[1].

فهل يمكن تطبيق هذه المهمات على المناذرة في دورهم السياسي والعسكري تجاه الفرس والبيزنطيين؟

(١) فروخ، عمر، **تاريخ الجاهلية**، م.س، ص٦٨.

رابعًا ـ العلاقات السياسية بين المناذرة والممالك العربية

١ ـ العلاقة بين المناذرة والغساسنة

اعتمد الفرس والبيزنطيون على مقولة في التعامل مع الممالك العربية التي قامت على حدودهما، فحواها: إذا أردت أن تقتل الأفعى فاضربها من رأسها بيد عدوك، انطلاقًا من هذه الحكمة التي هندست الحياة السياسية لعلاقة الفرس والبيزنطيين بالممالك العربية، فقد حسَّن الفرس علاقتهم مع مملكة المناذرة، وبالمقابل وطّد البيزنطيون علاقاتهم مع مملكة الغساسنة، وباستثناء بعض المصالح لهاتين المملكتين نشأ منحى العلاقة السياسية بينهما ضمن المنهج السياسي الفارسي والبيزنطي. هل تصلح هذه المقدمة لتوصيف علاقة المناذرة السياسية بالغساسنة؟

بنظرة مقتضبة إلى مملكة الغساسنة التي نشأت في بلاد الشام، فقد كانوا أحدث عهدًا من المناذرة في الحيرة[١]، ولعب الروم دورًا كبيرًا في قيام هذه المملكة على حدودهم الجنوبية الشرقية[٢]، خوفًا من أن يميلوا إلى الفرس[٣]، فشُبِّه دورهم بالعمال للقياصرة على عرب الشام[٤]، ضد الفرس[٥].

فرضت السياسة والجغرافية على المملكتين قيام علاقات سياسية بينهما قوامها العداء السياسي، والذي تطوّر إلى معارك طاحنة بينهما، فالنعمان بن امرئ القيس

(١) فروخ، عمر، **تاريخ الجاهلية**، م.س، ص٧٠.
(٢) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٦، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٨٣.
(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٥٠.
(٤) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٩، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٨ ـ ١١٩.
(٥) Charlesworth. M.P, **Trade - routes and commerce of Roman empire,** Georgolms, Verlagsbuch handlug, Hildesheim, Second edition, 1961, p.36.

غزا الشام مرارًا، وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم منها[١]. والأسود بن المنذر انتصر على الغساسنة وأسر عددًا من ملوكهم، ومن الملاحَظ أنَّ هذه المعركة قد سبقها معارك كثيرة، حيث إنَّ الأسود أراد أن يعفو عن ملوك الغساسنة، لكن ابن عمٍّ له يقال له: أبو أذينة، قتل آل غسان أخًا له في إحدى الوقائع رفض ذلك، وانبرى أمام الأسود يغريه بقتل ملوك الغساسنة بقصيدة مشهورة، فحدثت مذبحة بحق ملوك الغساسنة[٢]، فاشتعلت نار العداء بينهما، وأصبح المناذرة يهاجمون الغساسنة من دون تنسيق مع الفرس، وبالمقابل أخذ الغساسنة يدخلون أراضي المناذرة والفرس من دون أوامر من البيزنطيين ويأخذونهم أسرى[٣]، ففي بداية العلاقة السياسية بينهما لم تساهم الأيدي الإقليمية بتوزيع الأدوار السياسية بين المناذرة والغساسنة، لكنَّ المواجهات الأولى بينهم أظهرت أهميَّة هاتين المملكتين، بمعزل عمّا حققه المناذرة والغساسنة من تسجيل للنقاط أحدهما ضد الآخر، فالكباش العسكري الذي حدث بينهما نبَّه إلى دورهما الإقليمي الفعّال على الساحة السياسية، فعمِل كل من الفرس على تقوية هيبة المناذرة، وبالتالي عمل البيزنطيون على تقوية هيبة الغساسنة، لأنَّ الهيبة هي السلاح الاستراتيجي الأهم لأي علاقة سياسية بين طرفين، ومن دونها تفتقر كل الأسلحة الأخرى إلى الفعالية المطلوبة. وبالمقابل لم يبخل الفرس من جهة والبيزنطيون من جهة أخرى في إذكاء نار العداء بينهما، فغزا المنذر ابن ماء السماء سورية في عام ٥٢٩م، وقتل العديد من الأشخاص وأحرق وسلب ونهب وعاد سالمًا إلى أراضيه[٤]. فتنبَّه البيزنطيون إلى أهمية تحصين حدودهم مع المناذرة، فأقدم جوستنيان على ترقية الحارث بن جبلة، إلى رتبة ملك، وساعده في مدِّ سيطرته على القبائل الموجودة في بلاد الشام، ولم يسبق أن حدث ذلك في بلاد الروم من قبْل[٥]، وذلك من أجل إيجاد خصم قوي في وجه المنذر ابن ماء السماء المعاصر للحارث بن جبلة، وزُعم بأنَّ ذلك قد حصل في سنة ٥٢٩م[٦]،

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٥، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣.
(٢) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٧، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٢٠ ـ ٣٢١.
(٣) Joshua The Stylite, **The Chronicle of Joshua,** p.69 - 70.
(٤) Theophanes, **The Chronicle,** p.270.
(٥) Procopius, **Wars,** I, p.159.
(٦) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص١١، سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٠٠.

وقيل: إنَّه حدث في سنة ٥٢٨م[1]، والمرجَّح سنة ٥٣١م[2].

وشُكِّك في صحَّة هذه الرواية، لأنَّ لقب ملك خاصًا بأباطرة الروم فلا يمنح لغيرهم، ويعتقد أنَّ لقب الحارث وغيره من آل جفنة كان: بِطْريق أو عالم أو سيد قبيلة[3]. ولكن من المرجَّح أنَّ الحارث قد حصل على لقب ملك من البيزنطيين، وذلك شحنًا لقوته للوقوف بوجه المنذر ملك المناذرة، وترغيبًا له بعدم دخوله تحت طاعة الفرس ضدهم.

وعلى أثر ذلكَ بدأ الحارث بن جبلة يتصرف كأداة بيد البيزنطيين، فأخذ بالإعداد لحملة عسكرية على المناذرة ـ رغم معاهدة السلام المعقودة بين البيزنطيين والفرس ـ فتوجَّه إلى بلاد المنذر ابن ماء السماء فسلبها ونهبها[4]، مبتغيًا من وراء ذلك إثبات وجوده العسكري، والمحافظة على قيمة لقب الملك الذي حصل عليه، وفي الآن نفسه يضعِّف نفوذ المناذرة، ويظهر أمام الدول والممالك الإقليمية آنذاك بمظهر القائد العسكري القوي، ولا نخفي أطماعه في السلب والغنائم، وتأمين الاعتراف به كقائد القبائل العربية[5].

وبالمقابل لن تمرَّ هزيمة المناذرة من دون حساب، حيث سارع الفرس إلى إثارة نفوس المناذرة ضد الغساسنة، فهبَّ البيزنطيون إلى إرضاء المنذر ابن ماء السماء وشراء سكوته بالمال، ومن المرجَّح أنَّهم عرضوا عليه السلام معهم ومع الغسَّاسنة، «لكنَّه لم يكن راغبًا بأن يدخل في حلف مع الغساسنة أعدائه التقليديين»[6]، فكان ذلك من أسباب فشل الانفتاح البيزنطي على المناذرة، وبناءً عليه من المرجَّح أنَّ المناذرة طلبوا تخلّي البيزنطيين عن دعم الغساسنة مقابل علاقات صداقة وسلام معهم، وذلك من أجل إضعاف الغساسنة وانفراد المناذرة بهم والقضاء عليهم. فوجد البيزنطيون أنفسهم عالقين في عنق الزجاجة بين ضرورات الالتزام بموجبات التحالف مع الغساسنة، وبين رغبتهم القويَّة في تجنُّب أي احتكاك عسكري مع المناذرة، لكن في النهاية كانت الكفَّة الراجحة في ميزان السياسة البيزنطية التحالف مع الغساسنة

(١) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٧٢.

(٢) Procopius, **Ibid**, I, p.159.

(٣) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص١٢ ـ ١٣.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٤٩ ـ ٤٥٠، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص١٣٤ ـ ١٣٥.

(٥) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.180.

(٦) De lacy O'Leary. D. D, **Arabia before Muhammad**, p.180.

على الانفتاح على المناذرة، وفي نفس الصدد فقد نجح الإطفائي البيزنطي إلى حدٍ ما في تأجيل الحرب بين الغساسنة والمناذرة.

عادت العلاقات السياسية بعد هدوء غير طويل إلى سابق عهدها من المعارك والغزوات بين المناذرة والغساسنة، فوقع خلافٌ بينهما على طريق تجاري برّي قديم، الاسطراط starta، يمتدُّ في جنوب مدينة تدمر حيث كان مراع لقطعان الماشية الذين يدفعون الجزية للمناذرة منذ وقت طويل[1]، بالإضافة إلى أنَّ الاسطراط starta كان ذو أهمية استراتيجية لأنَّهُ يربط بين عدَّة نقاط مهمَّة[2]. وعلى هذا النحو قامت الحرب بينهما، فهذا كان السبب الظاهر للحرب أو المباشر، أمّا الأسباب الخفية أو غير المباشرة، فهي تحريض الفرس المنذر ابن ماء السماء على غزو بلاد الغساسنة، لتضييع فرصة استمالته إلى جانب البيزنطيين، ونعتقد أنَّ الفرس إنَّ ما أرادوه من خلال رمي الحجر المدروسة قد تحقق، وهو تَحرُّك المياه الراكدة في بحيرة العلاقات المتَّجهة نحو السلم والصداقة بين المناذرة من جهة والبيزنطيين والغساسنة من جهة أخرى، بعد فترة غير طويلة من السفارات والإغراء تجاه المنذر، وقد نجح الفرس في تسجيل النقاط في خانة البيزنطيين، وهو تجفيف منابع قوتهم المعتمدة على الممالك العربية، بعدما تحوَّلت قضية استمالة المنذر إلى مادة ملتهبة تهدد بإشعال حريق كبير بين المناذرة والغساسنة، وهو الذي حصل.

ونستطيع القول أنَّ المنذر كانت لديه أطماع اقتصادية في الغنائم التي تنعم بها بلاد الغساسنة، فقد كان من أسباب غزوه لبلاد الغساسنة رفضهم دفع الأتاوة له[3]، ممّا يدلُّ على رغبة المناذرة في تكوين علاقة تابع ومتبوع مع الغساسنة، وكان جُلُّ ما يريده أن يخرج الغساسنة عن ملكهم ويكونوا من قِبَله[4]. وهذا لا يقبل به الغساسنة ولا البيزنطيون من ورائهم؛ لأنَّ فيه تقوية للمناذرة حلفاء الفرس، وإضعاف أو إخماد لدور الغساسنة حلفاء البيزنطيين.

واستباقًا للوقت سعى الحارث بن جبلة إلى توجيه حملة عسكرية اشتبكت مع المنذر ابن ماء السماء في معركة عنيفة أُرِّخت أحداثها سنة ٥٤٥م، أَسفرت عن هزيمة الحارث بن جبلة، ووقوع أحد أبنائه أسيرًا بيد المنذر، فقدَّمه ضحية للآلهة[5]، وزُعِم

(١) Procopius, **Wars**, II, p.261 - 263.

(٢) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١١٦.

(٣) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص١٣٠.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٤٦.

(٥) Procopius, **Wars**, II, p.517 - 519.

أنَّ هذه المعركة وقعت حوالي ٥٤٤م[1]، أو ٥٤٦م[2]، وهذه التواريخ غير دقيقة.

فما حدث في هذه المعركة لم يكن إلَّا رأس جبل الجليد، وما خفي منه هو حتمًا أعظم بكثير. ويبدو واضحًا في هذا الإطار أنَّ العلاقة السياسية بين المناذرة والغساسنة قد انزلقت إلى تجاذب حادٍّ وعلني تكلّل بالغزوات العسكرية حول الخيار والسيطرة، وبالتالي حول طبيعة الدور والوظيفة، في ظل تَوَزُّع ولاء المناذرة للفرس والغساسنة للبيزنطيين، وهذا ما تعكسه الطبيعة الجغرافية التي فرضت إلى حدٍّ كبير الاصطفافات السياسية، وتعطيل فعالية المناذرة والغساسنة كمرجع لإدارة العلاقة بين بعضها بعضًا.

ولم يقدِّم الغساسنة دورًا مثيرًا للجدل، بل قاموا بانتقام عسكري استلزم بعض السنوات من التحضير، فشنّوا حملة عسكرية، أنتجت هزيمة مدوية للمناذرة بسبب مصرع المنذر ملك الحيرة، رغم خسارة الحارث أحد أولاده[3]، ولا نريد الدخول في اسم المعركة أو تحديد مكانها لأنَّنا سنشرح ذلك في المعارك العسكرية، فالمهم أن الحارث انتقم لمقتل ابنه، وما كان ليقدم على هذه الخطوة لو أنَّه لم يحظَ بتغطية سياسية كاملة من البيزنطيين، حيث أنَّ جوستنيان نجح في زيادة العداء والتوتُّر القائم بين عرب إمارة الحيرة من جهة، والحارث بن جبلة من جهة أخرى، وحرَّضه على القيام بغارة انتقامية على أراضي الحيرة والقلاع الفارسية المجاورة لها[4]، وما يدفع إلى التساؤل عن الفائدة من هذه الحادثة التي تعكس خفَّة في التصرف، سببت احتكاكًا عربيًا ـ عربيًا في غير موضعه، وزرعت بذور الشقاق بين أولاد العم؟

استفاد الحارث من تحالفه مع البيزنطيين وكرَّسه لمصلحة مملكته، «فالمنذر ابن ماء السماء سار إلى الشام... وقال للحارث إمَّا أن تعطيني الفدية فأصرف عنك جنودي وإمَّا أن تأذن بحرب»[5]، فالقصة ليست قصة ثأر بقدر ما هي قصة فشل سياسة المناذرة تجاه الغساسنة وخطأ في التقدير السياسي والعسكري، ومحاولة فاشلة من المناذرة لإخضاع الغساسنة لنفوذهم.

(١) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص١٨، سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٠١.
(٢) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٢٦.
(٣) مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ١، ص١٥٨، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٦٢.
(٤) الشاعر، محمد فتحي، **السياسة الشرقية**، ص١٦٧.
(٥) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٦.

«وإنَّ مقتل المنذر أمير الحيرة كان من الممكن أن يؤدِّي إلى اشتعال الموقف بين المناذرة والغساسنة لولا سعي جوستنيان إلى شراء مسالمة أبناء المنذر، وذلك بالتعهُّد بدفع دِيّة سنوية طوال حياة الامبراطور»[1].

إذًا وقف البيزنطيون على قُرنَي المعضِلة، بين التزامهم تجاه الغساسنة، وبين الحلبة المفتوحة مع الفرس، لكنَّهم ظلوا يحافظون على الهدوء السياسي بين المناذرة والغساسنة فنجحوا بإطفاء النار تحت القِدْر العسكري الذي كان يغلي بينهما، لينظروا إذا كان باستطاعتهم استمالة المناذرة إلى جانبهم، وتسجيل هدف سياسي بمرمى الفرس، فزيارات الحارث لجوستنيان كانت لا تتوقف لمناقشة أفعال المنذر بن المنذر في أرضه[2]، ممّا يدل إلى التنسيق بين البيزنطيين والغساسنة. وتوَّجوا نجاحهم في إطفاء نار الحرب، من خلال قيام الحارث بن جبلة بخطبة ابنة المنذر بن المنذر اللخمي[3]، فساد الوضع السياسي نوعًا من الارتياح الذي تركته صلات المصاهرة بين المناذرة والغساسنة، ونحن نعلم ما للمصاهرة من أثر في تحسين العلاقة بين طرفين أو مملكتين. فالمتضرِّر كان الفرس الذين لم يرضوا بهذا الوضع السياسي الجديد، وهذا خطأ سياسي منهم لأنَّهم لم يساعدوا المنذر في أحد حروبه ضد الحارث[4]، ممّا جعل المنذر يقبل بهذه المصاهرة، ولكن رغم ذلك فإنَّ علاقة المناذرة بالفرس كانت ما تزال أسسها قوية.

توفي الحارث بن جبلة سنة ٥٦٩م، وتسلَّم زمام السلطة ابنه المنذر بن الحارث، فأراد المناذرة استغلال الوضع السياسي المرتبك بتشجيع خفي من الفرس، فأغاروا على بلاد الغساسنة، لكن الملك الغساني الجديد ردَّ عليهم بهجوم كاسح أسفر عن هزيمة مدوية للجيش المنذري بقيادة قابوس[5]، وحُدِّد تاريخ هذه المعركة في ٢٠ أيار ٥٧٠م[6]، فالسبب الظاهر لهذه المعركة هو النهب والسلب والغنائم، ولكنَّ المضمر لها على الأرجح أبعد من ذلك، فالمناذرة أرادوا الثأر لهزيمتهم السابقة ولقتل المنذر ملكهم، وفي المقابل نرى أنَّ سلوك المناذرة والغساسنة العدائي تجاه بعضهما أضرَّ بمنطق العلاقات العربية، لأنَّه أخرج مسألة الخلاف السياسي

(١) الشاعر، محمد فتحي، **السياسة الشرقية**، م.س، ص١٧٠.
(٢) Theophanes, **The Chronicle**, p.353.
(٣) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٩.
(٤) Olinder. G, **The Kings of Kinda**, p.62.
(٥) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٢٦٤، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٩. - John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.370. - 371.
(٦) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٢٥.

والتاريخي بينهما من إطاره العربي الضيق وأعطاه طابعًا إقليميًا مبالغًا فيه، استغلَّه البيزنطيون والفرس، رغم أنَّهما لم يتدخلا بشكل مباشر في هذه المعركة، ولكن على الأرجح كانوا يراقبون الوضع عن كثب؛ لذلك كان من الصعب أن يتفق المناذرة والغساسنة ويؤسسوا لعلاقة سياسية سليمة قوامها السلام والصداقة.

وعندما أراد قابوس الانتقام لهذه الهزيمة المدوّية، جمع جيشه من جديد وتوجَّه إلى ملاقاة المنذر بن الحارث الذي استطاع مرة ثانية إلحاق هزيمة نكراء به[1]، وشُبِّهَت المعارك بين المناذرة والغساسنة، بأنَّها أصبحت كمهنة أو كرياضة[2].

فالمنذر بن الحارث الذي ورث السلطة عن والده ظلَّ حاضرًا في المقارنة والمفاضلة لفترة غير قصيرة، غير أنَّ المنذر نجح خلال سنوات حكمه الأولى من أن يصبغ هويته الخاصَّة وأن يصنع تجربته المدموغة بختمه، ليبدأ بذلك عهده الفعلي، وربما لهذه الأسباب كلّها ظهر الحارث قوي الشكيمة، متمكِّنًا من نفسه وجيشه وعدوه، وعرف في الوقت ذاته كيف يثبِّت قدميه في السلطة من خلال مقاتلة المناذرة حلفاء الفرس أعداء البيزنطيين.

هذا كله جعل المنذر يتَّجه نحو سياسة جديدة تصبغ عهده بلون من الاستقلال نوعًا ما عن البيزنطيين، فشقَّ عصا الطاعة على الامبراطور جوستين الثاني[3][4]، ونرجِّح أنَّ هناك تدخُّلات فارسيَّة بواسطة المناذرة سعت لإيقاع الفتنة بينهما، فربما وعد الفرسُ المنذرَ الغساني بتحسين علاقاته مع المناذرة، وفتح صفحة جديدة في العلاقة السياسية السليمة بين الطرفين فقبِل المنذر الغساني بذلك مقابل تخلّيه عن المشاركة مع البيزنطيين في غاراتهم على بلاد الفرس والمناذرة، وبما أن السياسة مكر وخداع فقد وقع المنذر بالفخِّ الذي نصبه له المناذرة، فما إن وصلت مسامع الفرقة بين المنذر بن الحارث والبيزنطيين حتى استغلَّ المناذرة الأمر، وأغاروا على سورية وعاثوا فيها ما شاؤوا[5]. وعندما شعر البيزنطيون بالخدعة التي وقعوا فيها

(١) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.371 - 372.

(٢) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.191.

(٣) جوستين الثاني Justin، من العرق الثريشيان Thrician، أصبح امبراطور للروم في سنة ٥٦٥م، وحكم لغاية ٥٧٨م، وهو ابن أخ جستنيان Justinian.

- Theophanes, **The Chronicle**, p.354 - 355.

(٤) John Ephesus, **Ibid**, p.373 & p.239.

(٥) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٢٥، علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٤١٣.

سارعوا إلى استرضاء المنذر وأعادوه إلى ملكه في بلاد الغساسنة معززًا مكرمًا قويًا لحماية مصالحهم السياسية والتجارية، فالمنذر أثناء غيابه عن ملكه سارع إلى التصالح مع قابوس، وصارا يهاجمان بلاد الشام معًا[1]. ومن ثمَّ عادت الأمور السياسية بين البيزنطيين والغساسنة إلى سابق عهدها بعودة المنذر الغساني إلى كرسي الحكم في بلاده، حتى إنَّه في عام ٥٨٠م وصل المنذر مع ابنين له إلى القسطنطينية فاستُقبل فيها بكل احترام[2].

عودة المنذر بن الحارث إلى أحضان البيزنطيين تعني عودة التحدّي السياسي والعسكري بين المناذرة والغساسنة من جديد، ولكنَّ المنذر بن الحارث ظَلَّ غير مطمئن القلب والعقل تجاه البيزنطيين، خاصة موريس Maurice[3]، القائد العسكري البيزنطي الذي شابَ العلاقة بينهم الكثير من الخلافات، فعندما عزم الأخير على غزو إحدى ولايات فارس وجد الجسر الكبير على نهر الفرات مهدَّمًا، واضطر إلى العودة خائبًا، معتبرًا أنَّ في الأمر تواطؤ بين المنذر والفرس، وألصق تهمة الخيانة بالمنذر[4]، فما كان من الأخير غير أن ردَّ على ادعاءات موريس بشنِّ هجوم على رأس جيش كبير على بلاد المناذرة مستغلًا خروج الملك النعمان إلى البحرين، فأحرق الحيرة وبقي فيها خمسة أيام، ثم عاد بالغنائم الكثيرة[5]، وورد أن جفنة الأصغر[6] هو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سمُّوا والده آل محرق[7]، وأُطلِق خطأً على جفنة الأصغر ابنه[8]. فهل الحظُّ حالف المنذر فضرب عصفورين بحجر، فبَرْهَنَ عن وفائه للبيزنطيين بشن هجوم على بلاد المناذرة، مستغلًا خروج النعمان منها؟ أم أنَّه توجَّه إلى الحيرة إرضاءً للبيزنطيين من دون علمه بخروج النعمان منها؟ أو أنه علم بخروج النعمان فتوجَّه إلى الحيرة من أجل السلب والنهب فقط؟

(١) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٤١٤.

(٢) John Ephesus, **Ecclestiastical History**, p.240.

(٣) موريس Maurice، قائد عسكري كان عمره عندما استلم حكم بلاد الروم ٤٣ سنة، حكمه من (٥٨٢ ـ ٦٠٢م).

- Theophanes, **The Chronicle**, p.374.

(٤) John Ephesus, **Ibid**, p.236 - 237.

ـ مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٢، ص٢١٠.

(٥) John Ephesus, **Ibid**, p.378.

(٦) جفنة الأصغر: هو الذي مَلَكَ بعد المنذر بن الحارث بن مارية المحرق.

(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٥، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٩٥.

(٨) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٠٦.

ولإيضاح الأجوبة عن هذه الأسئلة، ننظر بالأحداث التي حصلت بعد غارة المنذر على الحيرة، فهي لم تشفع له عند البيزنطيين، بل زادت العداوة بينه وبين المناذرة، لأنَّ البيزنطيين اعتبروها تحديًا صارخًا لهم[١].

فمرَّت العلاقة بين البيزنطيين والغساسنة في فترة من اللااستقرار وفقدان الثقة وصلت إلى حدود لا رجعة فيها، فقطع البيزنطيون الإعانات السنوية التي كانوا يقدمونها للغساسنة. ولعب الاختلاف المذهبي المسيحي بين الطرفين دورًا في زيادة الابتعاد بينهما[٢].

فاستغلَّ المناذرة هذه الأحداث وزحف المنذر ابن ماء السماء بجيشه على الحارث الأعرج، ولكنَّه هُزم[٣]، فالوضع السياسي كان كفيلًا بانتصار المناذرة، ولكن المصادر لم تُلمِّح إلى سبب هزيمتهم، فربَّما ساعد البيزنطيون الغساسنة رغم الخلافات معهم، ولم يكونوا راغبين بسقوط بلاد الغساسنة بيد المناذرة، وليس لديهم القدرة على تحمُّل هكذا تغيير، أو أنَّ المناذرة انغرّوا بأنفسهم ولم يُوفَّقوا بتقدير الموقف العسكري فلحقت بهم الهزيمة، فحالة العدائية لم تتوقف بينهما، حتى أصبحت جزءًا من حياتهم اليومية[٤].

وأصلح «النعمان بن الحارث[٥].. صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة»[٦]، ممّا يعني أنَّ الغساسنة عادوا إلى سابق عهدهم في حكم بلاد غسان ولم يكن بوسع البيزنطيين التخلِّي عنهم لأنَّهم حاجز بوجه المناذرة ومن ورائهم الفرس.

إذًا تفاقمت تداعيات الأحداث العسكرية بين المناذرة والغساسنة تحت وطأة الاستثمار المتعدِّد الأوجه، وتحوّل العراك العسكري الذي كان ينتهي بكسب كل طرف جولة على حساب الطرف الآخر دون أن يكسب حربًا إلى أزمة سياسية حادَّة، بقيت مفتوحة باتجاه التصعيد، ولم يستطع أحد الطرفين تداركها، إلَّا في حالات قليلة، وفي وصف للمنذر ابن ماء السماء وجيشه بأنَّه كان قادرًا على الغزو بكامل

(١) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٤١٥.
(٢) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٣٠ ـ ٣١.
(٣) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٤.
(٤) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.197.
(٥) النعمان بن الحارث بن جبلة وكنيته أبو كرب، ولقبه قطام، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٩٤ ـ ٩٥. حكم فترة من الزمن، في الفترة الممتدة بين ٥٨٣ ـ ٦١٤م، نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٥٧.
(٦) حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٩٤، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٢٠.

جيشه، أي مكان يريده، بسبب القوَّة العسكرية التي يتمتع بها، وبالمقابل فإنَّ الغساسنة كانوا أقوياء بما فيه الكفاية لموازاة المنذر[١].

٢ ـ العلاقة بين المناذرة وكندة

عاصرت مملكة المناذرة مملكة كندة[٢]، ونشأت هذه الأخيرة على الحدود الجنوبية الغربية لبلاد المناذرة، امتدَّت من الغمر[٣] إلى ذات عرق[٤][٥]، أي: في أواسط شبه الجزيرة العربية[٦]. ورُجِّح أنَّها قامت في حوالي ٤٨٠م[٧]. فحتّم التقارب الجغرافي بينها وبين المناذرة نشوء علاقات غلب عليها الاحتكاك العسكري والكيدية السياسية. والسبب الذي يكمن وراء ظهور مملكة كِنْدة بقوَّة على الساحة السياسية يرجع إلى خلاف نشأ في قبيلة بكر بن وائل بين أفرادها، فأصبح القوي يأكل الضعيف، فنظر العقلاء في أمرهم، فرأوا أن يملِّكوا عليهم ملكًا يرجع حق الضعيف من القوي، ولكنَّهم لن يستطيعوا الجزم بالأمور إلَّا بتولية حاكم عليهم لا ينتمي إلى قبيلة بكر، فسنحت الفرصة لحجر بن عمرو آكل المرار[٨]، الذي كان ذا

(١) Procopius, **Wars,** I, p.159.
(٢) كندة: هو ثور بن المرتع بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، الأصمعي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، م.س، ص١١٤. كندة، اسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب، ابن سلام، **النسب**، م.س، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣٤٠، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٧٧، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٨٥. كندة، أول ملوك كندة حجر آكل المرار بن عمرو، وهو من ولد كندة، وكان اسم نورا وهو ابن عفير بن الحارث بن ولد زيد بن كهلان بن سبأ، وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٢١. وسمي كندة لأنه كندا أباه، أي: عقَّه، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٧٨. كندة ابن أخ لخم، ابن سلام، **المصدر نفسه**، ص٣٠٥.
(٣) الغمر: غَمْرَةُ، منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها، وهو فصل بين تهامة ونجد، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١٤، ص٢٨٢.
(٤) ذاتُ عرقٍ، هو الحد بين نجد وتهامة، وقيل: عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص١٩٧ ـ ١٠٨.
(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٣، ص٧٩.
(٦) Olinder. G, **The Kings of Kinda,** p.42.
(٧) فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، طـ٦، ١٩٩٢م، ص٦٧، و Olinder. G, **Ibid,** p.32.
(٨) حجر بن عمر: هو حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة، ابن سلام، **النسب**، م.س، ص٣٠٥ وص٣٠٧، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، =

رأي ورجاحة عقل، فقدِم إلى نجد ونزل بطن عاقل[١]. وحكم حوالي سنة (٤٩٠م)[٢]، وذُكِر أنَّ يوم بردان الذي حدث بين الغساسنة وكِنْدة انتهى بانتصار حجر على الغساسنة، وعاد إلى الحيرة[٣]، ممّا يدفعنا إلى الظنِّ أنَّ مقرَّه كان بالحيرة للوهلة الأولى، لكنَّ المُلاحَظ أنَّه لم يُحسِن حبك القصة أو خُلط بين قصَّتين، فظهرت على هذا الشكل[٤]، وممّا يؤكّد هذا أنَّه أثناء دراستنا لملوك الحيرة لم ينقطع ملكهم إلّا أيام قباذ.

وصل إلى سدة الحكم في بلاد كِنْدة الحارث بن عمرو الذي «كان شديد الملك واسع الصوت كبير المطامع»[٥]، «وكان كثيرًا ما يغزو بني نصر ملوك الحيرة»[٦]. واستلم قباذ حكم بلاد فارس، فأحدث تغييرًا في مملكة المناذرة من خلال إزالة ملك المنذر ابن ماء السماء وتمليك الحارث بن عمرو الكندي[٧]، وتعدَّدت وتنوَّعت الآراء حول دوافع هذا التغيير، فأُرجعت إلى سبب ديني، ففي أيام مُلْك قباذ في السنة العاشرة من حكمه، أي ٤٩٨م، ظهر رجل اسمه مزدك يدعو الناس إلى إباحة المحرمات والاشتراك في النساء فيما بينهم، ولم يقبل المنذر ابن ماء السماء الدخول في هذه الديانة بناءً على دعوة وجِّهَت له من قباذ، فدعا الأخير الحارث بن عمرو فقبلها، فما كانت من قباذ غير أن طرد المنذر عن الحيرة، وأوكل حكمها إلى الحارث[٨]. وقيل: إنَّ الحارث قبل بديانة مزدك بسبب حسده لبني لخم على تقرُّبهم من الأكاسرة[٩]، ورغبة منه في احتلال موقعهم السياسي عندهم، وما يعني ذلك من

= م.س، جـ٢، ص٤٢٧. وقيل له آكل المرار لكون امرأته قالت عنه كأنه جمل قد آكل المرار، لبغضها له، فغلب ذلك لقبًا عليه، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٢١. وقيل إنه سمي آكل المرار لأنه أكل المرار، وهو نبت شديدة المرارة من الغيظ وهو لا يدري، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٧٨، وجـ١٦، ص٣٥٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٦١.

(١) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٧٨، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص١١١، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٢١.

(٢) Olinder. G, **The Kings of Kinda,** p.56.

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٩٧.

(٤) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٣٢٤.

(٥) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٤٤.

(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٩.

(٧) العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦٥، **وجمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٤٤٨.

(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٩، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤١٩.

(٩) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٤٤.

سلطة وامتداد لنفوذ كِنْدة على عدد غير قليل من القبائل، والمساحة الجغرافية الواسعة.

وذُكِرَ أيضًا أنَّ الفرس عملوا على تغيير الديانة من أجل سيطرتهم على مكة، فعندما قبل الحارث بها أمره قباذ بفرضها على العرب في نجد وتهامة[١]، ولا نجد مكانًا لهذا التحليل، فديانة المزدكية تعني انهيار المجتمع وأخلاق أفراده، وكيف يغيِّرون الديانة من أجل مدِّ سيطرتهم إلى تهامة ونجد، وهم كانوا من خلال المناذرة يستطيعون تحقيق ذلك بكل سهولة.

ورُبط بين ضعف قباذ وتخلّيه عن المعارك وجبهات القتال، فانعكس ذلك ضعفًا على سلطته في الداخل، فدعا مزدك أهل فارس إلى المعاصي، وانتشرت فيهم الزندقة، فضعُفَ ملك المنذر ابن ماء السماء لأنَّ مصدر قوَّته كان من الفرس، وانقلبت القبائل عليه، وملَّكت بكر بن وائل الحارث بن عمرو[٢].

فالعلاقة بين المنذر وقباذ ساءت أمورها، فما كان من الحارث غير أن احتلَّ مكانه، وذلك بسبب ما حملت المفاوضات من طابع الودِّ نحو البيزنطيين أكثر ممّا كان بسبب ثباته على دينه ورفضه التحول إلى المزدكية[٣]، فقباذ بعد توقيعه الصلح مع البيزنطيين خاف من طموح المنذر ابن ماء السماء فعمل على إضعافه من خلال إحداث الفتنة بينه وبين الحارث بن عمرو، والفرس في تاريخ تعاملهم مع الممالك العربية لم يعملوا على فرض دياناتهم على أحد؛ لذلك لا نرجِّح أنَّ سبب الخلاف بين قباذ والمنذر ابن ماء السماء يرجع لأسباب دينية بحتة. ورُوِيَ أنَّه مَلَكَ تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن، فهابته حِمْيَر والعرب هيبة شديدة، فبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة فقاتله، فقُتِلَ النعمان وعدد من أهل بيته، وهُزِم أصحابه، وحَرَّر المنذر بن النعمان وأمَّه ماء السماء امرأة من النمر، فذهب مُلك آل نصر، ومَلَكَ الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون[٤].

فتتحدَّث هذه الرواية أنَّ الحارث قام بهجوم كاسح وطرد آل لخم من دون تنسيق

(١) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya,** p.145.

(٢) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢ ـ ٨٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٦٧.

(٣) Olinder. G, **The Kings of Kinda,** p.56.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤١٧، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣١٥.

مع الفرس، وسبب هذا أنَّ أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة، فقال كل واحد ما نُقل إليه من غير تحقيق. وسنذكر في مقتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس في أيام العرب، والصحيح أنَّ ملكي كِنْدة عمرو والحارث كانا بنجد على العرب، أمّا اللخميون ملوك الحيرة فلم يزالوا عليها إلى أن ملك قباذ الفرس وأزالهم واستعمل الحارث بن عمرو الكندي على الحيرة ثم أعاد أنوشروان الحيرة إلى اللخميين[١].

وغزا الملك امرؤ القيس بن عمرو قبيلة بكر بن وائل ونكّل بهم، فبقيت تلك العداوة في نفوسهم إلى أن وهى أمر قباذ ملك الفرس، فأرسلت بكر إلى الحارث بن عمرو فملّكوه، وحشدوا وفرضوا عليه مقاتلة المناذرة والثأر منهم[٢].

ولمَّا مَلَكَ قباذ كان ضعيفًا، فوثبت ربيعة على المنذر ابن ماء السماء، فخرج هاربًا منها، حتى مات في إياد، وترك ابنه المنذر بن المنذر فيهم، فانطلقت ربيعة إلى كِنْدة فجاء ابن الحارث بن عمرو بن حجر فملّكوه على بكر بن وائل، وحشدوا له، وقاتلوا معه، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق[٣]. كيف يموت المنذر ابن ماء السماء عند قبيلة إياد ونحن ذكرنا في ترجمته أنه استلم الحكم وقضى على كِنْدة فيما بعد، فالقصة هنا مختصرة ومبعثرة لم تُحْبَك بشكل جيد، وجاء سردها ضعيف التحليل. وورد في رقيم عن عداوة بين معد واللخميين[٤]. ولا نستبعد ذلك لأنَّ المناذرة كان لهم مطامع في المناطق الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة العربية، وحاولوا جاهدين بسط سلطانهم عليها[٥]، وهذه المناطق كما هو معروف مناطق قبيلة معد، فمن المرجّح أنَّ معد شجَّعت كِنْدة على التصدِّي للخميين.

وفي رواية تستحق الاهتمام، فحواها أنَّه لمَّا مَلَكَ الحارث بن عمرو الكندي العرب، وقتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس، بعث إليه قباذ أنَّه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد وأُحبُّ لقاءك، فذهب إليه الحارث والتقيا، وعلم أنَّ قباذ يهزأ منه، فاصطلحا على أن لا يتجاوز أحد من العرب نهر الفرات، ولما

(١) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣١٦.

(٢) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٤، وجـ٢، ص٣٦٨.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ١، ص٤٥.

(٤) انظر الملحق رقم (٣).

(٥) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٢٧.

رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف طمع في السواد، فأمر جيشه أن يقطعوا الفرات ويُغِيروا على السواد، فطلب قباذ الحارث، وسأله عن لصوصٍ من العرب أغاروا على سواده، فأجابه: لا أستطيع ضبط العرب إلّا بالمال والجنود، فأعطاه ستة طساسيج[١]، فأرسل الحارث إلى تبع[٢] ملك اليمن يُطمِعه في بلاد العجم، فسارع إلى النزول في الحيرة وأرسل جيشه إلى قباذ فهزمه[٣].

فمن المرجَّح أنَّ النعمان المقصود هنا هو النعمان بن الأسود الذي قُتل في قرقيسيا في ٥٠٣م، ممّا يُفقد النصَّ أهميَّته. وسبب ذكر هذه الرواية هو ميل الراوي إلى تمجيد انتصارات قبيلته بكر بن وائل[٤]، ويفهم منها أيضًا أنَّ ضعف قباذ وعدم قدرته على صدِّ هجوم كندة وتبع هو سبب استيلاء الحارث على الحيرة.

يتبيَّن ممّا سبق اختلاف الروايات وتعدُّدها حول سبب إزالة ملك المناذرة وتولّي الحارث للحكم، حتّى أنَّه في المصدر الواحد نجد عدة روايات مختلفة، ويمكن من خلال فهم خريطة العلاقات السياسية في ذلك الوقت إعطاء نوعٍ من التحليل، يمكن من خلاله الولوج إلى السبب الحقيقي، فقد كانت الفترة التي طَرد فيها الحارث المنذر ابن ماء السماء من حكمه، فترة سلام بين الفرس والبيزنطيين. فربما خاف الفرس من طموح المنذر ابن ماء السماء فعملوا على إثارة الفتنة بين الممالك العربية لإضعافهم، والارتماء بأحضان الفرس طلبًا للمساعدة، وبعد أن طرد عمرو بن الحارث المنذرَ طلب هذا الأخير مصاهرته بسبب ما وصل إليه من نفوذ واتساع، وتمَّ له ذلك[٥]، ولكنَّ العداوة استمرت بينهما رغم المصاهرة[٦]، وقد حصلت هند على الاحترام العظيم في الحيرة[٧]، ممّا يدل على مكانة والدها الرفيعة الذي مدَّ سيطرته على جميع القبائل العربية، وأخضع حكمه لعائلته[٨]، فحالة المنذر ابن

(١) طساسيج: مفردها الطسوج، كلمة معربة تعني الناحية من أرض السواد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٣١٧.

(٢) أسعد هو تبع الأصغر، وهو تبان بن ملكيكرب بن قيس بن زيد بن عمرو، وهو ذو الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ وهو أبو كرب، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٧.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٢٠.

(٤) Olinder. G, **The Kings of Kinda**, p.61.

(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ١، ص٤٦، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢٥.

(٦) فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، م.س، ص٦٨.

(٧) Olinder. G, **The Kings of Kinda**,p.62.

(٨) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ١، ص٤٦ ـ ٤٧، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤٩.

ماء السماء أصبحت مشحونة بالتحدي تجاه القبائل العربية، وشعر بالخيانة من قِبَل الفرس، والاستفزاز من قِبَل الحارث بن عمرو.

استظلت قبيلة كندة بفيء قباذ إلى أن مات، فخَلِفَه ابنه أنوشروان في ٥٣١م، فما هي إلّا فترة زمنية حتى يرجع المنذر ابن ماء السماء إلى حضن الفرس ويُطرَد الحارث من بلاده ويتسلَّم زمام الحكم من جديد بأمر من أنوشروان، وانتقم المنذر لما حل بملكه على يد الحارث، حيث تبعه بالخيل من تغلب وإياد وبهراء فَنُهِبَ ماله وهجائنه، وذبح ثمانية وأربعين نفسًا من بني آكل المرار بحفر الأميال في ديار بني مرينا[1].

إذًا التقى المنذر بأنوشروان بعد أن كانت قطعان الغزلان ترعى بينهما، وتُعزى الخلافات إلى التحالفات السياسية التي نُسجت بين الحارث الكندي وقباذ، واستطاع المنذر استدراج أنوشروان إلى كَرْمِهِ بسبب التغيرات بين الفرس والبيزنطيين، فإزالة المنذر لم تكن سوى مجرَّد سحابة صيف عابرة لن تخفِّض حرارة العلاقات المتينة بين الفرس والمناذرة، لأنَّها لم تكن أصلًا معنية بتحقيق هدف إنهاء حكم المناذرة بشكل نهائي.

فالحارث استُدرج إلى اللعبة الإقليمية من دون أن يكون متقنًا لخفاياها أو مالكًا لخبرة في هذا المجال، وكان يملك طموحًا من دون معرفة وزنه السياسي والعسكري. أمّا نهايته، فتعدَّدت الروايات التي تتحدث عن مقتله، فقيل: إنَّ قبيلة كلب هي من قتلته[2]، ولم يُحدَّد من قتل الحارث من ملوك الحيرة، بل ذُكِر «كانوا يجاورون ملوك الحيرة، فقتلوا الحارث»[3]، ورُوِي عن علماء كِنْدة أنه خرج يتصيّد، فرأى جماعة من حمر الوحش فشدَّ عليها، وانفرد منها حمار فتتبَّعه، وأقسم ألّا يأكل شيئًا قبل كبده، فاستمر ثلاثة أيام حتى أدركه وأتي به، وقد كاد يموت من الجوع، ثم شوى على النار وأطعم من كبده وهي حارة فمات[4]. وتُظهر الرواية تعصُّب علماء كندة لملكهم، ورفض مقولة أنَّه قُتِلَ من قِبَل أيٍّ ملك آخر، بل مات من تلقاء نفسه.

(١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٢٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٨٠ ـ ٨١.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٨١، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص١١١ ـ ١١٢.
(٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٦.
(٤) التيمي، **أيام العرب**، م.س، ص٤٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٨١.

لكن مقتل الحارث كان على يد المنذر ابن ماء السماء[1]، لأنَّه من غير المقبول أن لا ينتقم المنذر لِما حلَّ بملكه على يد الحارث، وأن يكتفي بطرده، ونحن نعرف عادات وتقاليد الجاهليين القائمة على الانتقام والثأر والتحدّي في هذا المقام.

حكم الحارث بلاد المناذرة في الفترة الزمنية التي تمتد بين ٥٢٥ ـ ٥٢٨م[2]، واعتَمد الأخير على سنة ٥٢٨م، من خلال عودة المنذر ابن ماء السماء إلى الحكم من جديد في تلك السنة، ولا نرجّح صحة هذا التاريخ لأنَّ أنوشروان استلم الحكم في سنة ٥٣١م، وسنة ٥٢٨م ليست دقيقة، بل الأصح أنَّه عاد في السنة الرابعة لحكم أنوشروان[3]، الموافقة لـ ٥٣٤م، فهي السنة التي تمَّ فيها القضاء على حكم كندة في بلاد المناذرة، فالمرجَّح أنهم حكموا بين ٥٣١ ـ ٥٣٤م بلاد المناذرة.

والسؤال، أين دور الغساسنة من هذه التغيرات؟ فالغساسنة وجدوا في الحرب بين المناذرة وكِنْدة إضعافًا للطرفين، وانشغالهم ببعضهم بعضًا، لذلك لم يُذكر أي تدخُّل لهم.

وهل أقام الحارث في الحيرة أم بإحدى بقاع بلاد المناذرة؟ جُعِلت إقامته بالأنبار[4]، وقيل بالحيرة[5]، ومن المؤكَّد أنَّه أقام في الحيرة بسبب ذهاب ملك آل لخم منها، وتوجَّه أيضًا إلى الأنبار.

لم يشفِ غليل المنذر ابن ماء السماء قتله للحارث، بل أراد الثأر من أولاده الذين كانوا قد عيَّنهم ملوكًا على القبائل، فأخذ المنذر بإشعال نار الفتنة بين الإخوة، فسار شرَحْبيل[6] ببكر بن وائل وقبائل حنظلة[7]، وبعض تميم

(١) Theophanes, **The Chronicle**, p.271.
(٢) Olinder. G, **The Kings of Kinda**, p.65.
(٣) Theophanes, **The Chronicle**, p.296 - 271.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٨٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٣٧.
(٥) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٦، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٨١.
(٦) شرحبيل بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٧.
(٧) حنظلة، بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، **المصدر نفسه**، ص٤٦٦.

والرباب[١]، فنزلوا بموضع الكلاب[٢]، وأقبل سلمة ومعه بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها، وسعدة بن زيد مناة بن تميم ومن معهم قبائل حنظلة يريدون الكلاب، فاقتتلا قتالًا شديدًا، فتخلَّت حنظلة وعمرو بن تميم والرباب وبكر بن وائل عن شرَحْبيل، وساء وضعه، فغدر به أحدهم وقتله[٣].

وعندما قُتِل شرَحْبيل خاف الناس أن يخبروا أخاه سلمة بمقتله، فعندما علم بذلك، أحسَّ بالمكيدة التي حاكها المنذر فأصبح لا يأمن على نفسه منه، والتجأ إلى قبيلة بكر بن وائل، فبعث المنذر يدعوهم فأبوا، فحلف ليذبحهم على جبل أوارة، فاقتتلا وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرَحْبيل الكندي[٤]، فلمّا قُتل الأخوان ذهب سلطانهما، فهكذا تكون الحال عندما تعمل الحياة كلها مع الساعات لا مع البوصلة، فشدُّ الحبال بين المناذرة وكندة كان على زعامة القبائل العربية، ولصالح من يحسم الصراع في النهاية تكون النتيجة، فالعلاقات السياسية بين الطرفين شابها الكثير من التوتُّر والقليل من الهدوء.

---

(١) الرباب، وهم بنو تميم، وبنو عدي، وبنو ثور، وبنو عكل بن عوف بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٨٠.

(٢) الكُلاب، اسم ماء بين الكوفة والبصرة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٤٧٢.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ١، ص٤٧ ـ ٤٨، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٦، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٧٨، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٤) ابن الأثير، **المصدر نفسه**، ص٤٣٧.

الفَصْلُ الثَّانِي

المظاهر العسكرية

أولًا ـ الاستراتيجية العسكرية.

ثانيًا ـ الجيش.

ثالثًا ـ الأمن.

رابعًا ـ الأسلحة.

خامسًا ـ الأيام الحربية.

أولاً ـ الاستراتيجية العسكرية

للحرب على المناذرة دواع تستثير همَّهم وتوقد جذوة إحساسهم، وتدفعهم إلى الوقوف أمام كل محاولة من محاولات التحجيم أو الاحتواء التي تحيق بهم، وكانت دواعي الحرب هذه تأخذ أبعادها في صور شتى، وتتجسَّد في حالات مختلفة، يتّصل بعضها بطبيعة الحياة، ويتجاوز بعضها الآخر حتى يصل إلى النظام القبلي والبناء الاجتماعي، فالعقيدة العسكرية للجيش اكتُسبت من العادات والتقاليد الموروثة، وهي قائمة بشكل أساس على الإطاعة المطلقة لرئيس العشيرة أو القبيلة، إلى جانب مهاجمة أرض العدو وتدمير مقوماته.

فالمقاتل العربي بشكل عام كان ضعيفًا في الدين، بل كان مهملًا في مسألة الطقوس الدينية لأنّه يستمدُّ عاداته وتقاليده من قبيلته[1]، فزرعت تلك العادات والتقاليد في نفوس المقاتلين الطبيعة العدوانية والدفاعية في الوقت نفسه، والدفاع عن أقارب سواء كانوا ظالمين أو مظلومين[2].

فنتج عنها النزعة الهجومية وسيادة منطق القوّة، فالمقاتل العربي بشكل عام «عصبي المزاج، سريع الغضب، يهيج للشيء التافه، ثمَّ لا يقف في هياجه عند حدٍّ، وهو أشدّ هياجًا إذا جرحت كرامته، أو انتهكت حرمة قبيلته، وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه، حتّى أفنتهم الحروب، وحتى صارت الحرب نظامهم المألوف وحياتهم اليومية المعتادة»[3].

والعنصر المسيطر في حقل المعركة هو دائمًا عبقرية القائد العسكري، والقدرة

(١) Smith. W. Robertson, **Lectures on the religion of the Smithes,** Black L.T.D. 4, 5, and 6. Soho Square, Second Edition, London, 1923, p.47.

(٢) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤٧، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٢٨٥، ابن النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م)، **شرح القصائد المشهورات**، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، جـ١، ص١٢٤، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ٢، ص٣٥٩.

(٣) أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ١٩٦٩م، ص٣٧.

على اتّخاذ القرارات الصائبة، وهذا ما ظهر جليًّا في شخصيات القادة الذين قضوا في ساحات القتال كالملك النعمان بن الأسود، ونلاحظ في المعارك التي خاضها المناذرة تولّي قيادة الجيش، إمّا من قِبَل الملك أو أحد أقاربه[1]، ربما تشكيكًا في ولاء الجيش، أو رفعًا للروح المعنوية التي تسود صفوفه، ونحن نعلم أنَّ القيمة المعنوية تفوق في أهميتها وفعاليتها القوة المادية للأسلحة، وهي أكثر ديمومة وشمولية، فقطيع من الغزلان يقودهم أسد أفتك من قطيع من الأسود يقودهم غزال. وعُيِّن شيوخ القبائل الصديقة للمناذرة قادة عسكريين من قبل ملوك الحيرة على الفرق العسكرية[2]، فعمرو بن ملقط[3] بعثه عمرو بن هند على مقدمة جيشه في إحدى المعارك[4]، ولا نستبعد فرضية كسب القبيلة وقدراتها العسكرية إلى جانب جيش المناذرة في هذه الخطوة المدروسة.

وكان عندهم منصب أمير الجيش، فإياس بن قبيصة الطائي تولى هذا المنصب[5]، ولا نجد معنى لكلمة أمير إلا نفس معنى قائد الجيش.

وبتولّي مَلِك المناذرة قيادة جيشه، اكتسب مقاتلوه شجاعة كبيرة، «ذلك أنَّ وجود رأس واحد يتولّى القيادة العسكرية من شأنه أن يؤدّي إلى الكثير من التنسيق ووحدة الكلمة، ممّا ينعكس في التنظيم، وبصورة خاصة في التخطيط العسكري والحملات العسكرية، ولقد كان هذا من الميّزات التي تمتع بها اللخميون»[6].

اعتمد الجيش المنذري في تحركاته على الحيطة البعيدة المدى، وركَّز على الاستطلاع وجمع المعلومات بشتى الوسائل، وهو أسلوب اعتمده الجيش المنذري قبل القيام بأي هجوم عسكري[7]، ويبدو أنَّ المناذرة وصلوا إلى درجة مرموقة في التجسس على الأعداء، فخالد بن الوليد صالح أهل الحيرة بشروط من ضمنها أن

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٧٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٤٢.

(٢) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya,** p.159.

(٣) هو عمرو بن ثعلبة بن غياث بن ملقط بن عمر بن ثعلبة بن عوف بن وائل بن ثعلبة بن رومان من طيء، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٠.

(٤) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٨٥، ابن حزم، **المصدر نفسه**.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٧٩.

(٦) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٣٣.

(٧) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٦١.

يكونوا عيونًا له على الأعداء[1]، وصقل ملوك المناذرة مهارتهم في الجاسوسية، فقد ذُكِرَ أنَّ الحارث بن جبلة كان يكرّم زهير بن جناب[2] وينادمه، فقدم عليه رجلان من بني نهد بن زيد[3]، يقال لهما: سَهْل وحَزْن ابنا زاح، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب وأخبارهما، فأكرمهما الملك وتقرَّبا منه، فحسدهما زهير بن جناب، فقال: أيها الملك، هما والله عين للمنذر ابن ماء السماء، وهما يكتبان عنك، فأوغر زهير بصدر الحارث، فقتلهما[4]، بسبب الدور الذي يلعبه الجاسوس في نقل المعلومات عن الخصم. وكان المنذر ابن ماء السماء يرسل جواسيس من العرب إلى سورية قبل غزوهم[5]، لاستيضاح مواقفهم وتحصيناتهم وقوتهم ونقاط ضعفهم، ولم يقتصر أمر العيون ونشر الجواسيس على الممالك العربية فقط، فالنعمان بن المنذر كان لديه مخبرين في بلاط كسرى، حيث كُتب إليه بأنّ كسرى أرسل إليه لإطلاق سراح عدي بن زيد من سجنه قبل وصول الرسول[6]، ومن غير المستبعد أن يكون المناذرة قد اطلعوا على نظام الجاسوسية عند الفرس والروم وتعلموا منهما، فقد كان الجواسيس البيزنطيين يعمدون إلى إيجاد أي حيلة للدخول إلى قصر الفرس، سواء بالتنكُّر كتجار أو بواسطة أخرى. وبالمقابل فإنَّ كسرى كان يرفع من أجور ورواتب جواسيسه بسبب الفائدة الكبيرة التي يجنيها منهم[7].

ونحن نعلم أهمية فوج الاستطلاع في المعارك الحربية، فمن يكسب معلومات مهمة عن خصمه يستطيع بكل سهولة الانتصار عليه وإلحاق الهزيمة الفادحة بقوّاته، فهو أشبه بنظام المخابرات حاليًا. والجاسوس «كان يُختار من أذكى الناس وأشدِّهم جرأة وأحدِّهم نظرًا، حتى كان ذلك مجالًا للفخر»[8].

---

(1) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٠٨.
(2) زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٦.
(3) بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، **المصدر نفسه**، ص٤٤٦.
(4) ابن واصل، الحموي (٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، **تجريد الأغاني**، ٣ أقسام، تحقيق طه حسين، وإبراهيم الأبياري، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ق١، جـ٢، ص٦٣٧.
(5) Procopius, **Wars**, I, p.155.
(6) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٥، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٩.
(7) Procopius, **The Secret History**, p.189.
(8) الجندي، علي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، دار مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م، ص١٧٥.

وقبل الهجوم يتمُّ تنظيم القوى المهاجمة في الجيش باعتماد تشكيلة قوامها مبدأ الانتشار القتالي، بتوزيع الجيش على شكل النسر المُحلِّق، للتمكن قدر الإمكان من المحافظة على زمام المبادرة، وتقضي هذه التشكيلة بأنْ يتقدَّم الجيش الملك أو أحد أقربائه أو قائد عسكري، مع ميمنة عليها قائد، وميسرة يتولّاها قائد، ويتبع بالناس، وربما المقصود بهم سكان بلاد المناذرة القادرين على حمل السلاح ولكن لم يمتهنوا الأعمال الحربية، ثم الكتائب العسكرية[1]. قال المخبل السعدي عندما غزا عمرو بن عدي الزباء:

ولـه مـعـدٌ والـعـبـاد وطـيّـئٌ   ومـن الـجـنـود كـتـائـبٌ ورفـاق[2]

ومن غير المستبعد أن يكون العرب قد تعلّموا أسلوب التشكيلات العسكرية من الجيشين الفارسي والبيزنطي، ففي أثناء المعارك بين هذين الأخيرين كانت الكتيبة المنذرية المشاركة مع الفرس توضع في الجهة المقابلة للكتيبة الغسانية المشاركة مع البيزنطيين[3].

وأَوْجد المناذرة الخيّالة، التي اعتمدوا عليها في الحرب بشكل أساس، فالنعمان بن المنذر هو مَن كَرْدَسَ الكراديس، أي: جعل الخيّالة كتيبة كتيبة[4]، وتميَّزت هذه الخيّالة بالخفّة والرشاقة، والاحتشاد بسرعة فائقة[5]، حتى لو بلغ عددهم ألف فارس[6].

والجدير بنا ألّا ننسى أنَّ صِلَة المناذرة بالفرس علَّمتهم تعبئة الجيوش[7] استعدادًا للمعارك. ممّا يعطي صورة واضحة عن التدريب العسكري الذي كانت تتلقّاه هذه الكتائب قبل التوجّه إلى ساحات المعارك، وهذه الصفات ليست بديهية في جيش مثل جيش المناذرة، بل هي ثمرة ممارسة وتدريب متواصل أيام السلم أوصل بهم إلى هذه الميزة العسكرية.

وشاركت النساء في الحرب، واتَّخذن من الصفوف الخلفية قاعدة لهنَّ[8]، وكانت

---

(1) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٤، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٠.
(2) الطبري، **المصدر نفسه**، ص٣٦٨، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣١.
(3) Procopius, **Wars**, I, p.167 - 169.
(4) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٦٩، وص٣١٩.
(5) Joshua of Stylite, **The Chronicle of Joshua**, p.16.
(6) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤٥.
(7) الحوافي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٣٣.
(8) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، جزآن، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت)، جـ١، ص٣٩.

مهمتهنَّ بعث الحماسة والإقدام والحميَّة في قلوب المحاربين، وتضميد جراحهم، وإرواء عطشهم[1]، كما فعلت نساء شيبان وبكر بن وائل وعجل[2] في يوم ذي قار[3]، وقمن بدورٍ مهم في تحريض الفرسان على التضحية والقتال[4]، ولمشاركتهن في الحرب قيمة معنوية مهمة[5].

ويتولّى قيادة كل كتيبة لواؤها، وكانت الراية تُعقَد في رأس الرمح ويحملها بطل[6]، وكان سقوطها على الأرض أو في يد العدو يعدُّ هزيمة نكراء، فهي الرمز الذي يجمع أبناء القبيلة تحتها[7].

واعتمد المناذرة مبدأ التعبئة السريعة والحشد في جيوشهم، فقد شبَّه الشاعر امرؤ القيس جيش المنذر ابن ماء السماء بالنشاص[8][9]. وقُدّر جيش النعمان بالألوف[10]، وعندما أراد المنذر بن النعمان الأعور إرجاع مُلك فارس إلى بهرام جور توجه على رأس عشرة آلاف من فرسان العرب إلى بلاد فارس[11].

ولا ننسى دور الطبيعة والمناخ القاسي في تكوين شخصية المقاتل، وبناء بنيته الجسدية، وثقل إمكانياته الحربية، ونحن نعلم أنَّ التحرك بهذه الأعداد من الجيوش

---

(١) الحوافي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٣٨، الأسد، ناصر الدين، **القيان والغناء في العصر الجاهلي**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٥٧.

(٢) عجل: بنو عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْز بن أفصى بن عبد القَيْس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ وص٢٩٧.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٥، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠.

(٤) التيمي، **المصدر نفسه**، ص٤٩٣، الطبري، **المصدر نفسه**.

(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٣ ـ ١٩٤، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٢١ ـ ٤٢٤.

(٦) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٨٠، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٤.

(٧) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٨٦، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٨) النَّشَاصُ: السحاب المرتفع، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٩٦.

(٩) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٦.

(١٠) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٤، ص٣٧٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٣.

(١١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٧ ـ ٤٠٨، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٩٥.

ليس بالأمر المستحيل، ولكن بالمقابل ليس بالأمر السهل، فإذا توفَّرت قيادة عسكرية فذَّة، وتدريب مستمر أمكن تحقيق هذه الغاية، فالمنذر ابن ماء السماء كان قادرًا على الغزو بكامل عديد وعتاد جيشه في أي منطقة يسيطر عليها البيزنطيين[1]، وهذا دليل على التنسيق والتدريب والتعبئة المدروسة.

واعتمد المناذرة في استراتيجيتهم العسكرية على مبدأ الهجوم الصاعق، والحرب الخاطفة القصيرة الأمد، وهي حرب تتميز بالمبادرة والمفاجأة والسرعة وكثافة الأسلحة، بغية الحصول على حسم المعركة لصالح المهاجم في أقصر مدة ممكنة، وإذا لم تتوفر إحدى هذه المميّزات، تكون الحرب قد فقدَت فعاليتها المتوخّاة وصفات السرعة والمفاجأة المطلوبة، ومن منطلق هذه العقيدة الهجومية تحتَّم على الجيوش الانتقال من أرض إلى أرض، واجتياز المسافات الشاسعة بسرعة قياسية من دون توقف، فتحقَّق ذلك باستعمال الخيول بكثرة، وهو الأمر الذي حقق لهم سرعة الاختراق والتقدُّم، واجتياز المسافات، فالرابطة كانوا متمرسين على ركوب الخيل في ساحات القتال[2]، «فوضع الراكب على الحصان يسمح له بتوجيه الحيوان من دون صعوبة ما، لأنَّه يجلس قرب رأسه، وهذا الوضع يساعد الراكب جيدًا في الإمساك بعنان الفرس بإحدى راحتيه مع ترك الأخرى طليقة حتى تسمح له باستعمال السلاح»[3].

ومن عاداتهم إذا توجهوا إلى الغزو أن يذبحوا أوَّل رجل يلقاهم، سُنَّة كانت لهم، يتيمَّنون بها[4]، لأنَّ مبدأ العنف والإرهاب حجر الأساس في الاستراتيجية المنذرية، ويرافقهم في كل أعمالهم الحربية لتثبيط همم الأعداء، ودبِّ الخوف والرعب في نفوسهم، وبالمقابل رفع معنويات الجيش المنذري.

وفي بعض الحالات كانت تسبق الحربَ نوع من المبارزة بين المحاربين من كلا الطرفين[5]، ففي حرب المنذر ابن ماء السماء والحارث الأعرج اقترح الأخير بأن يخرج رجل من أولاده ورجل من أولاد المنذر، فمن قَتَلَ يكون قد ربح الحرب[6].

---

(١) Procopius, **Wars,** I, p.159.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٣٣، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٦.

(٣) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٢٧٩.

(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٨.

(٥) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٩٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٧١ وص٤٣٣.

(٦) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٦.

وفي استراتيجية الهجوم المباغت كانوا يسدِّدون الرماح في بداية الأمر[١]، وهذا أشبه بنظام الصواريخ وقذائف المدفعية حاليًا، والهدف من ذلك إرباك الخصم وإنزال الخسائر في صفوفه قدر المستطاع، وجعله يفتقد لعنصر التوازن والسيطرة على أرض المعركة، ومن ثم يعمدون إلى سياسة الاكتساح والاقتحام، وزرع الخوف والرعب في نفوس الخصم، فكانوا من «أشد الناس أهلية للإغارة والهجوم»[٢]، وهذه الاستراتيجية تتطلّب المباغتة وخفَّة الحركة[٣]، ومِن ثَمَّ يقومون بالتدمير، والتخريب، والنهب، والسلب[٤]، فوُصِفوا بأنَّهم من أذكى الرجال في السلب والنهب[٥]، وقيل عنهم أنَّهم متوحشون كانوا يقومون بالتخريب والنهب[٦].

وارتبطت حياة بعض ملوك الحيرة بالعنف والتعطش لسفك الدماء فارتكبوا المجازر واستعبدوا الرجال[٧]، ووصلوا إلى حدِّ حرق الناس[٨]، حتى التصقت كلمة «محرق» ببعض الملوك (امرؤ القيس الثاني - وعمرو بن هند)، ولعلَّ من أسباب قتل المناذرة للأسرى والفتك بهم، أنَّ معظم جيشهم كان من الخيَّالة، لذا فالأسرى الجياع السائرين على الأقدام لا يستطيعون مواكبة هؤلاء في قطع المناطق القاحلة والوعرة للوصول إلى بلاد المناذرة؛ لذلك فعوضًا عن إطلاق سراحهم، يعمدون إلى قتلهم، وفي نفس الوقت يبثّون الرعب والوهم في صفوف الخصم.

وكان من المتعارَف عليه بين العرب أن لا يغزو بعضهم بعضًا في أشهر محدَّدة[٩]، وهي الأشهر الحُرم: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرَّم، ورجب[١٠]،

---

(١) Joshua of Stylite, **The Chronicle of Joshua,** p.54.

- الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٨٠.

(٢) دوبولس، خريسوستمس بابا، **تاريخ كنيسة انطاكية**، تعريب استفانس حداد، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٦٨.

(٣) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب علىٰ حدود**، م.س، ص٢٩٣.

(٤) Zachariah, **The Syriac Chronicle,** p.262.

(٥) Procopius, **Wars,** II, p.241.

(٦) Procopius, **The Secret History,** p.155.

(٧) Procopius, **Wars,** II, p.293.

(٨) John Ephesus, **Ecclesiastical History,** p.374, Joshua the Stylite, **The Chronicle of Joshua,** p.54.

(٩) Procopius, **Wars,** II, p.403.

(١٠) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٧، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٣.

فشهر محرَّم سمي محرَّمًا، لأنَّ العرب كانوا يحرِّمون القتال فيه، ورجب سمي رجبًا لترجيبهم الرماح من الأسنة، لأنَّها تُنزَع منها فلا يقاتلون فيه[١]، لكثرة سفك الدماء[٢]، والفداحة التي تسببها الحروب بصورها البشعة، فالحرب في عيونهم تحوِّل الليل نهارًا والنهار ليلًا لشدتها[٣].

ولم يتوانوا عن انتهاك المحرَّمات، بإحراق دور العبادة، وقتل رجال الدين، فقد ذبح المنذر ابن ماء السماء ٤٠٠ راهبة أسرها من كنيسة في حمص[٤].

وتفنَّن المناذرة في طريقة إلقاء القبض على الأسرى في أثناء مشاركتهم الفرس في حصار أي مدينة، حيث كانوا يُشكِّلون في الخطوط الخلفية شبكة من الجنود لإفشال أي محاولة فرار من قبل الخصم[٥].

وبعد القضاء على أعدائهم كانوا يقومون بقتل الملوك والقادة أو اعتقالهم، ويشتتون المحاربين، ويختارون النسوة الحسان أزواجًا لهم ويسبون الأخريات، وينقلون الثروات الموجودة لدى الأعداء[٦]، للاستفادة منها في ترفهم الاقتصادي والاجتماعي، ويُخلّى سبيل من يدفع مبلغًا كبيرًا من المال[٧]، وديَّة المرأة كانت نصف ديَّة الرجل[٨].

وفي بعض الأسرى كان الملك يقبل لهم الشفاعة من دون مال لإطلاق سراحهم، فعمرو بن هند أسر مروان بن زنباع العبسي[٩]، فوفدت بنو عبس[١٠] على النعمان،

---

(١) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، **الأيام والليالي والشهور**، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٩، وص١٢ - ١٣.

(٢) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٣٧٥.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٨٧.

(٤) Zachariah, **Ibid,** p.206 - 207.

(٥) Procopius, **Wars,** II, p.511.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٢٣، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٥٤، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٣٧.

- John Ephesus, **Ecclesiastical History,** p.239, Joshua the Stylite, **The Chronicle of Joshua,** p.64.

(٧) Procopius, **Ibid,** I, p.157.

(٨) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٢٨٧.

(٩) مروان القرظ بن زنباع بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢٥٠ - ٢٥١.

(١٠) بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٤٨١.

فأنزلهم وأكرمهم وشفع لهم إلى عمه عمرو بن هند في أمر مروان حتى أطلقه بغير فدية[١].

وفي مجال الاتصالات استعمل هذا الجيش الإشارات الاصطلاحية، فإذا شعر أي شخص بوجود غارة، أو رأى قومًا يتقدَّمون لمفاجأة قومه بغارة، يقوم بإخبار قومه من خلال إشارات اعتادوا على فهم معناها، فمن عاداتهم أنَّ الرجل إذا رأى الغارة قد فاجأتهم وأراد إنذار قومه تجرَّد من ثيابه، وأشار بها ليُعلمهم أنَّ أمرًا ما قد فاجأهم، فسمِّي في الأمثال: «أنا النذير العريان»[٢]، ويقال للرجل الذي يُنبِّه قومه إلى أمر الهجوم عليهم الصريخ[٣]، فوجود هذه الإشارات سمح بنقل الأوامر من القيادة إلى المقاتلين بسرعة فائقة، وهو أشبه ما يسمّى في العلم العسكري الحديث بفوج الإشارة.

وعندما حاصر الفرس الرها (أذاسا) Edessa[٤]، كان المناذرة معهم في الحصار[٥]، وهذه العملية في حصار القلاع وأسوار المدن كان أمرًا بالنسبة للعرب لا طاقة لهم به[٦]، وقيل: إنَّ العرب لم يكونوا ذوي أهلية حربية في الحصار وقتال الأسوار[٧]، ويُعزى السبب في ذلك إلى أنَّ المناذرة اعتمدوا في قتالهم أحد أهم مبادئ الفن العسكري، وهو تناسب الأهداف والوسائل، كما أعطوا أهمية قصوى لمبدأ اقتصاد القوى، ويقضي هذا المبدأ بتوزيع القوات بشكل يتناسب مع المهمة والوسائل، كما أعطوا أهمية قصوى لمبدأ اقتصاد القوى، ويقضي هذا المبدأ بتوزيع القوات بشكل يتناسب مع المهمة والوسائل والخصم والأرض، للتمكُّن من استخدام أقصى عدد من الوسائل مجتمعة ومتعاونة فيما بينها، شرط تأمين المفاجأة والسرعة والاستمرار، ممّا يؤدي إلى بلوغ الهدف المنشود وهو الخروج من المعركة بأقلِّ قدرٍ ممكن من الخسائر، وأقصر مدة ممكنة، ولتحقيق هذا الهدف طبَّقوا قواعد عسكرية

(١) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٢٧٢، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٣٧٥ - ٣٧٦.

(٢) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٤، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص٣٨١.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣٥٣، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٨٧.

(٤) الرها: اسمها بالرومية أذاسا، مدينة بالجزيرة الفراتية بين الموصل والشام، بينهما ستة فراسخ، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٠٦.

(٥) Joshua the Stylite, **The Chronicle of Joshua,** p.53 - 54.

(٦) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٢٩٣.

(٧) دوبولس، خريسوستمس بابا، **تاريخ كنيسة أنطاكية**، م.س، ص٣٦٨.

ثابتة تمثَّلت بالحشد الأقصى للوسائل، الذي يتمُّ تأمينه بالتحضير الجيد لمختلف وسائل إنجاح المعركة والجهد الأقصى في المعركة، أي استخدام القوى مجتمعة بأعلى مستوى من الجهد وأقصى درجة من النشاط والاندفاع، ثم بتعاون الجهود العسكرية في المعركة وتنسيقها بأقل قدر من الوقت، لذلك اعتمدوا مبدأ الكرِّ والفرِّ في المعارك[١]، ومن غير المستبعد أنَّ تأسُّس فكرة الحرب عندهم على حرية المناورة، لعدم ثقتهم بالفرس[٢]، وقيل في هذه الاستراتيجية: «لم تكن غارات المنذر وليدة الصدفة، بل كانت تتمُّ بعد التخطيط لها لكي تحمل عن قصد طابع المفاجأة والمباغتة وتنجح في سرعة التنفيذ والاستيلاء على الغنائم، وقد اشتهر العرب بمقدرتهم على الغارة الخاطفة، بحيث لم يتركوا للروم فرصة لتنظيم قواتهم لخوض معارك نظامية، فقد كانوا ينقضُّون فجأة ويضعون يدهم على ما يجدونه، ناشرين من خلال ذلك الهلع والاضطراب ثم يسارعون بالانسحاب»[٣]، فنلاحِظ أنَّ همَّهم الأوَّل والأخير الخروج من المعركة بأقل قدر ممكن من الخسائر وبأكبر قدر ممكن من الأسلاب، وهذا لا يعني أنَّ المناذرة غير مولعين بالحرب[٤]، بل اتَّبعوا استراتيجية خاصَّة بهم تتناسب وقدراتهم.

واستعملوا الحيلة في الحروب، وهي تقنية تضليلية قوامها إخفاء الشكل الحقيقي والتمويه مع مبدأ الاحتجاب، فإنْ صحَّت قصة غزو عمرو بن عدي للزباء، فإنَّ جيش المناذرة قد أخفى أربعة آلاف رجل بسلاحهم ضمن صناديق مربوطة على الجمال[٥]، فيكونون قد وصلوا إلى مرتبة مرموقة في التمويه العسكري، فهو إجراء يحمي الجيش من مراقبة الخصم، وهذا المبدأ يؤمّن النصر، بسبب مفاجأة الخصم وإرباكه، ويفقده السيطرة الميدانية خلال المعركة.

وترد الحيرة بمعنى: «معسكر الجيش»؛ لذلك ارتفعت على طول حدودها القلاع العسكرية التي ما تزال آثارها موجودة حتى الآن[٦]، «وكان أهل الحيرة إذا خرج الملك بمقاتلتهم إلى العرب خافوا أن يحالفه العرب إلى الحيرة غازين، فيتحصَّنون

(١) الحوافي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٣٢.

(٢) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab,** p.184.

(٣) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٣٣.

(٤) De lacy O'Leary, D.D, **Arabia before Muhammad,** p.76.

(٥) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٨.

(٦) Shahid, I, **Byzantium and the Arab,** p.18.

في حصونهم إلى أن يعود»[١]، وكانت هذه الحصون حصينة ووثيقة[٢]، ومحاطة بجدران قويَّة، وفي كل جهة بوابة تقودك إلى ساحة محددة[٣]، ممّا يعني أنَّها كانت عاصمة عسكرية أحسن الملوك تحصينها ضد غزوات الأعداء لتضييع فرصة المباغتة والمفاجأة، هذا في العاصمة، أمّا في البادية فقد شيَّدوا المسالح[٤]، وهي مواضع في الثغور يوضع فيها الجنود المسلَّحون لحماية الحدود من الأعداء[٥]، ومن غير المستبعد أن ترجِع فكرة إنشاء المسالح إلى الفرس حيث تعلَّم المناذرة منهم هذا الفن من التحصين والدفاع[٦].

وزُعم أنَّ «النعمان عجِز عن الحرب والهرب، فلم يستطع المقام ولا وجد من العرب مجيرًا حتى أسلم نفسه، وفي هذا دليل على أنَّ كتائبه المسمّاة بتلك الأسماء كانت كلها دون القبيلة الواحدة، أو أنَّهم لم يكونوا جُندًا له على الحقيقة، يقسِّم فيها الأموال فيقاتلون معه عدوه كائنًا ما كان، بل كانوا على ما رُوِي من أهل الحيرة وجنود الأكاسرة من أحوال أهل الأمصار، أنَّهم إذا كان سلطانهم مقيمًا فيهم نافذ الأمر عليهم تابعوا أمرهم وحاربوا معه عدوه... وإلّا فلِمَ هرب النعمان لمَّا أتاه كتاب كسرى يستقدمه قبل أن يواجه الحرب أو يُعلِمه أنه قد جهز إليه الجند؟ وما باله لم يُقِم بالحيرة ويقاتل ما يأتيه من جنود كسرى بالشهباء ودوسر والملحاء وبأهل مصره، ومن ينضاف إليه من العرب؟»[٧]. فهل يمكن الركون إلى هذه الرواية والتسليم بها، واعتبار المناذرة بلا جيش ولا استراتيجية هجومية؟ أم أنَّها كانت مجرد وصف لحالة عابرة لا يمكن الركون إليها لتطبيقها على جميع ملوك المناذرة؟

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٥.

(٢) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٦، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٠، حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ٢، ص٤٥٧.

(٣) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.200 - 201.

(٤) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢١٥.

(٥) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٧٣.

(٦) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢ـ ص٤٩٢، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٣٣٨.

(٧) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٦ ـ ٤٢٧.

ثانيًا ـ الجيش

شكَّل الاهتمام بالجيش أولوية مطلقة في سياسة ملوك المناذرة، فأضحى لديهم جيش يمكن الاعتماد عليه لتنفيذ المهمات العسكرية، حرصوا على تنظيمه تنظيمًا دقيقًا، متأثرين بالثقافة العسكرية الفارسية[١]، ليكون عماد سياستهم الخارجية، فوصلوا بغزواتهم وحروبهم إلى أغلب مناطق شبه الجزيرة العربية وسورية تقريبًا، إلى جانب أنَّهم في إحدى معاركهم ضد البيزنطيين وصلوا إلى حدود القسطنطينية. فمجتمع المناذرة كان مبنيًا بشكل أساس على الغزوات والحروب، قِوام هذا الجيش الجندي العربي المخلِص والمطيع لتقاليد وعادات قبيلته، يؤدّي واجباته العسكرية والمحالفات في الحروب على أكمل وجه، «فهم أقرب إلى الشجاعة، لأنهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، ولا يوكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائمًا يحملون السلاح ويلتفتون إلى كل جانب في الطريق، قد صار لهم البأس خُلُقًا، والشجاعة سجيَّة، ونجد المتوحشين من العرب أهل البدو أشد بأسًا ممّن تأخذه الأحكام»[٢].

فهل تنطبق هذه المواصفات على جيش المناذرة؟

على صعيد الجيش، قُسِّم إلى كتائب[٣]عسكرية، ويقال للكتيبة فَيلق إذا كانت كثيرة السلاح[٤]، وكانت الكتائب على الشكل التالي:

١ ـ كتيبة دَوْسَر

سُمّيت بهذا الاسم اشتقاقًا من الدَّسر، وهو الطعن بالثقل، فضرب بها المثل: «أبْطَش من دوسر»[٥]، والدوسر «الصلب الشديد...، وهو الطعن والدفع

(١) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam**, V, p.634.

(٢) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص١١٨ ـ ١١٩.

(٣) الكتائب: مفردها الكتيبة، القطعة العظيمة من الجيش، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٧٠١.

(٤) القالي، **الأمالي**، م.س، م٢، ص٧٢، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١٠، ص٣١١.

(٥) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٣١، حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، =

الشديد»[١]، وكان يقال لها: دوسرة[٢]، وسمّيت القبيلة أيضًا[٣]، فهي كتيبة رجالها من سكان المناذرة، ومن تنوخ حصرًا[٤]، وتتألَّف من قبائل شتّى أكثرها من ربيعة[٥]، وأكثر رجالها من قبيلة بكر بن وائل[٦]، ويُعزَى هذا الاختلاف إلى علاقة ملوك الحيرة بالقبائل، فعندما تكون أكثرها من ربيعة يعني أنَّ ملوك المناذرة على علاقة جيدة معهم، وعندما تكون أكثرها من بكر بن وائل يعني أنَّ ملوك المناذرة على علاقة جيدة معهم، فالمناذرة كانوا أذكياء في استعمال القبائل بعضها ضد بعض، فكانوا يُحرِّضونهم على بعضهم وعندما يريدون غزو قبيلة يستغلُّون أعدائها ضدها[٧].

قُدِّر عدد أفراد رجالها بأربعة آلاف[٨]، فدائمًا نصطدم بأرقام لا نميل إلى تصديقها في بعض الأحيان، وبشكل خاص في عدد أفراد الجيش، فأربعة آلاف لكتيبة مثل دوسر، عدد مكبَّر ويحتاج إلى تحضيرات لوجستية، وعلى ما اتضح لنا ليس في مقدور ملوك المناذرة توفيرها، ونرجِّح أن الكتيبة تراوح تعدادها بين المائة والألف[٩].

وكان لها قائدان[١٠]، ولا نرجِّح ذلك لأنَّ قوَّة الجيش أو الكتيبة تكمن في وجود قائد واحد فقط. أمّا ميزاتها فهي أخشن الكتائب، وأشدها بطشًا وقوَّة، ونكاية بالأعداء[١١]، «فهي كتيبة كانت تجمع فرسانهم وشجعانهم وذوي النجدة المنتخبين

= ص٩٥، ص١٦٣. وورد أن الشاعر هو المرار بن المعطل الهزلي، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ١، ص٢٣ ـ ٢٤.

(١) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٧٠١.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٤٦. ورد أن اسمها دوس، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٧.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٥. أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٤٦.

(٥) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٩٥، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٦٣.

(٦) حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٢٧٩، الميداني، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٥٣١.

(٧) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya,** p.155.

(٨) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٠٦.

(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٧٠١.

(١٠) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١٢٢، المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٢٤.

(١١) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٩٥، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٠٦.

منهم»[١]، ممّا يعني أنَّ أفرادها كانوا يُختارون وفق قواعد عسكرية محدَّدة، تؤهِّلهم للانضمام إلى هذه الفرقة؛ لذلك وُصِفوا بأنَّهم «محاربين شجعان»[٢]، وليسوا رجالًا عاديين، يثيرون الخوف والرعب في قلوب وعقول القبائل العربية، التي لم يكن لها قدرة ولا طاقة على محاربتها[٣]، ومن الواضح أنَّ هذه الكتيبة كانت من الكتائب المنظَّمة المستعدَّة في أي وقت للهجوم والفتك بالأعداء، فمهنتها الأساسية القتال[٤].

ولم يكن لها عهد الوفاء لملوك آل لخم، فعندما مَلَّك كسرى إياس بن قبيصة على الحيرة أرسل معه كتيبة الدوسر[٥]، ممّا يدلُّ على أنَّ ولاءها كان للفرس وليس للمناذرة، ونُظّمت وِفق الأُسس التي يقوم عليها الجيش الفارسي[٦]، فمِن غير المستبعد أن تكون قد رُبِّيت على العقيدة الفارسية القائمة على الإخلاص والوفاء للفرس، وليس مُستغرَبًا أن تنضم إلى الفرس، فهي كتيبة عسكرية، تمتهن القتال وبحاجة إلى مدخول مادي لأفرادها؛ لذلك كانت تقاتل مع أيّ ملك أو جهة تؤمِّن لها هذا المدخول.

٢ ـ الصنائع

قوم يصطنعهم المَلِك فيلزَمون خدمته، وصنائع المَلِك يعني أنصاره الذين يغزون معه ويستعين بهم[٧]، وذُكِر بأنَّهم خواص الملوك[٨]، فكلمة يصطنع تعني أنَّهم يتعلَّمون أساليب القتال واستخدام الأسلحة، أي مثل أسلوب التجنيد في الجيش حاليًا. والصنائع «هم الذين يقال لهم بنو رُقيَّة، أمٌّ لهم يُنسبون إليها، ويكونون مع الملوك، مِن شُذّاذ[٩]

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٢.

(٢) Kister. M.J, **Ibid,** p.167.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٤) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٣١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص٣٨١.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٢٤، ص٦١ ـ ٦٢، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٩٤.

(٦) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٦٧.

(٧) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٢، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٨٧.

(٨) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١٢٠.

(٩) شُذَّاذ، قوم شذّاذ: إذا لم يكونوا في منازلهم ولا حيِّهم، وشذّاذ الناس الذين يكونون في القوم ليسوا في قبائلهم ولا منازلهم. ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٤٩٤.

الناس»[١]، أمّا مصدرهم القبلي فهم «من بكر بن وائل، ثمَّ من اللهازم[٢]، من بني عبد القيس، وتيم اللّات ابني ثعلبة بن عكابة»[٣][٤]. ورُوِيَ أنَّهم بنو تيم اللّات، وبنو قيس ابن ثعلبة[٥].

والصنائع، هم خواص المَلِك لا يبرحون بابه[٦]، فهم كحرسه الخاص[٧]، وهذه الكتيبة أشبه بوحدة عسكرية أنشأها الامبراطور اركاديوس الأوّل[٨] في عام ٣٩٨م لحمايته في القسطنطينية، والتي سمّاها اركادياسي Arcadiaci[٩]. والصنائع «قوم من شذاذ الأحياء وخلعائهم، كانوا يصيبون الدماء ويجنون الجنايات على قومهم فيخلعونهم، فيلجؤون إلى الحيرة فيصطنعهم الملك ويجيرهم، ويأمنون عنده ويشهدون معه حروبه ومغازيه»[١٠].

فهم مرتزقة من قبائل مختلفة لا يمتُّون إلى آل لخم بأيِّ صلة أو قرابة، وهم أشداء مجرمون تعلّموا قساوة الحياة، لا يأبهون لخيانة الملك أو الهروب من ساحات الوغى؛ لذلك اتصفوا بالجبن والضعف أحيانًا[١١].

وتميَّزوا بكثرة العدد من خلال وصفهم في إحدى المعارك[١٢]، ونرجّح أنَّ عددهم

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٧.

(٢) اللهازم: هم عجل بن لجيم، وتيم اللات، وقيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل، وعنزة بن أسد بن ربيعة، وتيم الله بن عكابة يقال لهم اللهازم وهم حلفاء بني عجل، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣١٤، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٥٦.

(٣) بنو تيم الله وقيس هما ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣١٤ ـ ٣١٥. وذُكر أن تيم اللات وثعلبة هما من ولد سعد بن ضبة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن قتيبة، **المعارف**، م.س، جـ١، ص٨٨ ـ ٨٩.

(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٩.

(٥) حمزة الأصفهاني، **المصدر نفسه**، العسكري، **جمهرة الأمثال**، **المصدر نفسه**.

(٦) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٩٥، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٠٦.

(٧) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١٢٢.

(٨) أركاديوس Arkadios، هو ابن ثيودوسيسوس Theodisios ملك الرومان لـ ١٤ سنة، امتدت بين ٣٩٤ ـ ٤٠٨م. Theophanes, **The Chronicle**, p.113. -

(٩) Theophanes, **Ibid**, p.115.

(١٠) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١ـ ص١٠٨.

(١١) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٠٨.

(١٢) **المصدر نفسه**، ص٥١٢.

لم يتجاوز الألف محارب. أمّا مصدرُ رزقهم فكان من إهداءات العجم في الأنبار[١].

فالصنائع طوائف من الناس يصطنعهم الملك لمساندته، ويكونون عونًا له وجندًا يحارب بهم، فهم من المرتزقة، لا يتردّدون في الانضمام إلى أي قبيلة أو ملك آخر طمعًا بالمال والحماية، فقد استعان سلمة بن الحارث بن الكندي بالصنائع على أخيه شرحبيل في يوم الكلاب الأوّل[٢].

ولا ننسى إنَّ ملوك المناذرة اعتمدوا على الجنود الأجانب أو الجنود المستأجَرين (المرتزقة)[٣] في حروبهم ومعاركهم، فمن غير المستبعد أن يكونوا هم نفسهم المرتزقة.

٣ ـ الرهائن

هم كتيبة من كتائب ملوك المناذرة، يصل تعدادهم إلى خمسمائة رجل، كانوا رهائن لقبائل العرب، يقيمون على باب الملك سنة، ثمَّ يأتي بدلهم خمسمائة أُخرى، وينصرف أُولئك إلى أحيائهم، وكان المَلِك يغزو بهم ويوجِّههم في أموره[٤]. ووافق أبو البقاء على العدد بأنَّهم كانوا خمسمائة غلام، ولكن خالفهم في فترة الخدمة التي حدَّدها بستة أشهر ثم يرهن غيرهم، وينصرف الذين قضوا نوبتهم إلى أهاليهم[٥]. فلم يسمح لهم بالذهاب إلّا بعد قدوم غيرهم من الرهائن، فهذه إشارة إلى أنها خدمة إجبارية تُفرض على القبائل، فهي بمثابة خدمة العَلَم الإلزامية في وقتنا الحالي.

والرهائن «غلمان كان الملك بالحيرة يأخذهم رهائن من أحياء العرب على الطاعة، وعلى أن لا يفسِدوا في بلاد كسرى ولا يغيروا على أطرافها، وعلى ما كان يجري بينه وبينهم من صلح أو ميثاق على أمر من الأمور، فيكونون عنده ويصحبونه في سراياه ومغازيه»، قال الأعشى في مدح النعمان بن المنذر:

لـه قـبـةٌ مـضـروبـةٌ بـفِـنـائِـهـا   عُتاقُ المهاري والجيادِ والصّوافنُ

---

(١) البلاذري، **الفتوح**، م.س، ص٣٤٤.

(٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ١، ص٤٨، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٦.

(٣) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya**, p.165.

(٤) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٩٥، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٠٦.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٠.

إذا صُرِفَتْ أبوابُها خضعَتْ لها رِقابُ مَعدٍّ دِينَها والرهائنُ»[1]

فوجود هؤلاء المقاتلين كان ضمن ميثاق أو صلح، ونستوضح أكثر عن وضعهم فيما يلي: إنَّ عمرو بن هند جمع قبيلتي بكر وتغلب ابنا وائل وأصلح بينهما، بعد صراع قضَّ مضاجعهما، فأخذ من القبيلتين رهنًا من كلِّ قبيلة مائة غلام ليكفَّ بعضهم عن بعض، فكانَ أولئك الرهائن يصطحبون معه في مسيره وغزواته[2]. فهم مقاتلون من القبائل العربية حصل عليهم ملوك الحيرة مقابل الصلح الذي أوجده بين القبائل المتنازعة، وليس كما ذُكر بأنَّهم ضمانات من القبائل يأخذونها لكي لا تُهاجِم أراضي الحيرة[3]، فكيف يكونون ضمانات تُؤخَذ من القبائل لكي لا تُهاجِم الحيرة، وهم في الوقت نفسه سيُصبحون في بلاط الملك ممّا يسهِّل عملية غزو وسلب الحيرة، بسبب المعلومات التي يسرِّبونها إلى رؤساء قبائلهم، ومساعدتهم لهم أثناء الغزو ضد الحيرة، ونحن نعلم أنَّ ولاء العربي قبل الدولة والمملكة هو لعشيرته.

فهم فتية في ريعان شبابهم، يتميَّزون بالقوَّة والقدرة على المناورة والتحرُّك بسرعة والاستعداد الدائم للقتال، ومخصّصون لمهام أمور المَلِك[4]، وهي جاهزة دائمًا لتقضي على أي خصم[5].

٤ ـ الجَمَرات

مفردها الجَمْرَةُ: وهي القبيلة التي تقاتل جماعة قبائل، ويكون تعدادها ثلاثمائة فارس، وقيل: ألف فارس، ويتميزون بالصبر في ساحات القتال، وجَمَرات العرب: بنو الحرث بن كعب[6]، وبنو نمير بن عامر[7]، وبنو عبس، وقيل: هي أربع جمرات يزيد فيها بني ضبة بن أدّ[8]، وقيل: لكلٍّ منها جَمْرة لأنَّهم تجمَّعوا حتّى قَووا على

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٩ ـ ١١٠.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٤٢، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٣١.
(٣) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya**, p.165.
(٤) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٣٢.
(٥) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٣٥.
(٦) بنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣١٨.
(٧) نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٨٢.
(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣١٨، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص١٤٥.

عدوِّهم، وهم ضبَّة، وعبس، والحرث بن كعب[1]. وهم «قوم من لخم خاصَّة دون غيرهم، سُمّي منهم بنو أريش بن أراش بن جُزيلة بن لخم، وقيل: بل هم من قبائل شتّى من لخم وغيرها، وسُمِّي منهم بنو سلسلة من جعفي، وبنو ماوية من كلب، وقوم من بني سلامان بن ثعل من طيء»[2].

ومن اسمها يتبين لنا قوَّتها وبطشها في الأعداء المناوئين لها، فاتَّخذوا القتال مهنة الحياة، وجعلوا من الثغور بإزاء الأعداء لفترةٍ طويلةٍ؛ لذلك قيل لهم: التجمير[3]، والتجمير هو: التجميع[4]؛ ما يدلُّ على عددهم غير القليل.

٥ ـ ذو الآكال

الآكال، هم سادة الأحياء الذين يأخذون المرباع وغيره، وآكال الجند أطماعهم[5]. فهم كانوا ذوي مركز اجتماعي مرموق، ومقابل عطائهم العسكري قُدِّمت لهم الإقطاعات والأموال، فهم من طبقة الأشراف، أقطعهم الملوك القطائع. فذو الآكال قيس بن مسعود[6]، وكان كسرى أطعمه أبلة وثمانين قرية من قراها، ويزيد بن مسهر[7][8].

وضم بين أفراد هذه الكتيبة من قبيلة بكر بن وائل[9] الذين امتهنوا القتال والدفاع عن ملوك الحيرة وحدود مملكتهم مقابل الإقطاعات والهبات التي تُمنح لهم.

٦ ـ المَلْحاءُ

هو الشيء الذي فيه اللون الأسود والأبيض، لكنَّ بياضه يعلو سواده، ومنه كتيبة ملحاء[10]، وقيل: «إنَّها سُمِّيت بذلك لكثرة لبوس الحديد فيها والإملاح ما أشبه

(١) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٤٣ ـ ١٤٢.
(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٨.
(٣) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٧.
(٤) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣١٨.
(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٢١ وص٢٣، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٤، ص٢٣ ـ ٢٤.
(٦) قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجندين بن عمر بن الحارث بن همام بن مرة بن شيبان، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٦١.
(٧) يزيد بن مسهر بن أصرم بن ثعلبة بن أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، والحارث بن وعلة بن المجالد بن يثربى بن الزبان بن الحارث بن مالك بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة، **المصدر نفسه**.
(٨) **المصدر نفسه**. (٩) الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٤، ص٢٣.
(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٦٠٢ ـ ٦٠٣، الزبيدي، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٢١٧.

لونه الرماد من بياض يشوبه سواد أو سواد يشوبه بياض»[١]، وكانوا ينادون بالملحاء بسبب لون الحديد[٢]، الذي كان يصنع منه الدروع التي يلبسونها.

ونُسبَت الملحاء إلى الأسود بن المنذر[٣]، تميَّزت بقوَّتها وبطشها بالأعداء، وزعم أنَّ المُلحاء كتيبة كانت لآل المنذر من ملوك الشام، وهما كتيبتان إحداهما هذه والثانية الشهباء[٤]، ولا نرجِّح أن تكون الملحاء كتيبة لملوك الشام، فربما جُعِل آل المنذر من ملوك الشام، وقُصِدَ فيهم ملوك الحيرة. فهي كتيبة من أهل الحيرة حصرًا ولم يدخل في صفوفها غيرهم، بسبب أنواع الدروع التي يرتدونها، فهي غالية الثمن وتقي المقاتل من الأسهم وضربات السيوف.

٧ ـ الوَضائِعُ

هم الذين يوظِّفهم الملوك على رعيتهم، ويستأثرون في الحروب وغيرها من المغانم، ولا يؤخَذ أو يُستَردُّ منهم ما كان منح لهم[٥]، فكانوا أشبه بالمشايخ[٦]؛ ما يدلُّ على المرتبة العليا التي شغلوها في بلاد المناذرة، فهذه الكتيبة كانت مع الملوك بالحيرة وغيرها. وهم الرابطة[٧]، أي: الأعراب الذين لهم دوابّ[٨]، فهم الجنود الذين على الخيول، ويمثِّلون حاليًا فوج المدرَّعات في الجيوش، فهم عماد الجيش.

وسُمُّوا بالوضائع لأنَّ كسرى كان يضعهم عند الملك بالحيرة[٩]؛ لذلك حصّلوا على هذه المرتبة العليا عند المناذرة، ووصل تعدادهم إلى الألف من أساورة[١٠] الفرس، يضعهم ملك الفرس بالحيرة لنجدة آل لخم، فكانوا يقيمون سنة ثم يأتي

---

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٣.

(٢) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya,** p.167.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٤١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٠٦.

(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٦٠٦، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٤، ص٢١٧.

(٥) ابن منظور، **المصدر نفسه**، ص٣٣٩.

(٦) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٢، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٥٠٦.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٣٣، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٤٦.

(٨) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٦.

(٩) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٩.

(١٠) الأساورة: جمع الأسوار، وهو الفارس لأن العجم لا تضع اسم أسوار إلا على الرجل الشجاع البطل المشهور، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٣.

بدلهم ألف أسوار وينصرف أولئك[١]، فيتَّضح أنَّهم فرقة فارسية جميع أفرادها من الجيش الفارسي، ومن غير المستبعد أن يكونوا هم أنفسهم الذين كان كسرى يرسلهم إلى الحيرة لتقوية ملوك المناذرة[٢]. «والوضائع هم المقيمون بالحيرة»[٣]، وهذه إشارة إلى أنَّهم ليسوا من سكان الحيرة ولكنهم يقيمون فيها، ووجودهم بالحيرة يعني دار الملك، فيساندون الملك. والوضائع هم المسالح، والمسالح هي موضع السلاح ومركز الجنود[٤]، ولكسرى مسالح كثيرة مثل مسلحة القطقطانة، ومسلحة بارق[٥].

واستعان ملوك الحيرة بالوضائع لقهر السكان التابعين لهم حتى تستقيم لهم طاعتهم، وجنَّدوها في حروبهم ضد القبائل العربية[٦]؛ لذلك كانوا فرقة أساسية في الجيش المنذري.

وقد استهان عمرو بن جوين الطائي بالوضائع عندما خاطب المنذر بن ماء السماء متحديًا إياه، فقال له: فهبش وضائعك[٧].

٨ ـ الشَهْباءُ

«كتيبة شهباء، لِمَا فيها من بياض السلاح والحديد»[٨]، فهي فرقة محاربة تعداد رجالها من الفرس[٩]، ما يدل على أنَّها كتيبة تُرسَل لمساندة ملوك الحيرة والدفاع عن مصالح الفرس في بلادهم، والشهباء «هي التي كان يكون فيها أهل بيت الملك، وإنَّما سُمَّيت بذلك لأنَّهم كانوا يُسَمَّون الأشاهب لجمالهم وصباحتهم. وقيل: بل

---

(١) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٩٥، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٠٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٩٣، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٣.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٨٧، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤١٣.

(٤) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١٢٠، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٣٣٩.

(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٩.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٩، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٥٠٦ وص٥١٢.

(٧) القالي، **الأمالي**، م.س، م٢، جـ٣، ص١٧٨.

(٨) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٩٣، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٥٠٨.

(٩) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٤٦.

هي كتيبة الفرس كانوا يسمون الوضائع، سميت بذلك لبياض ألوانهم»[١]، فهنا خُلط بين الشهباء والوضائع الأشاهب.

وروي أن الأشاهب هم إخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعه من أعوانهم، سُمّوا الأشاهب لأنَّهم كانوا بيض الوجوه[٢]. فالاسم «مشتق من البياض لأن جنودها كانوا بيض الوجوه... والواقع أنَّ هذه الكتيبة كانت في زمن أبي قابوس مكوَّنة من إخوته وبني عمه وأتباعهم وأعوانهم»[٣]. والشهباء غير الأشاهب، فالأخيرة هم بنو المنذر الذين سمّوا بالأشاهب لجمالهم، وكتيبة الشهباء هي فارسية العنصر ولا تمتُّ بصلة إلى بني لخم، وتميّزت هذه الكتيبة بقوَّتها فخافتها القبائل العربية[٤]، فالشهباء، أي القوية الشديدة والعظيمة الكثيرة السلاح[٥]، وأصل الكلمة فارسي أي: (شاه باي) قبيلة الملك، أي: حرس الملك الخاص وموطن الملك، ولعلَّ هذا هو أصل الكلمة، فكأنَّها قد نُظِمت على الطراز الفارسي أيضًا، وكانت كالحرس الملكي[٦].

وهذه الكتيبة إلى جانب دوسر مخصَّصة للقتال في ساحات المعارك[٧]، والملاحَظ أنَّها كانت تحت السيطرة المباشرة لسلطة الفرس[٨].

ويوجد كتيبتان شهباويتان[٩]، فربّما أُرسِل في بعض الحالات الطارئة إلى بلاد المناذرة أكثر من كتيبة لتثبيت أركان الحكم.

---

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٣.
(٢) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٩٥، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٠٦.
(٣) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١٢٢.
(٤) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٥٣ ـ ٣٥٤.
(٥) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٢٤.
(٦) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٧٦.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص٣٨١.
(٨) **المصدر نفسه**، جـ٢٤، ص٦١ ـ ٦٢، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٣٢.
(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٩٤.

ثالثًا ـ الأمن

١ ـ الأمن الداخلي

تعمل جميع الممالك والدول على تأمين أمن داخلي لأفرادها ومؤسّساتها، ولكن منذ القدم وحتى الآن لم تنجح نظرية الأمن المطلق لأي دولة من الدول، فمهما علا شأن التنظيمات الأمنية وتعددت أجهزتها فإنَّه يتعرَّض للاختراق، ولكن رغم ذلك فإنَّ الأعمال الأمنية الإيجابية نسبتها أعلى بكثير من الأعمال الفاشلة. ومن أهمّ الأجهزة الأمنية الموجودة في بلاد المناذرة كان جهاز حماية الملك وأفراد الأسرة الحاكمة، فقد كان الحرس ينثر التراب حول خيمة فاطمة بنت المنذر ويجرون عليه ثوبًا حين تمسي ويحرسونها فلا يدخل عليها إلّا ابنة عجلان، فإذا كان الغد بعث الملك من ينظر في أثر من دخل إليها، فيعودون ويقولون له: لم نرَ إلّا أثر بنت عجلان، وفي إحدى الليالي حملت بنت عجلان الشاعر المرقش الأصغر على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب، وأدخلته إليها فبات معها، فلمّا أصبح بعث الملك لينظر في الأثر، فنظروا وعادوا إليه فقالوا: نظرنا أثر بنت عجلان وهي مُثْقلة[١]. فنظام نثر التراب ومسحه لاتِّباع الأثر عليه هو نظام يستخدم حديثًا، حيث استخدمه العدو الإسرائيلي في حماية حدود كيانه.

ومن الواضح أنَّ جميع أفراد الأسرة المالكة تمتعوا بنظام أمني حمائي، فالشاعر عمرو بن كلثوم عندما هجا سلمى زوجة المنذر بن المنذر ابن ماء السماء قال:

ولا يـكـونَ عـلـى أبـوابِـهـا حَـرسٌ   كـمَـا تَـلْـتَـفُ قـبـطـيٌّ بـديـبـاجِ[٢]

فالمسؤول عن حراسة أفراد الملك ما هو إلّا فرع من فروع الأمن الداخلي. وتعتبر عملية حماية الزوار الوافدين إلى بلاد المناذرة عملية مهمة، لأنَّها تلحق العار والسمعة السيئة لأيِّ بلدٍ يتعرَّض فيه زائر للأذى أو القتل، حيث تولّى الأمن الداخلي حماية الزائرين لبلاد الحيرة خوفًا من تعرُّضهم للأذى لأنَّ ذلك إهانة سياسية وقبلية

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٦، ص١٣٧.
(٢) **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٥٨ ـ ٥٩.

موجهة إلى الملك الحاكم للبلاد، وهذا أمر لا يقبل به النظام آنذاك. فقصَّة خالد بن جعفر[1] الذي أهان الحارث بن ظالم[2] في مجلس الأسود بن المنذر خير دليل على وجود عيون تراقب الزوار، حيث لم يستطع الحارث الانتقام من خالد بوجود الملك، فانتظر حتى أسدَل الليل ستاره، وهدأت العيون فدخل ليلًا على خيمته وقتله[3]، فارتفع صوت صراخ، وعلى أثر ذلك خرجت الخيول، والمقصود بها الشرطة تلحق الحارث، لكنَّه كان قد فاتهم[4]، بسبب حبكه المسبق لخطَّته، ووضعَ بالحسبان أمر ملاحقته من قبل الشرطة، الذين كانوا ينشطون في النهار ويهدؤون في الليل، فقد قال النابغة الذبياني:

إلى ابنِ محرِّقٍ أعملْتُ نفسي ... وراحِلَتي وقد هدأتْ عيونُ[5]

فَيُفهَم من السياق أنَّ رجال الأمن كانوا معروفين من قِبَل العامّة، ويهدؤون في الليل، وسبب معرفتهم قد يكون لباسهم الموحَّد أو إشارة يستعملونها تدل عليهم.

ويبدو جليًّا أنَّ بلاد المناذرة كانت تعيش ربيعًا أمنيًا بامتياز، فمرثد بن سعد بن مالك عمّ الشاعر عمرو بن قميئة، هرب إلى الحيرة، وقال لعمرو بن هند: إنَّ القوم أطردوني، فقال له: ما فعلوا إلَّا وقد أجرمت، وأنا أفحص عن أمرك، فإن كنت مجرمًا رددتك إلى قومك، فغضب منه وهمَّ بهجائه[6]. فمن المؤكَّد أنَّه كان للملك رجال مهمتهم الاستفسار عن أمر القادمين إلى الحيرة، والداخلين إليها، وهو ما يشبه نظام الأمن العام حاليًا، فهجاء مرثد بن سعد لعمرو بن هند ما كان ليحصل لولا معرفته المسبقة بنجاح استخبارات الملك بكشف حقيقة أمره.

فبغضِّ النظر عن أمر الغرباء الداخلين إلى بلاد المناذرة، فهو ينطوي في المبدأ على بداية الفلتان الأمني، فالنعمان بن المنذر كان يريد إجلاء السواقط من الناس

---

(١) خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٨٢ وص٢٨٥.
(٢) الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤.
(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٧، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٤٨ - ٣٤٩.
(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٦١.
(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٨١. ورد: هدت العيون، بدل: هدأت عيون، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ٢، ص٥٦٥.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٨، ص١٤٠ ـ ١٤١.

الذين يقدمون اليمامة[1]، فهذا التدبير الاحترازي ما هو إلّا منعًا للعبث بالأمن وانتشار السرقة والقتل، والذي ساعد الملك على هذا التدبير جهازه الأمني المتمرِّس في عمله. ولم تقتصر المراقبة على الدخلاء والغرباء أو المخلّين بالأمن، بل طال ذلك سكان بلاد المناذرة أيضًا[2].

وفرض اتِّساع المملكة على المناذرة ربط جميع الأقاليم بجهاز أمني تحت سيطرة الملك من خلال بريد ينقل الأوامر من المركز إلى الأطراف، فقد كتب عمرو بن هند إلى عماله في الريف يلزمهم أن يأخذوا المتلمّس إن قدِروا عليه يمتار طعامًا أو يدخل الريف[3]. فالواضح أنَّهُ كان هناك جهاز أمني كان يخبر عمرو بن هند عن تحركات المتلمّس، الذي كان مراقب بواسطته. فنظام البريد كان أحد الأذرع الأمنية الداخلية والخارجية التي عمل ملوك المناذرة على تقوية عضلاتها، فأنجَزوا المهمّات بأسرع وقت وأقل كلفة.

وزرَع النعمان بن المنذر عيونًا له في بلاط جبلة بن الأيهم[4] الغساني، فكانت الأخبار ترده بسرعة مذهلة. فقد علم بمؤامرة اغتياله من قِبَل رجل أرسله جبلة بن الأيهم، قبل وصول المنفِّذ للعملية إلى بلاد المناذرة، فاستُدرِجَ الجاسوس الغساني إلى الملك، وهذا الأخير على علم بكل خطوة من خلال عيونه، فوقع في شباك النعمان الذي استطاع قتله[5]، وهذا يدلُّ على قوَّة نظام المخابرات الموجود في ذلك الوقت.

وقصَّة الشاعر المرقش الأصغر مع فاطمة بنت المنذر مشهورة، فبعد انكشاف علاقتهما، هرب من المنذر بن المنذر ابن ماء السماء وقصد الشام، فتبعه مراقبون كانوا منقَّبي الوجوه، يراقبون تحركاته[6]، ولم يكتفي المناذرة بزرع العيون في البلاط

---

(١) السَّواقط، «الذين يردون اليمامة لامتيار التمر»، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٧١٩.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٠.
(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٠١، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٢٩.
(٤) جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث مارية، وهو آخر ملوك غسان، وهو الذي كان أسلم ثم تنصَّر ولجأ إلى الروم. حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٩٦. حكم بين ٦١٤ و٦٣٥م، نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٥٧.
(٥) ابن واصل، **تجريد الأغاني**، م.س، ق٢، جـ٢، ص١٣٨٤.
(٦) المفضل الضبي، بن محمد بن يَعْلى بن عامر بن سالم (ت١٧٨هـ/ ٧٩٤م)، **المفضليات**، تحقيق أحمد محمود شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٣م، ص٢٢٨.

الغساني، بل كانت لديهم عيون في بلاط كسرى، فعندما وصل رسول كسرى ليطلُبَ من النعمان بن المنذر إطلاق سراح الشاعر عدي بن زيد من سجنه، كانت المعلومات قد وصلت إلى النعمان من خلال عيون مزروعة في بلاط كسرى، فأوعزوا إلى أحدهم أن ينطلق ليخبر النعمان بأنَّ رسول كسرى قد زار عديًا في سجنه قبل أن يقابل الرسول النعمان[1]، وهذا كلُّه يشهد شهادة قاطعة بانتشار الأمن والعيون بشكل منظَّم.

٢ ـ السجون

عمل الأمن الداخلي في بلاد المناذرة على سجن المخلّين بالأمن، بدلًا من معاقبتهم بالقتل، وتفاديًا لاشتعال نار الفتن بين الملك والقبائل الأخرى، وهذه السجون كانت بسيطة تتألَّف في الغالب من غرفة محصَّنة لمنع فرار السجين، ولم يهرب أي سجين من السجناء؛ ما يدلُّ على حصانتها وشدَّة حراستها.

أ ـ أسماء السجون:

١ ـ سجن الثوية:

اتُّخذ سجن الثوية من قبل ملوك المناذرة لمعاقبة من أرادوا، فجعلوا مكانه في صحراء الثوية[2]، ليصعُب على السجين الفرار منه، وفي حال هروبه يموت في الصحراء عطشًا حيث لا يجد من يساعده، وسُمّي بهذا الإسم لأنَّ النعمان بن المنذر كان يحبس فيه من أراد قتله، فكان يقال لمن سجن فيه؛ ثوى، أي: أقام، فسُمِّيت الثوية بذلك[3]، وسَجَنَ العديد من الأشخاص فيه، ومنهم الشاعر المنخل اليشكري[4]. وعدي بن زيد الذي سجن فيه فترة غير طويلة[5].

٢ ـ سجن الصَّنينن:

سجن اكتسب شهرته في الحيرة بسبب سجن النعمان بن المنذر لعدي بن زيد فيه[6]،

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٢٢، ص١٨٧.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ١، ص٣٥٠، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٩.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٢٥٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢١، ص٣ ـ ٤.

(٥) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٩٢.

(٦) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٦٦، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٥.

وكان هذا السجن من السجون الصعبة التي لا يسمح فيها لأحد بزيارة السجين[1].

٣ ـ سجن القططانة: كان سجنًا للنعمان بن المنذر[2].

ب ـ أمن السجون:

يُسمّى المسؤول عن السجن بالسجّان[3]، وقيل له الفُيُوجُ[4]، وهو الذي يدخل السجن ويخرج منه[5]، وهي كلمة فارسية معرَّبة[6]؛ ما يدلُّ على تأثير واضح للفرس في مساعدة المناذرة على تطوير أجهزتهم الأمنية، ويساعد السجّان الحرس[7]، ومهمته مراقبة المسجونين وتأمين الطعام والشراب لهم، ورغم سطوة ملوك الحيرة وجبروتهم، فقد استطاع عدي بن زيد أن يرسل شِعْرًا إلى أخيه يستجيره لإطلاق سراحه[8]؛ ما يدلُّ على أنَّ الحراس كانوا يرتشون، ولم تكن معاملتهم جيدة، فلا يقدَّم لهم سوى الماء للشرب[9] أحيانًا، وكان السجين يكبَّل بالحديد ويُقيَّد به لمنعه من الهروب[10]. وفي حال هروبه لا يستطيع أن يركض لمسافة بعيدة.

وتعرَّض السجناء لأنواع شتى من التعذيب، ولأساليب وحشية من القتل من قبل السَّجان وحرّاس السجن، رغبة من الملك في جعلهم عبرة لغيرهم، إلى جانب عدم وجود رادع ديني يمنع التعذيب داخل السجن. فالمنخل اليشكري عُذِّب تعذيبًا شديدًا داخل السجن حيث كان يطعنه سجّانه عكب ـ قيل: إنَّه رجل من لخم، وقيل: إنَّه من تغلب ـ بالحربة في قفاه، ويجرُّه بقيوده ويعذِّبه حتى مات داخل السجن أيام

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٠، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٧.

(٢) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٧٤.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٩٣.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٥.

(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٣٥٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٣، ص٤٦٤.

(٦) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٤٣.

(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٧.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص١١٦ ـ ١١٧، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

(٩) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٣، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص١١٤.

(١٠) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٥.

النعمان بن المنذر فحرَّض قومه على الانتقام له[١].

والتعذيب الأصعب من ذلك كان يتولّاه المعكبر[٢]، الحاكم الفارسي، فقد كتب إليه عمرو بن هند أن يقتل المتلمس وطرفة، فيقطع أيديهم وأرجلهم ويدفنهما أحياء[٣]، وكان له أسلوب خاص في تعذيب السجناء فيجعل أيديهم تحت أرجلهم ويضم أرجلهم إلى صدروهم، وكانوا يسمون ذلك العكْبَرَة؛ لذلك لقّبوه بالمعكبر[٤]. ولم يتردَّد ملوك المناذرة في صلب الأشخاص في حال قاموا بعمل يمسُّ بمصالحهم الخاصَّة، فالنعمان بن المنذر صلب رجلًا من بني عبد مناف بن دارم من تميم لأنَّه كان يقطع الطريق على القوافل التجارية، وعلى زوار الملك[٥]. وصُلب الشاعر طرفه[٦].

وتفنَّن بعض ملوك المناذرة في تعذيب الأفراد المُدانين بجرائم القتل، فقد أمشى الأسود بن المنذر قومًا على النار فتساقط لحم أقدامهم عن العظم بسبب قتلهم ابنه شرحبيل[٧]، وعُذِّب الشاعر عبيد بن الأبرص قبل قتله بأمر من النعمان بن المنذر إلى أن قتله أسد بن ناغصة[٨][٩].

ومن عادة الملوك أن يكونوا شديدي الغضب على عامة الشعب، فقد كان بباب النعمان بن المنذر رجل يسمى بطّالًا، فضحك، فقال النعمان: أبجليسي تضحك؟ فأمر بحرقه بالشمعة من عرض عنق رقبته[١٠]، فهذا العذاب ليس لأحد قدرة على

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١، ص٣ ـ ٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٥٨.

(٢) ورد أن اسمه المكعبر: وهو آزاد فروز بن جشنس، وأنما سمي بالمكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٦٠. وهو آزاد فيروز بن جشيش وسمَّته العرب المكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٦٢. وورد اسمه المكعبر، حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص١٢٠، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٥٥، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٣، ص٢٢٥، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ١، ص٤٩. وورد المعكبر، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٤١٣.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠٠، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨١.

(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٥. (٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٠.

(٦) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٠٠، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨١.

(٧) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص١٦٧، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٥.

(٨) أسد بن ناغصة بن عمرو التنوخي، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ١، ص٢٩٨.

(٩) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٩.

(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٨٣.

تحمُّله، ولا نعتقد أن بطّالًا قد بقي على قيد الحياة بعد هذا الفن من فنون العذاب.

واستعمَل أسلوب خنق السجين حتى الموت، فعدي بن زيد غطّوا وجهه بشيء حتى اختنق[١]. وزُعم أنَّ امرأة عدي باتت عنده ليلة في السجن ومعها ابنتها هند جويرية صغيرة[٢]، فإنْ صحَّ ذلك فنظام السجون كان متطورًا في ذلك العصر أكثر من الوقت الذي نعيش فيه. ورُوِيَ أنَّ عديًا دُفِنَ حيًّا أو غُرِّقَ بالماء[٣]، وأمَرَ المنذر ابن ماء السماء أن تحفر حفرتين لنديمين له من بني أسد ويدفنا فيها حَيَّين[٤]. وأُحرِق أسرى الحرب في يوم أوارة. وكان السجّان يعمَد إلى جزِّ ناصية[٥] الأسير السيد ولا يقتله مذلَّةً له[٦].

فأساليب القتل كانت مختلفة ومتعدِّدة، حتّى أنَّ القتيل كان يخيَّر بأي نوع من العذاب يريد أن يتذوق. فيفضل بعضهم أن يشرب الخمر حتى يثمل ثم يفصد الأكحل[٧]، وهو شريان في وسط الذراع عندما يُقطَع يموت المرء[٨]، حتى لا يشعر بالوجع من القتل أو يحس بالعذاب، فهذا الوضع الذي يواجهه المخيَّر لهذا النوع من القتل يشبه حالة من يُراد أخذه إلى المقصلة لقطع رأسه، ثم يأتي من يعطيه مسكنات وجع الرأس في انتظار تنفيذ حكم الإعدام.

والغلُّ، من الغلولا، أي: الأيدي التي تكون مغلولة، أي: ممنوعة مجعول فيها غلٌّ، وهو الحديد الذي يجمع يد الأسير إلى عنقه[٩]، أي: مكبَّلَة[١٠]. والقَيْد[١١] يقيِّده، أي: يمنعه من الهروب.

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢١.

(٢) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٧٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢١، ص١.

(٤) القزويني، **أثار البلاد**، م.س، ص٤٢٦.

(٥) الناصية: وهي شعر مقدَّم الرأس، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٢، ص١٦.

(٦) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٦٧.

(٧) الأكحَلُ: يقع بين الباسليق والقيفال، الباسليق: وهو عرق في اليد عند المرفق في الجانب الإنسي إلى ما يلي الإبط، والقيفال: عرق عند المرفق أيضًا في الجانب الوحشي، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١٥١.

(٨) ابن قتيبة الدينوي، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٨٨.

(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٠٠.

(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٧.

(١١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٣٧٢.

أمّا القَرْوص، فهو من الأصابع يقبض على الجلد بإصبعين حتى يؤلِم[1]. فكل هذه أساليب لانعدام تكوين فكرة الهروب عند السجين وشلّ حركته، وجعله غير قادر إلّا على القيام بخدمة نفسه بالأوقات الضرورية فقط.

ولكن يجب أن لا يتبادر إلى ذهننا أنَّ ملوك الحيرة كانوا يقتلون جميع الأسرى والسجناء، فكان يُطلق سراحُ بعض السجناء بغير فدية ومال مقابل شفاعة إحدى القبائل له، كما حصل مع مروان بن زنباع، عندما أسره الملك عمرو بن هند، فوفدت بنو عبس على النعمان بن المنذر، فأطلق الملك سراحه بغير فدية[2]. ويطلق الأسير بعد ذلك مكرمًا غير مذلول، فيعاد إليه سلاحه وماله ورزقه[3]، من أجل كسب ودٍّ وصداقة قبيلته. وفي بعض الأحيان كان الملك يتأثَّر بحدث أو شِعْر فلا يطلِق سراح السجناء، فالأسود بن المنذر أراد أن يعفو عن عدد من ملوك غسان أسرهم بإحدى المعارك، وكان أبو أذينة قد قَتَل آل غسان أخاه في بعض الوقائع، فقال قصيدة يغري الأسود بقتلهم، ومنها:

علامَ تقبلْ منهم فديةً وهُمْ   لا فضّةً قبلوا منّا ولا ذهبًا[4]

فغيَّر الأسود رأيه وأمر بقتلهم. وكان يطلِق سراح الأسير من السجن مقابل المال، فتحرير الملك كان مقابل ألف ناقة[5]. أمّا السيد من الناس فكان بحدود أربعمائة[6]، والفرد العادي الثري مائة بعير[7]، وأفراد عامة الناس فمن يدفع مبلغًا كبيرًا من المال من دون تحديد يطلق سراحه[8].

فبين ضرورات الالتزام بموجبات الأمن، وبين رغبة الملك القوية في الحفاظ على عرشه، ألزم الملك نفسه في صنع أساليب جديدة، ومبتكرة من التعذيب لشحن نفوس الشعوب بالرهبة، والخضوع له، واستمر ملوك الحيرة بمحاولات تقديم نماذج متتالية من الأفكار المبتكرة والتي أرادوا خلالها الإيحاء بأنَّهم قادرون على قضّ مضاجع كل من تسوّل له نفسه مخالفة أوامرهم وأحكامهم.

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٧٠.
(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٩٩.
(٣) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٦٨.
(٤) أبو الفداء، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٧.
(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٥، ابن قتيبة، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٤٩٧. النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٥٥.
(٦) التيمي، **المصدر نفسه**، ص١٧٤ ـ ١٧٥.
(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٣٥، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ٢٧٢.
(٨) Procopius, **Wars**, I, p.157.

رابعًا ـ الأسلحة

استعمل جيش المناذرة أنواعًا مختلفةً من الأسلحة تتناسب واليوم الذي يقاتلون فيه، فالكتائب العسكرية بحاجة إلى أسلحة متنوعة بسبب الاستراتيجية العسكرية القائمة على المباغتة والهجوم السريع. ومن هذه الأسلحة.

١ ـ السيف

يعتَبر السيف السلاح المرافق للمقاتل وللإنسان العادي آنذاك، بسبب سهولة حمله، واتّخاذه كشكل من أشكال الزينة والقوّة للرجال، «فهو من أشهر أدوات الحرب في العصر الجاهلي، وهو السلاح الرئيس في القتال»[1]. أسَهَب الشعراء في الحديث عنه وصفاته وأسمائه، فالذي يصنعه كان يقال له: القين، أي: الحدّاد، والمكان الذي يغمد فيه يُسمّى الجفن، وسُمّي النصل[2][3]. أمّا حديد السيف، أي: النصل، فكان يُسَنُّ بطريقة متقنة وبأدوات خاصّة بها من مطرقة ومِسَنّ[4]، حتى ينجلي ويصبح كالمرآة، وشُبِّهت نِصال الأسنَّة التي يحدِّدها الحدّاد بأنَّها أرقُّ من الماء[5]، ومن كثرة السَّنّ يلمع السيف ويتلألأ حدُّه في الليلة الظلماء[6] وقيل لحدِّ السيف: ضَبَّة[7]، والطرُّ[8] هو التحديد والوقع بالمطرقة أو المسنِّ الطويل الذي يُستعمَل لتحويل الحديد إلى السيف.

(١) الصمد، واضح، **الصناعات والحرب عند العرب في العصر الجاهلي**، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، طـ١، ١٩٨١م، ص١٢١.
(٢) النَّصل، حديد السيف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٦٦٢.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٠.
(٤) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٩٤.
(٥) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٤٣.
(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٥، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٨.
(٧) الضَّبَّة، حديدة عريضة يضبب بها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٥٤١.
(٨) الطَّرُّ، طررت السنان، أي: حددته، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٤٩٩.

ولقد بلغ العرب شأنًا بعيدًا في صناعة السيوف وتطويعها؛ ما أكسبها مرونة خاصة وحدَّة، وهذه هي السيوف التي عُرفت في أزمنة تالية باسم «الدمشقية»[١]. ووُشِيَ السيف بالمجوهرات، فقد كان لمرَّة بن سعد القريعي سيف قاطع يقال له: «ذو الريقة»، من كثرة فرنده[٢] وجوهره، فذكره النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر[٣]، فأثار إعجابه. وعند فتح عمر بن الخطاب الحيرة أتى بسيف النعمان بن المنذر فسلَّحه لجبير بن مطعم[٤][٥]، بسبب صلابته وجماله.

والبطانة التي يغشى بها جفن السيف وينقشها بالذهب وغيرها كانت تسمّى الخلل[٦][٧]، وسُمّي السيف بأسماء مختلفة حسب صفاته، فقيل له: الحسام[٨]. وكثيرًا ما ارتبط اسم السيف باسم صانعه أو البلد المصنوع فيه، فهناك السيوف السريجية المنسوبة إلى سريج من بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة[٩]. والصياقل، مفردها الصيقل، وهو الذي يدوس السيف أي يصقله. والمدوسة، خشبة عليها سن يداس بها السيف حتى يجلوه[١٠]. وخير السيوف ما كان مصنوعًا من خالص الحديد ليِّنًا، صقيلًا أبيضًا[١١].

وهناك السيوف التي كان يُطلَق عليها اسم الهندي، لأنَّها كانت تستورَد من الهند بلد المنشأ، وأكثر الشعراء من ذكرها، فقال مالك بن نويرة في سيف الملك قابوس:

عليهِ دلاصٍ ذاتِ نسجٍ وسيفُه ... جزار من الهنديِّ أبيضُ[١٢] مُقضَبِ[١٣]

(١) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٢٧٩.
(٢) الفِرنْد، وشيء السيف بالجواهر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٣٣٤.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٣.
(٤) جبير بن مُطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١١٥ ـ ١١٦.
(٥) ابن هشام، **السيرة**، م.س، جـ١، ص٢٥، الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص٣٠٣.
(٦) الخلل، بطانة يغشى بها جفن السيف، تنقش بالذهب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٢٢٠.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٤٢.
(٨) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٧، ص١٥٠، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، م.س، جـ٢٤، ص٧١ ـ ٧٢.
(٩) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٣٨٨، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٧.
(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٣٨٠.
(١١) الجندي، علي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٤٩.
(١٢) الأبيض: هو السيف، والجمع البيض، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص١٢٨.
(١٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٨٨، ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، =

فسيوف الهند يضرب بها المثل في الجودة والصفاء، خاصة إذا كان السيف من صنع الهند ومن طبع اليمن[١]. وسُمّي السيف بالمهند أيضًا نسبة إلى مصدره الهند[٢]، وقيل له البَيْض[٣]، ومن أسمائه الباتر[٤] أيضًا[٥].

ورُوي أنه «ما نسبت إلى الحيرة سيوف قط»[٦]، فمن خلال نهاية الجملة نلاحظ أنَّه قطع الشك باليقين بكلمة: قط، ولا نرجّح أنَّ سكان الحيرة لم يعرفوا صناعة السيوف، ولكنْ ربما لم يشتهروا بها.

٢ ـ الترس

الترس من الأسلحة التي تشكّل قيمة مضافة مهمَّة للمحارب، فهو من الأسلحة المتوقّى بها[٧]، يُمسَك باليد اليسرى للمحارِب لردِّ ضربات الخصم من سيوف وسهام ورماح، ويعتَبر من الأسلحة الوقائية القديمة، وكان يطلق عليه اسم الجُحفة[٨]، ويُصنَع من الجلود خاصَّة، ومن خشب الجوز أيضًا[٩]، حيث كان يُصَقَّل، أي: يصفَّح، بالحديد.

وشُبِّه ظهرُ الترس بالبطن المنتفخة المملوءة بالطعام[١٠]، وأطلق عليه أسماء عديدة منها: المِجَن[١١]، والدرقة[١٢]، ولكن كلهم بمعنى واحد[١٣]، وقيل له

= م.س، جـ٢، ص١٤٠.
(١) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص٥٣٣.
(٢) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢١٩.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٧٠.
(٤) الباترُ، السيف القاطع، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٣٧.
(٥) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٦١.
(٦) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٦.
(٧) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٣٢.
(٨) الجَحَفة: هي الترس المصنوعة من جلود ليس فيها خشب، **المصدر نفسه**، جـ١٠، ص٩٥، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٣، ص١٣٥.
(٩) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٨.
(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٣٦١.
(١١) المِجَنُّ: هو الترس، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٤٠٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٨، ص٥٢٥.
(١٢) الدَّرَقُ: ضرب من الترس، الواحدة درقة، تتخذ من الجلود، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١٠، ص٩٥.
(١٣) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٥٦.

العنبر[1][2] أيضًا.

واستعمَل المناذرة الترس الفارسي والبيزنطي الجيد الصنع[3]، والذي حصلوا عليه بلا شك إمَّا من السلب في المعارك التي خاضوها معها، أو من خلال التبادل التجاري.

٣ ـ الدرع

الدِّرْعُ: «لبوس الحديد»[4]، «وأحبّوا منها ما كانت صلبة قينة، تردُّ النبال، ولا تنفذ منها السهام، ولا تؤثِّر فيها النِصال، ولا تعمل فيها السيوف، بل تصل فيها إذا ضربتها وتؤثِّر هي في السيوف فتفِلُّها»[5].

وكانت الدروع تُصنَع من الجلد، وكان يطلق عليه اسم: يَلَبُ[6][7]، وتُصنَع من الحديد أيضًا، ويُطلَق على الحدّاد الذي يصنعُها الجُنْثِيّ[8]، وتفنَّنوا بصناعة الدروع، فاختاروا لها أجود الحديد، وصنعوها فضفاضة لينة ذات نتوء وغيره، كما أنَّهم نسجوها مضاعفة الحلقات وبذلك تضاعفت متانتها[9]، ويُطلَق على مسامير الدروع اسم القتير[10][11]. والدروع قديمة العهد تُنسَب إلى محرق، ويراد من ذلك جودة الصنعة[12]، وعقب موت النعمان طَالَبَ خِسرو أنوشروان تسليم دروعه الأربعمئة[13]، وقيل: ثمانمئة درع[14]، فالدروع التي كانت بحوزة النعمان بن المُنذر

(١) العَنْبَرْ: الترس، وإنما سمي بذلك لأنه يتخذ من جلد سمكة بحرية يقال له العنبر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٦١٠.
(٢) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، ص٢١١.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٨.
(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٨١ ـ ٨٢.
(٥) الجندي، علي، **الشعر في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٥٥.
(٦) يَلَبُ: الدروع اليمانية المصنوعة من الجلد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٨٠٦.
(٧) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٦، ص٢٤٢.
(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص١٢٨ ـ ١٢٩، النويري، **المصدر نفسه**، ص٢٤٢.
(٩) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص١٥٥.
(١٠) القَتِيرُ: مسامير الدروع، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٧٢.
(١١) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٥٩.
(١٢) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٦.
(١٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩١، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٤.
(١٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٨، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، =

فاقت من حيث الجودة ما عرفه الفرس، ولا بدَّ من الافتراض بأنَّ هذا الطلب كانت له صِلة بالجودة التي اتَّصفت بها تلك الدروع[1]. فالدروع من الأسلحة التي تحمي جسم المقاتل من ضربات الخصم المتنوّعة كالسيوف والسهام والرمح. «ولم يكن لبسها تهرُّبًا من الموت، بل كان حافزًا على الصبر في المواقع والثبات في المقاتلة، وكان بعض الشجعان يلبس درعين لأنَّه هدف للأعداء»[2].

وتعددت أسماء الدروع حسب أشكالها وصفاتها، فمنها الدلاص[3]، وهي الدروع السهلة التي تزل عنها السيوف[4]، ووُصِفَت بليونتها وبريقها[5]، والدرع الواسع والطويل يُسمَّى: الزعف[6][7]، والتام الذي يُغطِّي جسم المحارب يُسمّى: السابغة[8][9]، واللأْمة: هي نوع من الدروع[10][11]، والبَدَنْ: هو الدرع القصير على قدر الجسد، وهو من أسماء الدروع[12]، كان الملك امرؤ القيس بن عمرو بن عدي يلبسه بشكل دائم[13].

= ص١٣٤، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٥، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٣١. وروي أنه كانت مائة درع، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٢١. وذُكر أنها أربعة آلاف درع، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٩٣. وقيل سبعة آلاف درع، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٩٤.
(١) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٢٨٠.
(٢) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية في الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٥١.
(٣) الدَّلاص: الدرع اللين البراق، الأملس، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٣٧.
(٤) أبو حنيفة الدينوري، كتاب **النبات**، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق برنهار دلفين، دار النشر فرانزشتا ينزبفيسبادن، طبع في دار القلم، بيروت، ١٩٧٤م، جـ٣، ص١٦٩.
(٥) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٧٧.
(٦) زَعْفُ، الدرع المحكم الواسع الطويل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٣٥.
(٧) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٦.
(٨) السابِغةُ، الدرع الواسعة التي تجرُّها في الأرض أو على كعبيك طولًا وسعة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٤٣٣.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٢، الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٨١، وص١٣٥.
(١٠) التيمي، **الديباج**، م.س، ص١١٠، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٩١، و**الأوائل**، م.س، ص٦٢.
(١١) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٥٩، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٩٤.
(١٢) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٤، الأنباري، **المصدر نفسه**، ص٤٢٣.
(١٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٧، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٤٩.

ومن أسماء الدرع: حَلْقة[١][٢]، والسَّرْدُ: اسم جامع للدروع، يقال له سرد لأنَّه يُسرَد، أي: يُثقَب طرف كلّ حلقة بالمسمار، فالدروع المسرودة هي الدروع المثقوبة[٣]، واستعمل جيش المناذرة الدروع الفارسية الصنع، قال الملك عمرو بن امرئ القيس:

إذا مشينا في الفارسيِّ كما تمشي جِمالٌ مصاعبٌ قُطُف[٤]

فالدروع الفارسية كانت ثقيلة الوزن، وحصل عليها جيش المناذرة إمَّا بشرائها أو من خلال الكتائب الفارسية التي كانت موجودة في بلادهم.

٤ ـ البيضة

نوع من الأسلحة الوقائية، سُمّيت بذلك لأنَّها على شكل بيضة النعام، وأبتاض الرجل، أي لبس البيضة[٥]، وهي مكمِّلة للدروع التي تحفظ الجسم من وقع الأسلحة المعادية، واستخدم الجيش المنذري البيضة لحماية الرأس، وهي عبارة عن غطاء مصنوع من الحديد[٦]، وتمَّ صنعها على طريقتين: إمَّا تُجمَّع أطرافها إلى بعضها بعضًا بمسامير يشدّون أطرافها، أو تكون مسبوكة من صفيحة واحدة[٧]، وصُنِعت من الجلود الثخينة أيضًا[٨].

وسُمّيت البيضة بالتَّرك، وهي جمع تَرْكة[٩]، وإذا كانت الخوذة عليها «قونس»[١٠] قيل لها بيضة[١١]، وإذا لم يكن فيها قونس سُمّيت: تَرْكة، وتُشَبَّه البيضة ببيضة

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٥٦، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٣١، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٣١. الدروع تسمى: حَلْقة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٦٤، الزبيدي، **تاج**، جـ١٣، ص٨٨.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٥.

(٣) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٤٦١، المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص١٨٢.

(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٣١٠.

(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص١٢٥، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٠، ص٢٠.

(٦) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣١٢، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص١١٨.

(٧) الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٠، ص٢٠.

(٨) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص١٧٣.

(٩) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص١١٨، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٤٠٦.

(١٠) قَوْنَسُ: السنبكة التي في أعلى البيضة، أي الحديدة الطويلة في أعلاها، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٦، ص١٨٤.

(١١) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٣٥.

النعامة في إملاسها وصفائها[١]، وتسبغ البيضة، أي: توصل بحلق الدرع فتستر العنق[٢]، ولتفادي وقع الحجارة أو السيف والرمح على الرأس بسبب حساسية المنطقة لجسم الإنسان، كان يلبس تحت الخوذة نوعًا من ترس مصنوع من الجلد يوضع على الرأس اسمه اليَلَبُ اليماني[٣]، منسوب بصناعته إلى بلاد اليمن[٤]، لوقاية الرأس والرقبة.

باستخدام الترس والدرع والبيضة، يصبح المقاتل محصَّنًا، تشتدُّ عزيمته لمقاتلة الأعداء لإحساسه بقدرته على الصمود أكثر في وجه أسلحة الخصم المتنوّعة، ويَخلُق عنده شعور صعوبة قتله والنيل منه بسهولة.

٥ ـ الرمح

سلاح مهمٌّ يستعمل لطعن الخصم، وغالبًا ما يحمله الفارس، ويسدِّد قبل التحامه بالخصم عادةً، بغية إنزال القتل والهلع والخوف في نفوسهم وقلوبهم، فهو أشبه بنظام الصواريخ في عصرنا الحالي.

وصنع الرمح من شجر الوَشِيج[٥]، وهو ما نبت من القنا[٦] والقصب[٧]. والخط[٨]: أرض تُنسَب إليها الرماح المستوردة من الهند، ونبات الرماح لا يَنبُت فيها، لكنِّ سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع، فنُسِبت الرماح إلى المكان، وقيل للرماح: خطّية[٩]، فالأخشاب التي تستعمَل في صناعة الرماح هي القنا المستوردة من الهند، وإنَّ نسبة الرماح إلى الخطِّ لا يقصَد بها المكان الذي تنبت فيه أشجار الرماح، لكنَّ المكان الذي ترد إليه من الخارج، أو تقوَّم به وتصنع[١٠]، وجُعِل

---

(١) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٣٤.

(٢) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٤٣٣.

(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٢.

(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٨٠٦.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٧١، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٣٩٥.

(٦) القنا: ما كان أجوف كالقصبة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٥، ص٢٠٤.

(٧) **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٩٨.

(٨) الخَطُّ: هو خط عمان، ومن قرى الخط القطيف والعقير وقصر، أي: ما بين البحرين وعمان، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣٧٨.

(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٨٧، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٣٥٩.

(١٠) الصمد: واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص١٤٥.

خشب القناة من الخيزران. ويعتبر هزيز بن شن[1] أول من برى الرماح الخطّية[2].

أمّا شكل الرمح فهو يتألَّف من قصبة طويلة مستقيمة، حتى أصبح ظل الرمح يضرَب به المثل في الطول[3]. والهدف من ذلك الحصول على إصابة دقيقة للهدف المراد ضربه، فكلّما كان الرمح طويلًا يتحكَّم الرامي به أكثر وتكون ضربته قوية وقاتلة. ويقال لرأس الرمح: السنان[4]، وهو النصب الذي يصنع من الحديد، وكانت صناعته محلّية، ويبدو أنَّها بلغت درجة من الشهرة[5]، وذُكر أن قعضب رجل قشيري[6] كان يصنع الأسنَّة فنُسبت إليه، فسُميَّت القعضبية، وكذلك الشرعبية[7] التي تنسَب إلى شرعب بن قيس بن معاوية[8].

وخوفًا من تعرُّض الأسنَّة للصدأ كان المحاربون بين الفينة والأخرى يجلون هذه الأسنَّة ويشحذونها، حتى تصبح في طرفها كإبرة[9]، ووصف الرمح بصورة شبه كاملة[10]، والزج[11]: هي الحديدة الموجودة في أسفل الرمح، ورديناً هي امرأة من قضاعة قيل منزلها في هجر أو البحرين، نسبوا إليها الرماح، فسمّيت رماح ردينة[12]، وهي رماح مميزة بسرعة اختراقها، ونفاذها، وبمنعتها[13]، وتُسمّى الرماح

---

(١) هزيز بن شن بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٢٩.

(٢) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٤٨.

(٣) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٦٥، ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص١٥٢.

(٤) السِّنان: سنان الرمح، أي الحديدة التي تركب في أعلى الرمح، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٢٢٣.

(٥) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص١٣٦.

(٦) قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٨٩.

(٧) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٢٦٨، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٦.

(٨) شَرْعَب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الغوث من حمير، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٣.

(٩) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص١٢٢ ـ ١٢٣.

(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٨٦.

(١١) الزُّجُ: الحديدة التي تركب في أسفل الرمح، وتركز به الرمح في الأرض، **المصدر نفسه**، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٣، ص٣٨٧.

(١٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٦٦، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٢٢٨.

(١٣) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية في جاهليتها**، م.س، ص٨٧.

بالعوالي[1]، والعالية، هي النصف الذي يلي السنان[2]، أي: نصف الرمح العلوي. ويقال للرمح الشديد: السمهري[3][4]، وهو الشديد الاستقامة، يقوَّم بخشبة تسمى الثِّقاف[5][6].

وتُعزى أهميَّة الرماح إلى طعنتها القاتلة للإنسان والحيوان[7]، فعمل جيش المناذرة على استخدامها بكثرة وتخزينها، فقد وجد المسلمون عند فتحهم بلاد المناذرة في منطقة العذيب رماحًا كثيرة[8]. وقد وصف الرمح المرغوب بالاستخدام بما يلي: «قائم الرمح فأجوده عندهم ما كان أصمَّ غير أجوف، مطَّردًا، معتدلًا ليست به اعوجاج، أملس لا لحاء عليه ولا نتوء، صلبًا، غير يابس، مارنًا، يضطرب عند اهتزازه، لدنًا، لينًا، يرضي صاحبه، ويلذُّ به الكف كلما هزَّ، مثقَّفًا، مقوَّمًا، وعُقدهُ صلبة ليست خوارة، وكعوبه مطَّردة صحيحة، وفضلوا من ألوانه الأحمر والأسمر، لأنَّ كلًّا منهما يدلُّ على الصلابة وتمام النضج، وخير الأسنَّة ما أزرق لأنه يدلُّ على صفاء معدنه، أمَّا طول الرمح فخيره ما كان متوسطًا، لا هو بالغ الطول ولا شديد القصر»[9].

٦ ـ القوس

أداة حربية تمسك باليد، سهل الاستعمال، خفيف الوزن، يصنع القوس من أنواع مختلفة ومن خشب الأشجار، منها النشم، وهو شجر جبلي تتخذ منه القسي[10]، ويُتَّخذ من خشب النبع[11]، والشوحط والشريان[12]، والواقع أنَّ هذه الأسماء

---

(١) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤٦، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٢٢٨.

(٢) الجندي، علي، **الشعر في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٤١.

(٣) السَّمْهَرِيَّة: القناة الصلبة، منسوبة إلى سمهر اسم رجل كان يقيّم الرماح فيقال له: سمهري، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٣٨١.

(٤) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٦.

(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٢٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٢، ص١٠٣.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٦١.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٥٤، وجـ٢٤، ص٧١.

(٨) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٨٨.

(٩) الجندي، علي، **الشعر في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٤٣.

(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٥٧٦.

(١١) النَّبْعُ: من أشجار الجبال تتخذ منها القسي، وهي شجر أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد إذا تقادم أحمر لونه، **المصدر نفسه**، جـ٨، ص٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(١٢) النبع والشوحطُ والشَّرْيان: شجرة واحدة لكنها تختلف أسماؤها بسبب منابتها، فما كان منهما =

الثلاث لنوع واحد من الشجر، ولكن تختلف أسماؤها باختلاف أماكنها[١]، المهم أن تكون نوعية الخشب ليّنةً تتقوس كالهلال. واتُّخِذَ شجر السراء[٢] لصناعة القوس أيضًا.

وصُنِع خيط القوس إمّا من شعر ذيل الجمل، أو الحمار الوحشي، أو الماعز[٣]، وكان الوتر ليِّنًا لتحقيق انطلاقة سريعة للسهم[٤]. ويقسم القوس إلى السية[٥][٦]، وهي نهاية القوس، والمكان الذي يعقد فيه الخيط يسمى الفَرْض[٧]، والجزء بين الفرض والقبضة مكان وضع اليد يُسمّى الظفر[٨]، والأَطْرَة[٩]، هي الجزء البارز من الحرف الأسفل للفرض والقبضة[١٠].

وشُبِّه صوت القوس بالنئيم، أي: صوت البوم، والأزمل: صوت الجن[١١]. والقوس يُعتبَر من الأسلحة الغالية الثمن، والتي كانت ترهن عند الآخر، فقد اشترى رجل قوسًا بأربعة آلاف درهم[١٢].

= في قلة الجبل فهو النبع، وما كان في سفحه فهو الشريان، وما كان في الحضيض فهو الشوحط، **المصدر نفسه**، م.س، جـ٧، ص٣٢٨.

(١) الجندي، علي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٣٥.

(٢) السَّراءُ، مفردها سرارة، نوع من شجر القسي، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٩٥.

(٣) ...., **Arab Archery,** An Arabic Manuscript of About A.P.1500, "A book on The Excellence of the Bow and Arrow and the Description there of, Translated and Edited by Nabih Amin Faris and Robert Potter Eimer, Princeton University Press, New Jersey, 1945, p.94.

(٤) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٤، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٨٤٠، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٣٣٩.

(٥) سِيَةُ القوس: جمعها سِيانٌ، طرف قابها، وقبل رأسها، وفي السية الكُظر، وهو الفَرْضُ الذي فيه الوتر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٤١٧.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٣.

(٧) الفَرْضُ: الحزُّ الذي في القوس، الذي يقع عليه الوتر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٢٠٦.

(٨) الظُّفْرُ: جمع ظفرةٌ، وهو ما وراء معقد الوتر إلى طرف القوس، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٥١٩.

(٩) أَطْرُ القوس، ثنى القوس، **المصدر نفسه**، ص٢٤.

(١٠) ...., **Ibid,** p.15.

(١١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١٥.

(١٢) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨، وجـ٦، ص١٦، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص٦٢٥ ـ ٦٢٦.

٧ ـ السهم

ما يُرمَى في الهدف، وهو قبل أن يُرَيَّش يسمى القدح، فإذا ما وضع عليه الريش سمي: المُرَيَّش، وإذا ما وضع فيه النصل فهو السهم[١].

وسُمّي لَأْم، ومُعْبَر، وهو السهم الموفور الريش، والمِنْزَع، وهو السهم مطلقًا، ويقال: إنَّ المنزع الذي يُرمى أبعد ما يكون، والمِصْرَاد، هو النافذ، ومُقْتَعَلُ، هو الذي لم يُبْرَ بَريًا جيدًا[٢].

وصُنِعَت السهام من خشب الشوحط، وهو خشب صلب، وتريَّش السهام عادة ليكون «أسرع مضيًا، وأعدل اتجاهًا إلى الهدف»[٣]، فالسهم كان يُريَّش بالسخام، وهو الريش اللّيِّن تحت ريش الطائر، وتتلأم هذه الريش مع بعضها، وعادة ما يكون لينًا أملسًا، لونها مائل إلى الطحلة، وهي بين الغبرة والسواد[٤]، وكان رأس السهم، إمّا من الحديد أو من العاج[٥]، وأُدخِل العاج في صناعته لأنَّه لا يصدأ مثل الحديد مع مرور الوقت، وهذه النصلة الموجودة في مقدمة السهم كانت قاتلة[٦]، شكلها على صورة الهلال[٧]، لصعوبة إزالتها من موضعها، وتسببها بجروح وتشوهات في حال إزالتها. وسمي السهم الطويل النصل الرقيق السجلم[٨].

وفي أثناء الهجوم كانت السهام تُطلق رشقًا[٩]، بهدف إرباك العدو، وإلحاق أكبر قدر من الخسائر في صفوفه.

وبالنسبة لاستعمال القوس والسهم، يوجد ثلاث مدارس، الأولى ينظر إلى الهدف من خارج القوس، والثانية من داخل القوس، والثالثة من الاثنين من خارج القوس وداخله[١٠].

---

(١) الجندي، علي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٣٨.

(٢) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٦، ص٢٣٣.

(٣) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٤٨.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١٥.

(٥) ....., **Arab Archery,** p.118.

(٦) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٩٦، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٤، ص١٢٧١.

(٧) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٤٢.

(٨) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٥٢.

(٩) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٦، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٣، ص٢٣٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٢٢ ـ ٥٢٣.

(١٠) ....., **Arab Archery,** p.52.

والذي يكفل لهذه المدارس النجاح الممارسة والتمرين المستمر، فالسهم والقوس كانا الأكثر تأثيرًا وتدميرًا في أدوات الحرب، برغم من أنَّهما الأقل إرهاقًا في الحمل والاستعمال[١]. واستعمل جيش المناذرة النار في حربهم[٢]، فمن المرجَّح أنَّهم وضعوا في رأس السهم مادة مشتعلة ومتفجّرة تشعل النار بالمكان الذي تقع فيه، خاصَّة بالخيم والأخشاب.

واستعمل جيش المناذرة في تنقلاتهم الحربية الجمال[٣] والأحصنة، ولم يستخدموا الفيلة كما فعل الفرس[٤].

٨ ـ المَنْجنيقُ

«آلة تُرمَى بها الحجارة، وذلك بأن تشدَّ سِوار مرتفعة جدًا من الخشب يوضَع عليها ما يراد رميه، ثم يُضرَب بسارية توصله لمكان بعيد جدًا، وهي آلة قديمة قبل وضع النصارى البارود والمدافع»[٥]. وأوَّل من عمل المنجنيق ورمى به هو جذيمة الأبرش[٦]، ولكن هذه الألة لم نعد نجدها في الحياة العسكرية لملوك المناذرة، ربما لأنَّهم اعتمدوا مبدأ الحرب الخاطفة والسريعة؛ لذلك لم يحتاجوا إلى المنجنيق الذي يُستعمَل للحصار في غالب الأوقات، وكما وضَّحنا في الاستراتيجية العسكرية، أنَّ المناذرة لم يعملوا على فن الحصار.

واستخدم سكان الحيرة الحجارة لردِّ هجوم المسلمين عنهم عندما حاصرهم خالد بن الوليد[٧]، فمِن المرجَّح أنَّهم استعملوا المنجنيق لقذف تلك الحجارة.

واستعملوا الخزازيف[٨]، وهي المَداحي من الخزف المصنوعة من الطين المشوي

---

(١) ....., **Ibid**, p.5.

(٢) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.376.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٦١.

(٤) Theophanes, **The Chronicle**, p.66, &.

ـ التيمي، **المصدر نفسه**، ص٤٩٢.

(٥) الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٣، ص٦٣.

(٦) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص٣٦٢، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٤٩٥.

(٧) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٦.

(٨) الخزازيف: مفردها الخَزَفُ، وهو ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارًا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٦٧، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٢، ص١٦٤.

بالنار، الذي يصبح فخّارًا، حيث يُلقى على الأعداء؛ ما يؤدّي إلى نفور الخيل[١]، وإلقاء الرعب والخوف في قلب الخصم.

٩ ـ الدبّابة

يُعتبَر عبد الله بن جعدة أوَّل من صنع دبّابة من الجلد والخشب للحرب، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وهم في جوفها، فتقيهم ما يرمون به من فوقهم[٢]، ولكن هذا النوع من السلاح كان قليل الاستعمال، لأنَّ استراتيجية المناذرة العسكرية لا تتفق وهذا النوع من السلاح.

واستعمل الفرس والبيزنطيون المنجنيق والمركبات في المعارك[٣]، فاطّلع الجيش المنذري على هذه الأسلحة وقاموا بتقليد صنعها، ولا ننسى تأثير الكتائب العسكرية الفارسية في بلاد المناذرة في تعليم المناذرة فنَّ استخدام هذا النوع من السلاح.

إنَّ ما يحدد قوَّة السلسلة هي الحلقة الأضعف، انطلاقًا من وجهة النظر هذه، فقد تفنن وأتقن المناذرة صناعة أسلحتهم، ووصلوا بها إلى مكانة مرموقة، بما يتلاءم واستراتيجيتهم العسكرية، محاولين قدر الإمكان تقوية نقاط ضعفهم، «فالعديد من المدن الضعيفة كانت تُهزم بسهم واحد، وجيوش عديدة كانت تتبعثر بسهم واحد أيضًا»[٤]، فهم لم يتوسَّعوا في صناعة الأسلحة الثقيلة كالمنجنيق والدبابات، بالقدر الذي تفننوا به بصناعة السيوف، والرماح، والقوس...إلخ، بل إنَّهم فاقوا من حيث الكيف ما عرفه الفرس أو البيزنطيون في صناعة الأسلحة[٥].

بإزاء هذا العرض للأسلحة، وتفصيل كل سلاح بشكل منفرد، يجب أن نوضِح أنَّ المقاتل المنذري كان يتسلَّح بأغلب أنواع هذه الأسلحة بوقت واحد، ويطلق على السلاح الكامل للمقاتل اسم الشَّكَّة[٦][٧].

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٥، ص٢٤.

(٣) مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٢، ص٢٠٠.

(٤) ....., **Arab Archery**, p.5.

(٥) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على الحدود**، م.س، ص٢٨٠.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٥٣، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٤٥٢.

(٧) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٤٣.

خامسًا ـ الأيام الحربية

أطلق العرب مصطلح «الأيام» منذ العصر الجاهلي على الحروب والوقائع، والأيام، بمعنى الوقائع والنعم، وإنّما خصّوا الأيام دون ذكر الليالي في الوقائع لأنَّ حروبهم كانت في النهار[١]، وقيل: إنَّ اليوم يطلق على القبائل العربية التي تتقاتل فيما بينها[٢]، وهذا التعريف غير دقيق، لأنَّ يوم ذي قار كان بين العرب والفرس، ولم يكن بين القبائل العربية. وتوقيت بدء اليوم مهم جدًّا، فكان «اختيار الصباح المبكر وقتًا للغارة، لأنَّ القوم في ذلك التوقيت يكونون مستغرقين في النوم»[٣]، والجسم في حالة ارتخاء يحتاج إلى بعض الوقت لاسترجاع قوته وتركيزه. فالأيّام كانت تجري في النهار فقط دون الليل، «ثمَّ إنَّ القوم اقتتلوا صدر نهارهم أشدّ قتالٍ رآه الناس إلى أن زالت الشمس»[٤]، وكثيرًا ما عصت القبائل أوامر الملوك في التوجه إلى الحرب بسبب ضراوتها وطول وقتها، قال عمرو بن كلثوم:

وأيـــامٌ لـــنَـــا غـــرٌ طـــوالٍ عصينا المَلِكَ فيهَا أنْ نَدينَا[٥]

وعندما يَسدِل الليل ستاره يتوقَّف القتال بسبب عدم قدرة المقاتل على رؤية الخصم، والأسلاب التي يرغب بالحصول عليها، ويعود القتال ليتجدّد عندما ينبلج الصباح من جديد[٦].

وأيام جيوش المناذرة كالتالي:

(١) ابن منظور، م.س، جـ١٢، ص٦٥١، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٧، ص٧٨٠. **لسان**

(٢) Mittwoch. E, **Encyclopaedia of Islam**, I, p.793.

(٣) الجندي، علي، **شعر العرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٣.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٧٢.

(٥) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٣٨٨، ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٩٨.

(٦) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٦٤.

١ ـ يوم ذات الشقوق[١]، أو جفر الأملاك[٢]

سبب هذا اليوم أنَّ قيس بن سلمة بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار أغار على المنذر ابن ماء السماء فهزمه، فما كان من الأخير غير أن اختبأ بقصر الخورنق لمدَّة سنة[٣]، ومن بعدها أعاد تجهيز نفسه وجيشه، ولعلَّ ذلك بعد عزل الحارث الكندي عن الحكم في الحيرة من قبل أنوشروان، وإعادته إلى المنذر، فاجتمعت تغلب وبعض القبائل إلى المنذر وأغاروا على كندة بذات الشقوق، فأصاب منهم تسعة[٤]، وقيل: اثنا عشر شابًا[٥]، وذُكر أربعون نفسًا[٦]، ورُوِيَ أنَّهم ثمانية وأربعون نفسًا[٧]، ونهبوا أموالهم، وقُدِم المنذر بالبقية فحبسهم لمدة شهرين، ثم أرسل إليهم أن يُؤتى بهم فخاف أن لا يُؤتى بهم ويهربون بالتواطؤ مع جنده، فأرسل إليهم أن تُضرب أعناقهم حيث ما أتى الرسول، وهو عند الجَفر، فضربوا أعناقهم به، فسُمِّي جفر الأملاك[٨]، لأنَّهم كانوا ملوك كندة، أمّا زمن هذا اليوم فهو على الأرجح في زمن إعادة استلام المنذر ابن ماء السماء الحكم من بني آكل المرار، أي: نحو سنة ٥٣٤م.

٢ ـ يوم أوارة الأول

كان المجتمع الجاهلي عبارة عن قبائل متنافرة ومتقاتلة حينًا، ومتحالفة ومترابطة حينًا آخر، ترتبط قبيلة مع أخرى أقوى منها لتحميها، وهذا ما حصل مع قبيلة بكر بن وائل، فعندما خَلعت قبيلة ربيعة سلمة بن الحارث الكندي، مَلَّكته بكر بن وائل عليها، ولم يستسغ هذا التصرُّف المنذر ابن ماء السماء الذي سارع بإرسال من

(١) ذَاتُ الشُّقوق: هو موضع من وراء الحزن في طريق مكة، ويبدو أنه كان عين ماء عذبة، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص٨٠٦.

(٢) جفر الأملاك: موضع في أرض الحيرة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص١٤٦.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٥٠١.

(٤) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٩٨، ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٥٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠١.

(٦) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٢٢.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٨٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٣٧.

(٨) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٩٨، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**.

يدعوهم لطاعته، فأبوا، فلم يتمالك المنذر نفسه وأقسم أن يذبح آل بكر بن وائل على جبل أوارة حتى يبلغ دمهم الحضيض، فتوجَّه إليهم بجيشه مع قبيلتي تغلب والنمر بن قاسط، والتقى الجيشان، فقتل في المعركة بشرًا كثيرًا، وانجلت أحداث اليوم بخسارة بكر بن وائل وسلمة بن الحارث، وأسر المنذر لمعظم جيشهم، فبرّاً يمينه بذبح الأسرى على جبل أوارة، فلم يبلغ الدم الحضيض، فقيل له: أبيت اللعن، لو ذبحت كل بكر بن وائل لم تبلغ دماؤهم الحضيض، ولكن لو صببت عليه الماء فيبلغ ففعل[١]، ولم يكتفِ المنذر بذلك، فقد أمر أن تُحرَق النساء بالنار، فتدخَّل في شفاعتهم رجل من قيس بن ثعلبة، فعفى عنهم المنذر، فقال الأعشى يفتخر في ذلك:

ومنّا الذي أعطاه بالجمع ربَّه ... على فاقةٍ وللملوكِ هباتُها
سبايا بني شيبان يوم أوارة ... على النارِ إذ تجلّى بهِ فتياتَها[٢]

وكان قائد جيش قبيلة بكر، عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ويلقب بالحارثة ذي التاج[٣].

فيوم أوارة هو يوم مشهور عند العرب[٤]، وتأتي شهرته من جراء عملية ذبح بكر بن وائل وزعماء كندة، ونَعزي هذه العملية الوحشية والثأرية منهم إلى خروج المنذر من سلطة حكم بلاده على يد قبيلة كندة[٥]، فتمَّ الانتقام منهم بهذه الطريقة الوحشية، ونرجّح تاريخ حدوث هذا اليوم في سنة ٥٣٥م، أي بعد رجوع المنذر بن ماء السماء إلى حكم بلاده بسنة تقريبًا.

٣ ـ يوم الطخفة[٦]

تعتبر الرفادة من المراتب الإدارية المهمة في البلاط المنذري، ومنذ تأسيسها ارتبط وجودها ببني يربوع، ففي عهد المنذر ابن ماء السماء، كانت لعتاب بن

(١) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٤٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٦.
(٢) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٣٨.
(٣) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤. ذُكر أن امرأ القيس بن النعمان الأعور هو الذي غزا بكرًا يوم أوارة، وكانوا أنصار بني آكل المرار ملوك كندة فهزمهم، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٦.
(٤) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٥٢.
(٥) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣١٦.
(٦) ويطلق على يوم طخفة: يوم ذات كهف، ويوم خزار، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٤٥.

هرمي بن رياح بن يربوع، وعندما وافته المنية كان من المفترض أن تنتقل إلى أولاده بالوراثة، ولكنَّ ابنه كان حديث السنِّ، وكون الرفادة مركزًا مهمًا طمع فيها حاجب بن زرارة[١]، ورغب في تحويل هذا المنصب عن بني يربوع غيرةً منهم، فطلب من المنذر إسناد الرفادة إلى رجل كهل، هو الحارث بن بيبة المجاشعي[٢]، ولكنَّ المنذر أسندها إلى حاجب بن زرارة، وهذا الأخير لم يقبل بها، وطلب إسناده للحارث بن عدس بن الحارث[٣].

وزُعِم أنَّ الملك هو النعمان[٤]، وهذا غير دقيق، فهو المنذر ابن ماء السماء، فقابوس كان ابن المنذر وليس ابن النعمان.

وبالتأكيد لم يقبل آل يربوع بدعوة المنذر إلى إسناد الردافة إلى أحد سواهم، فالعصبية القبلية تقف بالدرجة الأولى خلف هذا الرفض. وبدأت التحضيرات للمعركة تسير على قدم وساق، فطرد المنذر آل يربوع، فتحصَّنوا بطخفة وبدؤوا الاستعداد للمعركة، والمنذر يراهِن على قبول آل يربوع بالتسوية الجديدة، لكنَّهم بعد ثلاثة أيام لم يردّوا إيجابًا، فأرسلَ جيشًا أَسنَدَ قيادته إلى ابنيه قابوس وحسّان، وفي أثناء ذلك تراهن حاجب بن زرارة الذي ظنَّ أن لا طاقة لبني يربوع بجيش المنذر، مع شهاب بن عبد قيس بن كباس بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع، الذي قال للمنذر: إنَّ حاجب يغريك، فوقع الشرط بينهما على مائة بعير، يأخذها من يصيب رأيه[٥].

وفي تلك الفترة أخذ بنو يربوع استعداداتهم، وأعدّوا خطة ناجحة، فعندما تقدم جيش قابوس، أرعب بنو يربوع النعم[٦] بالقرقعة، وخرجت الفرسان من الكمين فذُعِر فرسان قابوس وولّوا الأدبار، فلحقهم آل يربوع طعنًا وقتلًا، وقُتِل قابوس وفرسه، وتولّى أمر حسان أخي المنذر عمرو بن جوني بن أهيب بن حميري بن

(١) حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢٣٢.
(٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٧ ـ ٤٥٨، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٨٧.
(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٧.
(٤) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٨٧، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص٨٨٨.
(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٠، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٧.
(٦) النعم، الإبل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٨٥.

رياح، فأسره، وقُتِل مُرَّة بن سفيان بن مجاشع[1]، ونُهِب وسُلِب جيش المنذر[2].

وفي رواية أخرى أنَّ طارق أبو عميرة ضرب فرس قابوس فعقره وأسره، وأراد أن يجزَّ مقدمة شعر رأسه، فقال: إنَّ الملوك لا تجزُّ نواصيها، أمَّا حسّان فأسره بشر بن عمرو بن جوني فمَنَّ عليه وأرسله[3]. ومن المرجَّح أنَّ ابني المنذر أُسرا، ولم يُقتلا، لأنَّ المنذر افتدى ابنيه بألفي بعير[4]، وأعاد الرفادة إلى بني يربوع، ودفع الأموال لهم، وترك لهم ما غنموا من هذا اليوم[5]. وقيل في هذا اليوم: «فليتأمل متأمِّل حكم هذا الملك مع بني يربوع وهم قبيلة واحدة من قبائل تميم وحجرهم عليه في ملكه، وإلزامهم إيّاه لأنفسهم ما لا يريده لنفسه، ومحاربتهم له، وقتلهم جنده وأسرهم ابنيه حتى يفديهما بالفدية العظيمة، ليعلم أنه كان رعيَّة لهم ولم يكونوا رعيَّة له»[6]، ولكن لم يُؤخَذ بعين الاعتبار الاستراتيجية العسكرية ومعناها على أرض الواقع، فالمتحصِّن أقوى من المهاجم، ويخاف على عرضه وأطفاله ورزقه من السلب أكثر من المهاجم، لأنَّه هو صاحب الأرض، فيَخلق نوعًا من القوّة الفائضة لديه، إلى جانب الخطَّة التي وضعها آل يربوع المستعدون للقتال فاجأت جيش قابوس المغرور بنفسه، والصبر والاستبسال الذي يتميَّز به آل يربوع سهَّل لهم الظَفَر[7].

ومن غير المستبعد أن يستغل آل يربوع الجغرافية التي كان لها تأثير كبير في الحركات العسكرية والأعمال الحربية، فمظاهر السطح التضاريسية في أي منطقة لها تأثير واضح في ساحة العمليات العسكرية، فمن المحتمل أنَّ جيش قابوس كان يسير في وادٍ بين جبلين، وفوجئ بالكمين من أعلى الجبلين فلم يستطع المقاومة.

حدث هذا اليوم في فترة ملك المنذر ابن ماء السماء الذي حكم بين ٥١٣ - ٥٥٧م، ونُرجِّح أنَّه كان بين ٥٤٠ و٥٥٥م، لأنَّ ابن المنذر قابوس كان قادرًا على قيادة الجيش، ممّا يعطيه هذا عمرًا، أي في نهاية حكم المنذر ابن ماء السماء، وزُعِم أنَّه حدث في زمن ملك النعمان بن المنذر[8]، ومن الملاحظ أنَّ في ذلك

(١) مرة بن سفيان بن مجاشع الدارمي، من فرسان الجاهلية، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٧، ص٢٠٥.
(٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٦١.
(٣) التيمي، **المصدر نفسه**، ص٤٦٢، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٨٧ - ٨٨.
(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٨.
(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٦١، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٣.
(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٨.
(٧) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٢ - ٤٦٣.
(٨) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٩٤ - ٩٥.

خلط بين قابوس بن المنذر ابن ماء السماء، وقابوس بن النعمان بن المنذر.

٤ ـ يوم حليمة

توجَّه جيش المنذر ابن ماء السماء إلى الشام، من أجلِ فرْض شروط التبعية على الغساسنة والحصول على الأموال والهدايا[1]، وقيل: «إنَّ السبب الحقيقي هو الخلاف بين الفرس والروم الذي كان ينعكس على الغساسنة والمناذرة»[2].

وفي هذا اليوم أُطلق مثَل: «ما يوم حليمة بسرٍّ»، لأنَّ الحارث بن أبي شمر الغساني أراد رفع معنويات جيشه وضخَّ القوَّة فيهم باستعمال ابنته حليمة التي كانت تطيِّب المقاتلين وتلبسهم الأكفان والدروع وبرَانس كالأكسية[3] الصفراء اللون، قبل ذهابهم إلى ساحة المعركة[4]، فقام رجل اسمه لبيد بن ربيعة بتقبيل حليمة أثناء تعطيره، فلطمته وبكت، واشتكته إلى والدها، فأنَّبها وطلب منها السكوت لأنَّه كان من الفرسان الأقوياء والأذكياء[5]، ثم نادى: يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي حليمة، فطلب لبيد من والده فرسه الزيتية بدلًا من فرسه، وقال: لا أعود إلا قاتلًا أو مقتولًا، فلما زحف الجيشان نحو بعضهما شدَّ لبيد على المنذر فضربه وأجتزَّ رأسه، وألقاه بين يدي الحارث الأعرج، فزوَّجه ابنته حليمة، وعاد ليكمل المعركة، لكنه قُتل فيها[6]. وقيل: إن المرج اسمه مرج الصفر[7]، ونسب إلى حليمة فسُمِّي مرج حليمة[8]، ورُجِّح أنَّ حليمة هو اسم مكان وليس اسم امرأة[9]، ونُسِب يوم حليمة إلى موضع حليمة[10]، ولكن أين دور حليمة بنت

(١) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٣٢٢، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٣١.
(٢) عبد الرحمٰن، عفيف، **الشعر وأيام العرب**، م.س، ص١٥٦.
(٣) الأكسية: ثياب رقيقة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٥، ص٢٢٤.
(٤) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٢٩، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٦٧.
(٥) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٣٢٢، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٢٩٦.
(٦) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٣١.
(٧) مَرْجُ الصُّفَّر: موضع بين دمشق والجولان، وهو صحراء، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٤١٣.
(٨) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٣١.
(٩) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٢٠.
(١٠) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٤٦٥.

الحارث، فهل كان من المصادفة أنَّ اسم المكان والمرأة حليمة؟

وقيل في سبب المعركة غير ذلك، حيث «أنَّ الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغساني خطب إلى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته، وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان، فزوَّجه المنذر ابنته هندًا، وكانت لا تريد الرجال، فصنعت بجلدها شبيهًا بالبرص، وقالت لأبيها: «أنا على هذه الحالة وتُهديني لملك غسان»[١]، فالسبب أُرجعَ إلى رفض تزويج هند للحارث بن أبي شمر، وتعقيبًا على ذلك، ذُكِر عن هذا اليوم أنَّه جميل جدًا وله ميِّزاته الخاصَّة، ولكنَّه ليس من التاريخ في شيء[٢]، فمن الواضح أنَّ الأسطورة دخلت بشكل كبير في أحداث هذا اليوم حتى أصبح يُعتَبر نسجًا من الخيال.

وذُكِر في أحداثه أنَّ جيش المنذر ابن ماء السماء، كان معه شمر بن عمرو الحنفي السّحيمي، وكانت أمُّه غسّانية، فخان المنذر ولحِق بجيش الحارث، فما كان من الأخير غير أنَّه جهَّز معه مائة مقاتل تقدَّموا من المنذر وأخذوه على حين غرَّة، فقتله شمر بن عمرو، وقد قتل أكثر هؤلاء الفرسان الذين كانوا يلبسون عدَّة السلاح الكاملة تحت ملابسهم[٣]، قال أوس بن حجر يغري النعمان بن المنذر ببني حنيفة لأنَّ شمر بن عمرو السحيمي قتل المنذر ابن ماء السماء وهو حينئذٍ مع الحارث بن أبي شمر الغساني:

نَبِئْتُ أنَّ بني سحيم أَدْخَلوا ... أبياتَهم تامورُ نفسِ المنذرِ[٤]

وبمقتل المنذر أُشيعَ الخوفُ والهلع في صفوف جيشه، ثم جاءت قوّات الحارث، واشتبكت مع فلول جيش المنذر حيث سقط أحد أولاد الحارث في هذا اليوم[٥].

وزعَم أنَّ الملك المنذري المقتول في يوم حليمة هو المنذر بن المنذر ابن ماء السماء[٦]، ولكن في يوم حليمة «لم يقتل إلّا المنذر ابن ماء السماء»[٧]. وقُتِل

(١) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٩.

(٢) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٢٠.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٦٧، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٣٢٢.

(٤) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٦٦ ـ ٦٧، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٨.

(٥) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص١٩.

(٦) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٢٤٦ وص٣٠١، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٤٨١.

(٧) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٣٢.

الحارث الأعرج المنذر ابن ماء السماء بالحيار[١]؛ لذلك أُطلِق على هذا اليوم يوم الحَيار أيضًا. ولا شكَّ في أنَّ هذه المعركة هي التي يسمِّيها الحارث بن حلزة في معلّقته بيوم الحيارين[٢]. وخُلِط بين يوم حليمة ويوم عين أباغ، فجُعِلا يومًا واحدًا[٣]. وزُعِم أنَّ القتيل هو المنذر بن النعمان[٤]، مع أنَّ الفارق في التاريخ كبير جدًا.

وأشتدَّ الغبار في هذا اليوم كثيرًا حتى ستر الشمس وظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر، فسار المثل بذلك، وقيل: «لأرينَّك الكواكبَ ظهرًا»[٥]، «ولم تقع حرب بين لخم وغسان مثل هذه، لأنَّ المنذر زحف بعرب العراق كلهم، ولقيه الحارث بعرب الشام كلِّهم، فكانت حربًا هائلة قُتل فيها الألوف»[٦].

وحُدِّد تاريخ المعركة بشهر أيار سنة ٥٤٤م[٧]، وأُرِّخت بسنة ٥٥٤م[٨]، ولكن الثابت عندنا أنَّ تاريخها هو ٥٥٧م، لأنَّه يوافق وفاة المنذر ابن ماء السماء.

وذُكِر أنَّ النعمان بن امرئ القيس هو فارس يوم حليمة[٩]، لكنَّ المقصود بحليمة فرس وليس اليوم الذي نحن بصدد الحديث عنه[١٠].

٥ ـ يوم الخرَيْبة[١١]

سبب هذا اليوم هو قتل الحارث بن ظالم لخالد بن جعفر الكلبي في الحيرة، فهرب الحارث والتجأ إلى صديقٍ له من كِنْدة، فطلبه الأسود بن المنذر، ففرَّ من عند

(١) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٤.

(٢) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٧٤ ـ ٤٧٦، ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٧٠.

(٣) شمس الدين، إبراهيم، **مجموعة أيام العرب في الجاهلية والإسلام**، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ١، ٢٠٠٢م، ص٤٠ ـ ٤١، عبد الرحمٰن، عفيف، **الشعر وأيام العرب**، م.س، ص١٥٦. هلال، هيثم جمعة، **حروب ومعارك العرب في الجاهلية**، دار المعرفة، بيروت، طـ١، ٢٠٠٤م، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٤) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٢٧.

(٥) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٣٠٤، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص٣١٠.

(٦) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٧٧.

(٧) Trimimgham. J.S, **Christianity among the Arab,** p.185.

(٨) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam,** III, p.222.

(٩) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(١٠) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٢.

(١١) الخرَيْبة: موضع بالبصرة، وسميت بذلك لأن المرزبان ابتناها قصرًا، ثم خرب بعده، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٣٦٣، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٩٥.

كندة واستجار بزياد من بني عجل بن لجيم، فأخبروه بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان، أن يُخرج الحارث لأنَّهم لا طاقة لهم بالشهباء والدوسر، فرحل الحارث إلى جبال طيء، فأعجزَ أمره الأسود بن المنذر، الذي ما كان منه غير أن سبى جارات للحارث بن ظالم لاستفزازه، فخرج الأخير من جبال طيء، وعاد بجاراته وأبنائهن من عند الأسود، واندسَّ في بلاد غطفان[1] واستجار بسنان بن أبي حارثة، وكان للأسود بن المنذر ابنًا يسترضع اسمه شرحبيل[2]، عند سلمى امرأته بنت كثير بن ربيعة، فاستعار الحارث سرج سنان، وهو غائب، وأتى زوجته وأخبرها بأنَّه يريد شرحبيل ليردَّه إلى الملك وهذا سرج سنان علامة على ذلك، فأعطته إياه، فأخذه وقتله، وهرب سنان على أثر تلك المكيدة، فلمّا وصل الخبر إلى مسامع الأسود غزا بني ذبيان[3]، فقتل وسبى وأخذ الأموال، وأغار على بني دودان رهط سلمى، فقتلهم وسباهم، ووجد نعلا شرحبيل عند بني محارب بن خصفة[4]، فغزاهم وأسرهم، فما كان من سيار بن عمر بن جابر الغزاري غير أن دفع ديَّة للأسود مقابل ابنه ألف بعير ورهن قوسه. أمَّا الحارث فهرب ولحق ببني زرارة[5]، ومن بعدها هرب حتى لحق بمكّة، ثم هرب إلى الشام[6]، ونرجِّح أنَّ هذه المعركة حدثت بين ٥٥٧ و٥٦٥م، لأنَّ ابن عمرو بن هند كان ما يزال صغيرًا؛ ما يدلُّ على أنَّ عمرو كان في بدايات حكمه.

٦ ـ يوم أوارة الثاني

تتمحور أسباب يوم أوارة الثاني حول مقتل أخي الملك عمرو بن هند، أسعد بن المنذر[7]، الذي كان يتربّى في ديار بني دارم، في منزل زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم[8].

---

(١) بنو غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢٤٨.
(٢) وقيل إن شرحبيل ابن النعمان، ابن أخيه الأسود، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٤.
(٣) ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٨١.
(٤) بنو محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٢٥٩.
(٥) زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، **المصدر نفسه**، ص٢٣٢.
(٦) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٤ ـ ١٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٠٦ ـ ١١١.
(٧) ورد أن المنذر ابن ماء السماء، وضع ابنًا صغيرًا، ويقال: بل كان أخًا له صغيرًا، يقال له: مالك عند زرارة، ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٤٠، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٢٢، ص١٩٠.
(٨) الأصمعي، **تاريخ العرب**، م.س، ص١١٠، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٠٣ ـ ١٠٤.

اصطاد أسعد في أحد الأيام ناقة سمينة بسهم، فردَّ صاحب الناقة سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي عليه فقتله لقتله الناقة، ثم هرب إلى مكّة[1]، ولعبت الأحقاد والثأر دورًا في تأجيج نار الصراع بين بني دارم من جهة وعمرو بن هند من جهة أخرى، ففي أحد الأيَّام قبيل هذا الحدث، حرَّض زرارة التميمي عمرو بن هند على غزو جبال طيء، فمال إليهم وقتل وسبى وغنم وأسر، فاستمرَّت النار في صدور طيء على المحرِّضين ضدهم، بني دارم، فقطف بنو طيء الحدث الذي أخفي من قبل سويد على الملك في بداية الأمر، وأنشد عمرو بن ملقط الطائي يحضُّ عمرو بن هند على زرارة، فقال:

مَنْ مُبلغٌ عمرًا بأ ... نَّ المرءَ لمْ يُخلَق صُباره
وحوادثُ الأيَّام لا ... تبقَى لهَا إلّا الحجارة
ها إنَّ عجزَة أمّهُ ... بالسفحِ أسفلِ مِنْ أوارة
تسفي الرياحُ خلال كشـ ... ـحيه وقد سلبُوا زرارَة
فاقتل زرارةَ لا أرى ... في القومِ أوفى مِنْ زرارَة[2]

فغزاهم عمرو بن هند مع كتائبه في عقر دارهم، وأنزل السيف في رقابهم يوم أوارة، وقيل فيه أيضًا: يوم القصيبة[3]، ورُويَ بأنَّه يوم قضة[4].

ولم يكتفِ عمرو بقتلهم بل أقسم أن يحرق مئة نفس منهم؛ فلذلك لُقِّب بالمحرق، فأخذ تسعة وتسعين رجلًا، فقذفهم في النار، فأراد أن يبرِّئ قسمه بالمئة، فمرَّ وافد من البراجم اسمه عمار، اشتمَّ رائحة اللحم المشوي، وكان جائعًا، فظن

---

(١) الأصمعي، **المصدر نفسه**، ص١٠٩، حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٢٥٩. ذكرت نفس الرواية، ولكن روي فيها أن أسعد هو ابن عمرو بن هند، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٨٤، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٤، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص٢٠٤.
(٢) التيمي، **المصدر نفسه**، ص٥٨٥، ذكر الأبيات مع شيء قليل من الاختلاف، ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٤١ ـ ٢٤٢، ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٨٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص١٩١، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٠٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٢٥، اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ١، ص١١٥. وردت الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣، ابن الأثير، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٤٣٨.
(٣) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٥٢٦، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٠٤.
(٤) الأصمعي، **تاريخ العرب**، م.س، ص١١٠، حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٢٥٩.

أنَّ الملك يتَّخذ طعامًا، فانقاد وراء الرائحة، فوصل إلى عمرو بن هند، فقال: من أنت؟ قال: أنا من البراجم - والبراجم من بني دارم - فقال عمرو: إنَّ الشقي وافد البراجم، فذهب مثلًا، ورمَى به في النار، ورُوِيَ أنَّه أحرق تسعة وتسعين رجلًا، فأراد أن يُبَرِّئَ قسمه للمئة، فدعا بامرأة من بني حنظلة بن دارم فقذفها في النار[1].

ورُوِيَ أنَّ الرجل الذي جاء هو شاعر من البراجم جاء ليمدح عمرًا فأخذه ليقتله[2]، ولا نرجّح هذه الرواية، فكيف يكون حدثٌ مثل أوارة يحصل ولا يعرف به هذا الشاعر.

وتعكس أحداث هذا اليوم عن وحشية وهمجية غايتها الأولى والأخيرة شحن النفوس بالخوف والرعب من حكم آل لخم، ومن جهة أخرى تظهر الترابط الأسري الموجود، والمحبّة والمودّة التي تربط أبناء البيت الواحد، وعدم التردُّد في طلب الانتقام والثأر والاستبداد بالرأي، والملاحَظ أنَّ الذي ساعد عمرو بن هند على أسر هذا الكم من بني دارم وإحراقهم، هو عدم تلبية أبناء قبيلتهم تميم لندائهم ضد عمرو بن هند[3]، فعندما توجَّه الملك مع كتائبه إليهم، طلبوا المساعدة منهم فلم يلبّوا النداء، وهذا أمرٌ مستغرَب، تقف وراءه بالتأكيد مؤامرة حاكها بإتقان عمرو بن هند، أو خوفًا من قوّة كتائبه وجيشه.

وزُعِم أنَّهم لم يُحرَقوا بل قُتلوا بالسيف[4]. حدث هذا اليوم في فترة حكم عمرو بن هند بين ٥٥٧ و٥٧٣م، والمرجَّح أنَّه وقع بين ٥٥٧ - ٥٦٠م، أي في فترة شباب وقوّة عمرو بن هند إذا صحَّت روايةُ أنَّ أسعد ابنه.

٧ - يوم طويلع، أو: هاجر

هاجر، موضع قرب فيد، في ديار بني تميم، وطويلع، عين ماء لبني أسيد بن

---

(١) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٤٢، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٤. هجا العرب تميمًا بحب الطعام، قال ابن الصعق العامري:

ألا أبـلـغ لـديـك بـنـي تـمـيـم ... بـأيـة مـا يـحـبُّـون الـطـعـامـا

- أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص١٩٢. لم يذكر قتل المرأة بل ذكر أنه أحرق تسعة وتسعين رجل والمائة كان وافد البراجم، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٨٦.

(٢) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٦٦.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٥٢٦.

(٤) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٨٧، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٥٤.

عمرو بن تميم، قرب الصمان[1]، وتتمحور أحداث هذا اليوم حول طلب عمرو بن هند الأتاوة من بني تميم، فأرسل إليهم وائل بن صريم بن أسد بن تميم الغبريّ اليشكري لجلب الضرائب من بني تميم، فوصل طويلع، فرُمي في بركة ماء، وسُخِرَ منه ومن ملكه، وأمروا صبيانهم برجمه بالحجارة، وبدؤوا يقولون:

يـا أيُّـهـا الـمـانـحُ دلْـوِي دونَـكـا ... إنِّـي رأيْـتُ الـنّـاسَ يـحْـمـدونَـكـا

فلمّا وصلَ خبر ما حصل مع وائل بن صريم إلى مسامع عمرو بن هند لم يفعل شيئًا، لكن إخوة وائل وعلى رأسهم باعث جمع بني عنبر[2]، وتوجَّه إلى بني أسيد، فأسَر منهم، وذبحهم حتى ملأ من دمائهم دلوًا ثم قال:

سـائـلْ أسـيـدُ هـل ثـأرْتُ بـوائـلِ ... أمْ هلْ شفيْتَ النّفْسَ من بلْبالِها

إذْ أرْسـلُـوه مـاتـحًـا لـدلائـهـمْ ... فـمـلأْتُـهـا عـلـقًـا إلـى أسـبـالـهـا

آلـيـتُ أثْـقُـف مـنـهـم ذا لـحـيـةٍ ... أبـدًا فـتـنـظرُ عـيـنه فـي مـالِـهـا[3]

ونرجّح أنَّ عمرو بن هند وقف مكتوف الأيدي أمام هذا اليوم، فربما أرسل جيشًا على رأسه باعث بن صريم ليضمن الانتقام والنصر، ونعتقد أنَّ هذا اليوم وقع بين ٥٥٧ و٥٧٣م.

٨ - يوم العلاة والعوصاء[4]

سبب هذا اليوم هو اعتزال طائفة من بني تغلب عن إطاعة عمرو بن هند، بعد قتل المنذر ابن ماء السماء، فقالوا: أرعاءً[5] نحن؟ فوجَّه إليهم عمرو بن هند من قتل فيهم وسبى، ولمّا انتهوا من بني تغلب، أقبل يريد الغسانيين، فلمّا صار إلى الشام قتلوا ملكًا من بني غسان ربما كان القائد، وسبى بنتًا من بنات الملك اسمها ميسون

---

(١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٥١، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص٨٩٩.

(٢) بنو عُنبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٩.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٤٠ - ٤٤١، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص٨٩٩.

- ورد يوم طويلع عند ابن عبد ربه بنفس الأحداث وأبيات الشعر، ولكنه لم يذكره باسم طويلع فقال عنه: يوم الحاجز، وهو موضع قبل معدن النقرة، لبكر على تميم، ولم يذكر سبب اليوم إنما دخل في الأحداث مباشرة، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٦٨ - ٦٩.

(٤) العلاة: أرض قريبة من العوصاء، والعَوْصَاء: بلد من أراضي الشام، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص٩٨٠.

(٥) الإرْعاء: إبقاءً ورفقًا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٣٢٨.

من خيمتها[١]. ومن المرجَّح أنَّ هذا اليوم وقع في عام ٥٥٧م، أي في السنة التي تولّى فيها عمرو بن هند مُلك الحيرة.

٩ ـ يوم وجرة[٢]

«إنَّ عمرو بن هند غزا الرباب يوم وجرة على ماء لها يعرف بالجفرين[٣]، ومعه أخاهُ المنذر الأصغر، فقاتلوه وقتلوا رجالًا من أشراف أصحابه وهزموه، ففي ذلك يقول ذو الرِّمة[٤]:

قتلْنَا على الجفْرينِ آلَ محرقٍ ... ولاقَى أبو قابوسٍ منّا ومنذرَ»[٥]

فالسبب الظاهر في هذا اليوم هو عين المياه، فربَّما كانت إبل عمرو بن هند ترتادها فمنعهم آل الرباب فانتقم منهم، وحدث هذا اليوم في فترة حكم عمرو بن هند، أي: بين ٥٥٧ ـ ٥٧٣م.

١٠ ـ يوم الشقيقة

الشَّقِيقَةُ، اسم بئر في ناحية أبلى من نواحي المدينة، عن يمينه من قِبَل القبلة جبل يقال له بُرْثم[٦]، وذُكِر أيضًا أنَّ بني الشقيقة من غسان جاؤوا يغيرون على إبل لعمرو بن هند[٧]، وقيل: إنَّ بني الشقيقة قوم من بني شيبان[٨]، ولكنَّ الراجح لدينا في كتاب الأنساب أنَّ ذهل وتيم وثعلبة وعوف أولاد شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ويطلق عليهم بنو الشقيقة[٩].

وسبب هذا اليوم أنَّ قومًا من بني شيبان جاؤوا مع قيس بن معد يكرب ومعهم

---

(١) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٨٧ ـ ٤٨٩، ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٧٨.

(٢) وَجْرَةُ: موضع بين مكة والبصرة، بينها وبين مكة نحو أربعين ميلًا، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٣٦٢، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٢٨٠.

(٣) الجَفْرانِ: تثنية الجفر، موضع باليمامة، ياقوت، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص١٤٦.

(٤) ذو الرُمة: أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة، (ت١١٧هـ/ ٧٣٥م)، أحد فحول الشعر، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٤، ص١١ وص١٦.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٠ ـ ٤٥١، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص١٤٦.

(٦) ياقوت، **المصدر نفسه**، م.س، جـ٣، ص٣٥٦.

(٧) ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٨٢.

(٨) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٩٣.

(٩) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٢١.

جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على إبل عمرو بن هند، فما كان من بنو يشكر غير أن تصدّوا لهم وأنزَلوا السيف فيهم، ولم يسمحوا لهم بسلب إبل عمرو بن هند. ووقع هذا اليوم في فترة مُلك المنذر ابن ماء السماء[١]، وزُعِم أنَّ اليوم حدث في عهد عمرو بن هند[٢]، لكنَّ المرجَّح أنَّ الإبل لعمرو بن هند، والملك كان المنذر ابن ماء السماء ٥١٣ ـ ٥٥٧م.

١١ ـ يوم عين أباغ

مَلك المنذر بن ماء السماء الذي قُتِل أباه في يوم حليمة، وأخذ على عاتقه أخذ الثأر من الغساسنة لقتلهم والده على يد ملكهم الحارث، فخرج طالبًا بدم أبيه[٣]. ورُوِيَ أنَّ سبب هذا اليوم هو طلب المناذرة من الغساسنة الفدية[٤]. فالمناذرة كانوا دائمًا أسيري الهاجس الأمني ومستعدين دائمًا لأسوأ الاحتمالات، لأنَّهم لم يأمنوا غدر الغساسنة وما ينشأ عن أزمات ونزاعات، من أحقاد وردود فعل انتقامية، مصحوبة بالرغبة الدائمة للضغط على الغساسنة لدفع المال، ممّا يعني تبعيتهم لهم.

وتدور أحداث اليوم «بتوجيه إنذار إلى الغساسنة، فما كان من الحارث غير أن جمع جيشه وسار نحو المنذر وقال: إنَّنا شيخان فلا تُهلِك جنودي وجنودك، ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك فمن قُتِلَ خرج عوضه آخر، وإذا فَني أولادنا خرجت أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك، فتعاهدا على ذلك، فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه فأمره أن يخرج فيقف بين الصفّين، ويظهر أنَّه ابن المنذر فلمّا خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب، فلمّا رآه رجع إلى أبيه، وقال: إنَّ هذا ليس بابن المنذر إنَّما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بني أجزعت من الموت! ما كان الشيخ ليغدر، فعاد إليه وقاتله فقتله الفارس وألقى برأسه بين يديِّ المنذر، وقتل ابنًا آخر للحارث، وبعدما صفَّ الجيشان، وقيل: كان جيش الحارث أربعين ألفًا، اصطفّوا للقتال فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقتل المنذر وهزمت جيوشه»[٥]،

---

(١) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٩٣ ـ ٤٩٤، ابن النحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٥٢.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٤، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢.

(٤) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٦.

(٥) **المصدر نفسه**، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٧.

واستغرقت المعركة يومان[1]، ولا نرجّح أنَّ جيش الحارث قد وصل إلى أربعين ألفًا، فدائمًا نصطدم بتقديرات خيالية لعدد الجيوش، ولكنَّه كان يومًا شهد حربًا عظيمة وهائلة[2].

ورُوِيَ أنَّ المقتول في عين أباغ هو المنذر ابن ماء السماء، وخُلِط بين هذا اليوم ويوم حليمة[3]، حتّى أنَّ ابن الأثير الذي نبَّه إلى عدم الخلط بين هذا اليوم ويوم حليمة ذكر أنَّ المقتول في عين أباغ هو المنذر ابن ماء السماء في بعض الأماكن[4]. وكان الملك قابوس على رأس جيش المناذرة في يوم عين أباغ[5]، ورُوِيَ أنَّه في بداية حكم قابوس المنذر بن غسان هزمهم في عين أباغ[6]، ومن المرجَّح أنَّهما اعتمدا على الرواية التي تذكر أنَّ الملك قابوس انتهز فرصة وفاة الحارث بن جبلة، فباغت الغساسنة بهجوم مفاجئ[7]، ولكن بالتأكيد أنَّ هذه المعركة هي غير عين أباغ، فأين المنذر بن المنذر والحارث الغساني؟ فيوم حليمة سبق يوم عين أباغ[8].

والذي قتل المنذر بن المنذر هو شمر بن عمر السحيمي[9]، وقيل شمر بن يزيد[10]، ورويَ أنَّه الحارث بن أبي شمر الغساني[11]، فالأخير هو الذي غزا المنذر بن المنذر ابن ماء السماء فالتقوا بعين أباغ، فقتل المنذر[12]، ولكن نرجّح

---

(١) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣١٦.
(٢) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٦١.
(٣) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٢٣ ـ ٢٤، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢.
(٤) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٦ ـ ٤٢٧.
(٥) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٢٥، رستم، أسد، **كنيسة مدينة إنطاكية**، ٣ أجزاء، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، طـ١، ١٩٨٨م، جـ١، ص٣٩٥.
(٦) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.198.
(٧) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.370.
(٨) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٦، ص٤٢٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٣٧.
(٩) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٢٤، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣١٢.
(١٠) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٤٨. وقيل عمرو بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣١٠ ـ ٣١١.
(١١) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٤، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٢.
(١٢) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٩، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٣٠ ـ ٤٣١.

الحدث الأول لأنَّ موقع عين أباغ هو أقرب إلى الشام من الحيرة، فهو موقع تابع لقنسرين، قريبة من تدمر[1]، فربَّما توجَّه المنذر بجيشه فأوصلت العيون الأخبار إلى الحارث، فجهَّز جيشه وتوجَّه لملاقاة المنذر، فشهدت عين أباغ اليوم، وليس العكس[2]، وحُدِّد تاريخ هذا اليوم بـ ٥٦٣م[3]، وهذا غير دقيق لأنَّ المنذر بن المنذر مات في عام ٥٧٨م، أي في يوم عين أباغ.

١٢ ـ يوم القريتين[4]، أو السلان[5]

تعرَّض بنو عامر الذين كانوا لا يدينون للملوك لقوافل كسرى التجارية المتَّجهة من الحيرة إلى عكاظ[6][7]، فبادر النعمان إلى توجيه جيشه لتأديب بني عامر إرضاءً للملك الفارسي[8]، فتألَّف جيشه من كتائبه الصنائع والوضائع مع رجال من قبيلة ضبَّة بن أدّ وقبائل الرباب وتميم، وأسنَدَ القيادة إلى أخيه لأمُّه وبرة بن رومانس الكلبي، يساعده ضرار بن عمرو الضبي[9] في بني دلف[10]، وأمرهم بالتوجُّه إلى عكاظ، فإذا انتهت الأشهر الحرام، ورجع كل قوم إلى بلادهم فيهاجمون بني عامر بالسلان، ويُظهِرُ هذا اليوم التعاون بين الحيرة والقبائل العربية في الأعمال العسكرية[11]، فعلِمَت بالخطة قبيلة قريش التي بدورها أخبرت بني عامر بنيَّة النعمان، فجهَّزوا أنفسهم للحرب، وأسندوا القيادة إلى عامر بن مالك «ملاعب

---

(١) Musil. A, **Palmyrena**, p.144.
(٢) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٧.
(٣) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٦٢.
(٤) القُرْنَتَان: تثنية قرنة، بين البصرة واليمامة، في ديار بني تميم، عندها أحد طرفي العارض جبل اليمامة، بينه وبين الطرف الآخر مسيرة شهر، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٣٣١.
(٥) السُّلّانُ: وادي فيه ماء، ومن المحتمل أنه قرب عكاظ، **المصدر نفسه**، ص٢٣٥. وورد باسم السُّؤبَان، وادي في ديار بني تميم، ويوم من أيام حروب بني عامر وبني تميم، تسمى يوم السؤبان، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص٧٠٩.
(٦) عُكَاظ، صحراء مستوية بنجد، تابعة للطائف، البكري، **المصدر نفسه**، ص٩٥٩.
(٧) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧١ ـ ١٧٢، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٥٠٦.
(٨) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٢٠.
(٩) ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٠٣.
(١٠) دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، **المصدر نفسه**، ص٣١٢ ـ ٣١٣.
(١١) Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya**, p.156.

الأسنَّة»[١]، وأقبل الجيشان فالتقوا بالسؤبان واقتتلوا قتالًا شديدًا، وبينما هما يقتتلان، تقدم يزيد بن عمرو[٢] فأسر وبرة بن رومانس، فانهزم جيش لخم، واستمرَّ ضرار بن عمرو الضبي مع أولاده يقاتلون فحمل عليهم عامر بن مالك، فطعنه وعليه درعين فسقط عن فرسه، ودافع عنه بنوه، ثم طعنه طعنات يسقط بكل طعنة فيها عن فرسه ثم يمنعه بنوه حتى يركب؛ فلذلك سُمِّي عامر بن مالك ملاعب الأسنَّة، فلمّا رأى ذلك الأخير حمل على رجل آخر له وهو حبيش بن دلف[٣] فأسره، وهذا الأخير كان أسودًا نحيفًا دميمًا، فلّما رآه ظنَّه عبدًا، فقال له: إنّا لله أعزز سائر القوم، فافتدى نفسه بأربعمائة بعير، وهزم جيش النعمان، وافتدى وبره بن رومانس نفسه بألف بعير وفرس من يزيد بن الصعق[٤]، ولم يكن النعمان بن المنذر على رأس هذا الجيش، ولكن رغم وجود أخيه من أمّه وكتائبه فإنَّه خسر المعركة، ويُعزَى ذلك إلى تنبُّه بني عامر للهجوم؛ ما أضاع عليهم عنصر المفاجأة والمباغتة، واستعداد بني عامر للمعركة، ومن المحتَمل أنَّهم نصبوا الكمائن وصنعوا الخطط فحملوا النصر.

وحصل هذا اليوم في بداية ملك النعمان بن المنذر، أي: نحو عام ٥٨٢م، أو بالسنوات القليلة التي تلت هذا التاريخ.

١٣ ـ يوم النجير أو النجيرة[٥]

غزا النعمان بن المنذر بجيشه بني عمرو بن تميم وهو بالحيرة، فأغار عليهم فطرد إبلهم فتبعوه وأمهلوه حتى تعب، ثم لحقوه فهزموه وقتلوا عسكره، وغنِموا ما فيه، ففي ذلك يقول أرقم بن مطرود رجل منهم:

(١) عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، يلقب بأبي براء ملاعب الأسنَّة، وضرار سماه في ذلك اليوم بهذا الاسم، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٠٣ وص٢٨٥.

(٢) يزيد بن عمرو بن الصعق من بني عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، **المصدر نفسه**، ص٢٨٦.

(٣) حبيش بن دلف بن الهون بن دكوان بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أدّ، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٤) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٢ ـ ١٧٥، ابن حزم، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٢٠٣. ورد بيوم السوبان، ولكن نفس أحداث سوم السلان عند ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٤١، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٧٥ ـ ٣٧٧.

(٥) النُجيرَ أو النُّجَيرة، أرض في ديار بني عبس، وهو ماء في ديار بني تميم، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٤، ص١٢٩٩ ـ ١٣٠٠، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٢٧٤.

نحنُ سقَينا بالنّجيرِ النّعمانَ ... كأسًا من الشرَّبانِ والذَّيفانِ[١]

وقال رجل آخر منهم:

ونحنُ على النَّجيرةِ قدْ صبَبْنَا ... على النّعمانِ مرداةً طحونَا[٢]

فأسباب هذا اليوم هو طمع النعمان بن المنذر بإبل آل تميم، فغزاهم لسلبهم أرزاقهم، ومن المرجَّح أنَّ خطأً في التقدير العسكري لقوَّة بني تميم أوقع النعمان في هذه الخسارة. ونعتقد أنَّه وقع بين ٥٨٢ ـ ٥٩٥م، أي: قبل طرده من ملكِه.

١٤ ـ يوم سفوان[٣]

أغار هبيرة بن عامر[٤]، على النعمان بن المنذر، وهو على عين ماء سفوان، فسلبه زوجته المتجرِّدة في نسوة من نساء المنذر ونهب أموالًا كثيرة، فهرب النعمان منه إلى الحيرة، ففي ذلك يقول النابغة الجعدي:

وظلَّ لنسوةِ النعمانِ منّا ... على سفوانِ يومَ أرونانِ

فأردفْنَا حليلتَه وجئنا ... بما قد كانَ جمَّعَ من هجانِ[٥]

وقيل: إنَّ يوم سفوان هو لجعدة[٦] وقشير على النعمان بن المنذر[٧]؛ ما يعني أنَّ هناك اتِّفاقًا مُسبَقًا بين قشير وجعدة على الهجوم على النعمان وسلبه زوجاته ونهب أمواله. وأُلمح إلى تبدُّل سلبي في العلاقة بين النعمان ورؤساء القبائل[٨]، فاقتنصوا فرصة قلَّة حراس النعمان.

والمرجَّح أنَّ هذا اليوم حدث أثناء طلب كسرى إبرويز النعمان وهروبه من الحيرة، أي: قبل ذهابه إلى كسرى بوقت غير طويل، أي: بحدود عام ٦٠٣م.

(١) الذيفان، السم، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٠٩.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٥١.

(٣) يجب عدم الخلط بين هذا اليوم ويوم سفوان آخر ذكرته المصادر بين بنو مازن وبنو شيبان، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٣ ـ ٤٣٤، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٤) هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٨٩.

(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٩، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٢٥.

(٦) جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٨٩.

(٧) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٥٢٦.

(٨) Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya,** p.154.

١٥ ـ يوم ذي قار[١]

يُعتبَر يوم ذي قار بحقٍّ من أهمِّ المعارك التي جرت بين العرب والفرس، وتكمن أسباب خفية وأسباب ظاهرة خلف هذا اليوم:

فالأسباب الظاهرة: هي قتل النعمان بن المنذر لعدي بن زيد العبادي، وهذا الأخير كان في بلاط كسرى إبرويز بن هرمز يعمل مترجمًا له، وأراد ابنه زيد الذي أصبح فيما بعد يشغل نفس الوظيفة التي عمل بها والده عند كسرى أن ينتقم لمقتل والده على يد النعمان، فحرَّف كتابًا للنعمان إلى كسرى، وأوقع الفرقة بينهما من خلال ترغيب كسرى بطلب الزواج من نساء آل لخم، فامتنع النعمان عن ذلك لكسرى إبرويز[٢]، وبعد مقتل النعمان على يد كسرى، طلب الأخير تركة النعمان من الأسلحة والدروع والمال، التي أودعت عند هانئ بن قبيصة[٣].

وما زاد غضب كسرى إبرويز غارات بكر بن وائل على أطراف السواد[٤]، ولا نرى بهذه الأسباب الظاهرة إلّا نوعًا من الاختبار لولاء النعمان «واتخذ كسرى السلاح ذريعة ليجرِّد جيشًا لتأديب بكر بن وائل»[٥]، فالسبب الحقيقي إذًا ليوم ذي قار هو أنَّ الفرس بدؤوا يشكّون بولاء النعمان لهم، وبذلك يمكن أن يخرج قسمًا من العرب من قبضتهم فيتقلَّص نفوذهم في جانب من بلاد العرب، فأراد الفرس أن يعملوا عملًا يحولون دون تقلُّص نفوذهم عن العرب[٦]، فاختير الحلُّ العسكري «رغبة منهم في ذلِّ العرب»[٧].

---

(١) ويعرف بيوم ذي قار الأكبر، ويوم الحنو، ويوم قراقر، ويوم الحسي، ويوم الجنايات، ويوم ذات العجرم، ويوم العدوان، ويوم البطحاء، ويوم حنو قراقر، وكل هذه الأماكن حول ذي قار، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٨٩، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص١٠٤٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤١٦، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٣١.

(٢) التيمي، **المصدر نفسه**، ص٤٩٠، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٧.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٣١٢ ـ ٣١٣، وجـ٦، ص١١١، القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ١، ص١٦٩، وأوردت نفس الرواية ولكن ذُكر أن الوديعة وضعت عند هانئ بن مسعود بن المزدلف، التيمي، **المصدر نفسه**، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٢١.

(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٥) عبد الرحمٰن، عفيف، **الشعر وأيام العرب**، م.س، ص٨٩.

(٦) فروخ، عمر، **تاريخ الجاهلية**، م.س، ص١٣٩.

(٧) قاشا، سهيل، **الكنيسة العراقية إزاء الاضطهادات الفارسية**، مكتبة السائح، طرابلس، ط١، ٢٠٠٦م، ص٩٤.

وأُرجِعَت معركة ذي قار لأسباب تجارية[١]، فربَّما تعرَّضت قوافل كسرى لاعتداء من قبل القبائل العربية فأراد تأديبها.

وبالعودة إلى أحداثها فقد أرسل إياس بن قبيصة بناءً على طلب كسرى إلى هانئ بن مسعود يريد استرجاع ما استودع النعمان عندهم من سلاح، فأبى أن يسلِّم الأمانة، فاستشاط كسرى غضبًا، وحثَّه النعمان بن زرعة[٢] على القضاء على بكر بن وائل وعرض عليه توقيت الصيف حيث ينزلون على ماء يقال له ذي قار، فيبادر جيش كسرى إلى سبقهم إلى الماء، فيموتون عطشًا، وفي فصل الصيف توجه بكر بن وائل إلى ماء ذي قار، وقبل الوصول بليلة نزل بالحنو، حنو ذي قار، فأرسل كسرى إليهم النعمان بن زرعة وعرض عليهم ثلاث خيارات: «إمَّا أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء، وإما أن تفرّوا من الديار، وإمَّا أن تأذنوا بالحرب»[٣].

فاختار آل شيبان الحرب، وأسندوا قيادة الجيش إلى حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، الذي بدأ بشدِّ عزيمة جيشه، وحثِّه على الصبر والثبات لكي لا يُقتلون وتسبى نسائهم، وبالمقابل بعث كسرى إلى إياس وإلى الهامرز التستري وكان مسلحة بالقطقطانة، وإلى خنابزين وكان مسلحة أيضًا ببارق، وكتب إلى قيس بن مسعود الذي كان كسرى استعمله على سفوان، أن يجتمعوا تحت قيادة إياس بن قبيصة، تقدم جيش الفرس بالجنود والفيلة، فلمّا اقتربوا تسلَّل قيس بن مسعود ليلًا إلى جيشهم وأتى هانئ ونصحه بأن يوزِّع سلاح النعمان على قومه، ففعل والخوف في قلبه، وعندما اقترب جيش كسرى أكثر، أوعز إلى بني بكر أن يهربوا فلا طاقة لهم بجيش كسرى، ولبّى الناس دعوته، لكنَّ قيادة حنظلة بن سيار أنقذت الموقف، فردَّ الناس، وقطع حبال الهوادج، حتى لا يهربوا بنسائهم، وجلس تحت خيمته، فرجع الناس، واستقوا من الماء لمدَّة نصف شهر، فتقدَّم جيش الفرس وبدأ القتال فعطش الفرس؛ ما سرَّع بهزيمتهم، فتراجعوا إلى الجبابات، فلحقتهم بكر وعجل، فانقضَّ الفرس على بني عجل، وظن الناس أنَّهم قضوا عليهم فجاءت النجدة من بكر وإذ ببني عجل ثابتين في ميدان القتال، واستمر القتال يومًا في الجبابات، فعطش

---

(١) De lacy O'Leary, D.D, **Arabia before Muhammad**, p.186.

(٢) النعمان بن زرعة بن هرمي بن السفاح ـ واسم السفاح سلمة ـ بن خالد بن كعب القنفذ بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب بن وائل، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٠٦.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩١ ـ ٤٩٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٨ ـ ٤٧٩.

الفرس، ومالوا إلى بطحاء ذي قار، وبدأ التفكُّك في جيش الفرس حيث أُرسِلت قبيلة إياد إلى بكر سرًّا، وكانوا مع جيش إياس بن قبيصة، وسألوهم أن ينسحبوا من الجيش ليلًا، أو حين يهجم بنو بكر، فردّوا عليهم بل تفرّوا حين يهاجم بنو بكر، وبدأت الأخيرة تقيم الكمائن، ويُنزِلون الخسائر بجيش الفرس، وصبروا على القتال أكثر، ومن ثَمَّ بدأت الحرب تأخذ شكل المبارزة الفردية، فقُتِل فارس فارسي، وخاف الجيش العربي أن تصطادهم النشابة، فحَمَلت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش فقتل رئيسهم وحَمَلت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش، وشدّوا على قلب الجيش الفارسي، وفيه إياس، فهربت إياد كما وعدت وانهزمت الفرس، فتبعهم بني عجل ووضعوا السيف فيهم بالقرب من بطحاء ذي قار[1]، ولحقوا بهم إلى السواد، فأسروا النعمان بن زرعة التغلبي، لكنَّ إياس بن قبيصة نجا، فكان أول الواصلين إلى كسرى، ومن يأتي كسرى بخبر الهزيمة أولًا كان ينزع أكتافه، فسأل إياس عن الجيش، فردَّ: هزَمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم، فأمر له كسرى بكسوة وأعجب به، واستأذن منه لزيارة أخيه بعين التمر، وأتى رجل آخر من الحيرة فسأل هل دخل أحد على كسرى، فقالوا: إياس، فظنَّ أنَّه أخبره الحدث، فدخل وأخبره بالهزيمة، فأمر كسرى بنزع أكتافه[2].

فيومُ ذي قار يُعتبَر من أيّام العرب العظام[3]، قال فيه الرسول محمد ﷺ: «**هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصِروا**»[4]. أمّا بالنسبة لعدد الجيوش

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٢ ـ ٤٩٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٩ ـ ٤٨١.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٧٥ ـ ٧٦.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٢٣٤، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص١٣١.

(٤) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٦، ص٢٧٧، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص١٠٤٣، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٧٤. وذُكر القول باختلاف بسيط فقال النبي ﷺ: (**هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، ونُصرت عليهم بي**)، المسعودي، **مروج الذهب**،م.س، جـ١، ص٣٠٧. وقال الرسول ﷺ: (**هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصِروا**)، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٢٤، ص٧٦. وقال ﷺ: (**اليوم ينتصف العرب من العجم فنصروا**)، فاذا هو يوم ذي قار، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٣٤١. وقال ﷺ: (**أحمد الله على ما نصر به العرب من يومكم هذا، فاليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا**)، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٥. وقال ﷺ: (**اليوم انتصفت العرب من العجم، وبي** =

المشاركة فقد قُدِّر جيش الفرس بألفين من الأعاجم، وألفين من بهراء[1]، وبالمقابل لم يُذكر عدد مقاتلي العرب لكن ذكر أن قبيلة شيبان كانت سبعمائة مقاتل أثناء المعركة[2]، فمن المرجّح أنَّ عدد جيش العرب لم يتجاوز الألف وخمسمائة مقاتل.

وقد اختُلِف في تحديد تاريخ وقوع اليوم، فقيل: إنه وقع «لتمام أربعين سنة من مولد الرسول ﷺ[3]، أي: ٦١١م، وحُدّد بعد وقعة بدر بأشهر[4]، وجُعِل بعد وقعة بدر بشهرين[5]، أي: في ٦١٣م، وذُكر أنَّها وقعت في سنة سبع من الهجرة/ ستمائة وثمان وعشرين[6]، وزُعِم أنَّها وقعت يوم ولادة الرسول ﷺ[7]، أي في ٥٧١م، ورُوي أنَّها وقعت في عام بدر الأولى[8]، وذُكر أنَّها وقعت يوم بعثة النبي ﷺ[9]، أي: ٦١٠م، وحُدّد اليوم بتواريخ مختلفة، فذكَروا أنَّها وقعت في ٦٠٤م[10]، أو٦١٠م[11]، ومن المرجَّح أنَّها وقعت في عام ٦١٣م، أي عند تولِّي حكم بلاد المناذرة زاديه، لأنَّه في هذا التاريخ لم يعد يذكر إياس، وكمَا ذكرنا عند نهاية المعركة هرب من كسرى لأنَّه خاف أن ينزع كتفيه.

أمّا أسباب انتصار العرب على جيش الفرس فعديدة، منها:

أ ـ تشجيع النساء للجيش العربي، وبثُّ الإقدام والحماسة والغيرة فيهم، وتخويفهم من السبي[12].

= **نصروا**)، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٨٦. وقال ﷺ: (**اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا**)، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٣١.

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٧٨.

(٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٣.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٣٠٧.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٧٦.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٩٤.

(٦) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٣٣٦.

(٧) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٩٤.

(٨) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٣١.

(٩) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٣١.

(١٠) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٧.

(١١) محمد سعيد، **الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها**، مطبعة المتني، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص٢٠.

- Nicholson. R.A, **A Literary History of Arab,** p.70, Brocklmann. C, **History of Islamic,** p.8.

(١٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٩.

ب ـ دبّ روح الفداء والثبات في جيش بني شيبان[1]، فقد قال هانئ بن قبيصة الشيباني لقومِهِ وهو يحرِّضهم: «يا معشر بكر، هالك مغدور، خير من ناجٍ فرور، إنَّ الحذر لا يُنجِي من القدر، وإنَّ الصبر من أسباب الظفر، المنيَّة ولا الدنيَّة، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر: قاتلوا فما للمنايا من بدٍّ»[2]، فالعرب كانوا أشجع قيادة، وأشدَّ حماسة، أحكم خطة[3]؛ لذلك انتصروا في هذا اليوم.

ت ـ قوَّة بني شيبان وثباتهم في المعركة، وصبرهم على المصاعب[4].

ث ـ مساعدة اللهازم وبني عجل لبني شيبان[5]، والطريقة التي مات بها النعمان وذكرها الشعراء ألهبت مشاعر العرب، وأوجدت نوعًا من التعاطف مع بعضهم بعضًا ضد الفرس.

ج ـ توزيع دروع النعمان بن المنذر وأسلحته على الجنود، بالإضافة إلى تسليح الجنود بالدروع والخوذ والسيوف[6]، «فانتصار العرب في يوم ذي قار كفله منذ البداية التفوق التقني لأسلحتهم»[7].

ح ـ طَمع المقاتلين العرب بغنائم وسلائب جيش كسرى[8].

خ ـ مَنع العرب جيش الفرس من الوصول إلى المياه في فصل صيفٍ حار، ما أهلك قِواهم، وتخلّي قبيلة إياد عن مساعدة الجيش الفارسي.

وقيل: «إنَّ ثمَّةَ سبب آخر عميق لانتصار العرب يكمن في ما طرأ على نظامهم الاجتماعي من تطوّرات، فهم قد تجاوزوا آنذاك نطاق الوحدات القبلية ودخل تطورهم في قوالب جديدة توثّقت فيها وقويت عرى محالفاتهم»[9].

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٤ ـ ٤٩٥، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨٠.

(٢) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ١، ص١٦٩، اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ١، ص١٠٧.

(٣) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٣٣.

(٤) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٩٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٨١.

(٥) التيمي، **المصدر نفسه**، ص٤٩٨، الطبري، **المصدر نفسه**.

(٦) التيمي، **المصدر نفسه**، ص٤٩٤، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٦.

(٧) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٨.

(٨) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٢.

(٩) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٨.

والذي ساعد العرب على الانتصار ذلك «الاضطراب الداخلي والحروب المتعدِّدة والفتن والمنافسات على العرش وضعف الأكاسرة»[1].

أمّا نتائج معركة ذي قار فهي:

أ ـ حفَّز الانتصار العرب، وأدخل الثقة إلى نفوسهم، فأشادوا به ووثِقوا بقوَّتهم، فقد أثبتوا أنَّ بمقدورهم كسر شوكة أكبر جيش في ذلك العهد ألا وهو الجيش الفارسي[2].

ب ـ هي من الوقائع الفاصلة في تاريخ العرب وكان لها أثر في فتح المسلمين للعراق[3]، وهي أوَّل معركة تنتصر فيها القبائل العربية على الجيش الفارسي؛ ما أعطاهم الثقة بأنفسهم[4].

ت ـ إنَّ العرب تجرَّؤوا لأوَّل مرَّة في تاريخهم على لقاء الفرس في معركة مفتوحة لا غارة، ودلَّت هذه المعركة على صِحّة القيمة العصبية[5].

ث ـ بداية ظهور معانٍ قومية بالنسبة للعرب، «فقد كان لإياد يومئذٍ موقف مشرِّف ينسجم مع حِسّها القومي، وذلك بوقوفها مع إخوتها العرب وتخلّيها عن حلفائها الفرس»[6]، ولا يمكن ربط هذا الاستنتاج بالروح القومية، لأنَّ العرب لم يتفاخروا بالقومية بنُصرتهم على الفرس، بل تغنّى الشعراء بالقبلية لأنَّ الحياة القبلية كانت طاغية على شعور العرب بأنَّهم أمَّة، كذلك لاحظنا أنَّ بعض القبائل العربية كانوا يحاربون إخوتهم العرب نصرةً للفرس.

ج ـ إقصاء الفرس لإياس بن قبيصة عن حكم الحيرة، وتعيين حاكمٍ فارسي يحكمها بصورة مباشرة[7].

إذًا لقد أورثت البيئة عرب المناذرة مزاجًا عنيفًا وميلًا فطريًّا للعدوان والتنافس مع الآخرين، بحيث أصبحت الأيام سُنَّة الحياة اليومية، ومصدر اليقين الباهر فيها، وقد أدّى هذا إلى تكوين نظرية متكاملة في الحروب والمعارك، واللّافت للنظر أنَّ

---

(١) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٧١.

(٢) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٤٨.

(٣) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٦٧.

(٤) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في التاريخ العربي**، م.س، ص٧١.

(٥) فروخ، عمر، **تاريخ الجاهلية**، م.س، ص١٤٥.

(٦) النص، محمد إحسان، **قبيلة إياد منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثامنة، الرسالة السابعة والأربعون، ١٩٨٧م، ص٢٧، ص٣٦.

(٧) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١٦.

الحرب أصبحت نوعًا من الهواجس المتسلِّطة على نفس العربي الجاهلي، بحيث لا نُعدَم أثرًا من آثارها على المستوى الرمزي في معظم التعبيرات الفنية الشعرية، من أغراض شعرية ربما يكون ظاهريًا إنَّها بعيدة كل البعد عن غرض الحرب، مثل الغزال أو وصف الناقة.

ويُعدُّ الغزو في عرف أهل المناذرة واحدًا من أهم موارد الرزق، ولا سيَّما في سنوات الجدب وانقطاع المطر، وقد يقع الغزو لأسباب أخرى يدخل الطمع والعصبيات والعلاقات الشخصية فيها، فهو المحصِّلة الطبيعية للبيئة التي أورثت المنذري ظروفًا اقتصادية واجتماعية بالغة الخشونة والسوء.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

أولًا ـ الحياة الزراعية.
ثانيًا ـ الحياة الحرفية.
ثالثًا ـ الحياة التجارية.

أولاً ـ الحياة الزراعية

١ ـ الأراضي الزراعية

صاغ المناذرة حياتهم الاقتصادية بالشكل الذي يتلاءم مع ما ألفوه في بيئتهم من ظروف مناخية، وتوافر الموارد المائية، ووجهة نمط حياتهم، فاحتل القطاع الزراعي حيّزًا مهمًّا في اقتصادهم بسبب أهميَّته كمورد أساس للطعام والشراب، ومادّة أولية للصناعة، بالإضافة إلى كونه يشكل دخلًا اقتصاديًا ماليًا مهمًّا للأفراد والمجتمع. فالزراعة «هي أقدم الصنائع لِما أنَّها محصِّلة للقوت المكمِّل لحياة الإنسان غالبًا»[1]، و«كانت وما تزال الحرفة الرئيسة الأولى لسكان العراق نظرًا لملاءمة الظروف الطبيعية لها كوجود مساحات كبيرة من الأراضي المنبسطة الصالحة للزراعة، ومناخ مساعد على النمو، وتوافر الموارد المالية؛ لذلك فأكثرية السكان يحترفون الزراعة ويَعتمِد عليها دخلهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة»[2]. وساعد غِنىً الأراضي الزراعية على استقرار السكّان[3]، إلى جانب توفُّر المياه، واعتمدت الزراعة على قِوى الإنسان والحيوان وعلى ما يملكه المزارعون من أدوات قليلة لجعل أراضيهم وأعمالهم أكثر إنتاجية، ومارس أغلب سكان المناذرة هذه المهنة حتى أصبح الفلّاح منظرًا مألوفًا في كلِّ مكان[4].

وسعى الفلّاحون إلى استغلال الأراضي الخصبة، ولكنَّ هذه الأرض كانت سببًا للنزاع، فاستعمل ملوك المناذرة نظامًا لتوزيع الأراضي يُسمَّى الإقطاع، وهو اقتطاع مساحة من الأرض لشخص يكون مليكًا وغير تمليك[5]، ويتمُّ عبره توزيع الأراضي

(١) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٧٦.

(٢) خلف، جاسم محمد، **جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية**، دار المعرفة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م، ص٢٢٩.

(٣) Bell. Geatrude Lowthian, **Amurath to Amurath**, William Heinenanm, London, 1911, p.142.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٠، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٥.

(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٢٨١، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١١، ص٣٨٥.

على الأشخاص المهمِّين[1]، مثل الملوك ورؤساء القبائل وقادة الجند، ليكون دخلًا لهم ولكسب رضاهم، حيث «يقطعون مواضع منه مسمّاة تجعلها طعمة لهم، ومعونة على عملهم، وكانوا يجنون من خراجها، فيأكلون ويطعمون من شاؤوا من أهلهم وأعوانهم من كانوا يصانعون ويستعملون من العرب، وربّما أقطعوهم أيضًا قُرى من جملة إقطاعهم»[2].

ويرجع الفضل في ابتداع هذا النظام إلى الفرس، حيث ساد النظام الإقطاعي فيها، فكل حاكم ولاية كان مستقل بإقطاعه، ولكنْ عليه واجبات نحو السلطة المركزية، ويُعيِّن الإقطاعي طوال فترة حياته[3]، فأخذ المناذرة هذا النظام عن الفرس وطبَّقوه في مملكتهم.

ومن أهم الإقطاعات:

أ ـ **إقطاع حسّان بن حنظلة:** وهو أول عربي أقطعه إبرويز ضياعًا بحظرنية[4] في منطقة السواد، فأقرَّه النعمان بن المنذر على عمله[5].

ب ـ **إقطاع النعمان بن المنذر:** أقطع كسرى النعمان من البلاد رستاق[6] السيلحين، وقطائع[7] بني طلحة[8]، وسام طباق، وسُمِّيت فيما بعد بطباق سالم[9][10]. وذلك لمساعدته في حكمه[11].

ت ـ **إقطاع إياس بن قبيصة:** إنَّ إبرويز لمّا وَلِيَ إياس المُلك بالحيرة أطعمه

(١) Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya,** p.152.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٧.

(٣) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad,** p.155.

(٤) الحظرنية، من الحَظِرَة: قرية كبيرة من أعمال بغداد من جهة تكريت من ناحية دجيل، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٢٧٤.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٩٨.

(٦) الرُّستاق، كلمة فارسية معرَّبة، والجمع الرساتيق، وهي السواد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(٧) القَطائعُ: هو جمع القطيعة، وهو ما أقطعه الخلفاء، وتعرف بقطائع الموالي، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٣٧١.

(٨) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٣٨.

(٩) طباق سالم، تقع بأرض النجف في غرب فرات تستر، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨.

(١٠) **المصدر نفسه**، ص٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(١١) Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya,** p.151

عين التمر، وثمانين قرية من أطراف السواد منها الأقساس، وبدوره أقطع إياس الأقساس رجلًا من قومه اسمه مالك بن قيس(١) فعُرفت بأقساس مالك(٢).

ث ـ إقطاع قيس بن مسعود: لمّا هَلك النعمان بن المنذر جعلت بكر بن وائل تَغِير على السواد، فوفد قيس بن مسعود الشيباني إلى كسرى، فسأله أن يجعل له أكلًا وطعمة، على أن يضمن له على بكر بن وائل ألّا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه، فأطعمه الأبلة وثمانين قرية من قراها(٣).

ج ـ إقطاع الحارث بن عمرو بن حجر الكندي: طلب قباذ الحارث بن عمرو، فقال له: إنّ لصوصًا من العرب صنعت كذا وكذا، فقال: ما علمت ولا أستطيع ضبط العرب إلّا بالمال والجنود، وطلب منه شيئًا من السواد فأعطاه ستة طساسيج(٤).

ح ـ إقطاع سواد بن عدي: أقطع النعمان بن المنذر السيلحين والنهرين المعروفين بنهر برسف(٥)، ونهر الصنين غرب فرات تستر لسواد بن عدي، فغلبت عليها اسمه ونسبت إليه فسُميت السَّوَادِيةُ(٦)(٧).

خ ـ إقطاع عبد هند بن نجم: أقطع النعمان بن المنذر عبد هند بن نجم من بني زهر بن إياد الحض، وقيل: الحضوض(٨).

د ـ إقطاعات ذوو الآكال: وهم أشراف كان ملوك المناذرة تقطعهم القطائع، وهو قيس بن مسعود الشيباني، ويزيد بن مسهر الشيباني، والحارث بن وعلة بن المجالد بن يثربى بن الزبان بن الحارث بن مالك بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة(٩).

---

(١) مالك بن عبد هند بن نجم بن منعة بن برجان بن الدوس بن الديل بن أمية بن حذاقة بن زهير بن إياد بن نزار، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٣٦.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٩، ياقوت، **المصدر نفسه**.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٦١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٦، وجـ٢٤، ص٥٤.

(٤) ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، م.س، جـ١، ص٩٢، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٢٠.

(٥) بُرْسُف: قرية في طريق خراسان من سواد بغداد بالجانب الشرقي، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٣٨٤.

(٦) السَّوادِيَّةُ: قرية بالكوفة منسوبة إلى سواد بن زيد بن عدي بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٢٧٥.

(٧) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨، ياقوت، **المصدر نفسه**، وذكرت السَّوَّاريَّة بالكوفة نسبة إلى سوار بن زيد العبادي الشاعر، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٧.

(٨) أبو البقاء، **المصدر نفسه**، ص٥٠٩. (٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٦١.

ووزِّعت الإقطاعات عليهم مقابل خدمتهم العسكرية وتقديمهم الجند للملك.

بالإضافة إلى الإقطاع كان هناك ما يُسمّى محميّات الملك، لا يسمح لأحد بالدخول إليها أو الاستفادة من خيراتها، فشقائق النعمان عبارة عن قطعة من الأرض في ظهر الحيرة نبت فيها الشقائق، فطلب النعمان حمايتها، فحُمِيَت وسمِّي النبات بشقائق النعمان نسبة إليه(١).

وفي بعض الحالات كان إقطاع الأراضي لأشخاص يتمُّ مقابل بدل مالي أيضًا، فأوس بن قلام أقطع آل عدي بن زيد، قطعة أرض في الحيرة مقابل ثلاثمئة أوقية من الذهب(٢). وفي نفس الوقت كان أولاد عدي بن زيد يقطعون القطائع بشكلٍ مجاني(٣)، ربَّما مقابل خدماتهم التي يقدِّمونها في بلاط كسرى، أو يتوقَّف ذلك على طبيعة خصوبة الأرض وتوفُّر المياه فيها.

٢ ـ الأشجار والنباتات والمحاصيل الزراعية

عرفت جغرافية بلاد المناذرة منذ زمن بعيد زراعة أنواع مختلفة من الأشجار ومتنوِّعة من النباتات، فتلك المحاصيل غنية بالفيتامينات والأملاح الضرورية لجسم الإنسان. وتعدُّ بساتين الفاكهة مثالًا للزراعة الكثيفة حيث يرتفع رأس المال المستثمر، وتكثر اليد العاملة في وحدة إنتاجية معلومة بالنسبة لغيرها من المحاصيل، وهي بذلك تدرُّ دخلًا أكثر من غيرها؛ ولذلك فإنَّ زراعتها تشغل أجود الأراضي، سواء ما اتَّصل منها بجودة التربة أو توفُّر مياه الري والمساحة المزروعة، والعوامل التي تقف وراءها تختلف من مكان إلى آخر. كما أنَّ إنتاجها ومدى كفايته للسكان يتباين هو الآخر من بقعة لأخرى، فالنعمان بن امرئ القيس تلذَّذ وانتشى بمنظرٍ مطلٍّ من قصره الخورنق، فإذ بالأرض كأنَّها كُسيت بالثياب الخضر والمنقوشة بألوان الزهر، ونفحتها نفحات من النسيم، وقد تأرجحت بمرورها على تلك الرياض والبساتين، والجنان والنخيل باسقة والأشجار مورقة(٤)، وخير ما اشتهرت به الحيرة، البساتين(٥)، وهنا نستطرد لنذكر أنَّ السواد سُمِّي بالسواد لسواده بالزروع

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٦، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص١٢.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨.

(٣) **المصدر نفسه**، ص١٠٥.

(٤) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص١٧٧ وص٢١٣.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥١، التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص٦٩ ـ ٧٠.

عين التمر، وثمانين قرية من أطراف السواد منها الأقساس، وبدوره أقطع إياس الأقساس رجلًا من قومه اسمه مالك بن قيس[1] فعُرفت بأقساس مالك[2].

ث - إقطاع قيس بن مسعود: لمّا هَلك النعمان بن المنذر جعلت بكر بن وائل تَغِير على السواد، فوفد قيس بن مسعود الشيباني إلى كسرى، فسأله أن يجعل له أكلًا وطعمة، على أن يضمن له على بكر بن وائل ألّا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه، فأطعمه الأبلة وثمانين قرية من قراها[3].

ج - إقطاع الحارث بن عمرو بن حجر الكندي: طلب قباذ الحارث بن عمرو، فقال له: إنّ لصوصًا من العرب صنعت كذا وكذا، فقال: ما علمت ولا أستطيع ضبط العرب إلّا بالمال والجنود، وطلب منه شيئًا من السواد فأعطاه ستة طساسيج[4].

ح - إقطاع سواد بن عدي: أقطع النعمان بن المنذر السيلحين والنهرين المعروفين بنهر برسف[5]، ونهر الصنين غرب فرات تستر لسواد بن عدي، فغلبت عليها اسمه ونسبت إليه فسُميت السَّوَادِيةُ[6][7].

خ - إقطاع عبد هند بن نجم: أقطع النعمان بن المنذر عبد هند بن نجم من بني زهر بن إياد الحض، وقيل: الحضوض[8].

د - إقطاعات ذوو الآكال: وهم أشراف كان ملوك المناذرة تقطعهم القطائع، وهم قيس بن مسعود الشيباني، ويزيد بن مسهر الشيباني، والحارث بن وعلة بن المجالد بن يثربى بن الزبان بن الحارث بن مالك بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة[9].

---

(١) مالك بن عبد هند بن نجم بن منعة بن برجان بن الدوس بن الديل بن أمية بن حذاقة بن زهير بن إياد بن نزار، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٣٦.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٩، ياقوت، **المصدر نفسه**.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٦١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٦، وجـ٢٤، ص٥٤.

(٤) ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، م.س، جـ١، ص٩٢، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٢٠.

(٥) بُرْسُف: قرية في طريق خراسان من سواد بغداد بالجانب الشرقي، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٣٨٤.

(٦) السَّوادِيَّةُ: قرية بالكوفة منسوبة إلى سواد بن زيد بن عدي بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٢٧٥.

(٧) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨، ياقوت، **المصدر نفسه**، وذكرت السَّوَّاريَّة بالكوفة نسبة إلى سوار بن زيد العبادي الشاعر، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٧.

(٨) أبو البقاء، **المصدر نفسه**، ص٥٠٩.

(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٦١.

ووزِّعت الإقطاعات عليهم مقابل خدمتهم العسكرية وتقديمهم الجند للملك.

بالإضافة إلى الإقطاع كان هناك ما يُسمّى محميّات الملك، لا يسمح لأحد بالدخول إليها أو الاستفادة من خيراتها، فشقائق النعمان عبارة عن قطعة من الأرض في ظهر الحيرة نبت فيها الشقائق، فطلب النعمان حمايتها، فحُمِيَت وسمِّي النبات بشقائق النعمان نسبة إليه[1].

وفي بعض الحالات كان إقطاع الأراضي لأشخاص يتمُّ مقابل بدل مالي أيضًا، فأوس بن قلام أقطع آل عدي بن زيد، قطعة أرض في الحيرة مقابل ثلاثمئة أوقية من الذهب[2]. وفي نفس الوقت كان أولاد عدي بن زيد يقطعون القطائع بشكلٍ مجاني[3]، ربَّما مقابل خدماتهم التي يقدِّمونها في بلاط كسرى، أو يتوقَّف ذلك على طبيعة خصوبة الأرض وتوفُّر المياه فيها.

٢ ـ الأشجار والنباتات والمحاصيل الزراعية

عرفت جغرافية بلاد المناذرة منذ زمن بعيد زراعة أنواع مختلفة من الأشجار ومتنوِّعة من النباتات، فتلك المحاصيل غنية بالفيتامينات والأملاح الضرورية لجسم الإنسان. وتعدُّ بساتين الفاكهة مثالًا للزراعة الكثيفة حيث يرتفع رأس المال المستثمر، وتكثر اليد العاملة في وحدة إنتاجية معلومة بالنسبة لغيرها من المحاصيل، وهي بذلك تدرُّ دخلًا أكثر من غيرها؛ ولذلك فإنَّ زراعتها تشغل أجود الأراضي، سواء ما اتَّصل منها بجودة التربة أو توفُّر مياه الري والمساحة المزروعة، والعوامل التي تقف وراءها تختلف من مكان إلى آخر. كما أنَّ إنتاجها ومدى كفايته للسكان يتباين هو الآخر من بقعة لأخرى، فالنعمان بن امرئ القيس تلذَّذ وانتشى بمنظرٍ مطلٍّ من قصره الخورنق، فإذ بالأرض كأنَّها كُسيت بالثياب الخضر والمنقوشة بألوان الزهر، ونفحتها نفحات من النسيم، وقد تأرجحت بمرورها على تلك الرياض والبساتين، والجنان والنخيل باسقة والأشجار مورقة[4]، وخير ما اشتهرت به الحيرة، البساتين[5]، وهنا نستطرد لنذكر أنَّ السواد سُمِّي بالسواد لسواده بالزروع

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٦، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص١٢.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨.

(٣) **المصدر نفسه**، ص١٠٥.

(٤) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص١٧٧ وص٢١٣.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥١، التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص٦٩ ـ ٧٠.

والنخيل والأشجار[1]. ومن أهم الأشجار:

أ ـ شجرة النخيل: شجرة تنمو بشكل مستقيم، وعادة ما تكون الساق مستقيمة وأسطوانية الشكل، يتراوح سمكها ما بين ١٠ ـ ٦٠ سم، وأوراقها ريشية يصل طولها إلى ستة أمتار، ويبلغ عرضها من ٣٠ ـ ١٢٠ سم[2]، من الأشجار المعمِّرة؛ لذلك وصفت بأنَّها أمُّ العراق[3]، وهي لا تحتاج إلى كميّات كبيرة من الماء بسبب طبيعة أوراقها المغطّاة بطبقة من (النيلون) تمنع تبخُّر المياه، فتتحمَّل درجة حرارة مرتفعة وقلَّة المياه، وتنتِج شجرة النخيل التمر، «إحدى المواد الأولية، فهو زاد المسافر والجند، وخفيف الحمل وكثير الغذاء، ولا يحتاج إلى إعداد»[4]، واشتهرت أغلب بقاع بلاد المناذرة بزراعة أشجار النخيل[5]، الموصوفة بارتفاعها[6]، فوصفت هجر بأنها معدن التمر[7]، لكثرة أشجار النخيل التي تُنتِج التمر فيها، ولا نستبعد تسمية عين التمر بهذا الاسم إلَّا لكثرة أشجار النخيل فيها أيضًا، فالتمر هو العنصر الغذائي الأساس للسكان[8].

ب ـ الكرمة: هي شجرة العنب[9]، «ذات ساق ضعيفة ومرنة تتطلب ما يسندها،

(١) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٢.

(٢) **الموسوعة العربية العالمية**، ٣٠ جزءًا، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، جـ٢٥، ص٢٨٤.

(٣) جميل، نينا، **الطعام في الثقافة العربية**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٤.

(٤) **المرجع نفسه**، ص٢٢.

(٥) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠، الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص١٩، ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، **صورة الأرض**، جزآن، طبع في بريل، ليدن، طـ٢، ١٩٣٨، جـ١، ص٢٣٩، الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، **الديارات**، تحقيق كوركيس عواد، منشورات مكتبة المثنى بغداد، ومطبعة المعارف، بغداد، طـ٢، ١٩٦٦م، ص٢٣٣، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية**، جزآن، تحقيق عبد الرحمٰن عميرة، دار الاعتصام (د.ت)، جـ٢، ص٣٣٢.

(٦) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٨٢ ـ ٥٨٣، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٦٧.

(٧) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٥٥.

(٨) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٢٧٨.

(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥١٤.

وبعض الكروم يمكنها تسلق الجدران والتعريشات والأشجار الأخرى»[1]، وهي من الأشجار المهمة التي زُرعت في معظم بلاد المناذرة[2]، بسبب أهمية ثمرتها كمصدر أساس للخمر[3]، ومن أنواع العنب الدَّوالي، وهي ثمرة يكون لونها أسودًا ضاربًا إلى الحمرة[4].

ت ـ الزيتون: شجرة معمِّرة، لون قلف الشجرة وورقها أخضر شاحب ضارب إلى الرمادي، يصبح جذعها كثير العقد كلّما امتدَّ بها العمر، وتكون ثمرتها بيضوية أو مستطيلة الشكل، وعندما تنضج تتحوَّل من اللون الأخضر إلى الأصفر ثم الأحمر ثم الأسود الأرجواني، وللثمرة جلد ناعم ويحيط لحمُها نواةً صلبة[5]، اشتهر العراق بزراعتها[6].

ث ـ الرمان: نبات يصل ارتفاعه من ٤ ـ ٦ أمتار، تقترب ثمرته من حجم وشكل ثمرة البرتقال الكبير ولها قشرة صلبة، لونها أحمر ذهبي داكن، أو أخضر مائل إلى الاصفرار، وتحتوي على عدد من البذور[7]. زُرع الرمان في السواد وهجر[8].

ج ـ التين: شجرة يقلُّ ارتفاعها عن ١٠م، يبلغ عرض جذعها مترًا واحدًا، ولها أوراق مشقَّقة تنمو على الفروع، وثمرة التين صغيرة، وهي إمَّا مستديرة أو على شكل الكمثرىٰ، ولقشرتها ألوان مختلفة إمَّا خضراء أو صفراء أو بنّيَّة أو سوداء[9]، وأجناسه كثيرة، برّي وريفي وسهلي وجبلي، وتُؤكل ثماره رطبة وتزبب فتدَّخر[10]. اشتهرت هجر بزراعته[11].

ح ـ الأترج: فاكهة كبيرة، طعمهما مثل الليمون، وتُصنف بين أكبر الموالح حجمًا، وشجرة الأترج ذات أشواكٍ، وأوراقها تتراوح في الطول بين ١٠ ـ ١٨ سم، يبلغ طول الفاكهة من ١٥ ـ ٢٠ سم، وهي بيضوية الشكل، ولها قشرة قينة يتمُّ

(١) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١٩، ص٢٢٢.

(٢) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٤، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص٩٨.

(٣) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٢٨٠.

(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٢٥٤.

(٥) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١١، ص٦٩١ ـ ٦٩٢.

(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٢٩٤.

(٧) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١١، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٨) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٣، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٢٨٠.

(٩) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ٧، ص٤٠٠.

(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٧٥.

(١١) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٢٨٠.

حفظها[١]، ولا يكون بريًّا[٢]، زُرعت في السواد[٣]، واشتهرت هجر به[٤]. وتضرب مثلًا لمن طاب أصله وفرعه وكل شيء منه[٥].

هذا بالنسبة إلى أهم الأشجار، أمّا المحاصيل الزراعية والنباتات الأخرى فأهمها:

أ ـ القمح: من الفصيلة النجيلية، عبارة عن سنبلة في أعلاها بذور القمح، زُرع في سهول بلاد المناذرة[٦]، وكان يطلق عليه اسم البُرّ، أي: الحنطة[٧]، ولم يكن يتوافر هذا المنتج بكثرة فسبَّب ذلك ارتفاع أسعاره[٨]، وكان البرُّ غذاء الأغنياء في مجتمع المناذرة، وهو مصدر فخر بسبب قيمته المرتفعة[٩].

ب ـ الشعير: «من نباتات الحبوب المهمة وينتمي إلى نفس العائلة النجيلية، وهو يشبه القمح فتنمو بذور نبات الشعير في سنابل عند أطراف السيقان، ويعتبر الشعير من أقدم الحبوب المزروعة في منطقة الهلال الخصيب»[١٠]، زراعته مرافقة للقمح ولكن يزرع في المناطق الأقل مطرًا ومياهًا، والتربة الأقل خصوبة؛ لذلك زرع في معظم بلاد المناذرة[١١]، واشتهرت به منطقة السيلحين[١٢]، بسبب أهميته كطعام للإنسان وعلف للحيوان.

ت ـ القطن: نبات ينمو راسيًا، وله فروع جانبية تنتشر في كل الاتجاهات، وله أوراق عريضة بها ثلاثة إلى خمسة فصوص، تكوّن الأزهار البيضاء من البراعم[١٣]، وأُعطي وصفًا آخر لنبات القطن فقيل: هو «شجرٌ يكون مثل شجر المشمش، ويعيش عشرين سنة»[١٤]، فمن المرجّح أنَّ القطن البري يختلف عنْ القطن الزراعي. وعرفت

(١) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١، ص١٣٣.
(٢) الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٣، ص٣٠٣.
(٣) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص١٦٤.
(٤) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٢٨٠. (٥) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص٥٩١.
(٦) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٨، ابن رسته، **الأعلاق النفيسة**، م.س، ص٩٨.
(٧) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٥٥، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٦، ص٧١.
(٨) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٢٨٢.
(٩) الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٦، ص٧١.
(١٠) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١٤، ص٢١٠ ـ ٢١١.
(١١) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٨، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص٩٨.
(١٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٣٠٣.
(١٣) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١٨، ص٢٥٣.
(١٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٣٤٤.

بلاد ما بين النهرين زراعة القطن منذ سبعمائة سنة قبل الميلاد[١]، وابيضَّت سهول بلاد المناذرة بزراعته حيث اشتهرت هجر بقطنها[٢]، فهو مادة أولية مهمة للصناعة[٣].

ث ـ الكتان: عُرفت زراعة الكتان في العراق منذ العصر السومري الأول[٤]، وهو فارسي معرَّب[٥]، وسُمّيت شقائق الكتان باسم السِّب[٦]. وهو عبارة عن نبات يزرع من أجل أليافه، ويبلغ طول نبات الكتان بين ٠,٥ و١,٥م، وله أزهار إمَّا بيضاء أو زرقاء، وساق رفيع تتفرع عند القمة، ويحمل عددًا كثيرًا من البذور، ويعتبر الكتان أقوى الخيوط الطبيعية[٧]، وطريقة صنعه غير سهلة، حيث تُدَقُّ عيدانه حتى تلين ويُزال عنه تبنه ثم يستعمل[٨].

جـ ـ الأرز: نوع من البرّ[٩]، وهو من النباتات التي تتبع فصيلة النجيليات، لون نبتة الأرز الصغيرة أخضر شديد الخضرة، ويتحول بعد تمام النضج إلى اللون الأصفر الذهبي، وتصل الحبوب إلى مرحلة النضج التام في فترة تتراوح ما بين ١١٠ و١٨٠ يومًا من الزراعة، أمَّا طول النبتة فيتراوح بين ١٢٠ ـ ١٨٠سم[١٠]. وعرف المناذرة زراعة الأرز[١١]، فهو من الزراعات المستقرة أو الشبه مستقرة على حدود الهلال الخصيب[١٢]، لأنه يجب أن يغمر بالمياه ويحتاج إلى درجة حرارة مرتفعة، وزيادة نسبة الرطوبة، وما يزال يزرع في العراق حتى الآن[١٣].

حـ ـ قصب السكر: نبات عشبي طويل يتراوح ارتفاعه بين ٢ ـ ٩ متر، وطول

(١) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية من الشعر الجاهلي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م، ص٣٢.
(٢) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٢٨٠.
(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٢، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٣٦.
(٤) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية**، م.س، ص٢٦.
(٥) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٩٧. (٦) ابن منظور، **لسان**،م.س، جـ١، ص٤٥٦.
(٧) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١٩، ص١٤٣ وص١٤٥.
(٨) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٢٥٦.
(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٣٠٦.
(١٠) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١، ص٤٩٨.
(١١) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٢، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٢٩٤.
(١٢) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٣١٩.
(١٣) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١٢٢.

قطره ٥ سم[١]، يستخدم عصيره للتحلية، وزُرع بالعراق بشكل خاص[٢].

خ ـ **الكمأة**: واحدتها كمءٌ[٣]، فطر من الفصيلة الكمئية، وهي أرضية لا أصل لها ولا أغصان[٤]، ولا تحتاج إلى عناية من المزارع، فتنمو بشكل طبيعي من دون جهد أو عمل زراعي، زخرت ربوع بلاد المناذرة بها فيجتنيها الناس في فصل الربيع[٥]، وهي أنواع، منها المائلة إلى الغبرة والسواد، والجبأة إلى الحمرة وهي خيارها، والفقعة البيضاء شرها وأردؤها[٦]، فهي لا تحب الشمس، فإذا حميت الشمس عليها عطشت فتضرر آكلها ولا تدوم[٧].

د ـ **الخُزامَى**: نبات طيب الريح، وهو عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة، طيب الريح له نور كنور البنفسج[٨].

ذ ـ **الأقحوان**: فهو نبات قصير شديد التحمل للحرارة ولا يتطلب عناية خاصة، تكون النبتة مجموعة من زهور صغيرة بيضاء شبيهة بزهور الربيع، وتظهر في أواخر الصيف، وعندما تسحق أوراقه تفوح منه رائحة قوية[٩]، وهو نبات البابونج.

ر ـ **الشِّيح**: نبات سهلي يتخذ من بعضه المكانس، له رائحة طيبة وطعم مرٌّ[١٠].

ز ـ **القيصوم**: نبات طعمه مرٌّ، ورائحته طيبة، وورقه هدب، وله نورة صفراء وهي تنهض على ساق[١١].

٣ ـ الرَّيُّ

تعدُّ المياه مهما تعدَّدت وتنوَّعت مصادرها ذات أهمية كبيرة في حياة النباتات والأشجار التي تنمو عليها، والفلاح الذي يرعاها، لذا استوجب ذلك من الإنسان

---

(١) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١٨، ص١٩٣.
(٢) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، م.س، جـ٢، ص٣٣٢، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٥٠.
(٣) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٧١، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٢، ص٦٣.
(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص١٤٨.
(٥) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٧٣، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٣.
(٦) أبو حنيفة الدينوري، **المصدر نفسه**، ص٧٥، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٣٨١.
(٧) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٨٢.
(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص١٧٦.
(٩) **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ٢، ص٤٢٩.
(١٠) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٣. ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٢.
(١١) ابن عبد ربه، **المصدر نفسه**.

والدولة بذل أقصى الجهود في تنظيم هذه الثروة، فنشأ عن ذلك ما ندعوه مشاريع الري، ورغم أن شبه الجزيرة العربية خالية من الأنهار، ولكنَّ الطبيعة أنعمت عليها بكثرة الينابيع والعيون والآبار والواحات ذات المياه العذبة. وعندما نتحدث عن مشاريع الري في فترة حكم المناذرة فهي تشمل حفر الأنهار، وشق الجداول، وفتح القنوات والترع، التي ما تزال آثارها ماثلة في بعض مدن العراق مثل عين التمر حتى الآن[١]. وتشير الآثار إلى وجود نظام دقيق للري[٢]، ومن غير المستبعد أنهم اقتبسوا هذا النظام عن البيزنطيين[٣]، ففي مدينة الأنبار الواقعة على نهر الفرات «سأل دهاقينها سعد بن أبي وقاص[٤] أن يحفر لهم نهرًا، وكانوا سألوا عظيم الفرس حفره لهم»[٥]. وعند ذكر السواد يرافق وصفه الجداول والأنهار المطردة بين القرى[٦]. أمّا طيزناباذه فكانت الأنهار تخترقها من كل البقاع من الفرات[٧]، ومن أهم مشاريع الري خندق سابور في بريَّة الكوفة الممتد من هيت ليشقَّ طف البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر[٨]، وما زالت بعض أقسامه جافة حتى الآن[٩]. ومشروع نهر الخصوص الذي يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وما عن يمين القادسية إلى الولجة إلّا فيض من فيوض مياهه[١٠]، ونهر الحيرة الذي يمتد من الفرات إلى النجف[١١]، وهو المشروع الذي اعتمد عليه سكان الحيرة العاصمة لريِّ مزروعاتهم بشكل أساس.

---

(١) Bell. G. L, **Amurath to Amurath**, p.139.
(٢) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(٣) Procopius, **The Secret History**, p.171.
(٤) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري (ت٥٥هـ/ ٦٧٥م)، صحابي، فاتح العراق ومدائن كسرى، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٣، ص٨٧.
(٥) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٨٣.
(٦) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص١٧٧ وص٢١٣ وص٢٤٨، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.
(٧) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٣، ص٣٤٥.
(٨) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٢٥، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣٩٢.
(٩) لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الشريف الرضى، قم، ط٤، ١٩٥٤، ص٩٠.
(١٠) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٨٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٩٢.
(١١) الطبري، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٤٢٠، ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، م.س، جـ١، ص٩٢.

وقناة المياه التي تروي قصر الخورنق ومأخذها من الفرات، ما تزال موجودة إلى الآن[1].

استعمل المزارعون لرفع المياه من النهر لري الأراضي أساليب متعددة في ذلك الوقت، منها الدواليب وكري الأنهار[2]، فالدولاب وهو على شكل ناعورة ترفع المياه من مجرى النهر لسقي المزروعات، وهي فارسية[3]، أمّا كَرَى النهر: هو حفر الأقنية التي تأخذ مياهها من النهر في حال نقصان مستوى مياهه[4]، والملاحظ أن مشاريع الري من أنهار وجداول وأقنية كانت على نهر الفرات، أمّا المناطق الأخرى فقد اعتمدت على الأعين، فالتصق اسم العين بالمكان الذي تتفجر فيه مثل عين أباغ، وعين التمر، وقد جف أغلب هذه العيون الآن[5].

ويبقى المطر، فهو من المصادر المهمة والأساسية لإرواء الأرض، ولكن المتساقطات في بلاد المناذرة دون المستوى المطلوب للاعتماد عليه كمصدر لري الزرع والأشجار، «فقلّة الأمطار تكشف رغم طابعها التقليدي عن حالات الارتباك والإحباط التي تخلّفها في النفوس من قسوة الجدب وقلة الخير»[6].

٤ ـ الثروة الحيوانية

تساهم الثروة الحيوانية في تأمين موردٍ مهم من موارد الرزق لناحية لحمها وحليبها وجلودها ووبرها وصوفها، بالإضافة إلى استعمالها كوسيلة للتنقل ونقل البضائع، ولا ننسى إنها تشكّل دخلًا ماديًا مهمًا مقابل بيعها. ومن الأنواع الحيوانية التي ربيت في بلاد المناذرة:

أ ـ الإبل: حيوان ضخم الجثة، قوي الجسم، يعيش في الصحراء «ويتميز بصبره على العطش والجوع والحرّ، فهو يملك قدرة فائقة على احتمال العطش، تمكّنه من أن يبقى سبعة عشر يومًا من دون ماء، ولو بلغت الحرارة أحيانًا سبعًا وخمسين درجة مئوية[7]، فهو سفينة الصحراء[8] القادر على تجاوز مصاعبها؛ لذلك

---

(١) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.102.

(٢) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٣٧٧. (٤) **المصدر نفسه**، جـ١٥، ص٢١٩.

(٥) Bell, G. L, **Amurath to Amurath**, p.143.

(٦) سلامة، عبد الحميد، **قضايا الماء عند العرب قديمًا: من الجاهلية (القرن ٦م) إلى القرن (١١هـ/١٧م)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٧١.

(٧) **المرجع نفسه**، ص٦٣.

(٨) Pellat. CH, **Encyclopaedia of Islam**, III, p.666.

امتهن الناس تربيته، ورُعي الإبل في ربوع بلاد المناذرة[1] التي اشتهرت بعصافير[2] النعمان[3]، وتسمّى أولاد العصافير، عصفور، وداعر[4]، وشاغر[5]، وذو الكلبتين[6]، وكان من عادة ملوك الحيرة أن يغرزوا الريش في أسنمة الإبل علامة بأنها لحباء الملك[7]، فللجمل عند المناذرة مكانة خاصَّة؛ لذلك أفردوا له الكثير من الاهتمام في حياتهم اليومية، وخصُّوا للجمل العديد من الأسماء حسب سماته وصفاته، فهجائن النعمان بن المنذر هي الإبل البيض الكرام[8]، والبعير من عصافير المنذر ابن ماء السماء أيضًا[9][10]، وهناك الصعيرية[11][12]، وهي سِمَة للنوق لا للفحول.

ويقال لفحل الإبل: فحيل، وإذا كان الفحل كريمًا فهو فحّال، وإن أرادوا فرق ما بين الذكر والأنثى فهو فحلٌ فقط[13]، وأُطلق على الإبل اسم العيس[14][15]، أمّا

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٨٨، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(٢) عَصافيرُ: مفردها عصفور، إبل كانت للملوك نجائب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٥٨٣.

(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٥، الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٣، ص٤١٨.

(٤) دَاعرٌ: اسم فحل منجب، تنسب إليه الدّاعريَّةُ من الإبل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٢٨٧.

(٥) شاغر: فحل من الإبل معروف، **المصدر نفسه**، ص٤١٧.

(٦) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص٢٣٣، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٨.

(٧) الجاحظ، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٤١٧، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٥٨٣.

(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٩٠، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٤٣١.

(٩) البَعيرُ: الجمل البازل، ويكون للأنثى، يقال للناقة: بعير، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٧١.

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٤٠.

(١١) الصَّيْعريَّةُ: سمة في عنق الناقة خاصة، وهو وسم لا يوسم إلا للنوق، أي الإناث، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٤٥٧.

(١٢) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠١، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٤٩.

(١٣) الجاحظ، **البرصان والعرجان**، م.س، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨، **والبيان والتبيين**، م.س، جـ٣، ص٩٦.

(١٤) العِيس، الإبل التي يكون لونها ضارب إلى الصفرة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٥٢.

(١٥) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٢.

صغارها فيسمونها دردق[١][٢]، والناقة الحلوب يقال لها: لقحة[٣][٤]، والضروس[٥]، الناقة الحديثة: النتاج، وسميت ضروسًا لأنهُ يعتريها عضاض أيامًا عند نتاجها حذرًا على ولدها، ثم يذهب عنها[٦]،

وهناك النوق السود، والحمر المائلة إلى لون الدم[٧]. وإذا تابعت الناقة إنجاب عشر إناث ليس بينهن ذكر، سُيِّبَت فلم يُركب ظهرها، ولم يجزَّ وبرها، ولم يشرب لبنها، فهي السائبة[٨]، والبحيرة[٩] بنت السائبة، والوصيلة[١٠]، الشاة إذا أتمَّت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة، والحام، إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهم ذكر، حمى ظهره فلم يركب، ولم يجز وبره[١١].

ورُبِّيت الإبل بشكل جيد ضمن حظائر[١٢]، لحمايتها، وازداد التصاق البشر بها، فأطلق بعضهم أسماء على إبلهم التي تعلَّقوا بها، فروي أن امرأة سمعت حنين ناقة لها تحن وهي تحلب فعرفتها وكانت تسميها اللفاع، فقالت: هذا والله حنين ناقتي اللفاع[١٣]. واستعمل الإبل في المعارك لنقل الجنود والأسلاب[١٤]، وأُطلق عليها اسم النعم[١٥]، واتخذ القوم من الإبل رواحل يركبونها، ويحملون عليها الأمتعة

(١) دردَق، صغار الإبل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٩٦.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص١٨٨.
(٣) اللقحة: الناقة العربية العهد بالنتاج، وناقة لاقح إذا كانت حاملًا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٥٨١.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٢٥٧.
(٥) الضّروس: هي التي تعض حالبها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١١٨.
(٦) التيمي، **أيام العرب**: جـ٢، ص٥٣٤.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٣٧٠.
(٨) السائبة: هي أمّ البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن أناث سيبت، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٧٨.
(٩) البحيرة: الشاة إذا ولدت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرًا بحروا أذنها، أي شقّوها، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٤٣.
(١٠) الوَصِيلةُ: الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٧٢٩.
(١١) ابن هشام، **السيرة**، م.س، جـ٢، ص١١٢، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ٢، ص٧٩٥ ـ ٧٩٦.
(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٥٥.
(١٣) **المصدر نفسه**، جـ١١، ص١٠٧، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٢.
(١٤) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٨٠.
(١٥) **المصدر نفسه**، ص٥٩.

والأسلحة، والزاد والذخيرة[١]، فالجمل هو الوسيلة الوحيدة لنقل الأطعمة والملابس والأغطية. وقدرة سرعته بين ٥ ـ ١٢ ميل في الساعة[٢]، وله قدرة كبيرة في السير في المناطق الرملية بسبب طبيعة التكوين الاسفنجي التي تتميز بها أخفافه مما يعطيه ميزة في هذا المجال على غيره من الدواب[٣]، ويؤدي أعمالًا شاقة للإنسان، بالإضافة إلى أنَّه مصدر مهم للغذاء فيأكلون لحمه ويشربون لبنه، ويوفر الشعر والجلد.

ب ـ الحصان: له منزلة عظيمة لدى الإنسان، فهو رفيقه في كل الأحوال، يطارد به، ويكرُّ ويفرُّ عليه، كما كان أفضل وسيلة في الحرب، ومن ميزاته أنه قوي، رشيق، دائم النشاط كريم، وفيٌّ يصبر على الشدائد، ذو حزم وعزم، ومن أهم ميزاته أنَّهُ لا يدهس فارسه إذا وقع عن صهوته[٤]. ولقد ساعدت طبيعة بلاد المناذرة بصحاريها المترامية ومراعيها ومضاربها على شدة إقبال سكانها على امتلاك الأحصنة، كما أنَّ الواقع الاجتماعي للحياة الجاهلية التي تقوم على الغزو والسلب والنهب، ساعدت على اعتناء السكان بفرسهم.

«ليس في الناس أشد عجبًا بالخيل من العرب، ولا أصنع لها، وأكثر لها ارتباطًا، ولا أشد لها إيثارًا، ولا أهجا لمن لا يتخذها، أو لمن اتخذها، أو لمن اتخذها وأهانها، وأهزلها، ولا أمدح لمن اتخذها وأكرمها ولم يُهنها، لذلك أضيفت الخيل إليهم بكل لسان، حتى قالوا جميعًا: هذا فرس عربي، وكانوا يؤثرونها على أنفسهم وأولادهم»[٥]، ووصل هوس الناس بها إلى حدِّ اتخاذ سكان البحرين الخيل إلهًا يعبدونه[٦].

وأُعجب الناس بجمال الفرس ومشيتها، فسمّوا الخيل خيلًا لأنَّه يختال في مشيته[٧]. وحرصوا على تلقيح الفرس من أنواع أصيلة من الخيول حتى يحافظوا على نوعيتها الجيدة[٨]، فالمنذر بن امرئ القيس أراد أن يلقح فرسه من حصان كان لحمل بن بدر بن عوف بن بكر بن وائل، فخصاه ومنعه عنه[٩]، لمنع أيِّ شخص

(١) الجندي، علي، **الحرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص١٢٧ ـ ١٢٨.
(٢) Pellat. CH, **Encyclopaedia of Islam**, III, p.668.
(٣) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٢٦٩.
(٤) الموسوعة العربية العالمية، م.س، جـ٩، ص٤٠٥.
(٥) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٢١٩. (٦) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص١٠٧.
(٧) الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٤، ص٢٢١.
(٨) VIRĪ. F, **Encyclopaedia of Islam**, II, p.784.
(٩) اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ٢، ص٤٢.

آخر امتلاك فرس لها صفات وهيئة فرسه، وهذا يظهر مدى اهتمامهم بنسب الخيل. وأُعجب بهرام بالخيول العربية فاختارها لركوبها وأدخلها إلى بلاده[1]، وأرسل النعمان بن المنذر الخيل هدية إلى كسرى[2]، ومن مظاهر اعتزاز المناذرة بالخيل أنَّهم أعطوها اسمًا ونسبًا. ومنها:

- **العَصَا**: فرس جذيمة الأبرش، لا تُدرك ولا تُسبق ولا تُجارى ولا تُلحق ولا يُشق غبارها[3]، ركبها قصير عندما هرب من الزباء، والعصا من العصية، والعصية أمُّها[4].
- **اليحموم**: فرس النعمان بن المنذر[5]، سميت بهذا الاسم لشدة سوادها[6]، وإذا ركبها أحد غير النعمان كانت ترديه عن ظهرها[7]، لشدة اعتنائه بها، حيث كان يطعمها أجود أنواع الحبوب كل ليلة[8].
- **الحمامة**: فرس كانت لإياس بن قبيصة[9].
- **الدَّفوف**: فرس للنعمان بن المنذر أيضًا[10].
- **اليعبوب**: فرس النعمان بن المنذر[11].
- **سحم**: فرس النعمان بن المنذر[12].

---

(١) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٧٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٦.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣١، الصاحبي، محمد بن كامل التاجي (توفي في القرن السابع الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي)، **الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام**، تحقيق عبد الله الجبوري، النادي الأدبي، الرياض، ١٩٨١م، ص١٠٧.

(٤) الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ١، ص٣٣٤، ابن سعيد الأندلسي، **نشوة الطرب**، جـ٢، ص٨٠٥.

(٥) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٧١، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٦٩.

(٦) الصاحبي، **الحلبة**، م.س، ص٢١٧.

(٧) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٣٦.

(٨) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٨، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٧٩. ورد ليلة بدل عشية، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٤.

(٩) ابن عبد ربه، **المصدر نفسه**، ص١١٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٧٤ ـ ٧٥.

(١٠) القالي، **الأمالي**، م.س، م٢، جـ٣، ص١٨٥، الصاحبي، **الحلبة**، م.س، ص١٤٤.

(١١) الصاحبي، **المصدر نفسه**، ص٢١٨.

(١٢) **المصدر نفسه**، ص٩٣ ـ ٩٤.

- **البَرِّيْت**: فرس إياس بن قبيصة[1].
- **الضُبيب**: فرس حسان بن حنظلة الطائي[2].

وكان للمنذر بن النعمان فرس شقراء، فأُحضرت إلى سباق الخيل، فسبقت جميع الخيول المشاركة[3]. ولم يكتفِ ملوك الحيرة باقتناء فرس واحدة، فكان لكل ملك قطيع من الخيول[4]، وربما تعلَّم البيزنطيون هذه العادة من ملوك الحيرة، فكان للملك ثيودسيوس أحصنة عديدة[5].

وأعطوا الأحصنة اسمًا متعارفًا عليه لكل سمة من سمات الفرس، فالعقوق هو الفرس الأنثى الحامل، والأبلق، الفرس الذكر[6]، والفرس معروف يقع على الذكر والأنثى، والمهر ولد الفرس، والأنثى مهرة[7].

واعتنى أصحاب الخيول بطعامها، فاليحموم كانت تأكل كل ليلة قتًّا[8]، وهو نبات تعلف به الدواب[9]، ومن كثرة حب المناذرة للخيول كانوا يقضموها الشعير[10]، رغم قلته وارتفاع سعره، وتُجلَّل الفرس بجل[11] قبل الركوب عليها[12]، لراحة الراكب والفرس. وأكثر من ذلك فقد تغنى الشعر بالخيل وأكثروا من وصفها في أشعارهم[13]، حتى أنَّ ملوك العرب لا ينامون إلَّا وخيولهم واقفةٌ

---

(١) الصاحبي، **الحلبة**، م.س، ص٤٦.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٩٨، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ٢، ص٨٠٥.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٩٤، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٨.

(٤) القالي، **الأمالي**، م.س، م٢، جـ٣، ص١٧٩.

(٥) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.51.

(٦) حمزة الأصفهاني، **الدرة الفاخرة**، م.س، جـ١، ص٢٩٩.

(٧) اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ١، ص٣٠٩.

(٨) القَتّ: الفصفصة، وهي الرطبة من علف الدواب، وقيل: خص بعضهم اليابس منها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٧١.

(٩) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٨، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٤.

(١٠) ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**.

(١١) الجِلّ، من المتاع، كالأكسية والبسط ونحوه، وجَلُّ الدابة وجلها الذي تلبسه لتصان بها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١١٩.

(١٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٤.

(١٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص٣٧٧.

بسرجها[1] ولجامها[2] بين أيديهم وقريبًا منهم، مخافة عدو يفاجئه، أو حالة تصعب عليه، وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بأفنية البيوت[3].

ت ـ الماعز: من الحيوانات التي يستفاد من حليبها ولحمها وجلدها وشعرها، رُبّيت في بلاد المناذرة بكثرة[4].

ث ـ الأغنام: وهي كثيرة في بلاد المناذرة[5]، وقيل لها النعام[6]، وكانوا يفضلون الغنم والضأن على الماعز لأنَّ صوفها أغلى وأثمن، وأكثر قدرًا من الشعر[7].

ج ـ الأبقار: تماوجت قطعان البقر في سهول العراق[8]، واشتهرت الأنبار بها[9]، وكان يقال لقطعان البقر الرَّبْرَب[10][11].

ح ـ الظباء:[12] أو الغزال، من الحيوانات التي تنقَّلت بين هضاب وسهول الحيرة[13]، وكانت الظباء لونها أحمر، اشتهرت منطقة وجرة بها[14]، ومن أنواعها أيضًا الآرام البيضاء اللون[15]، وأنثى الظبي يقال لها: نعجة[16]، وكثير ما تغنّى الشعراء بالغزال بشعرهم[17].

---

(١) السَّرْجُ، رحال الدابة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٩٧.

(٢) اللِّجام: حبلٌ أو عصا تدخل في فم الدابة وتلزق إلى قفاه، **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص٥٣٤.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٨٠.

(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٨٧، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٣١.

(٥) De Lacy O, Leary, **How Greek Science passed to the Arabs,** Published by Good Word Books, India, 2001, p.184.

(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٩، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٨٥.

(٧) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص٤٥٦.

(٨) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٣٣، ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٥.

(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٥٧.

(١٠) الرَّبْرَبُ: جماعة البقر، ما كان دون العشرة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٠٩.

(١١) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٨، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٤١.

(١٢) الظَّبْيُ: الغزال، والجمع ظباء، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٥، ص٢٣.

(١٣) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٢، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(١٤) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٥٧.

(١٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٣، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٣١.

(١٦) النَّعْجةَ: الأنثى من الضان والظباء، والجمع نعاج، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٣٨٠.

(١٧) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص١٧٠.

خ ـ الأرانب: تنقَّلت بين تضاريس بلاد المناذرة بكثرة[1].

د ـ القرد: كان يباع في أسواق الحيرة[2].

ذ ـ الطيور: رُبّيت الطيور الداجنة للاستفادة من لحمها وبيضها، ومن أهمها، الدجاج[3]، وصياح الديك في الصباح مادة مهمة للشعراء للتغني به[4]، وكَش الحمام من على السطوح تعتبر هواية مسلّية[5].

ر ـ الأسماك: زخر نهر الفرات بالأسماك التي علقت بشباك الصيادين[6]، بالإضافة إلى الثروة السمكية الهائلة في الخليج العربي[7].

هـ ـ نظام حمي المراعي

قامت معارك بين المناذرة وغيرهم من القبائل حول مراعي الحيوانات[8]، بسبب ما يسمى نظام «الحِمَى»[9] الذي يُطلق على موضع فيه كلأ يُحمى من الناس أن يرعى به[10]، وإذا حمى العشب فهو حمىً، وإذا لم يُحم فهو مباح[11]. والواقع أن تسمية بعض المراعي بالأحمية، وما توحي به التسمية من هيبة وحصانة، لم تحل دون انتهاك هذه الأحمية واستباحتها[12]، واشتهرت قبائل أيضًا بحماية الماء والكلأ، فكليب بن وائل سيد ربيعة بلغ من عزِّه وظلمه أنه كان يحمي الكلأ، فلا يقربها أحد، وكان الناس إذا وردوا الماء لم يسبق أحد منهم إلَّا بأمره[13]. وموضع

---

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥١.

(٢) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ٢، ص٤٤.

(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٩، ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٧.

(٤) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٦٥.

(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٨٠، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٨٤.

(٦) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٢، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(٧) الحربي: إبراهيم بن إسحق بن بشير بن عبد الله أبو إسحق (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (د.ط)، ١٩٦٩م، ص٦٢١.

(٨) Griz. A, **Encyclopaedia of Islam,** VI, p.490.

(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٦٠.

(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص١٩٩.

(١١) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٢٣.

(١٢) سلامة، عبد الحميد، **قضايا الماء**، م.س، ص١٠٥.

(١٣) الثعالبي، **ثمار القلوب**،م.س، ص٩٩.

بسرجها[١] ولجامها[٢] بين أيديهم وقريبًا منهم، مخافة عدو يفاجئه، أو حالة تصعب عليه، وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بأفنية البيوت[٣].

ت ـ الماعز: من الحيوانات التي يستفاد من حليبها ولحمها وجلدها وشعرها، رُبّيت في بلاد المناذرة بكثرة[٤].

ث ـ الأغنام: وهي كثيرة في بلاد المناذرة[٥]، وقيل لها النعام[٦]، وكانوا يفضلون الغنم والضأن على الماعز لأنَّ صوفها أغلى وأثمن، وأكثر قدرًا من الشعر[٧].

ج ـ الأبقار: تماوجت قطعان البقر في سهول العراق[٨]، واشتهرت الأنبار بها[٩]، وكان يقال لقطعان البقر الرَّبْرَب[١٠][١١].

ح ـ الظباء:[١٢] أو الغزال، من الحيوانات التي تنقَّلت بين هضاب وسهول الحيرة[١٣]، وكانت الظباء لونها أحمر، اشتهرت منطقة وجرة بها[١٤]، ومن أنواعها أيضًا الآرام البيضاء اللون[١٥]، وأنثى الظبي يقال لها: نعجة[١٦]، وكثير ما تغنّى الشعراء بالغزال بشعرهم[١٧].

---

(١) السَّرْجُ، رحال الدابة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٩٧.
(٢) اللِّجام: حبلٌ أو عصا تدخل في فم الدابة وتلزق إلى قفاه، **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص٥٣٤.
(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٨٠.
(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٨٧، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٣١.
(٥) De Lacy O, Leary, **How Greek Science passed to the Arabs,** Published by Good Word Books, India, 2001, p.184.
(٦) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١١٩، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٨٥.
(٧) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص٤٥٦.
(٨) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٣٣، ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٥.
(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٥٧.
(١٠) الرَّبْرَبُ: جماعة البقر، ما كان دون العشرة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٠٩.
(١١) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٨، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٤١.
(١٢) الظَّبْيُ: الغزال، والجمع ظباء، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٥، ص٢٣.
(١٣) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٢، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.
(١٤) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٥٧.
(١٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٣، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٣١.
(١٦) النَّعْجة: الأنثى من الضان والظباء، والجمع نعاج، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٣٨٠.
(١٧) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص١٧٠.

خ ـ الأرانب: تنقّلت بين تضاريس بلاد المناذرة بكثرة[١].

د ـ القرد: كان يباع في أسواق الحيرة[٢].

ذ ـ الطيور: رُبّيت الطيور الداجنة للاستفادة من لحمها وبيضها، ومن أهمها، الدجاج[٣]، وصياح الديك في الصباح مادة مهمة للشعراء للتغني به[٤]، وكَش الحمام من على السطوح تعتبر هواية مسلّية[٥].

ر ـ الأسماك: زخر نهر الفرات بالأسماك التي علقت بشباك الصيادين[٦]، بالإضافة إلى الثروة السمكية الهائلة في الخليج العربي[٧].

هـ ـ نظام حمي المراعي

قامت معارك بين المناذرة وغيرهم من القبائل حول مراعي الحيوانات[٨]، بسبب ما يسمى نظام «الحِمَى»[٩] الذي يُطلق على موضع فيه كلأ يُحمى من الناس أن يرعى به[١٠]، وإذا حمى العشب فهو حمىً، وإذا لم يُحمَ فهو مباح[١١]. والواقع أن تسمية بعض المراعي بالأحمية، وما توحي به التسمية من هيبة وحصانة، لم تحل دون انتهاك هذه الأحمية واستباحتها[١٢]، واشتهرت قبائل أيضًا بحماية الماء والكلأ، فكليب بن وائل سيد ربيعة بلغ من عزّه وظلمه أنه كان يحمي الكلأ، فلا يقربها أحد، وكان الناس إذا وردوا الماء لم يسبق أحد منهم إلَّا بأمره[١٣]. وموضع

---

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥١.
(٢) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ٢، ص٤٤.
(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٩، ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٧.
(٤) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٦٥.
(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٨٠، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٨٤.
(٦) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٢، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.
(٧) الحربي: إبراهيم بن إسحق بن بشير بن عبد الله أبو إسحق (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (د.ط)، ١٩٦٩م، ص٦٢١.
(٨) Griz. A, **Encyclopaedia of Islam**, VI, p.490.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٦٠.
(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص١٩٩.
(١١) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٢٣.
(١٢) سلامة، عبد الحميد، **قضايا الماء**، م.س، ص١٠٥.
(١٣) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص٩٩.

ذي ليان كان مرعى لعصافير النعمان[١]، وفي الأرض الممتدة جنوب تدمر كان رعيان الماشية يدفعون الجزية للمنذر منذ وقت طويل[٢]، ونزلت قبيلتا أسد وغطفان في حمىً لعمرو بن هند، وكان قد كتب لهم بذلك كتابًا[٣]، وهذا الخوف مردُّه إلى طبيعة المناخ الصحراوي الجاف. فالرعاة يخيّمون بمواقع المطر والمياه، فإذا ضاق العيش على حيواناتهم جمعوا خيامهم، واستأنفوا البحث عن مكان آخر، فكان دأبهم الحِلُّ والترحال[٤].

واحتوت هذه المراعي على أعشاب متنوعة، ومن أفضلها نبات السعدان، الذي يطيّب لحوم الإبل ويغزر ألبانها ويخثرها، وهو مضرب المثل بين الأعشاب[٥] ومن أردأ هذه الأنواع البقيلة[٦]، وقيل في صنعتها: «هذه البقلة لا تؤهل دارًا، ولا تدلي نارًا، ولا تسرُّ جارًا، عودها ضئيل وفرعها ذليل، وخيرها قليل، بلدها شاسع ونبتها خاشع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، أقصر البقول فرعًا، وأهونها قلعًا، وأخبثها مرعى»[٧]، والواقع أن الرعي عمل امتهنه بعض الأشخاص[٨].

ولتوفير الطعام للحيوانات والطيور في فصل الشتاء، اتّبع نظام تخزين الحنطة والشعير والتبن والقت[٩]، وهناك نوع من العلف اتُّخِذَ من القت والنوى وقيل من الشعير والقمح فقط، سمي بالعُضّ[١٠][١١]، واهتم السكان زيادة بحيواناتهم، فبعد إطعامها التبن يسقونها مياهًا باردة، وبشكل خاص للفرس[١٢]، وكان النعمان بن المنذر يعلف فرسه قتًا وشعيرًا[١٣]، في الوقت الذي كان البُرّ لا يقدم للضيوف، ما يظهر مدى اهتمامهم بالفرس، فيؤثرونها على ضيفهم وأنفسهم.

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٤١.

(٢) Procopius, **Wars,** II, p.263.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٢٣.

(٤) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٩٢.

(٥) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٢٧ ـ ٢٨.

(٦) البقل: من النبات ما ليس بشجرٍ دق ولا جل، وحقيقة رسمه أنه ما لم تبق أرومه على الشتاء بعدما يُرعى، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٦٠.

(٧) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٢.

(٨) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٧.

(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٥٧.

(١٠) الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٠، ص١٠١.

(١١) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٣٠٣.

(١٢) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٤١.

(١٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٦.

٦ ـ الصيد

برع سكان المناذرة في صيد الحيوانات والطيور، واعتبروها مهنة بالإضافة إلى كونها هواية أحب الملوك خاصة والسكان عامة أن يمارسوها، فتضاريس وسهول بلاد المناذرة زخرت بالحيوانات البرية، التي وجد فيها الصيادون متعة في اللحاق بها واصطيادها، فالنعمان بن المنذر كان يتصيد على فرسه اليحموم[١]، وعمرو بن هند كان دائمًا يتصيد مع أصحابه ويرجع غانمًا[٢]، وقابوس كان يتصيد يومًا ويشرب يوميًا[٣]، ومارس العديد من الأفراد هذه المهنة[٤]، ولكن يجب أن لا ننساق إلى التفكير بأن جميع سكان بلاد المناذرة كانوا يجيدون الصيد «فخالد بن جعفر قال للنعمان بن المنذر: أيها الملك إنَّا أصحاب زرع ونخل ولسنا بأصحاب صيد»[٥].

ومارس السكان صيد الأسماك النهرية والبحرية[٦]، بسبب وجود نهر الفرات والخليج العربي اللذين يحتويان على ثروة سمكية هائلة. وبسبب أهمية السمك كمادة غذائية.

٧ ـ الخَراجُ

هو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، أي الضريبة والجزية وإتاوة تؤخذ من أرزاق الناس[٧]، والواقع أن عملية تنظيم الخراج تحتاج إلى دراية وخبرة في معرفة طبيعة المنتجات النباتية وكميَّاتها، والحيوانية وأنواعها، فهي عملية حسابية غير سهلة، بسبب الاتِّساع الجغرافي لبلاد المناذرة. قال يزيد بن عبد المدان[٨]:

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢١، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٣٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص١٥٤، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٢.

(٣) أبو البقاء، **المصدر نفسه**، ص١٤١.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨ ـ ٩٩، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٥١.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٣٩.

(٧) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٥١ ـ ٢٥٢، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٣، ص٣٣٩.

(٨) يزيد بن عبد المدان بن عمرو بن الديان، واسم الديان: يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤١٦.

كانت إتاوة قومه لمحرق   زمنًا وصارت بعد للنعمان[1]

وذكر الأعشى في شعره السيلحون التي كان يُجبى للنعمان بن المنذر خراجها، فقال:

ويُجبى إليه السَّيْلحون وغيره   صيرفون في أعمالها والخورنق[2]

وكان يجبى الخراج لإياس بن قبيصة من المناطق الممتدة ما بين عمان وملح[3][4]، حتى إنَّ ملوك المناذرة كان يُجبَى لهم خراج المناطق القريبة من دار قيصر الروم. قال أفعى بن جناب:

قابوس أو عمرو بن هند قاعدًا   يجبى له ما بين داره قيصر[5]

ولكون هذه العملية معقَّدة، فقد استعان المناذرة بالأساليب نفسها التي اعتمدها الفرس في مسح البلاد[6]، فقباذ بن فيروز هو الذي كور الكور[7] والطساسيج[8]، «وأنوشروان بن قباذ هو أول من مسح السواد، وصنع الخراج وحدد الحدود، وراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك، ولا إجحاف بزارع، وأخذ من كل جريب[9] قفيزًا[10] ودرهما»[11]، وملوك الفرس يعدّون السود اثني عشر إستانًا، وتفسير الإستان: إجازة، ونحسبه ستين طسوجًا، وترجمة الطسوج ناحية[12].

وبتفصيل هذا الكلام على المزروعات فقد أُلزِمَ على كل جريب من مزارع الحنطة

(1) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٢، ص١١.
(2) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص١٢٩.
(3) مَلَحٌ، موضع بسواد الكوفة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٩٠.
(4) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٥٣٢ ـ ٥٣١.
(5) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ٣، ص٣٤٩.
(6) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، م.س، جـ٢، ص٣٣٢، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١١٥.
(7) الكُوَرُ، مفردة الكورة، المدينة والصقع، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٥٦.
(8) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٤٣.
(9) جريب: من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة، وهو عشرة أقفزة، وكل قفيز منها عشرة أعشار، فالعشير جزء من الجريب، وقيل الجريب من الأرض نصف الفنجان، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٢٦٠.
(10) القفيز وزنه ثمانية أرطال، الماوردي، **الأحكام السلطانية**، م.س، جـ٢، ص٣٣٢. والقفيز، ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٣٧.
(11) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٤٤، الماوردي، **المصدر نفسه**.
(12) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٦، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٣٨٠.

والشعير درهمًا، والأرز نصف درهم، ولكل أربع غلات فارسية درهمًا، وكل ست نخلات دقل درهمًا، وكل ستة أصول زيتون درهمًا، والكرم ثمانية دراهم، والرطب سبعة دراهم[1]، فكان مبلغ جباية السواد في السنة لقباذ بن فيروز مائة ألف وخمسين ألف ألف درهم مثاقيل[2].

وكانت جباية الضرائب عن الشجرة تتراوح بين ثلاث وأربع مرات في السنة؛ ما يؤدي إلى خسارة المزارع[3]، ولا نرجّح صحة هذا الكلام لأنَّه يؤدي إلى نتائج كارثية للمزارع وللقطاع الزراعي.

وكان يُجبى لقباذ السواد دون سائر أعماله وما كان تحت يده، وسلطانه مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف مثقال[4][5]، وهذا الرقم الكبير من الخراج يبيّن لنا الازدهار الكبير في قطاع الزراعة، فطباق سالم كانت تَغلُّ لأهلها في كل سنة ثلاثين ألف كرٍّ[6] حنطة وغيرها من الغلات والثمرات وسائر الأشياء، أمّا خراجها الذي يجبى للنعمان بن المنذر في كل سنة فهو مائة ألف درهم[7]، وصرفت هذه الضرائب لتغطية مصاريف المملكة واحتياجاتها[8]. وكانت عملية الخراج ومسح المحاصيل عملية دقيقة، حتى إنَّ الفلاح لم يتهرب من هذه الضريبة التي تدفع للدولة، ربما بسبب كثرة الإنتاج والربح الوفير. ففي قصة حدثت في السواد تستحق أن تذكر كما هي: «إن امرأة واقفة على تنور تخبز، ومعها صبي لها، كلما غفلت عنه مضى الصبي إلى شجرة رمان مثمرة ليتناول من رمانها، فتعدو خلفه وتمنعه من ذلك ولا تمكنه من أخذ شيء منه، فلم تزل كذلك حتى فرغت من خبزها والملك يشاهد ذلك كله، فلما لحق به أتباعه قصَّ عليهم ما شاهده من المرأة والصبي، ووجَّه إليها من سألها عن السبب الذي من أجله منعت ولدها من أن يتناول شيئًا من الرمان، فقالت: للملك فيه حصَّة، ولم يأتنا المؤذَن بقبضها، وهي أمانة في أعناقنا ولا يجوز

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٢٩٤.
(2) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٤، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٤.
(3) Bell. G. L, **Amurath to Amurath**, p.139.
(4) مِثْقال: مقدار من الوزن، والناس يطلقونه في العرف على الدينار خاصة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٨٦ ـ ٨٧.
(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، م.س، جـ١، ص٢٣٤.
(6) الكُرُّ: مكيال لأهل العراق، وهو ستون قفيزًا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٣٧.
(7) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨. (8) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya**, p.151.

أن نخونها ولا أن نتناول مما بأيدينا شيئًا حتى يُستوفى الملك حقه»[١]، ولكن يجب أن لا يتبادر إلى الأذهان أن جميع الناس قد تقيدوا بدفع الضرائب للملك، فدفع الضريبة من قبيلة إلى المناذرة كان عنوان خضوع ومذلة؛ لذلك كانت سببًا من أسباب الخلاف بينهم، ويوم هاجر خير دليل؛ ما يعني أن حكام الحيرة أجبروا القبائل التي تسكن في أراضيهم على دفع الضرائب، خوفًا من تعرضهم للحرب من قبل المناذرة[٢]، والثروة الحيوانية الكبيرة التي تنقلت بين مراعي بلاد المناذرة، لم تكن بعيدة عن الضرائب، والمرجَّح أنهم فرضوا عليها ضرائب عينية، فقد جُمع لهم من فرض تلك الضرائب عليها الكثير من الأنعام؛ فلذلك قيل في هجائهم:

جمعوا من نوافل الناس سبيًا   وحميرًا موسومةً وخيولًا[٣]

وتحدثنا عن نظام الري وتوزيع المياه بالقنوات، فاستمرارية هذا العمل فرض أيضًا خراجًا على الفلاح مقابل استعماله للمياه، فالفلاح كان يدفع النفقة على كَرْي الأنهار وسقاية الماء[٤]، لبناء قنوات الري[٥]، والاعتناء الدائم بها، فالضريبة المفروضة على الأرض كانت معروفة في بلاد فارس وبيزنطة، ولم يكن النظام الضرائبي في بلاد المناذرة قاسيًا، بل كان أرحم من النظام الضرائبي في بلاد بيزنطة حيث الضريبة على الأرض والأشخاص[٦]. وأقطع شابور المناذرة أرضًا فاعتملوها من غير أن يلزمهم خراجًا[٧]، ولم تُفرض الضريبة على الأشخاص في بلاد المناذرة، مما يُظهر التساهل في فرض الضرائب. على ضوء ما ذكر فأهل الماشية الذين يرعون الغنم ليسوا رحّلًا تمامًا وفقًا لنظام الحمىٰ، بلْ هم أشباه رُحَّل يجمعون بين تربية الماشية وبعض أنواع الزراعة؛ ما يتطلب درجة من الاستقرار «فتطور الزراعة قد عقد العلاقات بين البدو والحضَر»[٨]، وفرض على مجتمع المناذرة التحول بصورة لا شعورية من مجتمع ذي طابع رعوي متنقل وراء الكلأ والماء، إلى مجتمع حضري تعلَّم أسلوب الاستقرار والثبات في العيش.

(١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٤.
(٢) Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya**, p.153.
(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٠.
(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٤.
(٥) Bell. G. L, **Amurath to Amurath**, p.139.
(٦) Runciman. Steven, **Byzantine Civilization**, Butler and tanner Ltd, First published, London, 1933, p.96,
(٧) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٢٥.
(٨) ديسو، رنيه، **العرب في سورية**، م.س، ص٦.

ثانيًا ـ المجال الحرفي

«الحرفة أمان من الفقر»[١]، انطلاقًا من هذه المقولة اشتهرت بلاد المناذرة بالعديد من الحرف التي نُسبت إليها، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ لحضارة عريقة توفرت لها العديد من المقومات لتطور القطاع الصناعي فيها، من مواد أولية زراعية وحيوانية، وأسواق داخلية تتمثل بتلبية متطلبات الشعب، وأسواق خارجية، والمعروف أن الحرفي العراقي اشتهر بحَذَقِه بالصناعة منذ زمن بسبب اختلاطه الواسع ببلاد فارس مما أفاد كثيرًا منهم[٢].

واطَّلعوا بشكل مباشر وغير مباشر على صناعات البيزنطيين، حيث وجد الكثير من الحرفيين البيزنطيين في بلاد فارس الذين هربوا إليها بسبب موجات الجوع التي كانت تجتاح بلادهم[٣]، فأتاح ذلك اطّلاع المناذرة على بعض حرفهم وتعلمها منهم.

هذه العوامل مجتمعة صقلت مهارة الحرفي المنذري، فأصبحت صناعات الحيرة وحرفها ذات شأن وصيت شائع، فنُسبت العديد من الحرف إلى الحيرة[٤]، ومن أهمها:

١ ـ الصناعات النسيجية

ازدهرت صناعة الأنسجة على أيدي حرفيي المناذرة، بسبب توفر المواد الأولية اللازمة لها، والسوق لتصريف الإنتاج. ومن أهم المواد الأولية:

أ ـ شعر الماعز: زخرت ربوع المناذرة بالماعز، فاستغل السكان شعره، فبعد جَزِّه يُنظَّف، وقد يضرب بالعصا أو بآلة خاصة، على نحو ما يفعله الندّاف في الوقت الحاضر[٥].

(١) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٧٨٨.
(٢) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، مطابع دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٦٠م، ص٣٨٠.
(٣) Procopius, **The Secret History**, p.168.
(٤) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ٢، ص٢٨٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٦.
(٥) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٤١.

ب ـ وبر الجمال: كان سكان الحيرة أهل وبر لأنَّهم اتخذوا خيامهم من شعر ووبر الجمال[1].

ت ـ صوف الأغنام: يعمد الراعي عندما يقترب فصل الصيف على جَزِّ صوف غنمه حرصًا على صحتها؛ ليخفف عنها وطأة الحرِّ وليستفيد من صوفها[2]، ثم تجمع كميات الصوف المجزوز، وتنقع بالماء كي تتخلص من الأتربة أو الشوائب وفضلات الحيوان، ثم تُشطف عدة مرات حتى تنظف، وتُجفف تحت أشعة الشمس، فتكون بذلك جاهزة للغزل والنسج[3].

ث ـ القطن: عُرف القطن في العصر الجاهلي بأسماء متنوعة، وعملية ندفه كانت معروفة لديهم بذكر الكرابيل[4].

ج ـ الحرير: شاع الحرير في العراق منذ القدم، لأنَّه كان ممرًّا للقوافل التجارية الصينية المحملة بالحرير، وحلقة وصل بين الشرق والغرب، بالإضافة إلى أنَّ مناخ العراق يساعد على نمو أشجار التوت طوال العام[5] التي تعتبر الغذاء لدودة القز المنتجة للحرير.

ح ـ الكتان: من النباتات المعروفة، تستعمل في نسج بعض الأقمشة، حيث يقتلعون السيقان من دون تقطيعها للحصول على أطول خيوط ممكنة، ثم تُجفف لتُمشط فيما بعد، ويطرقونها بالمطرقة لفصل اللحاء عنها، ثم تندى الألياف وتُفتل بالمغزل[6].

هذا بالنسبة إلى أهم المواد الأولية لصناعة الأقمشة، أمّا آلة الحياكة فهي: المنوال، وهو أداة منصوبة تكون من خشب يلفُّ عليها الحائك الثوب[7]، وهناك المغزل اليدوي الذي تستعمله النساء[8]، وقيل للذي يطلب الصوف والوبر لينسج

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٧، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٠٦.
(٢) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٤٥.
(٣) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية**، م.س، ص٢٣.
(٤) الكرابيل، مفردها الكِرْبال: المندف الذي يندف به القطن، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٨٦.
(٥) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية**، م.س، ص٢٨.
(٦) **المصدر نفسه**، ص٢٦.
(٧) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٤٦٨، جـ٥، ص٢٤٦، جـ٧، ص٥٢، جـ١١، ص٦٨٤، جـ١٤، ص١٢١، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٤٠٥.
(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٢٤٠.

كساءه: المُسْتَتِمُّ[1][2]، وسُمّي الخيط بالقَرارِيّ[3]، وأُطلق على عمال الأقمشة: نسّاجي الحيرة، قال عمرو بن كلثوم:

وإذ لا ترجي سليمى أن يكون لها … من بالخورنق من قينٍ ونسّاج[4]

يُفهم من سياق البيت أنَّ هذه المهنة شاعت بشكل واسع بين سكان الحيرة، «فصناعة الحياكة والخياطة، هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه، فالأولى لنسج الغزل من الصوف، والكتان، إسداء في الطول، وإلحاقًا في العرض لذلك النسيج بالتمام الشديد فيعم منها قطع مقدرة ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة... وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة»[5].

فالمواد الأولية الزراعية الصناعية استغلها المناذرة، وصنعوا منها أحسن البضائع، ولعبت الأديرة دورًا مهمًا في العمل المهني لاتخاذها ورشًا للحرف[6]، فكتب على قبر بالحيرة:

والقطن والكتّان أثوابهم … لم يجلب الصّوف لهم جالب[7]

والسَّحْل، هو الثوب الأبيض الرقيق المصنوع من القطن[8][9]، واستخدموا القطن في نسج خيامهم[10].

واشتهر ملوك الحيرة بلبسهم في الحرّ أثواب الكتان وفي البرد الديباج[11]، المخصوص بالذهب[12]، فالديباج، كلمة فارسية معرَّبة[13]، وهي الملابس التي

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٦٨.
(٢) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٤١.
(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٩٠.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٥٨ ـ ٥٩.
(٥) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٨١ ـ ٣٨٢.
(٦) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.10.
(٧) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧. «لم يجب الصوف لهم جائب»، البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٧.
(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٣٢٧.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٢.
(١٠) **المصدر نفسه**، ص١٧٢، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٣٦.
(١١) الدِّيباج: نوع من الثياب يصنع من البريسم، وهو فارسي معرَّب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٦٢.
(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٥٨ ـ ٥٩، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦١.
(١٣) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٤٠.

تُصنع من الحرير[١]، أصله فارسي، ويسمى بالفارسية الإِبْرَيْسَمُ[٢]، وتفنَّن المناذرة في صنع الديباج أكثر، فأدخلوا فيه الذهب بشكل ملفت للنظر، فالنعمان وآل المنذر كانوا يلبسون الديباج المذهَّب[٣]، حتى إنَّ النعمان بن المنذر كان يلبس حلَّة[٤] مذهَّبة ومطوقة بالدر لم يرَ أحسن منها[٥]، ولبست النساء الحرير أيضًا. قال المنخل اليشكري في هند بنت عمرو بن هند:

والكاعب الحسناء تر ... فل في الدمقس[٦] وفي الحرير[٧]

ولم يقتصر الحرير على الملوك، بل كان ينتج بشكل وفير، فحرقة بنت النعمان كانت إذا خرجت إلى بيعتها فُرِشَت لها الطريق بالحرير والديباج المغشى بالخزِّ والوشي[٨]. والوشْي، «هو تطريز وتزيين النسيج الأصلي برسوم ناتئة أو غير ناتئة، أو خطوط أو مضلعات أو نحوها، وقد تصنع بالإبرة أو تحاك أصلًا مع النسيج ويستعمل فيها خيوط من الحرير، أو الذهب أو الفضة أو مادة أخرى تختلف عن النسيج الأصلي»[٩]، واستمرت شهرة المناذرة في حرفة الوشي حتى في فترة العهد الإسلامي[١٠].

ورغم تطور صناعة الحرير في بلاد المناذرة غير أنَّها على ما نعتقد لم تبلغ ما وصلت إليه صناعة الحرير في الدولة البيزنطية التي تنتج الحرائر الأصلية ذات الصباغ الممتاز - مائة بالمائة - المعروفة باسم هولوفيروم holoverum[١١]، كلمة أصلية تدل أن عملية تقليد لهذا النوع من الحرائر قد حصل في بلاد المناذرة.

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٦٢.
(٢) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٧.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤٠، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦.
(٤) حُلَّة: كل ثوب جيد جديد تلبسه، غليظ أو رقيق، ولا يكون إلا قطعتين، قميص ورداء، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١٧٢.
(٥) التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص١٦٤، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١١٨.
(٦) الدِّمَقْسُ، من الكتان، وقيل: الديباج، ويقال هو الحرير، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٨٨.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٤.
(٨) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٩، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٨١.
(٩) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٦٠.
(١٠) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١٧.
(١١) Procopius, **The Secret History**, p.167.

ومن الألبسة المصنوعة من الصوف الطيلسان[١]، وهي لفظة فارسية معربة[٢]؛ ما يظهِر مدى تأثُر المناذرة بالصناعات الفارسية، وطار صيت المناذرة بهذا النوع من القماش[٣]. والبردي[٤]، وهي كساء كالشملة كان النعمان بن المنذر يُلبسها لشيخ أعزِّ القبائل عنده[٥].

وطوَّر النُّسَّاج في صناعة الأقمشة الحريرية فجعلوها مشرشبة[٦]، وأهدىٰ النعمان بن المنذر زواره قطيفة[٧] حمراء ذات هدب وطيلسان[٨]. وصنعوا من الكتان الأثواب الرقيقة وسُميت قطع القماش من الكتان في العصر الجاهلي باسم «السب»[٩][١٠].

وأتقن النُساج الحيريون صناعة بعض الأنواع من الثياب، ومنها الشرعبية[١١]، فنُسب هذا النوع من الثياب إلى الحيرة[١٢]، وصنعوا الثياب الخشنة التي يقال لها الكرباسة[١٣]، ونُسبت بعض الأقمشة إلى صانعها، فهناك البرود التزيدية، نسبة إلى تزيد بن حيدان بن عمرو الحاف بن قضاعة[١٤]، وكشفت الدراسات الأثرية عن وجود كميات من بقايا الأنسجة في قرية الفاو على الخليج العربي تدل على تطور

(١) الطَّيْلَسانُ: نوع من الأكسية السود، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٢٥.
(٢) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٢٧، ابن منظور، **المصدر نفسه**.
(٣) البلاذري، **فتوح**، ص٣٤٢.
(٤) البُرْدُ: نوع من الثياب، فيه خطوط، وخصَّ بعضهم بالوشي، والجمع برود، وهو كساء يلتحف به، وقيل: إن حبلًا من الصوف شقة له هدب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٨٧.
(٥) التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص٢٣٧.
(٦) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٣٥، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٠.
(٧) القَطِفةُ: فرش مخملة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٢٨٦.
(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٤، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٧٦.
(٩) السِّبُّ: شقة كتان رقيقة، وقيل: الثوب الرقيق، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٥٦.
(١٠) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٣٩٣، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٠٣. النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٤، ص١٢٤.
(١١) الشَّرْعَبيَّةُ: نوع من البرود، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٢، ص١٠٩.
(١٢) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٦، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٢٢٥.
(١٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٥٤ - ٥٥. وهي لفظة فارسية معرَّبة، الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٩٤. والكِرْباسُ، هو القطن الأسود، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٦، ص١٩٥.
(١٤) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٣، ص١٣، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٨١.

قيام هذه الصناعة فيها[١]. ولم يقتصر عملهم على الثياب بل صنعوا الفرش المسماة بالطنافس[٢]، ونُسجت في النعمانية فسُميت بطنافس الحيرية[٣]، وصنعوا الوسائد والبسط وكلّ ما يُتَّكى عليه من الصوف، وأطلقوا عليه اسم الزرابي[٤][٥]، وفتلوا الحبال من الكتان[٦]، وسموها بالأمراس[٧][٨].

ونشطت صباغة الأقمشة المتنوعة[٩]، وهي حرفة قديمة. والصباغة من الصَّبْغ، وهو الغمس والصبغ ما يصبغ به وتلون به الثياب، والصباغ معالج الصبغ[١٠]، واستُعملت نباتات برّية وريفية عديدة للصباغة كل حسب اللون الذي تعطيه للقماش، فهناك نبات الدَّهناء[١١]، والعُصْفُر[١٢]، والزعفران[١٣] وهو ليس عربي المنبت[١٤]، فمن المؤكد أنه يستورد من الخارج. ومن الثياب المصبوغة التي نالت شهرة واسعة، العهن، وهو الصوف المصبوغ ألوانًا[١٥] ويغلب عليه اللون الأحمر[١٦]. وورد أن الكساء ذو اللون الأحمر[١٧]؛ ما يدل على انتشار هذا اللون عند النساء. أمّا النصيف[١٨] حجاب

---

(١) المعطي، علي، **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٦٠.
(٢) الطَنافِسُ، هي البساط الذي له حملٌ رقيق، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٢٧.
(٣) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٧٦.
(٤) الزَّرابيُّ: البسط. وقيل: كل ما بسط واتكئ عليه، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٤٧.
(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٣، ص٨١.
(٦) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٢٥٥.
(٧) الأمراس: مفرده مَرَسَةٌ، وهو الحبل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٢١٦.
(٨) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٢٥٥، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٣٢.
(٩) المعطي، علي، **تاريخ العرب الاقتصادي**، م.س، ص١٦٠.
(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، ج٨، ص٤٣٧.
(١١) الدَّهْناء: عشبة حمراء لها ورق عراض يدبغ به، **المصدر نفسه**، ج١٣، ص١٦٣.
(١٢) العُصْفُر: ما يصبغ به، منه بري ومنه ريفي، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٥٨١.
(١٣) الزّعْفَرَان: هذا الصبغ معروف، ويصنع من الطيب، **المصدر نفسه**، ص٣٢٤.
(١٤) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص١٠٨ وص١٦٧ وص١٧١.
(١٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٢٩٧، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٨، ص٣٣٩.
(١٦) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤١، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٠٥.
(١٧) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص١٤٠، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٤.
(١٨) النصيف، الخمار، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٣٣٢.

المرأة، فهو ذو اللونين[١].

٢ ـ الصناعات المعدنية

بدأ المناذرة بعملية التعدين التي كانت مهنة من المهن الأساسية التي اشتغل بها العرب منذ العصور القديمة، وتحديدًا منذ الألف الثالث قبل الميلاد[٢]، فطوّروا هذه المهنة بسبب الحاجة إلى الأدوات المعدنية لضرورات حياتهم الاقتصادية والعسكرية. فقيل للحداد «القين»: ويقني الحديدة، أي: يصلحها[٣]، وقيل: لكل صانع قين، وهو الحداد والصانع[٤]. وبرزت قبائل معيّنة ارتبط اسمها بهذه الصناعة، كبني أسد الذين كان يقال لهم القيون (أي الحدادون) لأنَّ أوَّل من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة[٥]، وقيل أيضًا لكل حداد هالكي، نسبة لهالك[٦].

واستعمل القين أدوات متنوعة لإكمال عمله وإتمامه على أفضل وجه، ومنها: القرزم[٧]، والعلاة[٨] التي تشبه جمجمة الرأس[٩]، وهي السندانة التي وصفت بصلابتها[١٠]، المطرقة والتي كانت قوية بما فيه الكفاية[١١]، الغطيس[١٢]، المبرد[١٣]،

---

(١) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٢٦٤.
(٢) المعطي، علي محمد، **تاريخ العرب الاقتصادي**، م.س، ص١٤٢.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٠، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٦.
(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٣٥٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٨، ص٤٦٨.
(٥) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٩٠ ـ ١٩١، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٧.
(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٥٠٧.
(٧) القُرْزُم: سندان الحداد، وقيل الإزميل، **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص٤٧٥.
(٨) العلاة: الزّبْرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، وقيل العلاة السندان، **المصدر نفسه**، جـ١٥، ص٩١.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠١، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٦٨.
(١٠) لمفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٢٨.
(١١) **المصدر نفسه**، ص٢٩٠.
(١٢) الفِطّيس: المطرقة العظيمة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٦٥.
(١٣) المِبْرَدُ: ما برد به، **المصدر نفسه**، ج٣، ص٨٧.

قيام هذه الصناعة فيها[١]. ولم يقتصر عملهم على الثياب بل صنعوا الفرش المسماة بالطنافس[٢]، ونُسجت في النعمانية فسُميت بطنافس الحيرية[٣]، وصنعوا الوسائد والبسط وكلّ ما يُتَّكى عليه من الصوف، وأطلقوا عليه اسم الزرابي[٤][٥]، وفتلوا الحبال من الكتان[٦]، وسموها بالأمراس[٧][٨].

ونشطت صباغة الأقمشة المتنوعة[٩]، وهي حرفة قديمة. والصباغة من الصَّبْغ، وهو الغمس والصبغ ما يصبغ به وتلون به الثياب، والصباغ معالج الصبغ[١٠]، واستُعملت نباتات بريّة وريفية عديدة للصباغة كل حسب اللون الذي تعطيه للقماش، فهناك نبات الدَّهناء[١١]، والعُصْفُر[١٢]، والزعفران[١٣] وهو ليس عربي المنبت[١٤]، فمن المؤكد أنه يستورد من الخارج. ومن الثياب المصبوغة التي نالت شهرة واسعة، العهن، وهو الصوف المصبوغ ألوانًا[١٥] ويغلب عليه اللون الأحمر[١٦]. وورد أن الكساء ذو اللون الأحمر[١٧]؛ ما يدل على انتشار هذا اللون عند النساء. أمّا النصيف[١٨] حجاب

---

(١) المعطي، علي، **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٦٠.
(٢) الطَّنافِسُ، هي البساط الذي له خملٌ رقيق، ابن منظور، **لسان**، م.س، ج٦، ص١٢٧.
(٣) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، ج١١، ص٧٦.
(٤) الزَّرابيُّ: البسط. وقيل: كل ما بسط واتكئ عليه، ابن منظور، **لسان**، م.س، ج١، ص٤٤٧.
(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، ج١٣، ص٨١.
(٦) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، ج٣، ص٢٥٥.
(٧) الأمراس: مفرده مَرَسَةُ، وهو الحبل، ابن منظور، **لسان**، م.س، ج٦، ص٢١٦.
(٨) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، ج٣، ص٢٥٥، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، ج١، ص٣٢.
(٩) المعطي، علي، **تاريخ العرب الاقتصادي**، م.س، ص١٦٠.
(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، ج٨، ص٤٣٧.
(١١) الدَّهْناء: عشبة حمراء لها ورق عراض يدبغ به، **المصدر نفسه**، ج١٣، ص١٦٣.
(١٢) العُصْفُر: ما يصبغ به، منه بري ومنه ريفي، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٥٨١.
(١٣) الزَّعْفَرَان: هذا الصبغ معروف، ويصنع من الطيب، **المصدر نفسه**، ص٣٢٤.
(١٤) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، ج٣، ص١٠٨ وص١٦٧ وص١٧١.
(١٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، ج١٣، ص٢٩٧، الزبيدي، **تاج**، م.س، ج١٨، ص٣٣٩.
(١٦) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤١، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، ج١، ص١٠٥.
(١٧) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص١٤٠، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، ج٦، ص٤.
(١٨) النصيف، الخمار، ابن منظور، **لسان**، م.س، ج٩، ص٣٣٢.

المرأة، فهو ذو اللونين[١].

٢ ـ الصناعات المعدنية

بدأ المناذرة بعملية التعدين التي كانت مهنة من المهن الأساسية التي اشتغل بها العرب منذ العصور القديمة، وتحديدًا منذ الألف الثالث قبل الميلاد[٢]، فطوّروا هذه المهنة بسبب الحاجة إلى الأدوات المعدنية لضرورات حياتهم الاقتصادية والعسكرية. فقيل للحداد «القين»: ويقني الحديدة، أي: يصلحها[٣]، وقيل: لكل صانع قين، وهو الحداد والصانع[٤]. وبرزت قبائل معيّنة ارتبط اسمها بهذه الصناعة، كبني أسد الذين كان يقال لهم القيون (أي الحدادون) لأنّ أوّل من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة[٥]، وقيل أيضًا لكل حداد هالكي، نسبة لهالك[٦].

واستعمل القين أدوات متنوعة لإكمال عمله وإتمامه على أفضل وجه، ومنها: القرزم[٧]، والعلاة[٨] التي تشبه جمجمة الرأس[٩]، وهي السندانة التي وصفت بصلابتها[١٠]، المطرقة والتي كانت قوية بما فيه الكفاية[١١]، الغطيس[١٢]، المبرد[١٣]،

---

(١) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، ج١، ص٢٦٤.
(٢) المعطي، علي محمد، **تاريخ العرب الاقتصادي**، م.س، ص١٤٢.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٠، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، ج١، ص٢٦.
(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، ج١٣، ص٣٥٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، ج١٨، ص٤٦٨.
(٥) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، ج١، ص١٩٠ ـ ١٩١، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، ج٢، ص١٦٧.
(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، ج١٠، ص٥٠٧.
(٧) القُرْزُم: سندان الحداد، وقيل الإزميل، **المصدر نفسه**، ج١٢، ص٤٧٥.
(٨) العلاة: الزُبْرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، وقيل العلاة السندان، **المصدر نفسه**، ج١٥، ص٩١.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠١، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، ج١، ص٦٨.
(١٠) لمفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٢٨.
(١١) **المصدر نفسه**، ص٢٩٠.
(١٢) الفِطِّيس: المطرقة العظيمة، ابن منظور، **لسان**، م.س، ج٦، ص١٦٥.
(١٣) المِبْرَدُ: ما برد به، **المصدر نفسه**، ج٣، ص٨٧.

المشحذ[١]، والمنافخة[٢]، ما ينفخ به الكير[٣]، والكور[٤]، المبني من الطين[٥]. قال عمرو بن كلثوم في هجاء النعمان بن المنذر:

وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله   يصوغ القروط والشنوف بيثربا[٦][٧]

ومن أهم مصنوعات القين الأسلحة، وهذا دليل على اتساع فن الحدادة بين المناذرة[٨]، كذلك صنعوا لوازم العمارة من الحديد، فدير الأسكون كان له باب من حديد[٩]، ونواقيس لكنائس[١٠] النصارى.

وأعطى شرب الخمر وثمرة الكرمة زخمًا قويًا لتطوير ورقي صناعة الأقداح من الحديد[١١]، والعسّ[١٢][١٣]، وقناني الخمر[١٤]، والعسّ هو القدح الضخم الذي يروي الثلاثة والأربعة، بينما الرَّفْد أكبر منه[١٥][١٦]، وكذلك الكوب، وهو الكوز الواسع الفم الذي لا علّاقة له[١٧].

---

(١) المِشْحَذُ: المسن، **لسان**، م.س، جـ ٣، ص٤٩٣.

(٢) المنفاخ: كير الحداد، والمنفخ الذي ينفخ به في النار، **المصدر نفسه**، ص٦٣.

(٣) الكِيرُ: كير الحداد، وهو زقٌّ أو جلد ذو حافّات، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٥٧.

(٤) الكُورُ: هو كير الحداد المبني من الطين، **المصدر نفسه**، ص١٥٧.

(٥) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٤٠٣.

(٦) يثرب: مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب قانية بن مهلائيل بن إرم، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٤٣٠.

(٧) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٣٩٨، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٥٩.

(٨) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٣٧٧.

(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٩٨، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٤.

(١٠) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٢٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٧.

(١١) القَدَحُ: من الآنية التي يشرب بها، وهو مصنوع من الحديد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٥٥٤.

(١٢) العُسُّ: القدح الضخم، وهو أكبر من الغمر، وهو إلى الطول، والجمع عساس وعِسَسَة، **المصدر نفسه**، جـ٦، ص١٤٠.

(١٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٢٥٧.

(١٤) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٣٩٤.

(١٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص١٨١.

(١٦) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢١٨.

(١٧) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٩، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٧٢٩.

وربما كان للحدادين سوق خاص بهم، فقد سُمعت أصوات الحدأة[١] قرب الخورنق[٢]. ووضع الخمر في باطية[٣]، ومن المرجَّح أنَّها جرَّة الخمر المصنوعة من الفخار، وأطلقوا على الجرَّة اسم القصع[٤]، وما تزال جرار القرميد التي تعود إلى عصر المناذرة موجودة في عين التمر إلى الآن[٥].

وتفننوا في صنع السكاكين والأواني المطبخية وسائر الأدوات والآلات المنزلية[٦]، فالنابغة الذبياني كان يأكل ويشرب في آنية مصنوعة من ذهب وفضة من عطايا النعمان بن المنذر وأبيه وجده[٧]. ومن أسماء الأدوات المطبخية، التَّور[٨]، الطاجن[٩]، الطست[١٠]، وهي جميعها مصطلحات فارسية دخيلة على اللغة العربية[١١]؛ ما يظهر مدى تأثير المطبخ الفارسي بالمطبخ المنذري. وهناك آنية صنعت من نحاس ومنها إبريق النحاس الذي يقال له القمقم[١٢]، وهي لفظة رومية معربة[١٣]، وهذه إشارة إلى تأثُّر الصناعات المعدنية بالفنِّ البيزنطي، والإبريق أيضًا كلمة فارسية معربة وأصلها «إبريه»[١٤].

وزُيِّنت الأديرة بالسُّرُج[١٥] والقناديل المصنوعة من الذهب والفضة[١٦]، ومن

---

(١) الحِدَأَةُ: الفأس العظيمة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٥٥.

(٢) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٣٩، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٩١.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**،م.س، جـ٢، ص٣٤١، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٦١.

(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٢٧٤.

(٥) Bell. G. L, **Amurath to Amurath,** p.139.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٧، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٤٠٣.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٢٩، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٨٦.

(٨) التور: الأواني من الصفر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٩٦.

(٩) الطاجن: المقلي، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٢٦٤.

(١٠) الطست: من آنية الصفر، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٥٨.

(١١) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٨٦ وص٢٢١.

(١٢) القمقم: لفظة رومية، ما يستقى به من النحاس، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٤٩٥.

(١٣) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٦٠.

(١٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**،م.س، جـ٢، ص١٣٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦٨.

(١٥) السراج: المصباح الزاهر الذي يُسرج بالليل، والجمع سُرُجٌ، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٩٧.

(١٦) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٣٥، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٨١.

المؤشرات التي توحي بأنهم عرفوا صناعة الزجاج، استعمال زجاجة للمصابيح[1]. وكبّلوا السجناء بالأغلال والسلاسل الحديدية[2].

ولأدوات الزراعة حظٌّ وفيرٌ من صناعة الحديد، كالمنجل[3]. وأدخل المناذرة الخشب في صناعتهم، ولكن بقيت دون الحديد بسبب بخل الطبيعة الصحراوية على السكان بأنواع الأشجار الكثيرة الصالحة للاستخدام في مجال النجارة، فاقتصرت صناعتهم على السهام، والنبال، والترس، والجُمْجُمَة، هي القدح المصنوع من الخشب[4]، والقَعْبُ[5]، القدح الضخم المقعر المصنوع من الخشب[6]، وصنعوا من الخشب الجفنة[7] أيضًا، وهي أعظم من القصع[8]. ومن الصناعات التي كان الخشب مادتها الأساسية الباب وأسموه الرتاج[9][10]، وصنعوا السفن ـ التي سوف نتحدث عنها في التجارة البحرية ـ، وأعمدة البيوت والخيم[11]، وعزّز الرقي المادي رفاهية الحياة عندهم، فمالوا إلى الراحة والاسترخاء في الجلوس، فصنع المنجّد فرشًا، واتخذ منها أشكالًا ظريفة مغطاة بالرُّقَم[12][13].

ومن أدوات النجار التي استعملها في عمله، المحفرة: وهي آلة يحفر بها الخشب، والمنقار، والمسحل، وهو مبرد أخشن من مبرد الحديد، والمثقب آلة يثقب بها الخشب، والكلبتان آلة يجذب بها النجار المسمار من الخشب[14]، ومن

---

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٧.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩.

(٤) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٤.

(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٢.

(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٦٨٣.

(٧) الجَفْنة: جمع جفان، أعظم ما يكون من القصاع، وهي كالقصعة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٨٩.

(٨) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٥، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٣، ص٢٢٥، المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٣٣.

(٩) الرِّتاجُ: الباب العظيم المغلق وعليه باب صغير، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٧٩.

(١٠) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩٦.

(١١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٣.

(١٢) الرَّقْمُ: ضرب من القماش مخطط مصنوع من الوشي والخز، ويرقم أي يخطط، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٢٤٩.

(١٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥٢.

(١٤) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩٩.

الآلات التي يستعين بها النجار في قياس تربيع الخشب: الكوس، وهي خشبة مثلثة[1]، واستعمل الإزميل[2] في حفر الخشب.

٣ ـ الصياغة

تغاوى الناس بالذهب والفضة منذ قديم الأزل، ومع مرور السنين، بقي المعدن الأصفر ذو قيمة عالية تحدَّت عوامل الطبيعة، ولا تقتصر قيمة المصنوعات الذهبية على الناحية التجارية فحسب، وإنما لما تُمثِّله من حضارة. وازدهرت الصياغة كحرفة مهمة في بلاد المناذرة، لتموين البلاط الحاكم بحاجاته من الحلي والزينة من جهة، ولتموين الناس بما يستحلونه من جهة أخرى[3]. ومن أهم مصنوعاتهم الذهبية التيجان، فقد كان ملوك الحيرة يضعونها على رؤوسهم، كذلك وضعوا الأكاليل المصنوعة من الذهب أيضًا[4]، وزينوا أعناقهم بطوق مصنوع من الذهب[5]، فعمرو بن عدي هو أول عربي أُلبس طوقًا[6]، وصنع أحيانًا من الفضة[7]، وأطلقوا على سبائك الفضة اسم السجنجل[8][9]، وصنعوا من الفضة الجُمان، وهي لفظة فارسية معربة[10]، وجلوا القطعة من الفضة حتى أصبحت مرآة، وسمّوها الوذيلة[11][12].

وأدخلوا الذهب في الملابس، فالنعمان بن المنذر جلس يومًا في حلَّة مذهَّبة مطوقة بالدُّرِّ لم يُرَ أحسن منها[13]. وحُبُّ النساء لاقتناء ولبس المجوهرات والتزيُّن بها، كان

---

(١) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٨٨.

(٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص١٣٨.

(٣) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٧٧، **وتاريخ العرب**، م.س، ص١٢٣.

(٤) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦.

(٥) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٩، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٨.

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٣، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦٥.

(٧) الطبري، **المصدر نفسه**، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٥٤.

(٨) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٧٩، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٣٢٧.

(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٨، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٨.

(١٠) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١١٥، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٩٢.

(١١) الوَذيلة: المرآة من الفضة، من الفضة المجلوّة خاصة، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٧٢٣.

(١٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٤٥. (١٣) التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص١٦٤.

المؤشرات التي توحي بأنهم عرفوا صناعة الزجاج، استعمال زجاجة للمصابيح[1]. وكبّلوا السجناء بالأغلال والسلاسل الحديدية[2].

ولأدوات الزراعة حظٌّ وفيرٌ من صناعة الحديد، كالمنجل[3]. وأدخل المناذرة الخشب في صناعتهم، ولكن بقيت دون الحديد بسبب بخل الطبيعة الصحراوية على السكان بأنواع الأشجار الكثيرة الصالحة للاستخدام في مجال النجارة، فاقتصرت صناعاتهم على السهام، والنبال، والترس، والجُمْجُمَة، هي القدح المصنوع من الخشب[4]، والقَعْبُ[5]، القدح الضخم المقعر المصنوع من الخشب[6]، وصنعوا من الخشب الجفنة[7] أيضًا، وهي أعظم من القصع[8]. ومن الصناعات التي كان الخشب مادتها الأساسية الباب وأسموه الرتاج[9][10]، وصنعوا السفن ـ التي سوف نتحدث عنها في التجارة البحرية ـ، وأعمدة البيوت والخيم[11]، وعزّز الرقي المادي رفاهية الحياة عندهم، فمالوا إلى الراحة والاسترخاء في الجلوس، فصنع المنجّد فرشًا، واتخذ منها أشكالًا ظريفة مغطاة بالرُّقَم[12][13].

ومن أدوات النجار التي استعملها في عمله، المحفرة: وهي آلة يحفر بها الخشب، والمنقار، والمسحل، وهو مبرد أخشن من مبرد الحديد، والمثقب آلة يثقب بها الخشب، والكلبتان آلة يجذب بها النجار المسمار من الخشب[14]، ومن

---

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٦.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٧.
(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩.
(٤) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٤.
(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٢.
(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٦٨٣.
(٧) الجَفْنة: جمع جفان، أعظم ما يكون من القصاع، وهي كالقصعة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٨٩.
(٨) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٥، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٣، ص٢٢٥، المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٣٣.
(٩) الرِّتاجُ: الباب العظيم المغلق وعليه باب صغير، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٧٩.
(١٠) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩٦.
(١١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٣.
(١٢) الرَّقْمُ: ضرب من القماش مخطط مصنوع من الوشي والخز، ويرقم أي يخطط، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٢٤٩.
(١٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥٢.
(١٤) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩٩.

الآلات التي يستعين بها النجار في قياس تربيع الخشب: الكوس، وهي خشبة مثلثة[1]، واستعمل الإزميل[2] في حفر الخشب.

٣ ـ الصياغة

تغاوى الناس بالذهب والفضة منذ قديم الأزل، ومع مرور السنين، بقي المعدن الأصفر ذو قيمة عالية تحدَّت عوامل الطبيعة، ولا تقتصر قيمة المصنوعات الذهبية على الناحية التجارية فحسب، وإنما لما تُمثِّله من حضارة. وازدهرت الصياغة كحرفة مهمة في بلاد المناذرة، لتموين البلاط الحاكم بحاجاته من الحلي والزينة من جهة، ولتموين الناس بما يستحلونه من جهة أخرى[3]. ومن أهم مصنوعاتهم الذهبية التيجان، فقد كان ملوك الحيرة يضعونها على رؤوسهم، كذلك وضعوا الأكاليل المصنوعة من الذهب أيضًا[4]، وزينوا أعناقهم بطوق مصنوع من الذهب[5]، فعمرو بن عدي هو أول عربي أُلبس طوقًا[6]، وصنع أحيانًا من الفضة[7]، وأطلقوا على سبائك الفضة اسم السجنجل[8][9]، وصنعوا من الفضة الجُمان، وهي لفظة فارسية معربة[10]، وجلوا القطعة من الفضة حتى أصبحت مرآة، وسمّوها الوذيلة[11][12].

وأدخلوا الذهب في الملابس، فالنعمان بن المنذر جلس يومًا في حلَّة مذهَّبة مطوقة بالدُّرِّ لم يُرَ أحسن منها[13]. وحُبُّ النساء لاقتناء ولبس المجوهرات والتزيُّن بها، كان

---

(١) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٨٨.
(٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص١٣٨.
(٣) العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٧٧، **وتاريخ العرب**، م.س، ص١٢٣.
(٤) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦.
(٥) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٩، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٨.
(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٣، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦٥.
(٧) الطبري، **المصدر نفسه**، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٥٤.
(٨) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٧٩، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٣٢٧.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٨، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٨.
(١٠) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١١٥، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٩٢.
(١١) الوَذيلة: المرآة من الفضة، من الفضة المجلوّة خاصة، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٧٢٣.
(١٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٤٥. (١٣) التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص١٦٤.

ما يزال يحتل مكانة مرموقة عندهم؛ لذلك حرص الصاغة على صوغ الحلي من الذهب والفضة المخصوص للنساء، ومن أشهرها القلائد التي كانت تتدلّى من رقاب النساء على صدورهن[١].

وثُقِبَ الخرز ثم وُضِع في الأسلاك الخاصة التي تستعمل في الحلي وأدوات الزينة[٢]، للحصول على عقد ملفت للنظر، ودُبغ الخرز بالغرف[٣]، إذا كان من النوع الرديء[٤]. وهناك القروط المصنوعة من الذهب التي تعلق بشحمة الأذن[٥]، ويعتبر الخلخال[٦] من أدوات الزينة التي تستعمله النساء، حيث يوضع على الساق ويصاغ من الذهب أو الفضة، ويلفت نظر الرجل من خلال صوته، ولا يزال يستعمل حتى الآن في بعض المناطق[٧]، وقيل للخلخال: البرين[٨] الذي يلبس مع الدملج[٩][١٠].

وأتقن صاغة الحيرة حرفتهم فذاع صيتهم بها، وانتشر الصاغة الحيريون في أغلب المدن آنذاك، ففي «المدائن مر بصائغ سقطت مطرقته، فقال: بسم الله، وأخذه، فدنوت منه فذكر أنه نصراني من أهل الحيرة»[١١]، وأدخلوا العاج في صناعة مجوهراتهم[١٢]، والذي يزيدها أناقة ورونقًا، وهذا دليل الرقي المادي والحضاري

---

(١) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٨٩.

(٢) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٢١.

(٣) الغَرْفُ، شجر يدبغ به، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٢٦٥.

(٤) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص١١٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٨.

(٥) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٣١، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٥٩.

(٦) الخلخال: من الحلي، موضعه في ساق المرأة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٢٢٠ - ٢٢١.

(٧) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٠٥.

(٨) البرين، مفرده البُرَة: هو الخلخال، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٧١.

(٩) الدُّمْلُجُ: المِعضدُ من الحلي، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٢٧٦. وقيل إنه السوار في شرح ابن نحاس، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٨٢.

(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٥٦ وص٢٠٤، ابن نحاس، **المصدر نفسه**، ص٢٠ وص٨٢.

(١١) العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٢٢.

(١٢) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ٣٨١، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٩٤.

الذي وصل إليه مجتمع الحيرة، فالمجوهرات وملحقاتها من «الإكسسوارات» ما هي إلا برهان واضح على الرفاهية الاقتصادية التي تمتع بها المجتمع المنذري، والملاحظ أن أهل الحيرة هم من أتقنوا حرفة الصياغة فقط من دون غيرهم من سكان البدو والأرياف، لأنَّ هؤلاء لم يُحبِّذوا هذه المهنة ونظروا إليها نظرة احتقار[١]، فالنعمان بن المنذر ذُمَّ من النابغة الذبياني في نعته له بأنَّ أمَّه يهودية كان أبوها صائغًا، فقال:

قبَّح اللّه ثم ثنى بلعن   وارث الصائغ الجبان الجهولا[٢]

٤ ـ المصنوعات الجلدية

استدرجت الطبيعة الحيريين إلى ابتداع أنواع من المصنوعات الجلدية، اتّقاءً لقيظ الصيف ولحرِّ الرمال والحصى وحمايةً من الأشياء الصلبة المنتشرة في الطبيعة، فلبسَ المناذرة النعال في أقدامهم، وتعني النعال الصندل[٣]، وأُطلق على صانع النعال اسم الطراق[٤][٥]، وأوَّل من حذا النعال جذيمة الأبرش[٦]، وفيما بعد اشتهر سكان الحيرة بصناعتها، وحازوا شهرة واسعة في هذا المجال حتى أصبح الناس يقصدونها لشراء النعال منها، وفي قصة جميلة أصبحت مضربًا للمثل تستحق الذكر: «إنَّ إسكافًا من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخفَّين، فاختلفا حتى أغضبه، فازداد غيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حُنين ـ كَرْبير ـ أحد خفَّيه، فألقاه على طريقه، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلمّا مرَّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا بخُفِّ حُنين! لو كان معي الآخر لأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول، وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول، وقد كمن له حنين فعمد إلى راحلته وما عليها فذهب به، وأقبل الأعرابي ليس معه غير الخفين، فقال له قومه ما الذي أتيت به؟ قال: بخُفَّي حُنين، وسار القول المأثور فيما بعد: جاء بخُفَّي حُنين»[٧]، ويفهم

---

(١) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية**، م.س، ص١٤ ـ ١٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١٣، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٩٠.

(٣) Dozy. R.P.A, **Dictionnaire DÏtaillÏ DES Noms Des Vetment CHEZ Les Arabes**, Jean Müller Amsterdam, 1845, p.421.

(٤) طِرائق النعل: ما أطبقت عليه فخرزت به طرفها بطرفها طرقًا، وطارقها، وكل ما وضع بعضه على بعض، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٢١٩.

(٥) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٥٨.

(٦) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣١٢.

(٧) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ١، ص١٥٩، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص١٣.

من سياق هذه القصة الطريفة أنَّ نعال الحيرة كانت غالية الثمن بسبب جودتها وحسن صنعتها[(١)]، ولولا ذلك لباع حُنين الخفين بأي ثمن يُدفع له، «ويبدو أنَّ العرب تمدح برقة النعال، وتجعلها من لباس الملوك»[(٢)].

والخف، هو كلمة فارسية معرَّبة، وأصلها موزه، والموق مثله ويجمع على الأمواق[(٣)]، ولا ننسى قصة نعل شرحبيل بن الأسود[(٤)]، حيث وُجد نعله بعد مقتله، فهذا دليل آخر على احتذاء سكان الحيرة النعال بسبب الراحة والأمان للقدم.

وصنعت النعال من جلود البقر المدبوغة بالقرظ[(٥)]، فسُمّيت نعال سبتية[(٦)(٧)]، وعملية دبغ الجلود من المهن الصناعية الرائجة[(٨)]، ولم تكن سرًا على أحد، ومراحلها كما يلي: يلقي الجلد قبل مرط شعره أو صوفه في الدباغ للحصول على النعال المشعرة أو بالفراء، وإن أرادوا عكس ذلك مرطوا شعره أو صوفه ثم ألقوه إمَّا في ماء ضُرب بالغلقة، وهي عشبة تجفف وتطحن ثم توضع بالماء وتنقع فيه الجلود، فتُمرط ويستنقى ما فيها من بقايا اللحم، ثم تطرح في الدباغ، أو أن تكبس في حفيرة وتدفن فيها حتى يسترخي شعرها وصوفها أو يلفَّ على بعض، فتمرط حينئذ وتلقى في الدباغ[(٩)]. وهناك طريقة أخرى متَّبعة بهجر، حيث يؤخذ لها هدب الأرطى[(١٠)] فيوضع في منحاز[(١١)] ويُدقُّ، ثم يطرح عليه التمر فتخرج له رائحة

(١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٥٣، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٤١٣.

(٢) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٤٣.

(٣) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣١١ ـ ٣١٢، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٣٥٠.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١١٠، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٣٥٤.

(٥) القَرَظُ: شجر يدبغ به، وقيل: هو ورق السَّلم يدبغ به الأدم، وهو شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز، وورقه أصفر مثل ورق التفاح، ينبت بالقيعان، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٤٥٤.

(٦) السبت: نعال سبتية لا شعر عليها، وهي من جلود البقر مدبوغة بالقرظ، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٣٦.

(٧) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص٤٧٧، أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص١٠٥.

(٨) المعطي، علي، **تاريخ العرب الاقتصادي**، م.س، ص١٦٣.

(٩) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص١٠٨.

(١٠) الأَرْطَى: شجر ينبت بالرمل، واحدته أرطأة، ورق شجرها عبل مفتول، لها عروق حمر يدبغ بورقها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٢٥٤.

(١١) المِنْحازُ: الهاون، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٤١٤.

خمرة، ثم يغرف لكل جلد مقدار ثم يدبغ به، وذكر أيضًا أن الجلود الغرفية كان يؤتى بها من البحرين[(١)].

ومن المصنوعات الجلدية الأخرى النطع، وهو بساط من جلد كان يوضع عليه الطعام[(٢)]، وركوة[(٣)] شرب الماء[(٤)]، واتخذوا الجلد لبناء منازلهم وخيامهم، فصنعوا القبة[(٥)]، من الأديم[(٦)(٧)]، قال الأعشى في مدح النعمان بن المنذر:

لـه قـبـةٌ مـضـروبـة بـفـنـائـهـا ... عتاق المهاري والجياد الصّوافن[(٨)]

وأدخلوا الجلد في صناعة ملبوساتهم، فهناك الزنار الذي يشدونه على أوساطهم وهو مفصص بالجواهر[(٩)]، ودبغوا الجلود بألوان مختلفة، فأصبح منظرها مريحًا للنفس، فالجلد الأسود دُبغ بالعفص[(١٠)] حتى يَسوَد[(١١)]، فهو الأرندج[(١٢)]. ومدح الأعشى إياس بن قبيصة فقال:

عـلـيـه ديـابـوذ[(١٣)] تـسـربـل تـحـتـه ... أرندج إسكاف يخالط عظلما[(١٤)(١٥)]

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٢٦٣ وص٢٦٥.

(٢) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص٤٨٦، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٧.

(٣) الرَّكْوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٣٣٣.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٤٧.

(٥) القُبَّةُ: من البناء، وقيل: هي البناء من الأدم خاصة، جمعها قبب، بيت صغير مستدير، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٦٥٩.

(٦) الأديم: الجلد، وقيل هو الأحمر المدبوغ، **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص٩.

(٧) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٦٨، الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص٤٨٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٢٧، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٥.

(٨) أبو البقاء، **المصدر نفسه**، جـ١، ص١٠٩ ـ ١١٠.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤٠، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦.

(١٠) العَفْصُ: شجر يتخذ منه الحبر، حمل شجرة البلوط، فهي تحمل سنة بلوط، وسنة عفصًا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٥٤ ـ ٥٥.

(١١) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٦.

(١٢) الأَرَنْدَج: الجلد الأسود الذي تعمل منه الخفاف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٨٣.

(١٣) الدَّيابُوذُ: ثوب ينسج بنيرين، أصله فارسية «دُوبُذ»، الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣١٩، ابن منظور، **المصدر نفسه**.

(١٤) العظلم: شجر له ثمر أحمر مائل إلى السواد، ابن منظور، **المصدر نفسه**.

(١٥) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٦، ابن منظور، **المصدر نفسه**.

وفتلوا الحبال من الجلد أيضًا، فالجديل[١]، هو الزمام المجدول من أدم، وسمي الجديل لأنه مأخوذ من الجدل، وكذلك الجديلة[٢][٣].

٥ ـ مصنوعات مختلفة

من المصنوعات الحيرية التي نالت شهرة واسعة الإثْمد الذي نسب إلى الحيرة[٤]، وهو حجر أسود يكتحل به[٥]، وقيل هو نفسه الكحل[٦]، فهو عنصر معدني بلوري الشكل قصديري اللون، صلب هش، يوجد في حالة نقية، وغالبًا متحدًا مع غيره من العناصر ليكتحل به، وهذا المنتج الصناعي يستعمل لزينة النساء وعلاج طبي في نفس الوقت، فالاكتحال به يقوّي النظر[٧].

ولإنارة الظلمة صنع المناذرة الشمع، فجذيمة الأبرش يعتبر أول من صنع الشمع من أجل السير ليلًا على ضوئه[٨]، ومن غير المستبعد أن يكون سكان المناذرة أضاؤوا قصورهم ومنازلهم وخيامهم بالشمع.

وزيَّن السكان الأماكن العامة ومنازلهم بمصنوعات فنية جميلة، منها: التحايا، وهي جمع تحية، بمعنى التحفة والطرفة، وهي على هذا الوجه غير واردة في معاجم اللغة، وأكثر ما تطلق على الطاقة من الأزهار والرياحين التي يحيا بها الندماء وتزيّن بها مجالس الشرب[٩]، واشتهر حنين الحيري في عمل التحيات[١٠].

(١) الجَدِيلة: نوع من الأدام كانت تصنع في الجاهلية يأتزر بها الصبيان والنساء الحُيَّض، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١٠٦.
(٢) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص٢٣٦.
(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٩، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٦٤.
(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣٢٨.
(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٨، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٧١.
(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص١٠٥.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٢.
(٨) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص٣٦٢، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٧.
(٩) الزيات، حبيب، **الديارات النصرانية في الإسلام**، دار المشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، ص٥١.
(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٤٥.

ثالثًا ـ المجال التجاري

التجارة عملية بيع وشراء السلع والبضائع والمنتجات، نشأت لأن الناس يحتاجون أشياء ينتجها غيرهم، وتعتبر من المهن القديمة المعروفة.

إن بختنصر حارب العرب، جمع من في بلاده من تجار العرب وبنى لهم حيرًا على النجف وضمَّهم فيه، فقيل لها الحيرة. فالتجارة مهنة قديمة مارسها سكان ما بين النهرين، بسبب الموقع الجغرافي الذي فرض عليهم هذا العمل، فهناك في الشرق بلاد فارس والهند والصين، وفي الغرب بلاد الشام والجزء الشمالي من شبه الجزيرة العربية، وفي الشمال الدولة البيزنطية، وفي الجنوب الخليج العربي والممالك والقبائل العربية جنوب شبه الجزيرة العربية؛ ما أهّل تجار المناذرة بأن يلعبوا دور عاقدة الوصل بين هذه المحاور المهمة.

فمملكة المناذرة قامت في الأصل لحماية الطرق التجارية خاصة بعد ضعف البارثيين[١]، فأصبحت مركزًا تجاريًا ومروريًا للقوافل التجارية[٢]؛ ما حقق كسبًا ماديًا كبيرًا لهم، فأصبح «جُلُّ معاشهم وأكثر ما يصيبونه من الأرباح في التجارات»[٣]، مما وجَّه أنظار حكام الحيرة إلى الاهتمام بالتجارة والتجار بشكل خاص، والعمل على توفير أقصى حد ممكن من الراحة والأمان لهم، وانفتحوا بشكل «برغماتي» على كل التجار من دون تمييز، سواء كانت الدولة التي يحمل جنسيتها التجار عدوة لهم أم صديقة، «فسرجون بن توفيل هو تاجر من الروم من أهل الشام كان نديمًا للنعمان يبايعه ويعادله، ويسلفه ويطول مكثه عنده»[٤]، فهذا القول يظهر تناقضًا حادًا بين نهج المناذرة السياسي، وطريقة تعاملهم التجاري، فالنعمان بن المنذر بدا كمن يؤدي واجبًا مدرسيًا لا يحبه، ولكنه مجبور علىٰ إنجازه

(١) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص٦١.
(٢) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.200.
(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٠.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص١٨٣ وص١٨٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧١.

حتى ينال علامات تؤهله لبناء تجارة مزدهرة مع الجميع. وبذل البيزنطيون كل جهدهم لتطوير تجارتهم أيضًا فاعتنوا بطرق التجارة وبلّطوا معظمها، وأصلحوها بشكل مستمر، وأوجدوا الحواجز العسكرية لحماية القوافل التجارية[1]، والتي كانت «تفصل الواحدة عن الأخرى المسافة التي يتوقع لرجل يحمل حملًا خفيفًا أن يقطعها في يوم واحد»[2].

واضطلع المناذرة بدور تجاري رائد مع الغساسنة والمناطق التي يسيطرون عليها، متناسين كل الخلافات السياسية والعسكرية بينهما، «فأبو دؤاد الإيادي الشاعر، جار المنذر ابن ماء السماء، أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام»[3]. وعندما دخل الغساسنة إلى حيرة النعمان بن المنذر وجدوا القوافل التي كانت تذهب إليهم[4]، وبالمقلب الآخر تردَّد تجار الغساسنة كثيرًا إلى بلاد المناذرة، والتقى بهم ملوك الحيرة لتشجيعهم على العمل التجاري «فالربيع كان نديمًا للنعمان مع رجل من تجار الشام»[5]. ولم يجد التجار صعوبة بالسير بقوافلهم إلى الشام حيث كانت «دمشق قلب المقاطعة السورية وضعتها الطبيعة فيها طرق التجارة التي تربطها بجميع الممالك التي تجاورها»[6]، ويمكن الاستدلال على تطور العمل التجاري بين الغساسنة والمناذرة من سؤال خالد بن الوليد لعمر بن عبد المسيح في سنة ١٢هـ/ ٦٣٤م، ما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة، تخرج المرأة من الحيرة فلا تتزود إلا رغيفًا[7].

وكان لقبيلة قريش باع طويل في تسيير التجارة، فلهمُ الإيلاف، وهو القوافل التجارية التي تسير إلى بلاد الشام والروم صيفًا، وإلى اليمن والحبشة شتاءً، ومعنى يؤالف: يعاهد ويصالح، والمؤلف: صاحب الألف من الإبل[8].

قامت مكة بمهادنة قبائل العرب لتضمن ولاءهم وسلامة مرور قوافلها في

---

(١) Charlesworth. M. P, **Trade - route and commerce,** p.41.

(٢) Procopius, **The Secret History**, p.188.

(٣) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص٣٨٠.

(٤) Joshua the Stylite, **The Chronicle of Joshua,** p.46.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣٦٣.

(٦) Charlesworth. M.P, **Trade-route and commerce,** p.47.

(٧) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ٢، ص١٤٨، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٧.

(٨) ابن هشام، **السيرة**، م.س، جـ١، ص٧٦، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص١٨٦.

أرضهم، فأشركتهم في التجارة، ولا شك في أن مكة سيطرت على هذه التجارة، غير أنها كانت سيطرة الشريك الأكبر الذي يشارك الجميع، لا سيطرة المحتكر الذي لا يُشرك أحدًا، ولم يكن ذلك حال الحيرة، لأنها لم تنافس مكة في حصة في الحصص بل على قيادة المشروع وزعامة العرب، فالإيلاف لا يشترط زوال نفوذ الحيرة بل يتسع لاشتراكها في تجارة مكة[1].

استحوذ نوفل بن عبد مناف[2] عهدًا للتجارة مع العراق، وكان هاشم يسمى أبا فضلة، يخرج بتجارة من مكة مع جماعة من قريش إلى العراق[3]، وبالمقابل كان يسمح للتجار في مكة بمراعاة مصالح قومهم التجارية[4]، وارتاد الحكم بن أبي العاص[5] إلى سوق الحيرة[6]، وأقام بشر بن عبد الملك[7] في الحيرة لفترة، ثم شَخَصَ إلى مكة في تجارة[8]، بعد كل هذه الدلائل نستغرب التشكيك في ذهاب تجار قريش إلى الحيرة[9].

وبالمقابل أغوت سلع وبضائع أسواق مكة تجار الحيرة الذين كانوا يحققون أرباحًا مالية جراء عملية التبادل التجاري معهم، فالنعمان بن المنذر كان يجهز لطيمة[10] في

---

(١) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف**، كومبيونشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٢١٨.

(٢) نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٤.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص١٨٧، **والمنمق**، م.س، ص٤٥، العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٢١ ـ ٢٢.

(٤) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad,** p.184.

(٥) الحَكَم الأموي، هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي (ت٣٢هـ/ ٦٥٢)، صحابي أسلم يوم الفتح وسكن المدينة المنورة، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٢، ص٢٦٦.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٣٦٩.

(٧) بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، من أمراء بني أمية، قتله المنصور العباسي بواسط مع ابن هبيرة، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٢، ص٥٤.

(٨) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٣٦.

(٩) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٣٧٨.

(١٠) اللَّطيمة: العير التي تحمل الطيب والعطر وبَزَّ التجار، وقيل: وعاء المسك، وقيل: كل سوق يجلب إليها غير ما يؤكل من حُرِّ الطيب والمتاع، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٤٣ ـ ٥٤٤، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٧، ص٦٥١.

كل عام إلى سوق عكاظ[1]، وحُلّل معنى اللطيمة بأنها: العير المحمَّلة مسكًا[2]، وهذا الكلام منقول من معاجم اللغة، ولكنه منقوص وغير دقيق، فمن غير المعقول أن تأتي القوافل بالمسك فقط، وهو مادة خفيفة الحمل، لذلك قُصد باللطيمة قوافل التجار المحملة بمختلف أنواع السلع والبضائع، فسوق عكاظ مثَّل مركزًا تجاريًا مهمًا أجبر جميع الممالك على التردد إليه للمتاجرة فيه.

أشرف المناذرة بشكل مباشر على تجارة الفرس إلى اليمن، حيث كان الأكاسرة يرسلون قوافلهم التجارية إلى اليمن تحت رعاية ملوك الحيرة[3]؛ ما يدل على أن التجارة الفارسية كانت بيد عرب الحيرة[4]، ومن المؤكَّد أنَّ تجار المناذرة شاركوا في هذه التجارة وابتاعوا واشتروا من اليمن السلع والبضائع، ولم يقف الأمر هنا، فشهدت طرق التجارة بين الحيرة وبلاد الفرس حركة تجارية نشطة، وكانت معروفة لدى أكثر الناس[5]، فمن دخل فرغانة[6] لا بد أن يرى حيري[7]، وحاول البيزنطيون مرارًا وتكرارًا إقامة علاقة تجارية مباشرة مع الصين لكن الفرس منعوهم بسبب سيطرتهم على طريق الحرير[8]؛ ما يعطي إشارة واضحة إلى سيطرة الحيرة على هذه الطريق أيضًا.

امتدَّت التجارة الحيرية في جميع الممالك والدول المحيطة بهم القريبة والبعيدة، فرُوي «أنَّك لا ترى بلدًا في الأرض ليس فيه حيري»[9]؛ ما يظهر اتِّساع تجارتهم وانفتاحها على الجميع.

١ ـ طرق التجارة

أ ـ الطريق البرية: ـ الطريق إلى الشرق:

لم تكن كلمة الصين بعيدة عن مسامع المناذرة بل عرفوها منذ زمن بعيد، حُكي

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٢ وص٥٠٦، **والديباج**، م.س، ص١٠١.
(٢) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٢٧٩.
(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٧، ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ١، ص٢٢٦.
(٤) De lacy O'Leary, D.D, **Arabia before Muhammad**, p.181.
(٥) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٨٠، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٤٩.
(٦) فَرْغَانَةُ: مدينة وكورة واسعة، بينها وبين سمرقند خمسين فرسخًا، بناها أنوشروان، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٢٥٣.
(٧) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص١٩١.
(٨) Charlesworth. M. P, **Trade-route and commerce**, p.72.
(٩) الجاحظ، **البخلاء**، م.س، جـ٢، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

أن شمر بن أفريقيش بن أبرهة سار نحو بلاد الصين حتى أتى سمرقند[1]، فحاصرها فلم يظفر بشيء منها، ولكنه بخدعة دخلها، ونهبها ثم سار نحو الصين فمات في الطريق، ثم أراد تبع الأقرن بن أبي مالك بن ناشر أن يأخذ بثأر جده، فسارع نحو الصين فقتل وسبى[2]، فمعرفة العرب بالصين قديمة، وأسباب غزوها هو أخبار السلع والثروة التي تواترت إلى مسامعهم من التجار الذين تبادلوا بالتجارة مع الصين، حتى إن الطريق ـ طريق الحرير ـ كان معروفًا عندهم.

ونقطة بداية سير القوافل التجارية على الطريق البري من بلاد المناذرة إلى الشرق نستخلصه من معلومة مهمة يمكن الركون إليها، فالقادسية وصفت بأنَّها «باب فارس في الجاهلية»[3] يعني أنها نقطة بداية الطريق للقوافل التجارية ليشير بعدها إلى الحيرة، ومن المحتمل أنَّه كان جسرًا على نهر الفرات للعبور إلى الضفة الأخرى، وهو قديم لأهل الحيرة كانوا يعبرون عليه إلى ضياعهم في السواد[4]، ومن ثَمَّ تسير القوافل باتجاه الشمال الشرقي وصولًا إلى النعمانية[5]، ويعبرون نهر دجلة إلى المدائن على جسر قيل فيه «بناه شابور ذو الأكتاف على دجلة للمقبلين والمغادرين وهو من الآجر»[6]، ومن المرجَّح أنَّ جسر النهروان[7] هو نفسه جسر شابور أو يقع بالقرب منه[8]، والواقع أنَّ تجار المناذرة تنقلوا في أغلب أسواق الفرس، لأنَّ تجارة الفرس كانت في أيديهم[9]، فتحكموا بها، ولكن في أوقات الحرب كان الفرس يهددون التجار، فيفرضون ضرائب مرتفعة فيقطعون مصادر التجار بالكامل[10]،

(١) سَمَرْقَنْدُ: مدينة قديمة من بناء شمر أو كرب فسميت شمركنت، فأعربت فقيل: سمرقند، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٤٦، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٥٣٥.
(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٢١، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٩٣.
(٣) الطبري، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٨٦.
(٤) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٥١.
(٥) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٢.
(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٩، الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص٨٧.
(٧) النَهْرَوَانُ: كورة واسعة بين بغداد وواسط، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥.
(٨) اليعقوبي، **البلدان**، تحقيق أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٧١.
(٩) أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، م.س، ص١٣.
(١٠) Runciman. S, **Byzantium Civilization**, p.164.

وتُكمل القوافل في انحرافها المستمر نحو الشمال الشرقي لتأخذ قسطًا من الراحة في دسكرة[١][٢]، ذات التجمع السكاني في الأرض شبه المستوية، ويجب ألّا نغفل دور انبساط الأرض في تسهيل مرور القوافل[٣]، ويستمر السير في الاتجاه الشمالي الشرقي لتحط في جلولا[٤][٥]، ومن بعدها بمسافة غير قصيرة تأخذ قسطًا من الراحة في قصر شيرين[٦]، وفيما بعد حلوان[٧]، وتستمر القوافل في السير باتجاه الشرق لتقطع بعض المناطق، وبعد أن تصعد الجبال صعودًا حادًا[٨]، تستقر في قرميسين[٩][١٠]، التي تعتبر مفترق طرق، الأول باتجاه الجنوب الشرقي نحو نهاوند[١١]، ثم همذان[١٢]، والثاني يتجه مباشرة باتجاه الشرق من قرميسين ليصل إلى همذان[١٣]، ويلتقي بالقوافل القادمة من نهاوند، ومن بعدها تسير القوافل باتجاه الشرق المنحرف قليلًا نحو

---

(١) الدَّسْكَرَةُ: قرية في طريق خراسان قريبة من شهرابان، وهي دسكرة، كان هرمز بن شابور بن أردشير بن بابك يكثر المقام بها، فسميت بذلك، والدسكرة في اللغة الأرض المستوية، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٥٥.

(٢) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٨، قدامة، أبو الفرج بن جعفر (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م)، **نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩، نشر دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص١٩٧.

(٣) خلف، جاسم محمد، **جغرافية العراق**، م.س، ص٤٠.

(٤) جَلُولاء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، كان بها واقعة مشهورة للمسلمين على الفرس سنة ١٦هـ/٦٣٨م، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص١٥٦.

(٥) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٨، قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٩٨.

(٦) قصرُ شِيرينَ: مدينة قديمة بناها كسرى إبرويز، وهي قريبة من قرميسين بين همذان وحلوان، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٥٨، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٤٤٠.

(٧) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٩، قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٩٨.

(٨) لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، م.س، ص٢٣.

(٩) قَرْميسينُ: بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخًا، نظر قباذ في بلاده فلم يجد فيها بين المدائن إلى بلخ بقعة على الجادة أنزه ولا أعذب ماء ولا نسيماً من قرميسين، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٣٠.

(١٠) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٩، قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٩٨.

(١١) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، من بناء نوح ﷺ، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٣١٣.

(١٢) همذان: سميت بهذا الاسم نسبة إلى همذان بن الفلوج بن سام وهي أكبر مدينة بالجبل، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٤١٠.

(١٣) قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٩٨ ـ ١٩٩.

الشمال، لتتوقف في الري[١][٢]، ومن بعدها نيسابور[٣][٤]، ثم طوس[٥]، لتنحرف نحو الشمال الشرقي، وتصل إلى مرو[٦][٧]، وبعدها تدخل القوافل في سرخس[٨][٩]، لتسير بعدها في صحراء ورمال لا عمارة بها[١٠]، إلى أن تصل إلى بلخ[١١][١٢]، ومن ثم تستمر القوافل بالسير باتجاه الشمال الشرقي لتصل إلى بخارى[١٣]، ومن الأخيرة يتحول السير باتجاه الجنوب الشرقي، لتصل إلى مدينة سمرقند[١٤]، ومنها إلى فرغانة[١٥]، لتدخل بعدها إلى الأسواق الصينية.

---

(١) الرَّيّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخًا، قديمة من أيام كيخسرو بن سياوش الذي أقام بحملة وعاد إلى بابل، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١١٦.

(٢) قدامة، **الخراج**، م.س، ص٢١١.

(٣) نَيْسابور: سميت بذلك لأن سابور مرَّ بها وفيها قصب كثير، فقيل: نيسابور، ومن الري إلى نيسابور مائة وستين فرسخًا، ومنها إلى سرخس أربعين فرسخًا، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٣٣١.

(٤) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٢٢ ـ ٢٣، قدامة، **الخراج**، م.س، ص٢٠١.

(٥) طوسٌ، مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، فتحت في أيام عثمان بن عفان، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٤٩.

(٦) مَرْو: أشهر مدن خراسان وقصبتها، بين مرو ونيسابور سبعون فرسخًا، ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخًا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخًا، وهي مدينة قديمة ذكرها النبي محمد ﷺ، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١١٢ ـ ١١٣.

(٧) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٢٤، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٣١٩، قدامة، **الخراج**، م.س، ص٢٠٢.

(٨) سَرْخَس: مدينة قديمة من نواحي خراسان، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، وقيل: سميت باسم رجل من الذعار في زمن كيكاوس، وأتم عمارتها ذو القرنين الاسكندر، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٠٨.

(٩) الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص٢٧٢.

(١٠) لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، م.س، ص٢٣.

(١١) بَلْخُ، مدينة بخراسان، قيل إنها من بناء الاسكندر بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخًا، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠.

(١٢) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٣٢، قدامة، **الخراج**، م.س، ص٢٠٩ ـ ٢١١.

(١٣) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر، وهي مدينة قديمة، بينها وبين سمرقند سبعة أيام وسبعة وثلاثون فرسخًا، وهي في أرض مستوية، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٣٥٣ وص٣٥٥، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٥١٠.

(١٤) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٢٥ ـ ٢٦، قدامة، **الخراج**، م.س، ص٢٠٣.

(١٥) ابن خرداذبه، **المصدر نفسه**، ص٣٠، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٣٢٨.

- **الطريق بين الحيرة والشام:**

تنطلق القوافل من الحيرة إلى القطقطانة ثم البقعة، لتصل إلى الأبيض، ومنها إلى الحوش[١]، وتتَّجه إلى الجمع ومن بعدها الخطى[٢]، ثم الجبة[٣]، ومنها إلى القلوخي ثم إلى الروارى، وفيما بعدها الساعدة ثم البقيعة ومنها للأعناك[٤]، لتحط في أذرعات[٥]، ومن بعدها تصل إلى الشام[٦]، حيث تتموضع في بقعة لتتفرع منها الطرق في كل اتجاه، وكلُّ أغنياء العالم كانوا يقومون بالتبادل التجاري فيها[٧]، وتُقدَّر الفترة الزمنية اللازمة لهذا الطريق بحدود العشرة أيام على الأحصنة[٨].

ومن الشمال كانت القوافل التجارية تسلك طريق Strata الاسطراط ـ الطريق المعبد ـ الممتد جنوب مدينة تدمر، وادَّعى المنذر ابن ماء السماء ملكية هذا الطريق[٩]، الذي شُقَّ في عهد الامبراطور دقلديانوس Diocletian[١٠]، كان يصل بين دمشق وسرجيوبوليس sergiopolis ـ الرصافة ـ في الشمال الشرقي على مقربة من الفرات[١١]، ومن المرجَّح أنَّ تجار المناذرة سلكوا هذا الطريق لبيع سلعهم وبضائعهم في بلاد الروم، فهو من الطرق التجارية المهمة للدولة البيزنطية لأنَّه ينقل إليهم تجارة الخليج العربي[١٢].

- **الطريق بين الحيرة ومكة:**

يأخذ التجار طريقهم من الحيرة إلى القادسية ومنها إلى العذيب[١٣]، ويتَّجه إلى

(١) الحُوشِيُّ، منسوب، والحوشي من كل شيء، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣١٩.
(٢) خُطَى: موضع بين الكوفة والشام، **المصدر نفسه**، ص٣٧٨.
(٣) الجبَّة: قرية من أعمال طرابلس الشام، **المصدر نفسه**، ص١٠٩.
(٤) أعْنَاك: بليدة من نواحي حوران من أعمال دمشق، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٢٢٢.
(٥) أذْرِعاتُ: هو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، **المصدر نفسه**، ص١٣٠.
(٦) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٩٩.
(٧) Charlesworth. M. P, **Trade-route and commerce,** p.37 - 38.
(٨) Zachariah, **The Syriac Chronicle,** p.193.
(٩) Procopius, **Wars,** II, p.261 - 263.
(١٠) دقلديانوس Diocletian، ملك الروم لمدة عشرين سنة امتدت بين (٢٨٤ ـ ٣٠٥م).
- Theophanes, **The Chronicle,** p.5.
(١١) عبد الوهاب، لطفي، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٣٠١.
(١٢) Runciman. S, **Byzantium Civilization,** p.164.
(١٣) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٨٥، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٥٣، قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٨٥.

المغيثة[١] القرعاء[٢]، واقصة[٣]، العقبة[٤]، القاع[٥]، زبالة[٦]، الشقوق[٧]، البطان[٨] وهي قبر العبادي[٩][١٠]، ومنها إلى الثعلبية[١١][١٢]، وهي ثلث الطريق إلى مكة[١٣]، ثم إلى زورد[١٤] منازل طيء، الأجفر[١٥]، ثم مدينة فيد، وأهلها طيء وهي نصف الطريق[١٦]، وتعتبر أجل مدينة في جبل شمر اليوم[١٧]، ثم إلى

(١) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٢٥ ـ ١٢٨، قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٨٦.
(٢) القَرْعاءُ: منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة، وقبل واقصة، إذا كنت متوجهًا إلى مكة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٢٥.
(٣) واقِصَةُ: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة، لبني شهاب في طيء، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٣٥٤.
(٤) العَقَبة: منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة، وهو ماء لبني عكرمة بن بكر بن ماء، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص١٣٤.
(٥) القاعُ: منزل في طريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه إلى مكة، ومنه يرحل إلى زبالة، **المصدر نفسه**، ص٢٩٨.
(٦) زبالَة: منزل معروف بطريق مكة والكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص١٢٩.
(٧) الشُقوقُ: منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة، وبعدها تلقاء مكة بطان وقبر العبادي، وهو لبني سلامة من بني أسد، **المصدر نفسه**، ص٣٥٦.
(٨) بِطان: منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٤٤٦.
(٩) قَبْرُ العِبادِيّ: منزل في طريق مكة من القادسية إلى العذيب ثم المغيثة ثم القرعاء ثم واقصة ثم العقبة ثم القاع ثم زبالة ثم شقوق ثم قبر العبادي ثم الثعلبية، وهي ثلث الطريق، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(١٠) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٢٦، اليعقوبي، **البلدان**، م.س، ص١٥٠، قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٨٦.
(١١) الثَّعلبيَّةُ: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق، وقيل: الخزيمية، وهي ثلثا الطريق، سُمّيت بثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٧٨.
(١٢) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٢٧، قدامة، **الخراج**، م.س، ص١٨٦.
(١٣) ابن رسته، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٥٣ ـ ١٥٤.
(١٤) زَرُود: رمال بين الثعلبية والخزيمية، بطريق الحاج من الكوفة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٣٩.
(١٥) الأجْفر، موضع بين فيد والخزيمية، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخًا نحو مكة، **المصدر نفسه**، جـ١، ص١٠٢.
(١٦) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٥٤.
(١٧) لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، م.س، ص١١٢.

توز[١] وهي منازل طيء، سميراء[٢]، لتصل إلى الحاجز[٣]، وأهلهما قيس وأكثرهم بنو عبس، والنقرة[٤][٥]، وهذه الأخيرة مفترق طرق، فمن أراد المدينة ذهب إلى بطن نخل[٦][٧]، ومن أراد مكة نزل المغيثة الماوان[٨]، ثم الربذة[٩]، السليلة[١٠]، العمق[١١]، معدن بني سليم[١٢]، أفيعية[١٣]، المسلح[١٤]، ثم غمره وذات عرق، ثم بستان ابن عامر[١٥] ليصل بعدها إلى مكة[١٦]. وهذا الطريق النجدي أصبح بعد

---

(١) تُوز: منزل في طريق الحاج بعد فيد للقاصد إلى الحجاز، دون سميراء، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٨.

(٢) سَمِيراء: منزل بطريق مكة بعد توز مصعدًا وقبل الحاجز، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٢٥٥.

(٣) الحاجز: موضع قبل معدن النقرة، وقيل: دون فيد حاجز، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٢٠٤.

(٤) النَّقِرَةُ: موضع بطريق مكة يجيء المصعد إلى مكة من الحاجز إليه وفيه بركة وثلاث آبار، وعندما تفترق الطريق فمن أراد مكة نزل المغيثة ومن أراد المدينة أخذ نحو العسيلة، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٢٩٩.

(٥) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٢٧، اليعقوبي، **البلدان**، م.س، ص١٥٠، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٥٣ ـ ١٥٥، قدامة، **الخراج**، ص١٨٦.

(٦) بَطْنُ نخل: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٤٤٩.

(٧) اليعقوبي، **البلدان**، م.س، ص١٥٠.

(٨) مَاوَان: هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة فغلب عليه الماء، فسمي بذلك الماء ماوان، وكانت منازل عبس، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٤٥.

(٩) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وهي من القرى القديمة في العصر الجاهلي، ابن رسته، م.س، ص١٥٦ ـ ١٥٧، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٢٤.

(١٠) السَّلِيلَةُ: وهو موضع من الربذة إليه ستة وعشرون ميلًا، وهي ماء لبني الحارث بن ثعلبة، **المصدر نفسه**، ص٢٤٣.

(١١) العُمَقُ: منزل في طريق مكة بعد واقصة، وقبل القاع لمن يريد مكة، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص١٣٤.

(١٢) مَعْدِنُ بني سُلَيْم: هو من أعمال المدينة على طريق نجد، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٥٤.

(١٣) أفَيْعِيَة: منهل لسليم من أعمال المدينة في الطريق النجدي إلى مكة من الكوفة، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٢٣٣.

(١٤) المَسْلَحُ: اسم موضع من أعمال المدينة، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٢٨.

(١٥) بُستان ابن عامر: وهو بستان ابن مَعْمَرَ، مجتمع النخلتين اليمانية والشامية، وهما واديان، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٤١٤.

(١٦) اليعقوبي، **البلدان**، م.س، ص١٥٠، الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص٢٧.

الإسلام يعرف بطريق زبيدة[١]، وما تزال آثاره باقية حتى الآن[٢].

وهناك طريق أخرى تسمى بالمُنْكدر[٣] وهو على وادي السباع[٤][٥]، يمتد من البصرة إلى المنجشانية[٦]، الحفير، الرحيل[٧]، الشجى[٨]، الخرجاء[٩]، ماوية، وسميت بماوية بنت النعمان بن المنذر، وذلك أنها كانت تبدو إليها، ثم ذات العشر[١٠]، لتصل فيما بعد إلى الينسوعة[١١]، السمينة[١٢]، النباج[١٣]، العوسجة[١٤]، القرنتين[١٥]،

---

(١) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٢٦٢.

(٢) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٣) المُنْكَدِرُ: هو طريق يسلك من الشام واليمامة، وقيل: طريق من الكوفة إلى اليمامة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٢١٦.

(٤) وادي السّباع: موضع بين البصرة ومكة، بينه وبين البصرة خمسة أميال، وسميت بذلك لأن أسماء بنت عمران بن الحاف بن قضاعة كانت تنزلها، ويقال لها أمّ الأسبع، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٣٤٣، الحميري، **الروض المعطار**، م.س، ص٦٠٣.

(٥) الحربي، **مناسك الحج**، م.س، ص٥٧٣.

(٦) المَنْجَشَانِيّةُ: منزل وماء لمن خرج من البصرة يريد مكة، وهي على ستة أميال من البصرة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٢٠٨.

(٧) الرُّحَيْلُ: منزل بين البصرة والنباج بينه وبين الشجي أربعة وعشرون يومًا، بينه وبين البصرة عشرون فرسخًا، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٣٧.

(٨) الشَّجّي: الطريق من المدينة إلى البصرة يسلك من الشجيّ والرحيل في القف، وبين الشجي وحفر أبي موسى ثلاثين ميلًا، وهي على ثلاث مراحل من البصرة، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٣٢٦.

(٩) الخَرْجاء: عين ماء قريب من الشجي، يقع بين البصرة وحفر أبي موسى في طريق الحاج من البصرة، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٥٦.

(١٠) ذو عُشَر: واد بين البصرة ومكة من ديار تميم، من نواحي نجد، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص١٢٥.

(١١) يَنْسُوعَةُ: منهلة من مناهل طريق مكة على جادة البصرة، بها ركايا عذبة الماء عند متقطع رمال الدهناء بين ماوية والرياح، بينها وبين النباح مرحلتان نحو البصرة، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٤٥١.

(١٢) السُّمَيْنَةُ: أول منزل من النباج للقاصد إلى البصرة، فيه آبار عذبة، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(١٣) النِّبَاجُ: بين مكة والبصرة، وهي من البصرة على عشر مراحل، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٢٥٥.

(١٤) عَوْسَجَةُ: في بلاد باهلة من معادن الفضة يقال لها عوسجة، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص١٦٨.

(١٥) القرنتين: موضع على أحد عشر ميلًا من فيد للقاصد مكة، وقال القرنتان تثنية قرنة بين البصرة واليمامة في ديار بني تميم، **المصدر نفسه**، ص٣٣١.

رامة[١]، إمرة، طخفة، ضرية، وما زالت خرائبها ظاهرة على بضعة أميال غرب الرياض الآن[٢]، وتكمل القوافل سيرها في رمال الصحراء لتختار التجمعات السكنية حول العيون فتتوقف في جديلة[٣]، فلج، الدفينة[٤]، قبا[٥]، الشبكية[٦]، وجرة، ذات عرق، ومنها إلى البستان ثم مكة[٧].

والواقع أن طريق الحيرة ـ مكة هو من تأسيس المناذرة لأنَّه لم يكتب عنه إلّا في أوائل القرن الأول الميلادي؛ ما يدل على حداثته[٨]. وأورد الواقدي نفس المحطات التجارية، ولكنه عنونها من البصرة إلى الكوفة[٩]، والمرجح أنَّه سار من البصرة يريد مكة.

كان الطريق الأوَّل أقصر من الثاني، لأنَّ خالد بن الوليد عندما أتى من المدينة إلى العراق سلكه[١٠]؛ ما يدل على أنه كان أكثر ارتيادًا من قبل القوافل التجارية.

وتتموضع سفوان على طريق وادي السباع، وهي مفترق طريق، فمنها تسلك إلى كاظمة وهي على ضفة البحر، ولها طريقين أحدهما يمضي إلى اليمن والآخر إلى اليمامة، فمن أراد اليمامة أخذ ذات اليمين، ومن أراد اليمن أخذ تلقاء الجنوب[١١].

ب ـ الطريق البحري:

تفرض الطبيعة، وفي كثير من الأحيان، وخاصَّةً في العصور القديمة، نفسها على النشاط الاقتصادي، فالخليج العربي أجبر العرب على ركوبه وسبر أغواره بسبب

---

(١) رامَةُ: هي منزل بينه وبين الرّمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنها إلى إمرة، وبين رامة والبصرة اثنتي عشرة مرحلة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٨.

(٢) لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، م.س، ص١١٢.

(٣) جَدَيلَة: اسم مكان في طريق الحاج من البصرة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص١١٥.

(٤) الدَّفينَةُ: ماء لبني سليم على خمس مراحل من مكة إلى البصرة، **المصدر نفسه**، ص٤٥٨.

(٥) قُبا: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة فيها آبار ومياه عذبة، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٣٠٢.

(٦) الشُّبَيْكَةُ: تقع بين مكة والزاهر على طريق التنعيم، بينه وبين وجرة أميال، **المصدر نفسه**، ص٣٢٤.

(٧) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٨) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٢٩٧.

(٩) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٢.

(١٠) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٣٩، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٠٧.

(١١) الحربي، **مناسك الحج**، م.س، ص٥٧٣ ـ ٥٧٤.

إطلالهم عليه، فأتاح لهم أن يتعلموا مهنة الملاحة منذ القدم، فأُرجعت إلى الفترة البابلية[١]، ورُدَّت إلى فترة أطول قدمًا[٢]. بالإضافة إلى نهر الفرات الصالح للملاحة، فرؤية الملاحين والغواصين فيه كان أمرًا طبيعيًا[٣]، ووصلت السفن ببضائعها إلى الحيرة[٤]، وكانت سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت[٥]، وشُكّك في هذه الرواية واعتبرها أسطورة[٦]، مع أن الفرات صالح للملاحة، ويتميز باتساع مجراه وضعف قوة تياره[٧]، فلذلك لا نرَ عجبًا في هذه الرواية. والملاحظ أنَّ لتجارة الحيرة مع الهند شأن عظيم، ومعرفة بين القبائل العربية والممالك الأخرى، فقد أوضح الخليفة أبو بكر لخالد بن الوليد بأن يبدأ بالأبلة أثناء الفتح الإسلامي للعراق لأنَّها فرج الهند[٨]. واندهش عتبة بن غزوان[٩] عندما فتح الأبلة مرة أخرى في عام (١٤هـ/ ٦٣٥م)، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بأنّ الأبلة هي مرفأ سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين[١٠]، فذِكْرُ هذا الكمِّ من البلدان والمدن يدل على ازدهار تجاري بحري منقطع النظير كانت تعيشه الأبلة، الميناء البحري على الخليج العربي، الذي تتمُّ عبره صفقات تجارية كبيرة[١١].

والسؤال المطروح: هل كانت التجارة إلى الشرق بيد الفرس أم المناذرة؟

---

(١) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad,** p.59.

(٢) Charlesworth. M. P, **Trade-route and commerce,** p.41.

(٣) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، ص٧٩، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٣٩.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٢٤٠.

(٥) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٤٧٩.

(٦) حوراني، جورج فضلو، **الملاحة في المحيط الهندي من العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى**، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٠، ص١١٢.

(٧) خلف، جاسم محمد، **جغرافية العراق**، م.س، ص٤٠.

(٨) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٠٧، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٩٧.

(٩) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني (ت١٦هـ/٦٣٨م) أحد الذين هاجروا إلى الحبشة زمن الرسول ﷺ، وشهد معركة بدر (٢هـ/ ٦٢٤م)، استعمله عمر بن الخطاب على البصرة وكان مع سعد بن أبي وقاص بالقادسية، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٤، ص٢٠١.

(١٠) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٩١، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٤٧٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٤٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٣٣٥.

(١١) Charlesworth. M. P, **Trade-route and commerce,** p.67.

إنَّ «التجارة فيما بين سيلان[1] والمناطق الواقعة غربها في أيدي الفرس، والملاحة العربية فلا نسمع عنها شيئًا أبدًا»[2]، بينما يُرى أن «الفرس لم يكونوا يومًا أمَّةً بحرية ذات شأن... ولقد أبدى العرب في الخليج تفوقًا حاسمًا على الفرس في البحار»[3]، ونردُّ على هذين القولين المتناقضين بما يُظهر جلية الأمر: «طلب جستنيان من الأحباش أن يشتروا الحرير من الهنود، ويبيعونه للرومان، فيكسبوا بذلك ربحًا طائلًا، ولكنهم عجزوا عن الوفاء بوعدهم لأنَّ التجار الفرس في سيلان كانوا دائمًا يشترون شحنات الحرير القادمة من الصين بأكملها»[4]، وتحليل هذا القول يُظهر أن الفرس احتكروا التجارة البحرية القادمة من الشرق بعد سيلان، كما يبيِّن أن سيلان كانت نقطة نهاية تجارة الهند والصين من الشرق إلى الغرب، ونقطة بداية تجارة الفرس من الشرق إلى الخليج العربي، فالتجار الفرس والعرب لم يتوجهوا إلى الصين مباشرة إنما حصلوا على منتجات وسلع الصين بشكل غير مباشر عن طريق تجار الهند، وكذلك فعل الرومان[5]، ويعني أيضًا أن التجار العرب قاموا بنقل البضائع من سيلان إلى العراق عبر الخليج العربي ثم حملوها برًا إلى سورية وما ورائها.

ففي فترة السلام بين الفرس والبيزنطيين ٣٨٤ ـ ٥٠٢م، كانت التجارة العالمية تتمّ عبر وادي الفرات والخليج العربي[6]، بل إن الجزء الأكبر من التجارة الهندية من دون شك تنقل عبر الخليج العربي[7]، فالعرب أخذوا طرفًا في تجارة المرور «الترانزيت» وكانت لهم الريادة في هذا الميدان[8]؛ ما يعطي انطباعًا واضحًا لمشاركة المناذرة فيها، وإلّا لكانت التجارة مرَّت عبر البحر الأحمر ثم البحر المتوسط.

ـ الطريق التجاري البحري:

أبحرت السفن التجارية من الأبلة، وعلى أبعد تقدير لم تمخر عباب الخليج العربي، إنما سايرت الشاطئ لتصل إلى كاظمة[9]، ثم البحرين، وتحطُّ في جزية،

---

(١) سيلان (سرَّنديب)، جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند، وهي تشرع على بحر هركند وبحر الأعباب، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢١٥ ـ ٢١٦.
(٢) حوراني، جورج فضلو، **الملاحة في المحيط**، م.س، ص٩٦.
(٣) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٢٧٠.
(٤) Procopius, **Wars**, I, p.193.
(٥) Theophanes, **The Chronicle**, p.217.
(٦) Lewis. B, **The Arabs in History**, p.23.
(٧) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.105.
(٨) بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص١٣٦ ـ ١٣٧.
(٩) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٧٢.

الخط التي كانت سفن الرماح القادمة من الهند ترفأ إليها[1]، وتكمل مسايرة الشاطئ لترسوا في العقير[2] لعبد قيس، وهي فرضة الصين وعمان والبصرة واليمن[3]، ثم الزارة، وهي فرضة من فرض البحر سكانها عبد القيس أيضًا[4]، وتكمل السفن الإبحار لتتوقف في المشقر[5]، حيث كان سكان فارس يقطعون البحر إليه ببياعاتهم، وتساير السفن الشاطئ حتى صحارى بعُمان، ثم دبا وهي إحدى فرض العرب[6]، لتصل إلى عُمان وهي مفترق طرق[7]، فمنها كانت تتجه المراكب إلى الغرب لتصل إلى الشحر[8][9]، لتكمل من بعدها إلى عدن[10]، والطريق الآخر تتجه السفن إلى الجنوب الشرقي بمساعدة الرياح الموسمية[11] في شهر نيسان؛ ما يدل على أنَّ السفر عبر البحر كان في فصل الصيف فقط[12]. وتساير السفن الشاطئ لتصل إلى سرنديب[13]، وكان هناك خط تجاري يربط الشاطئ الغربي للخليج العربي بالشرقي، وعلى ما نظن كان بين هجر وميناء سيراف[14]، حيث

---

(١) **المصدر نفسه**، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٨.
(٢) العُقَيْرُ: قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص١٣٨.
(٣) الحربي، **مناسك الحج**، م.س، ص٦٢٠.
(٤) **المصدر نفسه**، ص٦٢١.
(٥) المُشَقَّرُ: مأخوذة من الشقر وهي شقائق النعمان، ونسب إلى عبد القيس، وهم أهل البحري، وهو قصر بالبحري، وقيل هي مدينة هجر، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٤، ص١٢٣٢، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٣٤.
(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٧١.
(٧) الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص٢٧.
(٨) الشحر: تقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٣٢٧.
(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٧١.
(١٠) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص٦٠ ـ ٦١، أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٥٣.
(١١) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.59.
(١٢) Charlesworth. M. P, **Trade-route and commerce**, p.44.
(١٣) سَرَنْدِيبُ: جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢١٥ ـ ٢١٦.
(١٤) سِيرافَ: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديمًا ميناء الهند، **المصدر نفسه**، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

أرسل كسرى جيشه في السفن من فارس إلى هجر[١]، واهتدى الملاحون في البحر والمحيطات بالنجوم[٢] ففي الشمال يظهر دائمًا مجموعة نجوم الدب الأكبر والأصغر، وبعد تحديد الشمال فالذي يقابله الجنوب، وإلى اليد اليمنى الشرق، وعلى اليد اليسرى الغرب.

٢ ـ وسائل النقل

أ ـ وسائل النقل البرية:

في فيافي الصحراء القاحلة وشمسها الحامية، ورمالها الساخنة التي تكاد تحرق الأقدام وتعمى العيون فلا ترى فيها نبتًا يطعمك ولا شجرة تظلُّك، ولا ماء يرطب جوفك، وقد أخمص بطنك وتصبب عرقك، وخارت قواك وارتعدت فرائصك، فبينما أنت كذلك تهب عليك العواصف برياحها اللاحقة، ورمالها المتقاذفة، فلا تستطيع تحمل مصاعبها وعطشها وجوعها إلا الجمال التي استخدمت بشكل واسع في الأعمال التجارية[٣]، والعير[٤][٥]، ونلاحظ أنَّ الفُرس استعملوا البغال والجمال في وسائل نقلهم التجارية ولكنهم اعتمدوا على البغال بشكل أكثر[٦]، بينما المناذرة اعتمدوا على الإبل بسبب الطبيعة الصحراوية، فالجمال أكثر تحمُّلًا للسفر في الصحراء من البغال، رغم أنَّ هذه الأخيرة أسرع، فالمسافر سيرًا على الأقدام يمكن أن يقطع عشرين ميلًا يوميًا، بينما إذا كان على حصان مع حمولته يقطع نصْف المسافة في اليوم[٧]، والجمل المحمل بالبضائع يمشي تسعين ميلًا بين ١٥ ـ ٢٠ ساعة[٨].

وللمحافظة على جودة السلع والبضائع وعدم تلفها جراء أشعة الشمس المحرقة،

---

(١) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص١١١.

(٢) حوراني، جورج فضلو، **العرب والملاحة**، م.س، ص٩٢.

(٣) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٦٧، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩. Joshua The Stylite, **The Chronicle of Joshua**, p.46.

(٤) العِيرُ: القافلة وكل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٦٢٤.

(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٧، **والديباج**، م.س، ص١١٠، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٥.

(٦) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.331.

(٧) Charlesworth. M. P, **Trade-route and commerce**, p.43.

(٨) Pellat. CH, **Encyclopaedia of Islam**, III, p.668.

وعواصف الرمال، استعملوا الجواليق[١]، والغرائر[٢]، والمسوح[٣][٤]، والصناديق[٥] المصنوعة من الخشب لنقل بضائعهم على الحيوانات.

وفي سياق متصل حاول بعض الأفراد وأحيانًا القبائل استغلال الازدهار التجاري في سبيل تحقيق مآربهم الخاصة، فمشهد القوافل المحمَّلة بالبضائع والسلع منظر جميل، استرعى انتباه بعض الناس إلى الثروة التي تكتنزها، فأثارت رغبة في نفوس اللصوص وقطاع الطرق، فبنو عامر تعرضوا للطيمة النعمان بن المنذر ونهبوها[٦]، وسلب بنو يربوع بن حنظلة لطيمة النعمان أيضًا وباعوها بسوق عكاظ[٧]، ونهب بلعاء بن قيس[٨] لطائم النعمان بن المنذر مرتين في تهامة[٩]، ولم تسلم قوافل تجارة الفرس التي كان يجيرها ملوك المناذرة من النهب والسلب، حيث تعرَّض بنو تميم، وقيل: بنو حنظلة مرارًا لقوافل كسرى المتجهة من شبه الجزيرة العربية إلى العراق[١٠]؛ لذلك كثيرًا ما عمل الفرس على حماية الطرق والقوافل من اللصوص[١١].

بإزاء هذا الواقع خلص المناذرة إلى ضرورة خفر هذه القوافل من قبل أشخاص لهم باع طويل في التجارة ومعرفة بالطرق والممرات التجارية الأمنة[١٢]، واستفاد

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٨، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣٢٠.

(٢) الغرائر: جمع الغرارةُ، الجوالق، وهي للتبن، معربة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٨.

(٣) المسوح: جمع المِسْحُ: الكساء من الشعر، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٥٩٦.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٨، ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، م.س، جـ١، ص٥١.

(٥) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٩، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٨.

(٦) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٧٢، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٥٠٦.

(٧) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ٣٤٤.

(٨) بلعاء ابن قيس بن عبد الله بن الشداخ، كان فارسًا، شاعرًا، سيدًا، أبرصًا، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، جـ١، ص١٨١.

(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٥، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٦٧، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ٢، ص١١.

(١٠) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٧، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص١١٧.

(١١) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.67.

(١٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٧، **الديباج**، م.س، ص١٠٢، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٥.

الرجال الذين رافقوا هذه الحملات ماديًا حيث درَّت عليهم أرباحًا مالية كبيرة[1]، وإذا كان هذا التصرف قد كفكف بعض الدمع، لكنه لم يستطع أن يضمد الجراح المفتوحة على الجوف؛ لذلك اتَّفق ملوك المناذرة مع زعماء القبائل ليضمنوا أمن القوافل التجارية التي تمرُّ في أراضيهم[2]، ولا ننسى فضل الجيش البيزنطي الذي كان ضمانة كبرى لأمن التجار والمسافرين من خلال أبراج المراقبة والحواجز العسكرية التي أقاموها في سورية[3]، وقابل المناذرة هذه الإجراءات بأعمال أمنية مشابهة، «فالمرأة كانت تخرج من الحيرة إلى الشام ولا يروعها أحد»[4]. مع التذكير بأن نظرية الأمن المطلق لم ولن تكن موجودة لا قديمًا ولا حديثًا، لذا رغم هذه الإجراءات الاحترازية، والاحتياطات المسبقة، لم تمنع عملية السلب وسرقة القوافل بشكل نهائي، رغم أشد درجات العقوبات التي اتَّبعها ملوك المناذرة لمعاقبة قطاع الطرق، فالنعمان بن المنذر صلب رجلًا من عبد مناف بن دارم بن تميم لأنَّه كان يقطع الطريق[5].

ب ـ علم الاهتداء في الصحارى والبراري:

في غياهب الصحراء الرملية المتحركة وأودية البراري والهضاب وجبالها، استعان التجار بعلم عظيم الشأن للاهتداء في الطرق، فهناك دلالات ظاهرة لا يعرفها إلَّا من تدرَّب عليها، فبلاد بني تميم أنَّما هي مفارز وصحارى لا يهتدى لمسالكها وأماكن آبارها إلَّا من جهلها[6]؛ لذلك استعان بأدِلَّاء[7]، وهي مهنة عملَ بها قوم من الناس[8]؛ ما يدل على اتساع التجارة.

ومن وسائل الاستدلال الاهتداء بالنجوم، ولعل هذا من عمل الأدلَّاء أيضًا، فكانوا عالمين بالنجوم يهتدون بها[9]، «فإن كان من ناحية المشرق، كخراسان، استقبلت منازل الشمس والقمر، إن كان مسيرك ليلًا والسماء مصحية، وجعلت

(١) Gilman. A, **The Story of the Saracens**, p.60.

(٢) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya**, p.149.

(٣) Charlesworth. M.P, **Trade Route and Commerce**, p.41.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٢٤٠.

(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٠.

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٦٠.

(٧) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٧٣، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٨٠.

(٨) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص١٧.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٦.

الجدي[1]، وبنات نعش[2]، على يسارك، والشعريين[3] وسهيلًا[4] على يمينك، وإن كان في ناحية المغرب استدبرت منازل القمر وجعلت الجدي وبنات نعش على يمينك، والشعريين وسهيلًا على يسارك، وإن كان في ناحية اليمن، جعلت منازل القمر على يسارك، وجعلت الجدي وبنات نعش وراءك، وسهيلًا أمامك، وإن كان في ناحية الشام، جعلت منازل القمر على يمينك، وجعلت الجدي وبنات نعش أمامك، وسهيلًا وراءك»[5].

فبعد إتقان فنَّ الاستدلال بالنجوم لم يعد التجار يجدون صعوبة في المشي ليلًا، فجذيمة الأبرش يعتبر أول من أدلج[6] من الملوك[7]، وقصير كان يكمن في النهار ويسير في الليل[8]، وسار التجار وعامة الناس ليلًا[9].

واعتمدوا على فالفَرْقدانِ، وهما نجمان في السماء لا يغربان، ولكنهما يطوفان بالجدي[10]. واللاحب، الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع[11]. أمّا الأصواء، مفردها صوَى: وهي أعلام من الحجارة مرتفعة ومنصوبة يستدل بها على الطريق[12][13]، والآرَامُ، مفردها إرم، وهي الأعلام أي حجارة تجمع وتنصب في

(١) الجَدْي: من النجوم، يدور مع بنات نعش، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص١٣٥.

(٢) بناتُ نعش: سبعة كواكب، أربعة منها نعش لأنها مربعة، وثلاث بنات نعش الواحد ابن نعش، لأن الكواكب مذكر فيذكِّرونه على تذكيره، **المصدر نفسه**، جـ٦، ص٣٥٥.

(٣) الشعريين: مفردها الشعرى، كوكب ينير يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدو الحرّ، وهما الشعريان، العبور التي في الجوزاء، تزعم العرب إنهما أختا سهيل، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٤١٦.

(٤) سُهَيْلًا: كوكب يرى بالحجاز وفي جميع أرض العرب ولا يرى بأرض أرمينية، بين رؤية أهل الحجاز سهيلًا ورؤية أهل العراق أياه عشرين يومًا، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٣٥٠.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، **الأنواء في مواسم العرب**، (د.م)، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م، ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٦) أَدْلَجَ القوم: إذا ساروا الليل كله، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٧) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣١٢.

(٨) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٨، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٥١.

(٩) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٥٠.

(١٠) حمزة الأصفهاني، **الدرة الفاخرة**، م.س، جـ٢، ص٥٥٢، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٣٣٤.

(١١) ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٣٣٧.

(١٢) **المصدر نفسه**، ص٤٧٢.

(١٣) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٣٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٦٣.

المفازة يُهتدى بها[١][٢]؛ ما يدل على الاهتمام بالطرق التجارية وتنظيمها بعلامات لتعريف المسافر بالمسالك التي يجب السير فيها للوصول إلى المنطقة التي يريدها.

ومن وسائل الاستدلال الرياح، فكل جهة تهب منها الريح لها اسم ونوع معيَّن، «فيستدل على المشرق بنسيم الصبا[٣] وروحها، فأن تأتي من ناحيته، وعلى المغرب بريح الدبور[٤] وحرّها في الصيف وعجاجها، وعلى اليمن بريح الجنوب وليونتها، وعلى الشام بالشمال[٥]، وبرودها في الشتاء، وبارحها[٦] في الصيف»[٧].

ت ـ وسائل النقل البحري:

استلزم النشاط التجاري البحري الاستعانة بأسطول من السفن تتحمل عواصف وأهوال البحار والمحيطات، وهي كانت كثيرة في فترة المناذرة[٨]، وتعدَّدت أنواعها كلًا منها بحسب الحمولة والوزن المعدِّ لها، فالعَدَوَلِيَّةَ، سفينة منسوبة إلى قرية في البحرين يقال لها عدولى[٩]، وابن يامن، رجل من تلك القرية، ولا نعرف لماذا نُسبت العدولية إلى مرفأ الحبشة[١٠]، وقيل: إنه يهودي من أهل خيبر[١١]، ولكن هذا غير دقيق، لأن ابن يامن من أبناء البحرين ويمتلك بساتين النخيل بين الصفا[١٢] والمشقر[١٣]، ولو كان تاجرًا من خيبر أو الحبشة لما امتلك هذه البساتين في أرض

---

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص١٤ ـ ١٥.

(٢) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٥.

(٣) الصّبا: ريح معروفة تقابل الدبور، مهب الصبا من مطلع الثريا إلى بنات النعش، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٤٥١.

(٤) الدَّبُورُ: ريح تأتي من دبر الكعبة مما يذهب نحو المشرق، وقيل: هي التي تأتي من خلفك إذا وقفت في القبلة، وهي الريح التي تقابل الصبا، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٢٧١.

(٥) الشمال: الريح التي تهب من قِبَل الشام عن يسار القبلة، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٦) البارح: الريح الحارة في الصيف، والبوارح، الرياح الشدائد التي تحمل التراب، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٤١١.

(٧) ابن قتيبة الدينوري، **الأنوار**، م.س، ص١٩٥، و**الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣١.

(٨) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص١٢٤.

(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٤٣٦، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٥، ص٤٧٤.

(١٠) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٢٧١.

(١١) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٧ ـ ١٩٨، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠٦.

(١٢) الصفا: حصن بالبحرين هجر، وقيل هضبة في بلاد تميم، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٤١١ ـ ٤١٢.

(١٣) **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٣٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٤، ص١٢٣٣.

المناذرة. وربما كانت العدولية من أشهر وأهم أنواع السفن[١].

واستعملوا القراقير[٢]، وهي سفينة ضخمة كانوا يضعون الإبل عليها لعبور الفرات[٣]، وهي لفظة فارسية الأصل[٤]. ومن أسماء السفن الفلك[٥]، والجارية[٦]، والخلية[٧]، وهذه أسماء سفن كبيرة الحجم، أمّا الصغيرة فهي الزورق[٨]، والبوصى[٩][١٠]، فمصطلحات المراكب الصغيرة أعجمية معربة[١١]؛ ما يدل على تأثر المناذرة بالفرس بصناعة سفنهم. وصنعت السفن من خشب الساج «النارجيل»[١٢] المستورد من الهند[١٣]، وتُشدُّ ألواح الخشب إلى بعضها بعضًا بواسطة خيوط[١٤] ألياف جوز الهند[١٥]، ولم يعرف العرب السفن غير المخروزة إلّا أيام الحجاج بن يوسف الثقفي[١٦][١٧]، أي أنَّهم لم يدخلوا المسامير في صناعتها

---

(١) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٨٦.

(٢) القراقير: مفردها القرقور، ضرب من السفن، وهي السفينة العظيمة وتعتبر من أطول السفن، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٩٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٣٥٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ١، ص٧٠.

(٤) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٧١.

(٥) الفُلْكُ: السفينة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٧٩.

(٦) الجارية: السفينة، **المصدر نفسه**، جـ١٤، ص١٤١.

(٧) الخلية: السفينة التي تسير من غير أن يسيرها ملاح، وقيل هي التي اتبعها زورق صغير، والخلية العظيمة من السفن والجمع خلايل، **المصدر نفسه**، ص٢٤١.

(٨) الزَّوْرَقُ: هو القارب الصغير، **المصدر نفسه**، جـ١٠، ص١٤٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٣، ص١٩٢.

(٩) البُوصِيُّ: ضرب من السفن، الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٥٤.

(١٠) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(١١) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٥٤ وص١٧٣.

(١٢) النارَجيلُ: هو شجرة جوز الهند، وهي بطول شجرة النخيل تقريبًا، غير أنها لا تكون قاسية، تتصف بالليونة وتميل حتى تصل إلى الأرض أحيانًا، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٥، ص٧٢٨.

(١٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص١٧٢.

(١٤) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٦٥.

(١٥) حوراني، جورج فضلو، **العرب والملاحة**، م.س، ص٧٣.

(١٦) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (٤٠ ـ ٩٥هـ/ ٦٦٠ ـ ٧١٤م) قائد، داهية، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، ولاه عبد الملك مكة، المدينة، الطائف ثم أضاف إليه العراق، بنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٢، ص٢٩ ـ ٥٣.

(١٧) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٦٩.

بسبب طبيعة خشب الساج الذي يضعف ويتكسر إذا ضرب المسمار فيه، ولحمايتها من الصدأ، ودهنت السفينة بمادة عازلة تحمي الخشب من العوامل المناخية وملوحة المياه وتمنع تسرُّب المياه، وتسد الشقوة والفتحات بمزيج من القار[(١)(٢)] أو الرايتنج[(٣)]. وللاستفادة من الرياح الموسمية وضعوا الشراع كالملاءة الواسعة فوق خشبة تصفقه الريح فتمضي بالسفينة، وسُيِّرت بعض السفن بالمجاذيف الكثيرة التي شُبِّهت بالسياط بسبب طولها[(٤)]، والدقل[(٥)] سهم السفينة، والقلس[(٦)] حبلها، والجؤجؤ[(٧)] صدرها، والكوثل[(٨)] ذنبها[(٩)]، وهو الذي توجه السفينة به، والمردى[(١٠)] والقيقلان خشبة يدفع بها السفينة، ورأسها في الأرض، والمرساة آلة تُرسى بها السفينة[(١١)].

٣ ـ الأسواق

عرف النظام الاقتصادي الجاهلي في بلاد المناذرة نظم الأسواق التي كانت ذات شهرة واسعة، وما تزال آثار السوق والطرق ماثلة حتى الآن في عين التمر[(١٢)]، فالسوق هو المكان الذي يلتقي فيه البائع والمشتري لتبادل المنافع بينهما، حيث

(١) القيرُ: وهو صعر يذاب فيستخرج منه القار، وهو شيء أسود تطلى به السفن يمنع المّاء أن يدخلها، قيرت السفينة طليتها بالقار، وقيل هو الزفت، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٢٤.

(٢) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٧١.

(٣) الرِايتنج: وهو صمغ الصنوبر، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٢٢٧، المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٩١.

(٤) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٣٠.

(٥) الدقل: سهم السفينة، وهو جذع شجرة النخل، لذلك يكون طويل تشد في وسط السفينة ويمتد عليها الشراع، وتسميه البحرية الصاري، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٢٤٦، وانظر أيضًا: الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٧٢.

(٦) القَلسْ: حبل ضخم من ليف بسماكته وقوته ومتانته، وهو حبل غليظ من حبال السفن، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٢٢١، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٨٠.

(٧) الجُؤجُؤ: صدر السفينة، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٤٢.

(٨) الكَوْثَل: هو السُّكَّان، أي ما تسكن به السفينة لتمنع من الحركة والاضطراب، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٢١٠.

(٩) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢١٠.

(١٠) المُرْدِيّ: خشبة يدفع بها الملاح السفينة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٤٠٢.

(١١) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٦٦.

(١٢) Bell. G.L, **Amurath to Amurath**, p.143.

تُحدد قيمة المعروض طبقًا لحجم العرض والطلب. ومن أهم أسواق المناذرة:

ـ **سوق الحيرة**: فرضت العاصمة السياسية على التجار إقامة سوق فيها، وخير ما قيل فيه: إنَّه سوق عظيمة موسمية[(١)]، سمح لجميع الناس البيع والشراء[(٢)]، في متاجره العظام[(٣)]، التي ملأت المسافات بين أماكن إقامة القبائل[(٤)]، ونال من السمعة والشهرة ما جعل التجار يتوجهون إليه في كل سنة[(٥)]، لما فيه من سلع نفيسة مطلوبة ومرغوبة في بلاد العرب[(٦)]، ما جعل الحيرة تشتهر بكثرة الأموال[(٧)]، فالحملات التجارية التي زارتها عادت بأرباح مالية كبيرة[(٨)]، وبقيت شهرة هذا السوق حتى بعد زوال مملكة المناذرة، فسوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف بن عمرو الثقفي[(٩)(١٠)]؛ ما يدل على معرفة جميع التجار بهذا السوق، وكثرة السلع والبضائع المتنوعة المصادر المعروضة فيه، بالإضافة إلى توفر الأمن والسلامة.

ـ **سوق الخنافس**: سوق يتوافى إليه الناس ويجتمع به ربيعة وقضاعة[(١١)]، وأهل الأنبار[(١٢)]، وعندما غزا المثنى بن حارثة[(١٣)] في سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م الخنافس، قال لرجاله: لا تأخذوا إلّا الذهب والفضة، ولا تأخذوا من المتاع إلّا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته[(١٤)]؛ ما يدل على كبر السوق وغزارة السلع والبضائع

(١) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٣٧٤.

(٢) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ١، ص٤٤.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٤٧٩.

(٤) Trimingham. J. S, **Christianity among the Arab**, p.201.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٣٦٩.

(٦) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٣٠١.

(٧) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٠.

(٨) Gilman. A, **The Story of Saracens**, p.60.

(٩) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(١٠) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٥، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٦.

(١١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٧٦، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٤٩.

(١٢) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٩٤.

(١٣) المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(١٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٧٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣٩١.

المتنوعة فيه، وكثرة الذهب والفضة تدلُّ على حركة بيع وشراء نشطة، وعدد كبير من الناس الذين يمارسون العمل التجاري فيه.

ـ **المشقر**: سوق بهجر يقوم في أول يوم من جمادى الأول إلى آخر الشهر، وتتولاه تميم، وقصده الفرس من البحر[1]، ويبدو أن هذا السوق كان من كبرى الأسواق، لقيامه لمدة شهر[2]، وبالمقابل فهو سوق موسمي تعرض فيه السلع والبضائع الموسمية للبيع.

ـ **سوق دبا**: سوق مهم بعُمان[3] امتلأ بسلع تجار السند والهند والصين، وأهل المشرق والمغرب، وموعده آخر يوم من رجب[4].

وذُكر سوقي الأبلة والأنبار[5]. ولم تقتصر حركة الأسواق على البيع والشراء، إنما اتخذت مهرجانًا ثقافيًا، له تأثير في مجموعة الأسس الاجتماعية والأخلاقية في الجماعات المختلفة، كما قام بوظائف إعلانية، ففي السوق يتعلم الإنسان الحيل والسحر والتنبؤ وعلم النجوم[6]، وفيها الأدب والشعر[7]؛ ما أتاح للحيرة أن تكوّن مركزًا للهو، فعُرفت بحاناتها[8]، التي ارتادها أكثر الناس، فانعكس النشاط التجاري للأسواق ربيعًا على جميع القطاعات الاقتصادية الأخرى.

٤ ـ الصادرات والواردات

ـ **الصادرات**: هي السلع والبضائع التي تصدرها الدولة أو المملكة إلى بلد آخر، ومن أهم صادرات المناذرة الطيب، القز، الطرائف، الثياب، العِطر، البَز[9]، الألطاف[10]، الجواهر، الخز، والديباج[11]، واشتهرت عين التمر بتصدير القَسْب[12]، والتمر إلى

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٧١، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٣١.
(٢) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٣٨٥.
(٣) الزمخشري، **الجبال والأمكنة**، م.س، ص١٢٧.
(٤) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٧١، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٣٥.
(٥) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، ص٣٦٩. (٦) **المصدر نفسه**، ص٣٦٩ ـ ٣٧٠.
(٧) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٣٨٠.
(٨) هبو، أحمد رحيم، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٧٤.
(٩) البَز: الثياب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٣١١.
(١٠) الألطاف: مفردها اللطف، الهدية والتحف، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٢، ص٤٨٠.
(١١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٦٢.
(١٢) القَسْب: التمر اليابس الذي يتفتت في الفم، صلب النواة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٦٧٢.

سائر البلدان وهو بها كثير جدًا[1]، وصُدِّر التمر الصرفان[2][3]، المسك، كسًّا[4]، قطفًا، طنافس، نطوع[5]. أمّا طريقة استخراج المسك من الغزلان فمتنوعة، إحداها تعتمد على قتل الغزال، فعندما يكتمل القمر بدرًا، يتكون كيس أو تورُّم يحتوي من الدم المتجلط حول منطقة الصرة، وعندئذٍ يعمد الذين يشتغلون في صيد هذا الحيوان للاستفادة من ضوء القمر لهذا الغرض، فيقطعون الغشاء، ثم يجففونه بعد ذلك هو ومحتوياته في الشمس وعند ذلك يتجلّى نوع من المسك[6]. ومن مصنوعاتهم المشهورة التي صدروها النعال[7]، ونلاحظ أن هناك بعض السلع والمنتجات مثل المسك لم تكن من إنتاج المناذرة، وهي ضمن قائمة الصادرات، وسبب ذلك أن الحيرة كانت مركزًا تجاريًا وترانزيت يعرض في أسواقها «ما يعرف في بقية أسواق العرب»[8]، وازدهرت تجارة البشر «فالمناذرة باعوا رجالًا أشوريين في أسواق بيزنطة»[9].

واستخرج سكان بلاد المناذرة اللؤلؤ من الخليج العربي، فمهنة الغوص كانت معروفة لدى المناذرة[10]، والوقت المحدد لصيد صدف اللؤلؤ في شهري نيسان وأيار[11]، ومن المحتمل أنَّهم صدَّروا اللؤلؤ إلى جهات مختلفة.

وصدَّروا الخمر، فلا بد لأي زائر أو تاجر يذهب للحيرة غير أن يشتري الخمر

(١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص١٧٦.
(٢) الصَّرفَانُ: ضرب من التمر واحدته صرفاة، وهو أجود أنواع التمر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٩٣.
(٣) التيمي، **الديباج**، م.س، ص١١١، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٩٨.
(٤) كسّا: الكِسوةُ: اللباس، واحدته الكسا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٥، ص٢٢٣.
(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٩٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٧٦.
(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص١٨٠.
(٧) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ١، ص١٥٩، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص١٣.
(٨) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٣٨٠.
(٩) Theophanes, **The Chronicle**, p.54.
(١٠) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٥٦.
(١١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص١٦٨.

من حوانيتها[١]، حيث لمعاصر الخمر في طيزناباذ شهرة واسعة[٢]، بسبب جودتها ولذتها[٣] حيث كان من أهم ما يتاجر به العرب، وليس باستطاعتهم الاستغناء عنه[٤]، ولم يقتصر تصدير الخمر إلى العرب، بل نُقل إلى ملك سرنديب الذي كان يُفضّله[٥].

ـ **الواردات:** تفرض عملية التجارة على روادها العودة بقوافلهم التجارية محملة بالسلع والبضائع التي تلقى رواجًا في الأسواق، لتحقق أرباحًا تجارية، ما يعني استيراد البضائع والسلع من الخارج إلى الداخل، ولو لم يفعل ذلك لما حقق التجار أرباحًا مالية ضخمة، فالنعمان بن المنذر كان يبعث بلطيمة فتُباع، ويُشترى له بثمنها، الأدم، والحرير، والوكاء، والحذاء، البرود من العصب، الوشي المسيَّر، والعدني»[٦].

فالأدام هو ما كانت تُصدِّره قريش من نتاجها الخاص[٧]، واشتهرت الطائف بالأدام الذي كان يُصدَّر إلى الحيرة أيضًا[٨]. والحرير من السلع التجارية المهمة التي اضطلع المناذرة بتصديرها إلى الخارج، وبنفس الوقت استوردوها من الخارج ـ ترنزيت ـ وذلك بسبب عملية الاحتكار الواسعة التي رافقت هذه السلعة، حيث قام الفرس بمنع ايصال هذه السلعة إلى البيزنطيين وذلك من خلال احتكار تجارة هذه السلعة القادمة من الشرق[٩]، بسبب الأرباح المالية التي كانت تدرُّها على التجار الفرس والعرب، ولم يكن أمام البيزنطيين للتخلص من احتكار الفرس والمناذرة غير أن قاموا باستغلال البعثات التبشيرية النسطورية، وأرسلوا راهبًا في عام ٥٥٢ أو ٥٥٤م، حيث وصل برًا إلى الصين، وقام بوضع بعض القز في عصا كان يتكأ عليها[١٠]، لكن ذلك لم يُنهِ المشكلة إنّما حل جزءًا بسيطًا منها، فتربية الشرنقة في

(١) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٣٩٤، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص١٣.
(٢) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٤١٧، المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٨٣.
(٣) المفضل الضبي، **المصدر نفسه**، ص٤١٨.
(٤) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٥٨.
(٥) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١١٩.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٥٧.
(٧) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٥٣٥.
(٨) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٦، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٠٣.
(٩) Procopius, **Wars, I**, p.193.
(١٠) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.115, Runciman. S, **Byzantium Civilization,** p.166.

الغرب البيزنطي يحتاج إلى وقت، لأنَّ الإنتاج لم يكن كافيًا على الإطلاق، ولا شك في أن الخبرة كانت تجعل الحرير الشرقي أجود من الأصناف المصنوعة في المزارع البيزنطية الحديثة العهد[١]. وقيل: إنه بعد وقت غير قصير أصبح الحرير واسع الانتشار في الامبراطورية البيزنطية، ومن ثم بدأت عملية استيراده من الشرق تتدهور[٢]، ولكن هذا التحليل غير دقيق على أبعد وجه، فاستيراد الحرير من الصين استمر لفترة طويلة حتى عهود إسلامية متأخرة، لأنَّ مصدر الحرير الأصلي من الصين، ورغم أن الحرير كان ينتج في الهند، لكن الحرير الصيني كان أفضل[٣].

واستورد المناذرة الحرير من عكاظ[٤]، وهذا يعني أن ذلك حصل في فترة السلام بين الفرس والبيزنطيين، أي في الفترة التي سمح بها الفرس والمناذرة للسفن التجارية بالتوجه من سيلان إلى عدن فالبحر الأحمر، لأنَّ احتكار الحرير من الهند إلى العالم سبَّب حروبًا كثيرة بين الفرس والبيزنطيين[٥].

وجلبوا البرود من عكاظ[٦]، وهذا عنوان الترف المادي الذي وصلت إليه حضارة المناذرة. وأحضروا الفضة من اليمن[٧]، حيث كان الذهب والفضة كثير في أسواق المناذرة[٨]، ومن المرجَّح أنَّهم جاؤوا بهما من عكاظ واليمن.

وأعجبوا بالحديد والفولاذ الهندي، وقطعًا للطريق على أي تأويل، فالسيوف الهندية تؤكد جودة ونوعية هذا المعدن الهندي، قال مالك بن نويرة في سيف قابوس:

عليه دلاص ذات نسج وسيفه   جران من الهندي أبيض مقضب[٩]

ورست السفن المحمَّلة بالرماح في جزيرة الخط[١٠]، وهذه الرماح صُنعت من

(١) سحاب فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٢٣٨.
(٢) Runiman.S, **Byzantium Civilization**, p.166.
(٣) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.113.
(٤) التيمي، **الديباج**، م.س، ص١٠١.
(٥) De lacy O'Leary. D.D, **Ibid**, p.115.
(٦) التيمي، **الديباج**، م.س، ص١٠١.
(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦.
(٨) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٩١، الطبري، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٧٧.
(٩) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٥١٣، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤١٣.
(١٠) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٧٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٨.

خشب القنا الآتي من الشرق، واستعملوا النبع، شجر القسي[1]، لصناعة الأسلحة التي استوردوها من اليمن. ودخل التجار بالعطر إلى الحيرة[2]، فالرقي المادي والحضاري الذي انتعشت به بلادهم دفعهم إلى استعمال العطر والطيب. وشوهدت الحيوانات الغريبة والبعيدة عن بيئة المناذرة الصحراوية تباع في أسواقهم، ومنها القرود التي بيعت في أسواق الحيرة[3]، ومن المرجَّح أنَّهم جاؤوا بها من بلاد الهند وأفريقيا.

ولزيادة الطعام طيبًا ونكهة استطيبوا البهارات فاستوردوها ومن أنواعها الفلفل[4][5]، والقرنفل[6][7] وبُخِّرت الكنائس والبِيَع في الطقوس والمناسبات الدينية[8] بالعود[9] الهندي[10]، ومن اسمه الهندي فهو منسوب إلى بلاد الهند. واحتوت قائمة الواردات على العنبر[11]، والكافور[12]، والجواهر، والخيزران، والعاج، والأبنوس[13] والصندل[14][15]. ومن الشام أحضروا الفسيفساء، وهي شيء

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٣١٩.
(٢) **المصدر نفسه**، ص٣٦٩.
(٣) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ٢، ص٤٤.
(٤) الفلفل: مفردها فلفلة، شجرة تشبه شجرة الرمان وبين الورقتين حوالي عشر سنتمترات، ثمرها أخضر، يجنى ثم ينشر في الظل فيسود وينكمش، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٣٢.
(٥) الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص١٥٤.
(٦) القرنفل: شجرة مدارية تزرع على نطاق تجاري بسبب التوابل التي تنتجها، حيث تستخرج التوابل من الجزء الداخلي للبذرة البنّية للشجرة، ترتفع حوالي واحد وعشرين مترًا وتعتبر من الأشجار الدائمة الخضرة، **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ٨، ص٦٠١.
(٧) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٥ وص٧.
(٨) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.113.
(٩) العُوْد: هو الخشبة المطراة التي يدخن ويستجمر بها، غلب عليها الاسم لكرمه، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٣١٩.
(١٠) الجاحظ، **البخلاء**، م.س، جـ٢، ص٢٠٨، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٦.
(١١) العنبر: عطر بحري شهير ومن الطيب المعروف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٦١٠.
(١٢) الكافور: نبات له نورٌ أبيض كنور الأقحوان، طيب الريح، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٤٩ ـ ١٥٠.
(١٣) الأبنوس: خشب أسود صلب يمكن صقله لدرجة اللمعان المعدني، وتنمو أشجار الأبنوس في اليابان والهند، **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١، ص١٠١.
(١٤) الصَّندل: شجر طيب الريح، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٣٨٦.
(١٥) الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص١٥٤.

يطبخ من الزجاج والأحجار، ذا بهجة وألوان، يدخل فيها فرش من الأرض، والبنيان كالفصوص، ومنه على هيئة الكؤوس الشفافة[1]، وانعكس الرخاء المادي على حياة المناذرة فاستوردوا الجواري، خاصة الطبقة الحاكمة وأصحاب الأموال الميسورين، فحرقة بنت النعمان كان معها مئتا جارية[2].

٥ ـ بيوع الجاهلية

مارس المناذرة في أسواقهم أنماطًا مختلفة من البيع والشراء، وهناك نوعان من البيع:

بيع مالي: وهو التنازل عن السلعة نظير مال.

بيع مقايضة: وهو تبادل سلعة بسلعة أخرى، وهو نظام معروف ومتداول في الأسواق[3]، ولا شك أن المقايضة قد سبقت التعامل النقدي، وهي الأكثر انتشارًا والأسهل في التعامل التجاري[4].

وفي أنماط بيوع الجاهلية تعرَّض البائع والمشتري إلى الظلم ولحق بهما الإجحاف لأن العملية بمجملها تعتمد على الحظ، وبعيدة كل البعد عن كلفة وقيمة السلع والبضائع «فلا بد من التنبيه إلى أنها لم تكن تتخذ في جميع الأسواق، بل منها ما تمتاز به سوق من سوق وجماعة من جماعة»[5]. ومن أهم أنواع بيوع أسواق المناذرة:

ـ **بيع الرمي بالحَصَاة**: يقوم البيع على تراضي بين المتابعين، حيث يقول أحدهما للآخر: أرم هذه الحصاة فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم، وعندها وجب البيع، أو أن يبيعه من السلع والأرض والحيوانات ما تقع عليه الحصاة[6]. فهي عملية تفتقر إلى أدنى معايير الجودة والقيمة.

ـ **بيع الملامسة**: يقضي بأن يلمس المشتري السلعة من دون النظر إليها، فمجرد لمسه لها يوجب البيع[7]، وهو على أوجه عديدة، منها: «أن يأتي بثوب

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٢٩٢.
(٢) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٨١.
(٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٩٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٧٧.
(٤) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٣٥٩.
(٥) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٤٦.
(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٧٠، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص١٨٣.
(٧) ابن حبيب، **المصدر نفسه**، ص٢٧١، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٦، ص٢١٠.

مطوي فيلمسه المستلم، فيقول له صاحب الثوب: بعته بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته. والوجه الثاني: أن يجعلا نفس اللمس بيعًا بغير صيغة زائدة. والوجه الثالث: أن يجعلا اللمس شرطًا في قطع خيار المجلس وغيره»(١).

- **بيع الهمهمة**: هو بيع الكلام الخفي وكل صوت معه بحح، لكي لا يحلف أحدهم كذبًا(٢)؛ ما يدل على أن عملية غش واسعة كانت تحصل في عملية البيع والشراء.

- **بيع الإيماء والمساومة**: وهو أن يومي بعضهم إلى بعض فيتبايعون، ولا يتكلموا حتى يتراضوا بالإيماء(٣).

فهذه البيوع تدل على قصور فكري في العمل التجاري، واستعملها التجار في أسواقهم للمفاخرة بها وجعلها حديثهم المسائي، لأنها في نظرهم مصدر للجاه والشهرة، وصفات هذه البيوع «أقرب إلى القمار، وبه أشبه»(٤).

٦ ـ العملة المستعملة

لم يكن للمناذرة في الجاهلية سكَّة(٥) خاصة بهم، بل كانوا يعتمدون المقايضة، لكن فيما بعد طوّر الناس الأنظمة النقدية لتسهيل التبادل، ولتصبح التجارة ذات الحجم الكبير أكثر سهولة عند استخدام النقود وسيلة للتبادل، ومن خلالها لم يجد الناس صعوبة بالاتّصال التجاري مع الدول والممالك المجاورة، فعند تعامل التجار مع الفرس عادوا إلى بلاد المناذرة حاملين الدراهم الفضية التي هي من ضرب الفرس(٦)؛ ما أدى إلى الاعتماد عليها بشكل كبير في جميع المعاملات المالية المنذرية(٧).

(١) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ١، ص٢٦٥.
(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٧١، الألوسي، **المصدر نفسه**.
(٣) ابن حبيب، **المصدر نفسه**.
(٤) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٤٨.
(٥) السِّكَّةُ: هي الحديدة التي يضرب عليها الدراهم، وهي المنقوشة، وأرادوا الدينار والدراهم المضروبين، وسمي كل واحد منهما سكة لأنه طبع بالحديد المعلمة له، الماوردي، **الأحكام السلطانية**، م.س، جـ٢، ص٣٤٤، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٤٤٠ ـ ٤٤١.
(٦) البلاذري، **رسالة في النقود**، تحقيق إنستاس الكرملي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط٢، ١٩٨٧م، ص١٥، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص١٩٩، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٦، ص٢٣٨.
(٧) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٩، ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٣٩٤.

بسبب الارتباط السياسي بين المناذرة والفرس، استمرَّ تداول الدرهم الفارسي حتى بعد الفتح الإسلامي للعراق، وكان شكل الدرهم «ذو وجهين: على إحداهما صورة نصفية بوضع جانبي للملك الساساني الحاكم وقد اعتمد التاج الساساني، ونصوص باللغة الفهلوية تذكر اسم الملك وعبارات دعائية، أمّا الوجه الآخر فقد حمل دكة النار ويقف على جانبيها حارسان مدجَّجان بالسلاح ونصوص بالفهلوية تذكر مكان السك»(١)، وسمّى المناذرة العملة الفضية ورق، فالورق(٢) هو المال(٣)، ولتسهيل العمل المالي أكثر عملوا على تجزئة الدرهم إلى أجزاء لكل جزء قيمة حسب وزنه، «يضربوا منه مثقالًا، وزنه عشرين قيراطًا(٤) ويضربون منها وزن اثنتي عشر قيراطًا، ويضربون بوزن عشرة قراريط»(٥).

وشاع استعمال المثقال بين المناذرة(٦)، وذُكر بأن المثقال مسكوك من الذهب(٧)، واستعملوا دراهم الإسجاد(٨)، وقيل فيها: إنَّها عملة عربية قلَّدهم الفرس في صناعتها(٩)، ولا نعتقد ذلك؛ لأنه كان عليها صورة كسرى، فمن أبصرها سجد لها(١٠)، لذلك سميت دراهم الإسجاد، وذُكر أن الجاهليين استعملوا الفضة في صناعة النقود(١١)، ولا نعتقد صحة هذه المعلومة، لأن العرب لم يطبعوا النقود إلا في العصر الإسلامي. وكما في أي عصر تعرضت النقود الفارسية للغش والتزوير، لأن المسكوكات المصنوعة من الفضة أغلى من المسكوكة من المعادن الأقل قيمة، «وكان تمييز هذه النقود يحتاج إلى خبراء متمرسين في معرفة العيار والوزن وما إلى

(١) عبد الرزاق، ناهض، **المسكوكات**، م.س، ص٣١. انظر الملحق رقم (٤).
(٢) الوَرَقُ: المال من الدرهم، وقيل الدراهم المضروبة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٣٧٥.
(٣) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص٩٧، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٨٢.
(٤) القيراط: نصف الدانق، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٣٧٥.
(٥) البلاذري، **رسالة في النقود**، م.س، ص٥١، الماوردي، **الأحكام السلطانية**، م.س، جـ٢، ص٣٤١.
(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٦، ابن حوقل، **صورة الأرض**، م.س، جـ١، ص٢٣٥.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢١، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٩.
(٨) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢١٨، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٢٠٦.
(٩) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٢٦.
(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٢٠٦.
(١١) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢١١.

ذلك»[1]، ففي خمّارة لبيع الخمر في الحيرة باع التاجر لرجل بعشرة دراهم جياد وردَّ له درهمًا زائفًا[2]؛ ما يدل على حذق التجار، واطّلاعهم المسبق على عمليات التزوير التي تلحق بالمسكوكات، وسمّوا صاحب هذه المهنة بالجِهْبِذ[3]، واختصَّ آل أبي دلف العباديين الحيريين بهذه المهنة[4]. ويبدو أن تزوير العملة كان مرحليًا، فعند فساد أمور الفرس السياسية كانت تزوَّر نقودهم[5]. وتعامل المناذرة بالذهب أيضًا كوسيلة للتبادل التجاري، لكنَّهم اعتمدوا في ذلك على الوزن بالأوقية[6][7]، ومصدر هذه العملة الدولة البيزنطية حيث دفعوا للمناذرة مبالغ سنوية من الذهب[8]، من دون ذكر نوع العملة، رغم أنهم عرفوا الدينار البيزنطي، واستعملوه في حياتهم الاقتصادية[9]، وشكل الدينار البيزنطي في أيام هرقل كان «عبارة عن قطعة مستديرة من الذهب، نقش على الوجه صورة هرقل لوحده أو مع ولديه، وقد قبض كل منهم على صليب طويل، وتُوِّج رأس الصليب بصليب آخر، أمّا الوجه الآخر للدينار فقد حمل نقش الصليب قائمًا على مدرجات أربعة تحيط بها عبارات دعائية»[10]، ومن المؤكّد أنهم استعملوا المسكوكات البيزنطية من الذهب إلى جانب الوزن في معاملاتهم التجارية، بسبب كثرة الدول والممالك المتعاملة بالدينار[11]، فقد عثر في الهند على عملة رومانية تعود إلى القرن الأول الميلادي في جنوب غرب الهند، بحدود (٦١٢) قطعة ذهبية[12]، فأجبر المناذرة على التعامل بالدينار لتسهيل عملهم

---

(١) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٢٥٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص١٣.

(٣) الجِهْبِذ: النقاد الخبير البارع والعارف بطرق النقد، وهي لفظة معرَّبة، جمعها الجهابذة، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٥، ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٤) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٧٨.

(٥) Zuqnin, **The Chronicle of Zuqnin,** parts III & IV, A.D. 488 - 775, Translated by Amir Harrak, Pontifical Institute of Mediaval Studies, Toronto, Canada, 1999, III, p.106.

(٦) الأوقية: عبارة عن أربعين درهمًا، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٥، ص٤٠٤.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨.

(٨) Procopius, **Wars,** II, p.351.

(٩) Zuqnin, **Ibid,** III, p.80.

ـ أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٣٥٨، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٤٠، وجـ٥، ص٦.

(١٠) عبد الرزاق، ناهض، **المسكوكات**، م.س، ص٣١. وانظر الملحق رقم (٥).

(١١) Zachariah, **The Syriac Chronicle,** p.195.

(١٢) De lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad,** p.75.

التجاري رغم أنه عملة أعدائهم التقليديين تماشيًا مع مصالحهم الاقتصادية.

وتسهيلًا للتبادل المالي استعملوا الفلس المصنوع من النحاس أو البرونز، وهي لفظة يونانية الأصل وقد استعارها المناذرة عن البيزنطيين[1]، وكانت تساوي أربعين نميًا[2]، والنُّمِّيُّ، فلوس الرصاص والنحاس وهي رومية الأصل، وتعامل الناس بها بالحيرة على عهد النعمان بن المنذر[3]، وشاع استعماله بين التجار حتى تغنّى بها الشعراء فيما بعد[4].

إذًا تعامل المناذرة بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية والنحاسية والرصاصية والبرونزية، «وكان معدنا الفضة والبرونز يُشكِّلان النسبة الكبرى منهما»[5]، فقد «كان العراق بلاد العملة الفضية»[6]، بسبب الخضوع السياسي للفرس، الذين غلب على أموالهم المعدن الفضي، ويوجد في المتاحف الأوروبية وعند بعض الخاصة نماذج منها[7]، وقُدِّرت للعملة المتداولة في بلاد المناذرة وما يقابلها منذ فترة غير طويلة فقيل: «يقدر الدرهم اليوم بأربعين فلسًا عراقيًا، ويقدرون الدينار بنصف ليرة فرنسية ذهبًا»[8]. ونظرًا لوجود عملات متعددة لممالك متنوعة مسكوكة من معادن مختلفة، أوجب ذلك وجود مراكز لتبادل العملات بعضها مقابل بعض، أي: صرفها[9]، فتطوُّر العمل التجاري واتساعه مع دول مختلفة أوجد صيارفة، أي أناس يتعاملون بالصيرفة[10]، فعشير بن البراء الصراف كان غلامًا نصرانيًا من أهل الحيرة، امتهن الصيرفة[11]، وحنين بن إسحاق[12] كان من أبناء الصيارفة في

---

(١) Udovitch. A. L, **Encyclopaedia of Islam,** II, P.768.

(٢) عبد الرزاق، ناهض، **المسكوكات**، م.س، ص٣٢.

(٣) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٣٠، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٩٣.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١٧، الجواليقي، **المصدر نفسه**، ص٣٣٠.

(٥) المعطي، علي، **تاريخ العرب الاقتصادي**، م.س، ص١٥٣.

(٦) سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش**، م.س، ص٢٥٤.

(٧) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٣٨٤.

(٨) الكرملي، أنستاس، **النقود العربية والإسلامية وعلم النميات**، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط٢، ١٩٨٧، ص٩٧.

(٩) الصَّرفُ: بيع الذهب بالفضة، أي صرف الدراهم بالدنانير وبالعكس، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٩٠.

(١٠) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٢٧.

(١١) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٨.

(١٢) حنين بن إسحاق، أبو زيد العبادي المشهور (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م)، كان إمام وقته في صناعة الطب، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٢، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

الحيرة[١]، ورغم أنَّ الأخير متأخر غير أنه يظهر حذق سكان الحيرة بالصيرفة عبر الخبرة المتراكمة، وأكثر من عمل بهذه المهنة أساقفة الحيرة[٢].

٧ ـ الموازين والمكاييل

لتقدير قيمة السلع والبضائع، استعمل التجار في عمليات بيعهم الموازين والمكاييل؛ ما زاد في دقة عملهم، فاستعملوا أعدل الموازين وأقومها: القِسطاس، وهو القبان، وقيل: هو ميزان العدل، أي: لوزن الدراهم[٣]. والميزان[٤][٥] ذو الكفين، كان معروفًا في ذلك الوقت، ولضبط الوزن وإعطاء القيمة المطلوبة استعملوا الأوزان الخفيفة، مثل: الأوقية[٦]. أما بالنسبة إلى المكاييل فهناك القفيز ويساوي ثمانية أرطال[٧]، وهو لفظ أعجمي معرب[٨]؛ ما يدل على اتساع التبادل التجاري بين الفرس والمناذرة، وتأثَّرت الأخيرة بنظام التبادل التجاري الفارسي، وتوحيد نظام المكاييل بين الأسواق؛ ما يُسهِّل مهمة التاجر ويُسرِّع عملية التجارة، وتسهيلًا لنظام الكيل استخدم الكر، وهو من القفيز[٩].

أمّا بالنسبة إلى المكاييل الكبيرة الحجم فهناك القُنْقَل، وهو مكيال عظيم ضخم يسع ثلاثة وثلاثين منًّا، وقدر وزن المنى برطلين[١٠].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص٢٥٨.

(٢) ماسينيون، **خطط الكوفة**، م.س، ص٩٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٧، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٧٦.

(٤) الميزان: الآلة التي يوزن بها الأشياء، له كفّتان، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٤٤٦.

(٥) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص١٧١ وص٢٣٧.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨.

(٧) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص١٧١ وص٢٣٧، الماوردي، **الأحكام السلطانية**، م.س، جـ٢، ص٣٣٢.

(٨) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٧٥.

(٩) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨.

(١٠) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٨٢، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٧١، وجـ١٣، ص٤١٩.

٨ ـ الضرائب

أسست مملكة المناذرة المرافئ التجارية والأسواق، وعملت على تأمين حمايتها، وصيانتها بشكل مستمر، مقابل الضرائب التي فرضتها على التجار.

وفي قصيدة تُظهر فرض النعمان بن المنذر الإتاوة قال يزيد بن خذاق في الجارود[١]:

ألا ابن المعلّى خلتنا وحسبتنا   صراريَّ نعطي الماكسين مكوسًا[٢]

فالماكِسُ، هو العشار، والمكْسُ، الدراهم التي تؤخذ من بائع السلع في الأسواق[٣]، فالمكس هو الضريبة التي تؤخذ من التجار والأسواق، والتي طالت جميع الأسواق من دون استثناء[٤]. وقُدِّرت نسبة الضرائب المجباة بالعشر، حيث كان في الأسواق والمرافئ من يعشِّرها[٥]، أي يأخذ ما نسبته عشرة بالمئة من أرباح التاجر، وهذه الضرائب «أشبه بالضرائب التي تجبيها حكومات اليوم على البضائع»[٦]؛ ما يظهر التطور الضرائبي الذي عمل به المناذرة، وبالتأكيد ساعدهم الفرس في تطبيق هذا النظام، وقطعًا للطريق على أي تأويل هو نظام مأخوذ من الفرس، ونرجّح أنهم تعلموا وأخذوا من النظام الضرائبي البيزنطي، الذي تميّز بدقته في المرافئ، فهناك «مكتب جماركي حكومي... يرسل ضابط... وكانت مهمة هذا الضابط إبقاء عيونه مفتوحة ليراقب أية سفينة تبحر من بيزنطة من دون الوثائق الرسمية التي تحمل تواقيع الموظفين المختصين ذوي العلاقة بهذا الأمر، فلم يكن مسموحًا لأية سفينة أن تبحر من بيزنطة إلّا بعد أن تكون قد فرغت على يد الرجال المستخدمين في مكتب قائد الحرس الامبراطوري، وبعد أن يتم تفريغها تمنح براءة الذهاب اللازمة ويُرخَّص لها بالإبحار، وقد أُلقي على عاتق ممثل الإمبراطور واجب آخر هو القيام بجمع ضريبة بسيطة من أصحاب السفن لم تكن باهظة ولم تضر

---

(١) الجارود، أبو غياث بن حنش بن المعلى ـ واسم المعلى الحارث ـ بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٩٦.

(٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٩٨، ورد: أيا ابن، بدل ألا إبن، الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٣٢٧.

(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٢٢٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٨، ص٤٧٧.

(٤) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٣٢٧، جـ٦، ص١٤٨، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٥) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢٧١، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٣٠.

(٦) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، ص٥٦.

بأحد»[١]، وكان البيزنطيون يجلبون الضرائب المحددة للامبراطور من التجار في سنة ٤٩٧م[٢]، فمن المحتمل أن المناذرة لارتباطهم التجاري وتعاملهم مع البيزنطيين فرض عليهم هذا النظام فاستفادوا من آليته لتطبيقه في مرافئهم وأسواقهم، وربما استعملوا نظامًا شبيهًا بالنظام الجمركي الحالي، لترتيب دخول وخروج السفن، ومراقبة الأسواق التي تميزت «بالنظام والأمن»[٣].

وقيل في نتائج التجارة: «إن معاشهم كان مرتفع المستوى، فاستعملوا أواني الفضة والذهب، وناموا على الفرس الحريرية، واستعملوا الطيوب، ولبسوا فاخر الثياب وشربوا الخمور»[٤]، فهذا التوصيف لحالتهم مصدره الأساس عوامل عديدة، منها الزراعة المزدهرة التي وصلت إليها الحيرة، واستعمال المواد الأولية الزراعية والمعدنية والحيوانية في الصناعة، فزاد في وفرة الراحة الاقتصادية وزيادة الإنتاج والحاجة إلى مواد أولية أخرى غير موجودة في بلاد المناذرة، ما فتح الباب واسعًا أمام عملية استيراد وتصدير مع جميع الدول والممالك المحيطة بهم، فانعكس ذلك عليهم رقيًا حضاريًا.

---

(١) Procopius, **The Secret History**, p.164.

(٢) Theophanes, **The Chronicle**, p.217.

(٣) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٣٨٢.

(٤) هبو، أحمد رحيم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، م.س، ص١٧٤.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية

أولًا ـ طبقات المجتمع.
ثانيًا ـ الأديان.
ثالثًا ـ العادات والتقاليد.
رابعًا ـ الملابس والتبرج والزينة.

أولاً ـ طبقات المجتمع

تألَّف المجتمع المنذري من طبقات اجتماعية، لم تأخذ البعد الطبقي بالمعنى المحدد للكلمة، ولكن حتَّمت الحالة الاقتصادية، والمكانة الاجتماعية، والأصل والنسب الذي ينتمي إليه أصحاب كل قبيلة[1] تقسيم السكان إلى عدة طبقات، وهي كالتالي:

١ ـ الطبقة الأولى: تتألَّف من: تنوخ، وهم من سكنوا المظال وبيوت الشَّعر والوبر في غرب الفرات، ما بين الحيرة والأنبار وما فوقها.

العباد، وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا بها.

الأحلاف، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيهم[2]، وأطلق على الأحلاف اسم عرب الضاحية[3]، وهم لا ينتمون إلى تنوخ ولا لعباد لكنهم ربطوا أنفسهم بسكان الحيرة، فقيل لهم: أحلاف[4]، ورُبط بين التقسيم القَبلي والديانة التي اعتنقها السكان، فالمسيحيون في الحيرة سُمّوا بالعباد تميُّزًا لهم عن بقية السكان[5]، أمّا العباد فهم الذين قيل عنهم بأنهم أهل الحرث فكانوا مزارعين يحرثون الأرض ويغرسون الغرس[6]، وهذا يعني أنهم كانوا مستقرين لا يرتحلون وراء الكلأ والماء، وبرأي العارفين: هذه درجة مهمة في حضارة الإنسان ورقيه.

فالتصنيف اعتمد على الحالة الاقتصادية ونوع المسكن، ومن المؤكَّد أنَّ الملوك المناذرة كانوا يحتلون المرتبة الأولى بين طبقات المجتمع منهم الصرحاء الأحرار أبناء القبيلة التي يجمع بينهم الجد الأول، والدم النقي والنسب المشهود فيه «فأعلى

(١) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٣٦٩.
(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٢، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٧.
(٣) الطبري، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣١٣، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٥٠.
(٤) Nicholson. R. A, **A Literary History**, p.38.
(٥) Nicholson. R. A, **Ibid**, p.138.
(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٢.

الرجال ملوكها»[1]، ومن الذين كانوا ينسبون إلى لخم: بنو مرينا، وبنو عدي بن الزميل، وكانوا أشرافًا في الحيرة[2]، اكتسبوا هذه المرتبة من نسبهم إلى القبيلة الحاكمة، وفي هذه الطبقة تشبيهًا لنظام البيزنطيين الطبقي، حيث الملك وأولاده وأخواته وزوجاته وأقاربه النبلاء كانوا في الدرجة الأولى في المجتمع[3]. وكان المناذرة الأشراف يعرفون من هيئتهم[4]، ويتميزون بأجسام صحيحة، وأذهان ذكية، وآداب حسنة[5].

أمّا بالنسبة إلى وضعهم المادي فهم أغنياء بطبيعة الحال، وأصحاب الجاه والنسب، وشُبهوا بالارستقراطية الحاكمة[6]، وكان الوصول إلى هذه الطبقة ليس بمستحيل، فالمحلق، وهو عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب، عندما زوَّج أخواته الثلاثة أخذ مهر كل واحدة مائة ناقة، فأصبح ميسورًا؛ لذلك انضمَّ إلى طبقة الشرفاء[7]. وللقوة الجسدية والعسكرية دورًا مهمًا في استحواذ درجة الشرف[8].

٢ ـ الطبقة الثانية: وتتألف من:

أ ـ الموالي: وهم عتقاء القبيلة، ويدخل فيها الخلعاء[9] الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائمهم وجناياتهم[10]، فالبراهن بن قيس الكناني، خلعه أهله، وتبرَّؤوا منه لأنه كان يجني الجنايات، فقدم على النعمان بن المنذر[11]. والشاعر

(١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٠.
(٢) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣.
(٣) John Ephesus, **Ecclesiastical history**, p.371.
(٤) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٧٠ وص١٠٦ ـ ١٠٧.
(٥) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٤٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٨.
(٦) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.67.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص١١٧.
(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١١٦، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٢٤، ص٨٠.
(٩) الخلعاء: مفردها الخَليعُ، هو الرجل الذي يجنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيتبرؤون منه ومن جناياته، ويقولون: إنا خلعنا فلاناً فلا نأخذ أحدًا بجناية تجنى عليه، ولا نؤاخذ بجناياته التي يجنيها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٧٧.
(١٠) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٦٧.
(١١) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٩٤، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٨٧.

«عمرو بن قميئة هرب فأتى الحيرة، وقال: لعمرو بن هند إن القوم أطردوني، فقال له: ما فعلوا إلا وقد أجرمت، وأنا أفحص عن أمرك، فإن كنت مجرمًا رددتك إلى قومك، فغضب وهمَّ بهجائه»[1]، فليس المقصود بالخُلَّع الذين خلعتهم قبائلهم فقط، بل الغرباء الذين انضموا إلى بلاد المناذرة أيضًا، ويخلع من قبيلته من يصبح سفيهًا مبزِّرًا لا أمل في إصلاحه، فتخلعه القبيلة وتتبرأ منه، ومثل ما حصل مع طرفة بن العبد[2]، وشُبِّه الذئب الضال بالخليع[3]، وكثيرًا ما كان الخليع يجد ضالته في الأقداح لتحديد طريقه والمكان المتوجه إليه[4].

فالخُلَّع قد يتجاوز عددهم المائة، ويكونون أسرى سجن، أي من قبيلة أخرى أو من بلاد أُخَر[5]، فهم لا يُعرف لهم نسب. والخلع هو ضد الاستلحاق، وهؤلاء ليس أصلهم عبيدًا، بل هم كانوا صرحاء فخلعوا، فأصبحوا منفيين، أو ربما كانوا هاربين من ثأر أو هاجروا إلى الحيرة بحثًا عن الثروة[6].

ب ـ السوقة[7]: وهم العامة وسواد الناس[8]، وكانت هذه الطبقة مشهورة بالحيرة[9]، ربما بسبب كثافة عددها، أو أنها آخر مرتبة في الترتيب الاجتماعي للسكان. والسوقة اسم مشتق من السياقة، أي رعاة الماشية، والرعية سوقة الملك لأن الملك يسوقهم ويصرفهم إلى ما شاء من أمره[10]، قالت حرقة بنت النعمان:

فبينا نسوس الناس، والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقةٌ نَتَنَصَّفُ[11]

ت ـ الخدم: وكانوا مخصَّصين للعمل في منازل المناذرة، وبشكل خاص لنساء

(1) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٨، ص١٤٠ ـ ١٤١.

(2) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٣، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٩١.

(3) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص١٣١.

(4) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٧٥.

(5) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٦١.

(6) Nicholson. R. A, **A Literary History**, p.39.

(7) السّوقة: يقال للواحد سوقة وللجماعة سوق، وهم بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك، سموا سوقة لأن الملك يسوقهم فينساقون، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص١٧٠.

(8) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٨٧.

(9) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠١ ـ ٤٠٢.

(10) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١٢٠.

(11) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٩. ورد: بينا، بدل: فبينا، تتنصف بدل ننتَصِف، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٢. ورد: وبتنا، بدل: فبينا، تتنصّف، بدل: ننتصف، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٣٣٥.

الملوك، وقيل عنهم: جواري[1]، فبنت عجلان كانت خادمة لفاطمة بنت المنذر[2]، وكان لحرقة بنت النعمان في ديرها بالحيرة ثلاثين جارية، لم يُرَ مثل حسنهن[3]، ومن المرجَّح أن هؤلاء الجواري كانوا غرباء عن العرب، يُشتروا من أسواق النخاسة[4]، وهؤلاء هم الرِّق[5]، أو كانوا أسرى حرب، والملاحظ كثرتهم في الحيرة، وفي نفس الوقت كانوا ذا قيمة، ففي حال محاولة كسب رضاء أي شخص ذي شأن يقدم له جارية كهدية[6].

ث ـ الإمَاء[7][8]: «وهؤلاء تدفعهن الحاجة والفاقة للعمل في خدمة الأخريات من أهل اليسر»[9]، وكان بعض هؤلاء عاهرات[10]، اختصصن بالدعارة.

ج ـ العبيد: أدنى طبقات المجتمع، ويُطلق عليه لفظتين: القين والمولى، والعبد القين هو الذي ولده أبواه عند سيدهما، فهو وارث العبودية[11]. وكان لهند بنت النعمان عبدان يزرعان مزرعة لها[12]، وحصل على العبيد إما من الحروب والغزو أو ممن يبتاعونهم في الأسواق المجاورة، فيصبح العبد من متاع الأسرة يستعبده أو يبيعه.

وإذا استولدت الأَمَةُ تُسمى أمّ ولد، أمّا ابنها فهو هجين[13]، وكانت حقوقهن

(1) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٩.

(2) ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**، ص١٢٢.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٩، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٣٣٥.

(4) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٨٥، المسعودي، **المصدر نفسه**، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(5) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٥٤.

(6) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٦، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٩.

(7) إماء: مفردها الأمة، المملوكة خلاف الحرة، أي المرأة ذات العبودية، ابن منظور، **لسان** م.س، جـ١٤، ص٤٤.

(8) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٨، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٢٢٢.

(9) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٣٢٧.

(10) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٧٢.

(11) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٢، وجـ١٣، ص٣٤٨.

(12) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٥، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٤١.

(13) الهَجِين: العربي ابن الأمة، وكان ذا أصل معيب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٤٣١.

مهدورة حيث لا يسمح لهم بالاختلاط الجنسي مع الطبقات الأخرى، فالهجين يتزوج هجينة مثله ولا يورث[1]، أمّا من ناحية ديَّة قتل الهجين فهي نصف ديَّة الصريح[2].

ونشير إلى أن عرب المناذرة لم يكونوا مجتمعًا واحدًا، فالتسلسل الطبقي لتلك المجموعات يمكن حصره بطبقتين اثنتين:

الأولى: تضم الملك وأخوته الأشراف ـ أقاربه ـ وأعيان دولته.

والثانية: تحتوي على الموالي والعبيد والإمَاء والخلعاء والسوقة والخدم. ولا يتكوَّن من ثلاث طبقات، حيث وضع الملك وأقاربه، والعبيد، والموالي وهم عتقاؤه[3]، ولا نجد إلّا الموالي والعبيد في نفس المستوى والقيمة الاجتماعية.

وقيل: لمَّا ظهرت الدعوة الإسلامية كان أهل العراق طبقتين كبيرتين: طبقة الفلاحين، وطبقة القبائل[4]، ونجد في هذا التصنيف تعميم على جميع أفراد المجتمع، وهو بحاجة إلى تفنيد أكثر. والسؤال الذي يطرح أين طبقة الصناع والفلاحين والتجار؟

إذًا قُسِّم المجتمع المنذري إلى طبقتين غير متكافئتين، فهذا يعني أن البشر لم يكونوا متساوين في الحقوق والواجبات، فقد كانت الثروة والشجاعة والنسب المعيار الذي قيست على أساسه السيادة والشرف والأهلية لاحتلال هؤلاء في تصنيفهم الاجتماعي وليس مهنتهم.

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٠، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص١٤١.
(٢) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ١، ص٧٣.
(٣) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٦٧.
(٤) الحسيني، عبد الرزاق، **العراق قديمًا**، م.س، ص٣٤.

ثانيًا ـ الأديان

الدين اختبار إيماني وجداني يُلهم الناس اختياراتهم الكبرى في الحياة، وهو أنظومة ثقافية فقهية يمكنها أن تهيمن على كل قطاعات الوجود. فالدين علاقة بين الإنسان ومعبوده، فهو فعل عبادة ناتجة عن إيمان بعد قناعة، وهو نتيجة الإيمان، والعمل يكون بممارسة الإنسان لطقوسه الدينية من صلاة وصوم وتقديم ذبائح... إلخ، ولم يكن سكان بلاد المناذرة على دين واحد، وإنّما كانوا مللًا مختلفة ومذاهب شتى، ومن أهمهم:

١ ـ المسيحية

«ليس نصارى[1] العراق غرباء أو دخلاء، بل إنهم وطنيون من سكانها القدامى، أقاموا وما برحوا يقيمون فيه منذ أقدم العصور إلى يومنا، وقد دانوا بالنصرانية في مطاوي القرن الأول للميلاد»[2]، تحمل هذه الجملة في ثناياها حقيقة تاريخية تتوافق مع حملة التبشير بالمسيحية التي قام بها مار[3] أدّى أحد تلاميذ السيد المسيح الاثنين والسبعين، وتلميذه مار ماري في أرض بابل والسواد، والذي مات ودفن بمدينة دير قنى[4] على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط[5][6].

(١) كان اليهود يبغضون المسيحيين أشد البغض، وهم الذين أطلقوا اسم النصارى عليهم احتقارًا، ونسبة إلى يسوع الذي كان من الناصرة، ومنهم اتخذ الفرس هذا الاسم وانتقل إلى العرب، شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٨.
(٢) بابوإسحق، روفائيل، **مدارس العراق قبل الإسلام**، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٥، ص٣٥.
(٣) مار، يقصد بها السيد، De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.60.
(٤) دَيرُ قُنَّى: يقع على ستة عشر فرسخًا من بغداد منحدرًا بين النعمانية، وهو على الجانب الشرقي، معدود في أعمال النهروان، وبينه وبين دجلة ميل، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٢٨.
(٥) واسِطٌ، سميت بواسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، وتبعد عن كل واحدة خمسين فرسخًا، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٣٤٧.
(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

وحُدّد تاريخ تأسيس مار ماري كرسيه في المدائن بـ٤٩م[١]، فتكون المسيحية قد وصلت إلى الحيرة بحدود ٥٠م على أبعد تقدير، ومن بعدها «مارست كنيسة الحيرة نشاطها في عزم، ونتج عن ذلك أن تحول كثير من عربها إلى المسيحية»[٢]، وذلك بسبب قرب الحيرة من مركز رئاسة كنيسة المشرق[٣]، واستمرت الديانة المسيحية بالانتشار بين سكان الحيرة[٤]، حتى أصبحت مركزًا قويًا للمسيحية[٥]. قال عمرو بن عبد الجن الجرمي مجيبًا لعمرو بن عدي:

وما قدَّس الرهبان في كلِّ هيكلٍ   أبيل الأبيلين المسيح بن مريما[٦]

وقيل: «إنَّ تنصُّر بنو غسان في دمشق في عصور متقدمة، وتبعهم اللخميون أخيرًا في الحيرة»[٧]، ولا نرجّح صحة هذه المعلومة لأن عملية انتشار المسيحية والتبشير بها كانت تتمُّ بشكل سريع على أيدي المبشرين، وهو بنى معلومته على قرب الغساسنة إلى الناصرة[٨] أكثر من المناذرة. والمرجَّح أن بني غسان أغلبهم كانوا مسيحيين، بينما المناذرة لم يكونوا جميعهم مسيحيين ولكن كان بينهم عدة قبائل أو بعض أفرادها كانوا مسيحيين[٩].

وأُرجع سبب «تنصر العباد بالحيرة لكثرة ترددهم إلى بلاد الروم للتجارة»[١٠]، صحيح لقد ساهمت التجارة في نشر المسيحية، ولكنها لم تكن العامل الأول في نشرها في بلاد المناذرة. وقيل: إن المسيحية انتقلت إلى الحيرة من خلال السجناء البيزنطيين المسيحيين الذين سجنوا من قبل الفرس، وانتقلوا فيما بعد إلى الحيرة[١١]،

---

(١) قاشا، سهيل، **الكنيسة العراقية**، م.س، ص١٩.

(٢) Bell. R, **The Origin of Islam**, p.26.

(٣) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٠٧.

(٤) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.198.

(٥) Bell. R, **Ibid**, p.172.

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٦.

(٧) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ٦ أجزاء، ترجمة عبد الحليم نجار، دار المعارف، القاهرة، ط٤، (د.ت)، جـ١، ص١٢٣.

(٨) النَّاصِرَةُ، قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلًا، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٢٥١.

(٩) Laurence. E, Browne. B.D, **The Eclipse of Christianity in Asia, Cambridge University Press, 1933**, p.13.

(١٠) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، هامش (١)، ص١٤٠.

(١١) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Mohammad**, p.157.

وهذه معلومة لا تصبُّ إلا في مجرى عوامل انتقال المسيحية إلى بلاد المناذرة، وهي ليست الوحيدة. فسبب انتشار المسيحية هو المبشرين بشكل أساسي[١].

ولا يمكننا التكهُّن بالاتّساع الأفقي لانتشار النصرانية في بلاد المناذرة، ولكن ذُكر «أن إيادًا كلها، وربيعة كلها، وتغلب، والنمر، وعبد القيس، كلهم نصارى... وطيء، وتنوخ وكثيرًا من كلب، وكلٌ من سكن الحيرة من تميم ولخم وغيرهم»[٢].

أمّا بالنسبة للاتّساع العامودي، فيمكننا التعرف إلى الملوك المناذرة الذين تحولوا إلى المسيحية أو ترعرعوا على هذه الديانة.

رُوي «إن عمرو بن عدي إليه تنسب الملوك النصرانية»[٣]، فهي إشارة صريحة إلى نصرانية عمرو بن عدي أول ملوك المناذرة، ولكن أول من اعتنق المسيحية من ملوك المناذرة هو امرؤ القيس بن عمرو[٤]، ورُبط تحوله إلى المسيحية بالمنفعة السياسية، فقد غيَّر تحالفه من الفرس إلى البيزنطيين، وانتقل إلى الأراضي الرومانية وأصبح متحدًا مع بيزنطة[٥]، ورُبط بين السياسة والدين، ففكرة تحول امرؤ القيس إلى المسيحية ما هي إلّا عملية نكاية في الفرس، ولكن نقش نمارة لا يتوافق مع هذه الفكرة.

وقد ترك النعمان بن امرئ القيس الملك وتنصر وساح في الأرض، وأُرجع سبب تنصره إلى رؤية في نومه[٦]، ولعلَّ هذه الرواية متأثرة بقصة تنصر قسطنطين[٧] الذي رأى في منامه رمحًا نزل من السماء عليه صليب فتنصَّر[٨]، ويعتقد أن تنصُّر النعمان أمر لم يثبت بعد، وليس من الضروري أن تكون روايات الرواة وأخبارهم حقائق صحيحة أو وثائق لا تقبل الشك، ولكن هذه الروايات تحملنا على الاعتقاد بأنَّ

---

(١) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٣٥، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٠٠.

(٢) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٩١، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٥٧.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٦.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٨، ذُكر أنه امرؤ القيس الكندي، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٠.

(٥) Shahid. I, **Byzantium and the Arabs**, p.419.

(٦) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٨٢.

(٧) قسطنطين المعروف بأمه هيلانة، حكم بين (٣٠٤ ـ ٣٣٦م)، وهو الذي تنصَّر من ملوك الروم، وبنى مدينة القسطنطينية، Theophanes, **The Chronicle**, p.240, &
ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٨) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٣٢.

النعمان كان يتأهب لتقبُّل المسيحية أو أنه كان يميل إليها، وأن رعاياه النصارى تمتعوا في عهده بحرية كاملة[1].

ورُجّح أن العائلة الحاكمة في الحيرة لم تعتنق المسيحية حتى القرن السادس الميلادي[2]، فهذه كلها تحليلات فردية لا نميل إلى تأييدها بشكل مطلق، لأنَّ أغلب الشعب الحيري تحوَّل إلى المسيحية، ولكن الطبقة الحاكمة بقيت وثنية حتى فترة متأخرة[3]، فمن المحتمل أن الملك اعتنق المسيحية، ولكن نحن نعلم على مَرِّ الزمان أن الملوك لا يكترثون كثيرًا بالأمور الدينية، بل معظمهم يهتم بالملذات الشخصية بسبب داء العظمة الذي يصيبهم جراء وصولهم إلى سدة الحكم.

وتعتبر قصة تنصُّر المنذر بن امرئ القيس شيّقة وجميلة، حيث كان له غرين[4] أقامهما على قبري نديميه اللذين قتلهما، واتخذ لهما يومين في السنة يوم البؤس ويوم النعيم. وكان يقتل في يوم بؤسه أول من يمرُّ عليه، فمرَّ عليه رجل من طيء يقال له: حنظلة بن أبي عفراء فأراد قتله فاستمهله سنة، وكفله في ذلك شريك بن عمرو[5]، وبعد انقضاء السنة عاد حنظلة الطائي، فسأله المنذر، ما الذي رجع بك وقد أفلت من القتل، قال: الوفاء، فسأله المنذر، وما دعاك إلى الوفاء، قال: إن لي دِينًا يمنعني من الغدر، قال: وما دينك؟ فأجابه النصرانية، فلمّا سمع ذلك المنذر تنصَّر، وتنصَّر معه أهل الحيرة أجمعون[6]، ولا نجد فيها إلّا مسحة من الخيال، ولكن من المرجّح أن المنذر تنصَّر، لأنَّ هناك شاهدًا أشد دقة وموضوعية على اعتناقه النصرانية، حيث تم تعميده[7].

ولم يكن المنذر ابن ماء السماء مسيحيًا[8]، ونعتقد أن هذه المعلومة ذكرت

(1) Nicholson. R.A, **A Literary History of Arab**, p.41.
المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٢٥.

(2) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Mohammad**, p.120.

(3) De Lacy O'Leary. D.D, **Ibid**, p.158.

(4) الغريّان، الغَرِيَّنُ، الطين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطبًا أو يابسًا، أو ما يبقى في أسفل الحوض والغدير من الماء أو الطين، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٣١٢.

(5) شريك بن عمرو بن عبد يغوث بن مخدش بن عصم بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٦.

(6) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص١٩٩. وردت نفس القصة ولكن الملك الذي تنصَّر فيها النعمان بن المنذر، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٠٨.

(7) Theophanes, **The Chronicle**, p.240.

(8) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.246.

بالاعتماد على عمل ارتكبه المنذر، وهو ذبح أربعمئة راهبة في كنيسة بحمص تقربًا للإلهة العزى، وتضحيته بأحد أبناء الحارث الغساني للإلهة أفروديت Aphrodit (العزى)[1]. ويجب الانتباه أن لا مكان للمشاعر الدينية أو المصالح الطائفية في العمل السياسي، فإخلاصًا لحلف المنذر السياسي والعسكري مع الفرس، قام بتقديم الأضحية البشرية[2]. وقال المنذر لجيشه بعد وصول الوفد من قبل الملك الحميري: انظروا لقد سمعتم ما حدث، ادحضوا المسيح وأنا لست أفضل من أولئك الملوك الذين اضطهدوا المسيحيين[3]. ورُجّح تاريخ حرق المسيحيين بالأخدود حوالي ٥٢٠ أو ٥٢٢م[4].

فمن المرجَّح أيضًا أن المنذر لن يدافع عن المسيحية أمام الوفد الحميري مخافة أن يصل ذلك إلى مسامع الفرس، فلم يرغب بإغضابهم بعد أن كسب ثقتهم، خاصة أنه عُمّد على الديانة المسيحية[5].

وإذا لم يكن المنذر بن ماء السماء نصرانيًا فكيف يسمح لزوجته ببناء الأديرة، وإبقائها على دين المسيحية؟ مع العلم بأن أمّه كانت على الأغلب مسيحية أيضًا؛ ما يدل على أنه عرف النصرانية منذ حداثة سنِّه[6]، حيث سمح ببناء الأديرة في عهده[7].

أمّا عمرو بن هند فلم يذكر أنه تنصَّر، لكن من المحتمل إنه كان نصرانيًا لأن أمَّه هند كانت نصرانية[8]، فمن المرجح أنه تربى على هذا الدين منذ نشأته[9]، ودُحضت فكرة اعتناقه المسيحية[10]، لكن في كتابه إلى المكعبر في البحرين ابتدأه بكلمة: «باسمك اللهم، من عمرو بن هند الملك إلى المكعبر»[11].

(1) Procopius, **Wars**, II, p.519.

(2) Theophanes, **Ibid**, Footenote (18), p.242.

(3) Zachariah, **Syriac Chronicle**, p.197 - 198.

(4) Philby. H. Sty. B, **The Background of Islam being asketch of Arabian History in pre - Islamic times**, white Head Morris Egypt, Alexandria, 1947, p.134.

(5) Theophanes, **The Chronicle**, p.240.

(6) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٨٨.

(7) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٣٣، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٢ - ٥٩٣.

(8) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص١٦٨، البكري، **المصدر نفسه**، ص٦٠٦.

(9) Bell. R, **The Origin of Islam**, p.27.

(10) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٣٧٣ - ٣٧٤.

(11) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١١٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٥.

لم يُذكر إذا كان الملك قابوس نصرانيًا أيضًا أم لا، ولكن هناك إشارة إلى أنه تربى على الثقافة المسيحية[1]. أمّا النعمان بن المنذر أبو قابوس، فقد كان في أول عهده عابد وثن، ثم دخل في النصرانية[2]، فعندما يُذكر اسمه يسارعون إلى القول عنه بأنه هو الذي تنصَّر[3]، ولا يعتبر أول من اعتنق النصرانية من ملوك المناذرة[4]، وهناك عدة روايات عن دخول النعمان في النصرانية، ففي يوم خرج يتصيّد ومعه عدي بن زيد، فمرّا بشجرة،، فقال له عدي بن زيد: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: إنها تقول:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا عصف الدَّهر بهم ... وكذلك الدهر يودى بالرِّجال

ثم جاوز الشجرة فمر بمقبرة، فقال له: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا، قال: فإنها تقول:

أيُّها الركب المخبُّو ... ن على الأرض المجدُّون

فكما أنتم كنّا ... وكما نحن تكونون

ورجع النعمان فتنصَّر، ويُحكى بأنه تنصَّر ولبس المسوح وخرج سائحًا، ولكن الذي تنصَّر وساح هو النعمان بن امرئ القيس[5].

والوجه الآخر لتنصُّر النعمان: أنه مرض مرضًا شديدًا، فجاء إليه شمعون بن جابر، أسقف النصارى بالحيرة، وقال له: إنَّك لا تبرأ حتى تتنصَّر، فسأله أن يأخذ رأي كسرى في ذلك، فكتب إليه ليأخذ موافقته، فرد عليه بالموافقة، وعندما دخل النعمان بيعة شمعون وتنصَّر، وطرد الشيطان منه وشفي حالًا، فعمَّده[6] سبريشوع[7].

هذه الأسطورة ما هي إلّا خبر من أخبار العرب التي تناقلها الحكواتيون لامتاع

---

(1) Nicholson. R.A, **A Literary History**, p.45.

(2) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٨٤.

(3) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، ص٢٨١.

(4) هبو، أحمد رحيم، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٧١.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٦ وص١٣٤ ـ ١٣٦، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥ ـ ٨٦.

(6) من أحكام النصارى «أنهم يُعمِّدون من يريدون تنصيره فيغمسونه في ماء قد غُلي بالرياحين، وألوان الطيب في إجانه جديدة ويقرؤون عليه شيئًا من كتابهم، ويزعمون أنه ينزل عليه روح القدس، ويسمون هذا العمل المعمودية، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٤، ص٤٦.

(7) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦٨ ـ ٢٧١.

المستمع وإثارة الجدل وليس أكثر. وهناك من حاول الربط بين الوجه الأول والثاني لتنصُّر النعمان فوفَّق بين الروايتين، حيث حبب عدي بن زيد للنعمان النصرانية وعنده سبريشوع[1]، ولا نجد في هذا التوليف بين الروايتين إلّا ابتعادًا عن الموضوعية.

والوجه الثالث: إنّ النعمان بن المنذر كان وثنيًا، فعارضه الشيطان ودخل فيه وصار يصرعه كل يوم فمرض، ودعا إليه النصارى، فأتاه شمعون أسقف الحيرة ومن معه، وأخبروه أن هذا الجن لا يخرج إلا بالصوم والصلاة، فوافق النعمان، وما إن مضى نصف النهار والنعمان ومن معه يصلون حتى شفي، وسألوه ما رأيت في وقت صلاتك، أجاب، رأيت عشرة من أجناد الملائكة أتوا لي وأنا طريح، وقالوا للشيطان: أخرج منه يا ملعون ولا تعمل فيه أذيَّة، فخرج في شيء مثل عبد أسود رأسه يبلع السطح العالي، وأفلت من أيديهم، ومن ذلك الوقت أصبح النعمان مؤمنًا بالمسيح[2]، وحُدد تاريخها سنة ٥٩٥م[3]. فكيف استطاع رؤية الشيطان؟ فهذا يطرح الكثير من الأسئلة، ونعتقد أن سبب هذه الرواية هو الصراع المذهبي بين النساطرة واليعاقبة، حيث سعى كل منهما إلى شحن نفوس العامة بأنه المذهب الأقوى والأصح؛ لذلك نشأت هذه الخرافات عن تنصُّر ملوك الحيرة «فكل من النساطرة واليعاقبة أراد أن يجلب النعمان إلى مذهبه»[4].

ولكن المعقول أن النعمان كان على الديانة المسيحية، فبنى الكنائس[5]، والكثير من الأديرة[6]، وتبع ذلك تحول كثير من العرب إلى المسيحية[7]، وضع النعمان بن المنذر على دار الزوراء بالحيرة صليبًا؛ لأنه كان نصرانيًا[8]، وقالت هند بنت النعمان لخالد بن الوليد: «أمّا الدين فلا رغبة لي فيه غير دين آبائي»[9]، وهذا

---

(1) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية**، م.س، ص١٤٤.

(2) عمر بن متى، (توفي حوالي النصف الأول من القرن الثامن للهجرة/ النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي)، **أخبار فطاركة كرسي المشرق**، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٦م، ص٤٧ ـ ٤٨، انظر أيضًا: ماري بن سليمان، (توفي حوالي القرن الثامن للهجري/ القرن الرابع عشر الميلادي)، **أخبار بطاركة كرسي المشرق**، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٩م، ص٥٦.

(3) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٧٥.

(4) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢١٠ ـ ٢١١.

(5) John Ephesus, **Live of the Eastern Saints**, I, p.140.

(6) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٣٩، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٥.

(7) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.67.

(8) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٥٦.   (9) **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٥٤١.

الكلام قالته عندما دعاها إلى ترك ديرها والدخول في الإسلام؛ ما يدل على أن النعمان كان نصرانيًا، ولكن طريقة دخوله في النصرانية شابها الكثير من الأساطير والخيال، فشُكّك في تحوله إلى المسيحية[1].

ويبدو أنه تمسّك بالنصرانية وقام بواجباتها الدينية، فاعتنقها بشكل نهائي من دون الرجوع إلى العبادات الأخرى[2]، وإن كان قدَّم ضحايا للإلـٰه العزى[3]، فإن ذلك حصل قبل تبنّيه المسيحية وليس بعد ذلك، لأنَّ المسيحية أصبحت مقبولة في مملكة المناذرة، والميل لدى الناس أصبح نحو المسيحية ليصبحوا أكثر تمدنًا[4]، لذلك نرى أن النسطوريين كانوا يتميزون بمستوى تعليمي ومهني عالٍ جدًا[5]. والملاحظ أن إقدام بعض ملوك المناذرة الذين كانوا على ديانة المسيحية على أعمال منافية لطقوسٍ وعادات وتقاليد وأعراف هذه الديانة لعدم إثارة شكوك الامبراطورية الفارسية ضدهم، حيث إنّ المسيحية هي العقيدة الرسمية للامبراطورية البيزنطية، وهي العدو اللدود للفرس.

أ ـ الصراع بين النساطرة واليعاقبة:

ظهر صراع طائفي شديد داخل الديانة المسيحية بين طائفتين كبيرتين، نستطيع أن نقول: إن السياسة ساهمت في تأجيجه، واستخدم المذهب واجهة للصراع السياسي وليس دافعًا. فهناك النسطورية المنسوبة إلى نسطور الذي جعل في طبيعة السيد المسيح، طبعتين منفصلتين وأقنومين، أقنوم الإنسان يسوع، وأقنوم الله، فمريم عليها السلام هي بشر ولدت بشرًا، هو المسيح الذي هو إله من ناحية الأب الإله فقط، فالقتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[6].

توفى نسطوريوس (Nestorius) في حزيران ٤٥١م، وهو من جرمانيقية Germanikeia (حاليًا مرعش[7] Maras) تولى أسقفية القسطنطينية في ٤٣٠م[8]،

---

(١) Nicholson. R.A, **A Literary History**, p.49.

(٢) Brokelmann. C, **History of Islamic**, p.8.

(٣) Bell. R, **The Origin of Islam**, p.27.

(٤) Laurence. E. Browne. B.D, **The Eclipse of Christianity**, p.1.

(٥) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Mohammad**, p.136.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٣٤، ابن بطريق، أفتيشيوس المكنى بسعيد (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، **كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**، جزآن، مطبعة الآباء اليسوعين، بيروت، ١٩٠٥، جـ١، ص١٥٦.

- Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.19.

(٧) مَرْعَشُ، مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٠٧.

(٨) Theophanes, **The Chronicle**, p.137 & p.142.

ليصبح تاريخ ٤٣١م بداية المذهب النسطوري[1]، وهو العام الذي عقد الأساقفة فيه مجمع أفسوس[2] واعتبروا نسطور كافرًا[3]. وظهرت النسطورية في وقت مبكر في الحيرة[4]، ورُوي أنها دخلت إليها من خلال الأسرى[5]، ولا نرجّح صحة هذا القول، لأنَّ المبشرين هم من قاموا بنشرها[6].

واليعاقبة، هم أصحاب يعقوب البرذاعي[7]، وكان لباسه من خرق البراذع الذي للدواب يُرقّع بعضها ببعض فسمي بهذا الاسم، وكان راهبًا بالقسطنطينية، ويقولون: إنَّ المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، وجوهر من جوهرين ومشيئة واحدة موافقة، وأنَّ المسيح هو الله قُتل وصُلب ومات، وسُمّي أتباعه باليعقوبيين نسبة إليه[8]، ويُدعى اليعاقبة أيضًا بالمنوفيستيين Monophysite[9]، وهو مذهب السريان الأرثوذكس حاليًا[10]. فالخلاف بين المسيحيين النساطرة واليعاقبة جاء من وراء الفلاسفة حول تجسد السيد المسيح[11].

دعم الحارث بن جبلة اليعاقبة، ولم يدَّخر وسعًا في الدفاع عنهم ومناصرتهم[12]،

---

(١) De Lacy O'Leary. D.D, **Ibid**, p.137.

(٢) مجمع أفسوس عقد لمناقشة آراء وأفكار نسطور الذي طلب منه المثول أمام رجال الدين، وبعد المحاكمة قرر اعتبار عقيدته هرطقة، وتم طرده من الشرق إلى مصر،

- Theophanes,**The Chronicle**, p.141.

(٣) Zachariah, **Ibid**, p.249.

(٤) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.189.

(٥) Lewis. B, **the Arabs in History**, p.28.

(٦) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٣٠.

(٧) ولد يعقوب البرذاعي عام ٥٠٥م في تل موزل ما بين النهرين، وكان أبوه ثيوفيلس بن معنو (بارمانو)، ترهب في البداية بدير، وفي عام ٥٢٧م انتقل ماشيًا إلى القسطنطينية وعُيِّن أسقفًا على الرها، دوبولس، خريسوستمس بابا، **تاريخ كنيسة أنطاكية**، م.س، ص٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٨) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.273, &

ابن بطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١٩٥، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٤٣.

(٩) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٢.

(١٠) قاشا، سهيل، **الكنيسة العراقية**، م.س، ص٨٠، حداد، بطرس، **كنائس بغداد**، م.س، ص٣٦ ـ ٣٧.

(١١) Laurence. E,Browne. B. D, **The Eclipse of Christianity**, p.6.

(١٢) رستم، أسد، **كنيسة مدينة أنطاكية**، جـ١، ص٣٩٤، دوبولوس، خريسوستمس بابا، **تاريخ كنيسة أنطاكيا**، م.س، ص٣٧٦، العلي، صالح، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٠٤.

الكلام قالته عندما دعاها إلى ترك ديرها والدخول في الإسلام؛ ما يدل على أن النعمان كان نصرانيًا، ولكن طريقة دخوله في النصرانية شابها الكثير من الأساطير والخيال، فشُكّك في تحوله إلى المسيحية[١].

ويبدو أنه تمسّك بالنصرانية وقام بواجباتها الدينية، فاعتنقها بشكل نهائي من دون الرجوع إلى العبادات الأخرى[٢]، وإن كان قدّم ضحايا للإلـه العزى[٣]، فإن ذلك حصل قبل تبنّيه المسيحية وليس بعد ذلك، لأنّ المسيحية أصبحت مقبولة في مملكة المناذرة، والميل لدى الناس أصبح نحو المسيحية ليصبحوا أكثر تمدنًا[٤]، لذلك نرى أن النسطوريين كانوا يتميزون بمستوى تعليمي ومهني عالٍ جدًا[٥]. والملاحظ أن إقدام بعض ملوك المناذرة الذين كانوا على ديانة المسيحية على أعمال منافية لطقوسِ وعادات وتقاليد وأعراف هذه الديانة لعدم إثارة شكوك الامبراطورية الفارسية ضدهم، حيث إنّ المسيحية هي العقيدة الرسمية للامبراطورية البيزنطية، وهي العدو اللدود للفرس.

أ ـ الصراع بين النساطرة واليعاقبة:

ظهر صراع طائفي شديد داخل الديانة المسيحية بين طائفتين كبيرتين، نستطيع أن نقول: إن السياسة ساهمت في تأجيجه، واستخدم المذهب واجهة للصراع السياسي وليس دافعًا. فهناك النسطورية المنسوبة إلى نسطور الذي جعل في طبيعة السيد المسيح، طبعتين منفصلتين وأقنومين، أقنوم الإنسان يسوع، وأقنوم الله، فمريم عليها السلام هي بشر ولدت بشرًا، هو المسيح الذي هو إله من ناحية الأب الإله فقط، فالقتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[٦].

توفى نسطوريوس (Nestorius) في حزيران ٤٥١م، وهو من جرمانيقية Germanikeia (حاليًا مرعش[٧] Maras) تولى أسقفية القسطنطينية في ٤٣٠م[٨]،

---

(١) Nicholson. R.A, **A Literary History**, p.49.

(٢) Brokelmann. C, **History of Islamic**, p.8.

(٣) Bell. R, **The Origin of Islam**, p.27.

(٤) Laurence. E. Browne. B.D, **The Eclipse of Christianity**, p.1.

(٥) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Mohammad**, p.136.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٣٤، ابن بطريق، أفتيشيوس المكنى بسعيد (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، **كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**، جزآن، مطبعة الآباء اليسوعين، بيروت، ١٩٠٥، جـ١، ص١٥٦.

- Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.19.

(٧) مَرْعَشُ، مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٠٧.

(٨) Theophanes, **The Chronicle**, p.137 & p.142.

ليصبح تاريخ ٤٣١م بداية المذهب النسطوري[١]، وهو العام الذي عقد الأساقفة فيه مجمع أفسوس[٢] واعتبروا نسطور كافرًا[٣]. وظهرت النسطورية في وقت مبكر في الحيرة[٤]، ورُوي أنها دخلت إليها من خلال الأسرى[٥]، ولا نرجّح صحة هذا القول، لأنّ المبشرين هم من قاموا بنشرها[٦].

واليعاقبة، هم أصحاب يعقوب البرذاعي[٧]، وكان لباسه من خرق البراذع الذي للدواب يُرقّع بعضها ببعض فسمي بهذا الاسم، وكان راهبًا بالقسطنطينية، ويقولون: إنّ المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، وجوهر من جوهرين ومشيئة واحدة موافقة، وأنّ المسيح هو الله قُتل وصُلب ومات، وسُمّي أتباعه باليعقوبيين نسبة إليه[٨]، ويُدعى اليعاقبة أيضًا بالمنوفيستيين Monophysite[٩]، وهو مذهب السريان الأرثوذكس حاليًا[١٠]. فالخلاف بين المسيحيين النساطرة واليعاقبة جاء من وراء الفلاسفة حول تجسد السيد المسيح[١١].

دعم الحارث بن جبلة اليعاقبة، ولم يدَّخر وسعًا في الدفاع عنهم ومناصرتهم[١٢]،

---

(١) De Lacy O'Leary. D.D, **Ibid**, p.137.

(٢) مجمع أفسوس عقد لمناقشة آراء وأفكار نسطور الذي طلب منه الثول أمام رجال الدين، وبعد المحاكمة قرر اعتبار عقيدته هرطقة، وتم طرده من الشرق إلى مصر،

- Theophanes,**The Chronicle**, p.141.

(٣) Zachariah, **Ibid**, p.249.

(٤) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.189.

(٥) Lewis. B, **the Arabs in History**, p.28.

(٦) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٣٠.

(٧) ولد يعقوب البرذاعي عام ٥٠٥م في تل موزل ما بين النهرين، وكان أبوه ثيوفيلس بن معنو (بارمانو)، ترهب في البداية بدير، وفي عام ٥٢٧م انتقل ماشيًا إلى القسطنطينية وعُيِّن أسقفًا على الرها، دوبولس، خريسوستمس بابا، **تاريخ كنيسة أنطاكية**، م.س، ص٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٨) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.273, &

ابن بطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١٩٥، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٤٣.

(٩) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٢.

(١٠) قاشا، سهيل، **الكنيسة العراقية**، م.س، ص٨٠، حداد، بطرس، **كنائس بغداد**، م.س، ص٣٦ ـ ٣٧.

(١١) Laurence. E,Browne. B. D, **The Eclipse of Christianity**, p.6.

(١٢) رستم، أسد، **كنيسة مدينة أنطاكية**، جـ١، ص٣٩٤، دوبولس، خريسوستمس بابا، **تاريخ كنيسة أنطاكيا**، م.س، ص٣٧٦، العلي، صالح، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٠٤.

وفي الوقت نفسه لم يكن الحارث يدرك الشيء الكثير عن حقيقة المسائل التي تدور عليها تلك المنازعات بين اليعاقبة والنساطرة، إنَّما كان مدفوعًا بالعامل السياسي لمعاضدة المذهب الذي كانت تتبعه أكثرية الشعب في مملكته ولنشر لواء الهدوء والسلام بين أتباع هذا المذهب[١]، حتى قيل: «إن فهم الغساسنة للمذهب اليعقوبي مشكوك فيه»[٢].

ولكن لا يمكننا أن نخفى حقيقة الصراع الديني بين النساطرة واليعاقبة فالحارث بن جبلة أيّد المذهب اليعقوبي لالتفاف شعبه حوله قدر المستطاع، أمّا في العراق «فقد كان ملوك الحيرة أول من تأثر بهذه الحوادث، فإن السياسة قضت عليهم بأن يتبعوا الدولة الساسانية التي بسطت حمايتها على النسطورية وعضدتها في بلاد العراق إلى نصيبين[٣] وذلك بغضًا بملوك الروم الذين كانوا يتقلَّبون حينًا مع البدعة اليعقوبية وحينًا مع الكنيسة الكاثوليكية»[٤]، فقد حاول اليعاقبة استمالة المنذر ابن ماء السماء إليهم، فأرسلوا إليه أسقفين ليقنعاه أن في السيد المسيح طبيعة واحدة وليس طبيعتين، «فسمع الملك كلاهما ساكتًا، فتعجَّب، وسألهم بحزن: إني تلقيت رسالة اليوم تخبرني بأن رئيس الملائكة قد توفي، فضحك الأسقفان وقالا للملك: كيف يمكن أن يموت ملاك لا جسد له فهذا كذب، فأردف الملك وقال لهما: وكيف أنتما تزعمان أن المسيح هو ذو طبيعة آلهة منفردة قد مات، أليس هذا أعظم كذبًا وضلالًا؟ ثم رَدَّ الأسقفين خائبين»[٥].

ما يدل على أنَّ صراعًا قويًا كان بين اليعاقبة والنساطرة لاستمالة ملوك الحيرة، وما هي إلّا خطة بيزنطية عملوا على استخدام المذهب فيها كستارة لسحب المناذرة من الفرس، وبالتالي إضعافهم.

ولم يقتصر الأمر على المنذر بن ماء السماء، فقد حاول اليعاقبة أن يجلبوا النعمان بن المنذر إلى مذهبهم أيضًا[٦]، «فعند مرضه جاءه قوم من اليعاقبة، فقالوا له: أيها الملك إن الله سيعافيك بدعاء اليعقوبية... ولكنه في النهاية مال إلى

(١) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٢٢.

(٢) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٠٨.

(٣) نصيبين، مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٢٨٨.

(٤) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٨٧.

(٥) Theophanes, **The Chronicle**, p.241.

(٦) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢١٠.

النسطورية»[١]، لتصبح الحيرة مركزًا نسطوريًا مهمًا[٢].

وبالمقابل في أيام ثيودوثيوس الثاني Theodosios[٣] طرد نسطور إلى مصر وسُب وشُتم بسبب عقيدته القذرة[٤]، وحُوربت النسطورية بشكل رهيب، حتى إن كل بطريرك[٥] يعتنقها كان ينفى من بلاد البيزنطيين[٦]، فتدَّفق النسطوريون الذين تم طردهم من بيزنطة إلى بلاد الفرس حتى أصبحت المسيحية في نهاية القرن الخامس في بلاد الفرس نسطورية بالكامل[٧] فحكام الحيرة لم يسلموا أنفسهم لولاء المذهب المسيحي الذي تدين به الدولة البيزنطية ويصبحوا ضد المذهب المسيحي الذي يدين به الفرس، فقد سعى كلٌّ منهما إلى «اجتذاب الحيريين إلى مذهبه، وقد تفوَّق النساطرة في هذا الصراع، واجتذبوا عددًا كبيرًا من نصارى الحيرة إلى مذهبهم»[٨]، فالانتصار هو للديانة المسيحية في نهاية الأمر، التي هذَّبت العادات والتقاليد، لأنَّ كلًّا من النساطرة واليعاقبة جهدوا في كسب أنصار لهم وسط المناذرة ونجحوا في هذا[٩]. حتى إنه رغم سيطرة المذهب النسطوري على بلاد المناذرة وكثرة معتنقي هذا المذهب[١٠]، فقد كان يعقوب محترم في أوساطهم[١١]، وكان طبيعيًا أن تنتشر النسطورية في المناطق التي لها علاقات سياسية طيبة مع الفرس والمناذرة، فتمددت النسطورية في المشرق وخاصة بين سكان بلاد فارس والعراق والموصل والفرات والجزيرة[١٢]، وحُملت المسيحية أيضًا من الحيرة إلى

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦٩.

(٢) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.185.

(٣) ثيودوثيوس الثاني Theodosios بن أركاديوس Arkadios ملك الرومان لمدة اثنتي وأربعين سنة، استلم الحكم وعمره ثماني سنوات، حكم بين (٤٠٨ ـ ٤٥٠م). Theophanes, **Ibid**, p.124 -125.

(٤) Zachariah, **The** Syriac Chronicle, p.19, Theophanes, **Ibid**, p.141, &
ابن بطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١٥٦، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٢٥٥، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٠٨.

(٥) البَطرَك: أعظم مرتبة في الدين، وإذا عُرِّب قيل: بطريق، ويسمى البلد الذي يتخذه مقاماً له الكرسي، الخوارزمي، **مفاتيح**، ص١٢٢.

(٦) Zuqnin, **The Chronicle of Zuqnin**, III, p.38.

(٧) Laurance. E. Browne. B.D, **The Eclipse of Christianity**, p.5.

(٨) عاقل، نبيه، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٠٤.

(٩) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٣١٩.

(١٠) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.136.

(١١) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.294.

(١٢) ابن بطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١٥٨.

وفي الوقت نفسه لم يكن الحارث يدرك الشيء الكثير عن حقيقة المسائل التي تدور عليها تلك المنازعات بين اليعاقبة والنساطرة، إنَّما كان مدفوعًا بالعامل السياسي لمعاضدة المذهب الذي كانت تتبعه أكثرية الشعب في مملكته ولنشر لواء الهدوء والسلام بين أتباع هذا المذهب[1]، حتى قيل: «إن فهم الغساسنة للمذهب اليعقوبي مشكوك فيه»[2].

ولكن لا يمكننا أن نخفى حقيقة الصراع الديني بين النساطرة واليعاقبة فالحارث بن جبلة أيّد المذهب اليعقوبي لالتفاف شعبه حوله قدر المستطاع، أمّا في العراق «فقد كان ملوك الحيرة أول من تأثر بهذه الحوادث، فإن السياسة قضت عليهم بأن يتبعوا الدولة الساسانية التي بسطت حمايتها على النسطورية وعضدتها في بلاد العراق إلى نصيبين[3] وذلك بغضًا بملوك الروم الذين كانوا يتقلَّبون حينًا مع البدعة اليعقوبية وحينًا مع الكنيسة الكاثوليكية»[4]، فقد حاول اليعاقبة استمالة المنذر ابن ماء السماء إليهم، فأرسلوا إليه أسقفين ليقنعاه أن في السيد المسيح طبيعة واحدة وليس طبيعتين، «فسمع الملك كلاهما ساكتًا، فتعجَّب، وسألهم بحزن: إني تلقيت رسالة اليوم تخبرني بأن رئيس الملائكة قد توفي، فضحك الأسقفان وقالا للملك: كيف يمكن أن يموت ملاك لا جسد له فهذا كذب، فأردف الملك وقال لهما: وكيف أنتما تزعمان أن المسيح هو ذو طبيعة آلهة منفردة قد مات، أليس هذا أعظم كذبًا وضلالًا؟ ثم رَدَّ الأسقفين خائبين»[5].

ما يدل على أنَّ صراعًا قويًا كان بين اليعاقبة والنساطرة لاستمالة ملوك الحيرة، وما هي إلّا خطة بيزنطية عملوا على استخدام المذهب فيها كستارة لسحب المناذرة من الفرس، وبالتالي إضعافهم.

ولم يقتصر الأمر على المنذر بن ماء السماء، فقد حاول اليعاقبة أن يجلبوا النعمان بن المنذر إلى مذهبهم أيضًا[6]، «فعند مرضه جاءه قوم من اليعاقبة، فقالوا له: أيها الملك إن الله سيعافيك بدعاء اليعقوبية... ولكنه في النهاية مال إلى

---

(١) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، ص٢٢.

(٢) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٠٨.

(٣) نصيبين، مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٢٨٨.

(٤) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٨٧.

(٥) Theophanes, **The Chronicle**, p.241.

(٦) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢١٠.

النسطورية»[1]، لتصبح الحيرة مركزًا نسطوريًا مهمًا[2].

وبالمقابل في أيام ثيودوثيوس الثاني Theodosios[3] طرد نسطور إلى مصر وسُب وشُتم بسبب عقيدته القذرة[4]، وحُوربت النسطورية بشكل رهيب، حتى إن كل بطريرك[5] يعتنقها كان ينفى من بلاد البيزنطيين[6]، فتدَّفق النسطوريون الذين تم طردهم من بيزنطة إلى بلاد الفرس حتى أصبحت المسيحية في نهاية القرن الخامس في بلاد الفرس نسطورية بالكامل[7] فحكام الحيرة لم يسلموا أنفسهم لولاء المذهب المسيحي الذي تدين به الدولة البيزنطية ويصبحوا ضد المذهب المسيحي الذي يدين به الفرس، فقد سعى كلٌّ منهما إلى «اجتذاب الحيريين إلى مذهبه، وقد تفوَّق النساطرة في هذا الصراع، واجتذبوا عددًا كبيرًا من نصارى الحيرة إلى مذهبهم»[8]، فالانتصار هو للديانة المسيحية في نهاية الأمر، التي هذَّبت العادات والتقاليد، لأنَّ كلًّا من النساطرة واليعاقبة جهدوا في كسب أنصار لهم وسط المناذرة ونجحوا في هذا[9]. حتى إنه رغم سيطرة المذهب النسطوري على بلاد المناذرة وكثرة معتنقي هذا المذهب[10]، فقد كان يعقوب محترم في أوساطهم[11]، وكان طبيعيًا أن تنتشر النسطورية في المناطق التي لها علاقات سياسية طيبة مع الفرس والمناذرة، فتمددت النسطورية في المشرق وخاصة بين سكان بلاد فارس والعراق والموصل والفرات والجزيرة[12]، وحُملت المسيحية أيضًا من الحيرة إلى

---

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦٩.

(٢) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.185.

(٣) ثيودوثيوس الثاني Theodosios بن أركاديوس Arkadios ملك الرومان لمدة اثنتي وأربعين سنة، استلم الحكم وعمره ثماني سنوات، حكم بين (٤٠٨ ـ ٤٥٠م). Theophanes, **Ibid**, p.124 -125.

(٤) Zachariah, **The** Syriac Chronicle, p.19, Theophanes, **Ibid**, p.141, &

ابن بطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١٥٦، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٢٥٥، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٠٨.

(٥) البَطرَك: أعظم مرتبة في الدين، وإذا عُرِّب قيل: بطريق، ويسمى البلد الذي يتخذه مقاماً له الكرسي، الخوارزمي، **مفاتيح**، ص١٢٢.

(٦) Zuqnin, **The Chronicle of Zuqnin**, III, p.38.

(٧) Laurance. E. Browne. B.D, **The Eclipse of Christianity**, p.5.

(٨) عاقل، نبيه، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٠٤.

(٩) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٣١٩.

(١٠) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.136.

(١١) John Ephesus, **Ecclesiastical History**, p.294.

(١٢) ابن بطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١٥٨.

قبائل الداخل[١]، وساهمت البعثات التبشيرية في نشرها باليمن[٢]، ولعبت التجارة دورًا مهمًا في نشر المذاهب المسيحية، ففي بعض الفترات التاريخية ازدهرت التجارة بين سورية واليمن فتحول اليمنيون إلى المذهب اليعقوبي، وعندما أصبحت اليمن مقاطعة فارسية في ٥٩٧م دانوا للمذهب النسطوري[٣]. وسُئل الأعشى من أين أخذ مذهبه، «فقال: من قبل العباديين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشترى منهم الخمر فلقّنوه ذلك»[٤].

ب ـ أهم الشخصيات المسيحية:

للكنيسة سلطة عليا تنظر في شؤون المؤمنين الدينية، وتدافع عن مصالحهم المدنية عند الحاجة والضرورة، وذلك في شخص الرئيس الأعلى الأب الجاثليق[٥]، وهو رئيس النصارى النسطورية[٦]، وبطريرك الكنيسة المشرقية، التي اتخذت من المدائن مركزًا لكرسيه[٧]، وارتبطت أسقفية الحيرة بجاثليق المدائن وذلك بسبب الانتماء المذهبي النسطوري وعلاقة الودِّ السياسي بينهما، لتصبح في فاتحة القرن الخامس الميلادي مسكنًا لطائفة من الأساقفة المسيحيين[٨] ومن أهمهم:

١ ـ **يعقوب خيشوع**: أسقف[٩] الحيرة، وكان شماسًا[١٠] وقسيسًا[١١] وأسقفًا في

---

(١) Bell. R, **The Origin of Islam**, p.28.

(٢) Philby. H. Stj. B, **The Background of Islam**, p.119.

(٣) E. Laurence. B.D,Browne, **The Eclipse of Christianity**, p.12.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص١١٣.

(٥) الجاثليق، مركز يكون تحت البطريرك، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١٢٢. هو مطران النساطرة أي كبير الأساقفة، وهي تعادل البطريرك لدى الأورثوذكس، البابا لدى الكاثوليك، وأصل اللفظة من اليونانية Katholikas، وتعني العام، أي: الأب العام، بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٩٠، بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ النصارى**، م.س، هامش (١)، ص٣.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، البلدان، ص١٦.

(٧) حداد، بطرس، **كنائس بغداد**، م.س، ص٣٦.

(٨) الحسيني، عبد الرزاق، **العراق قديمًا**، م.س، ص٨٤ ـ ٨٥.

(٩) الأسقف: وهو مرتبة فوق القسيس ودون المطران، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١٢٢، وهو لفظة يونانية الأصل Episcopos، بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٩٠.

(١٠) الشَّمَّاس: مرتبة دينية ما دون القسيس، الخوارزمي، **المصدر نفسه**، «من رؤساء النصارى، الذي يلحق وسط رأسه ويلزم البيعة، وهي ليست عربية، والجمع شمامسة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١١٤.

(١١) قس: مرتبة دينية تأتي بعدها الشماس ودون الأسقف، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، =

يوم واحد، وتولى مهامه في أيام مُلك أردشير بن قباذ[١]، وهذا يظهر قدم المسيحية في العراق.

٢ ـ **سيمون**: تسلَّم أسقفية الحيرة في عام ٤٢٤م[٢].

٣ ـ **البطريرك داد يشوع**: أصله من مدينة ماحوزا بدارون قرب بغداد[٣]، أصبح مطرانًا عام ٤٢١م وحصل على اعتراف في السنة نفسها[٤]، كان متشيبًا خيّرًا فاضلًا، مات ودفن بالحيرة كما وصى، وكانت مدة وصايته خمسًا وثلاثين سنة، توفي في ٤٦٥م[٥]، وذُكر أنه توفي في ٤٥٦م[٦]، ونرجّح التاريخ الأخير، لأنَّ داد يشوع بقي في منصبه خمس وثلاثين سنة، وتولى مهامه في عام ٤٢١م فيكون ٤٥٦م تاريخ وفاته.

٤ ـ **سيمون الثاني**: في عام ٤٨٦ كان أسقف الحيرة، وفي ٤٩٧م أصبح إلياس أسقفًا للحيرة[٧].

٥ ـ **البطريرك أقاق** Acacius: أصبح مطرانًا في عام ٤٥٨م[٨]، كان شيخًا فاضلًا، توفي في عام ٤٩٦م، ودفن بالحيرة، وكانت مدة رياسته على كرسي البطركية ١١ سنة[٩].

٦ ـ **يوحنا الأزرق**: أسقف الحيرة كان في أيام مار آبا[١٠].

٧ ـ **الأسقف نرسي**: كان قسًا في أيام يزدجرد الثاني بن بهرام[١١]، وذكر فيما بعد بنرسي أسقف الحيرة[١٢]، ليختاره عدد من الأساقفة في عام ٥٢٣م مطرانًا،

= م.س، جـ٤، ص٤٧، الخوارزمي، **المصدر نفسه**، القس رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم، والجمع قساقسة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٧٤.

(١) إيليا برشينايا، **تاريخ أيليا**، م.س، ص٦٤. لا وجود لملك فارسي باسم أردشير بن قباذ، فمن المرجّح أنه أنوشروان بن قباذ.

(٢) Musil. A, **The middle Euphrates**, p.102.

(٣) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٣٥.

(٤) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.60.

(٥) إيليا برشينايا، **تاريخ إيليا**، م.س، ص٦٦. ورد اسمه: داد يسوع عند ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٣٦، عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٢٨ ـ ٢٩.

(٦) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٧٠.

(٧) Musil. A, **The middle Euphrates**, p.102.

(٨) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.58.

(٩) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٣٥.

(١٠) ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٦٦.

(١١) **المصدر نفسه**، ص٣٣.

(١٢) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٣٨.

وتوفي حوالي عام ٥٣٥م[١].

٨ ـ **مار آبا**: من العلماء الأفاضل[٢]، كان مجوسيًا وتنصر على المذهب النسطوري بأعجوبة ربانية، فهو من أصل فارسي، وضع منظومة وقوانين للنساطرة وطقوس البِيَع، ومن أهمها، عدم زواج الجاثليق، وسع آفاق تعليمه ففسر الكتب القديمة والحديثة، وبالنسبة لعهده وشرحها، وترجم الكثير من الكتب. نفاه كسرى أنوشروان إلى أذربيجان سبع سنين، لأنَّه رفض اعتناق المجوسية مرة أخرى، عُذِّب في السجن وكُبِّل بالقيود، لكن حب المسيح بقي في قلبه، توفي في الحيرة في ٢٩ شباط عام ٥٥٢م، وبُني على قبره ديرٌ[٣]. وزُعم أن الديانة التي اعتنقها مار آبا المزدكية[٤] وهذا غير دقيق، قام بجهود كبيرة قبل مماته لنشر النسطورية في الحيرة، وأكثر من ذلك قام بمحاولة ليربح اليعاقبة العائدين إلى النسطورية[٥]، ومن شدة محبة الناس له ولسيرة حياته كانوا يتخذونه قديسًا[٦]، وتُظهر سيرة هذا القديس والعذاب الذي تعرَّض له شدة الإيمان بالديانة المسيحية آنذاك وحب الناس لهذا الدين لأنَّهم وجدوا فيه الخلاص من عادات وتقاليد دينية بالية لا تشفي غليل الإنسان الباحث عن دين يؤمِّن له حاجة روحية، دامت أسقفيته من عام ٥٢٦م إلى تاريخ وفاته[٧].

٩ ـ **شمعون الأرشمي Shemon of Beth Arsham**: سُمّي بالأرشيمي لأنَّه كان أسقف بيت أرشما Beth Arsham[٨]، من المبشرين بالمذهب اليعقوبي، لقب بالمجادل الفارسي، ربما لإقامته الأولى في بلاد الفرس وتنصيره (١٣) مجوسيًا، انتقل إلى العراق، وبذل جهدًا كبيرًا لنشر المذهب اليعقوبي فيها، وحاول فاشلًا تنصير ملوك المناذرة على اليعقوبية[٩]، فكان هو المسؤول عن تقوية المنوفيست في

---

(١) De Lacy O'Leary, **Ibid**, p.64.

(٢) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٣٠.

(٣) مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٣، ص٤٠٢، ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٤٩ ـ ٥٢، عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٣٩ ـ ٤١.

(٤) De Lacy O'Leary, **Ibid**, p.65.

(٥) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.194.

(٦) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص١٩١.

(٧) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p.65.

(٨) Zuqnin, **The Chronicle of Zuqnin**, III, p.44.

(٩) John Ephesus, **Live of the Eastern Saints**, I, p.145.

مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٢، ص٤١.

الحيرة، بل هو من أسسها بها بداية لحملته في جميع بلاد الفرس[١]، حيث نجح في نشرها بها؛ ما أثار سخط النساطرة منه[٢]، وتوفي قبل ٥٤٠م[٣].

١٠ ـ **الأسقف افراييم**: من أساقفة الحيرة في زمن الملك خسرو أنوشروان وزمن هند أمُّ الملك عمرو، أي: قبل العام ٥٧٣م[٤]، ومن المحتمل أنه هو الذي ذُكِر أسقف الحيرة في سنة ٥٤٦م[٥].

١١ ـ **البطرك حزقيال**: هو تلميذ مار آبا وأسقف النعمانية، كان شيخًا طويل القامة، عارفًا بأمور العلم، فهيمًا في العلوم ومفهمًا، دفن بالحيرة سنة ٥٧٧م، بعد انتخابه ورسامته للكرسي البطريركي ١١ سنة[٦].

١٢ ـ **الأسقف جوزيف**: تسلَّم أسقفية الحيرة في عام ٥٨٥م، وأعقب الأسقف سيمون[٧].

١٣ ـ **إبراهيم الكشكراني**: سُمّي كشكراني، لأنَّه وُلد في قرية داوردان[٨] من أعمال كشكر[٩]، قصد الحيرة قادمًا من نصيبين، فتلمذ أهلها وردَّ من كان بها يعبد الوثن، فكان فيلسوفًا عالمًا زاهدًا، قصد مصر، وعاد إلى نصيبين، توفي في دير بناه بنفسه[١٠] في عام ٥٨٨م[١١]، وعظ بالحيرة وحوَّل الكثير من العرب الوثنيين إلى المسيحية، وترك مجموعة من قوانين الأديرة التي تميزت بدقتها[١٢].

---

(١) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab,** p.194.

(٢) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٣٢٨.

(٣) قاشا، سهيل، **الكنيسة العراقية**، م.س، ص٧٨.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٦٨، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٦. ورد باسم أفريم، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٤٢.

(٥) Zuqnin, **Ibid**, III, p. 114 & p.124.

(٦) مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٣، ص٤٠٣، عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤٣ ـ ٤٤.

(٧) Musil. A, **The middle Euphrates**, p.102.

(٨) داوردان: من نواحي شرقي واسط، بينهما فرسخ، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٣٤.

(٩) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص١٧.

(١٠) ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٤٧ وص٥٢.

(١١) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص١٧، بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى**، م.س، ص٣٥.

(١٢) De Lacy O'Leary, **How Greek science**, p. 66.

١٤ ـ جابر بن شمعون: هو جابر بن شمعون أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب وهو أسقف الحيرة[١]، وقيل: إنَّ اسمه شمعون بن جابر[٢]، وورد: سماعة بن جابر[٣]، ولعلَّ هذا خطأ من الناسخ، كان نسطوريًا، تمتع بغنى مالي كبير، وهو الذي عمَّد النعمان بن المنذر[٤]، أي أنه كان على قيد الحياة بعد سنة ٥٨٢م.

١٥ ـ أيشوعياب الأرزوني: أحد أساقفة أرزون[٥] العرب، من أهل باعربايا[٦]، تميَّز بعلمه الفاضل[٧]، دبر أمر البيع، وعمل كتابًا في روايات المزامير وفي التعزية وكتب التراجم وفي المراسلات[٨]، توفي في سنة ٥٩٦م ودفن بدير هند أخت النعمان بالحيرة[٩]، هرب ملتجئًا إلى الحيرة لدى الملك المتنصّر النعمان بن المنذر[١٠]، ومن المتوقع أن أيشوعياب توجه إلى الحيرة قبل تنصُّر النعمان بن المنذر، لأنه في أيامه تم تنصيره[١١]، حاز على احترام الجميع ويمكن استنتاج ذلك من خلال دفنه بدير هند الصغرى.

١٦ ـ سبريشوع: قس كان يخرج إلى القفر والخراب، وصل إلى الحيرة طلبًا

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٣.

(٢) ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٥٦، عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤٨.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٢٦٨.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٥، أبو البقاء، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠، وجـ٢، ص٥١٣ ـ ٥١٤ـ، ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٥٦، عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤٨.

(٥) أرزون: وردت أَرْزُونا: من قرى دمشق، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص١٥١. مدينة أرزن أو أرزون: كانت واقعة بين سعرد وميافارقين وترى أخرابها الآن في محل يقال له خراب بإزاء المدينة، وتبعد نحو عشر ساعات عن سعرد، بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى**، م.س، هامش (٤)، ص١٧.

(٦) بَاعَرْبَايا: بلد من أعمال حلب من مضافات أفاقية، وباعربايا أيضًا: من قرى الموصل، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٣٢٤.

(٧) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٦.

(٨) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤٩.

(٩) إيليا برشينا، **تاريخ إيليا**، م.س، ص٦٨، ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٥٧.

(١٠) بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى**، م.س، ص١٧.

(١١) مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٣، ص٤٠٣.

لشفاء النعمان بن المنذر[١]، وفي تفصيل ذلك أنَّ الأخير كتب إلى كسرى إبرويز يسأله أن يكتب إلى سبريشوع أسقف الموصل، بالقدوم عليه، فكتب كسرى إلى سبريشوع يأمره بذلك فقدم إلى النعمان فشفاه[٢]، وبعد تنصير ملك الحيرة استدعي إلى المدائن لكي يعتقد على رأسه التاج البطريركي[٣]. وعُرف بأنه كان تقيًا نقيًا فاضلًا غيورًا، نُسبت إليه معجزات كثيرة، وتوفي في سنة ٦٠٤م[٤].

وهناك الكثير من القساوسة في الحيرة[٥]، فهناك قس يقال له: يحيى بن خمار[٦]. إلى جانب الرهبان وكانوا كثر بالحيرة أيضًا، وبشكل خاص في الأديرة[٧]، يعيشون غالبًا من صيد الأسماك وحسنات المؤمنين[٨]، وقاموا بأعمال متنوعة، فنسجوا السلال الكبيرة والصغيرة من أغصان الأشجار وباعوها في القرى أو المدينة، وسدّوا بأثمانها احتياجاتهم ومتطلبات ديرهم[٩]، وكان لباسهم المسوح[١٠] الذي صُبغ بالأسود، وهذا اللون يرمز إلى ابتعاد صاحبه عن ملذات العالم وقهره لنفسه بالعبادة والتقشف[١١]، وخرج عن هذه القاعدة الأسقف جابر بن شمعون الذي كان على درجة كبيرة من الغنى المادي[١٢].

ومن الكهنة الذين زاروا الحيرة الكاهن أبراهام Abraham ابن يوفراسوس

(١) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤٨.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٧١.

(٣) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢١٤.

(٤) شير، أدي، **مدرسة نصيبين الشهيرة**، طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥، ص٣١.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٦، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٤١، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٢٤٣.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤١، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٧. ورد اسمه يحيى بن حمار، ويقال له يوشع، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠١.

(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٩.

(٨) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٨٥.

(٩) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٢٩.

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٥، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٣٣٤.

(١١) حداد، بطرس، **كنائس بغداد**، م.س، ص٦٣.

(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٥.

Euphrasius الذي أرسل إلى المنذر ابن ماء السماء، من قبل جوستين في سنة ٥٢٤م[١]، وزار سيمون Simeon المؤمنين في حيرة النعمان بن المنذر[٢]، ومن المحتمل أنه كان يعقوبيًا.

ت ـ طقوس النصارى:

١ ـ الكتاب المقدس: يقرأ النصارى الإنجيل تقربًا إلى الله وتطبيقًا لحكمه وأحكامه[٣]، وتعلم سكان بلاد المناذرة قراءة الإنجيل باللغتين العربية والسريانية[٤] في بيعهم، حيث كانوا يرهنون أنفسهم لذلك[٥].

أمّا المثقب العبدي الشاعر فيطلعنا بشعره فيه مناداة «بنعم نعم ولا لا» ومن زاد على ذلك فهو من الشر، كما فيه الكثير من الحرص على رضاء الناس وتحاشي الغيبة والحلم على الجهال، وما هي إلّا تعاليم الإنجيل[٦].

٢ ـ الصلاة: صلوات النصارى سبعة[٧]، حيث يتعبد النصارى الله في صلواتهم، خاصة الرهبان والنسّاك[٨]، الذين اعتكفوا في الصوامع والبِيَع والأديرة النائية يعبدون الله بالصلاة، «فالرهبان يعيشون طوال الأسبوع في صوامعهم الخارجية عن الدير، ويقبلون إلى الدير المركزي أيام السبت مساءً، لكي يحيوا صلاة ليلة الأحد بمختلف أقسامها مع أخوتهم الرهبان الآخرين»[٩]، وشفى سبريشوع المنذر بالصلاة إلى الله[١٠]، وفي دير هند حكي أن النعمان بن المنذر كان يصلي به ويتقرب فيه إلى الله[١١]، وفي كل يوم أحد كان يقضي وأصحابه الصلاة[١٢]، وصلى النصارى

---

(١) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.192 - 193, Theophanes, **The Chronicle**, p.258.

(٢) John Ephesus, **Live of Eastern Saints**, I, p.145, Zuqnin, **The Chronicle of Zuqnin**, III, p.8.

(٣) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٤، ص١٩٩، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦ وص٥٩٨.

(٤) مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٢، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(٥) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٥ ـ ٣٤٦، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٢٤.

(٦) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٩٣.

(٧) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٤٣.

(٨) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦٩.

(٩) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٢٨.

(١٠) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤٨.

(١١) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٧.

(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤٠، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦.

ركوعًا[١] وتلحق التسابيح بالصلاة «أي: شكر الله وتقديس اسمه وتعظيم آلائه»[٢]، ولا سيّما الضحى والعشي[٣]. واستعمل النصارى الأجراس في كنائسهم[٤]، للتأذين لأوقات الصلاة[٥]، حيث كان يضرب قبل موعد الصلاة[٦]، لتذكير المؤمنين بها. كما وردت إشارة الصليب كثيرًا[٧]، ووضعوها على ملابسهم[٨]، ونصبوا الصليب على أماكن العبادة تبركًا به[٩]، حتى ظن لبيد بن ربيعة أن الصليب وثن تعبده النصارى[١٠]، وحلفوا به أيضًا[١١].

٣ ـ الصيام: ركن من أركان الديانة المسيحية مارسه سكان المناذرة[١٢]، وهو تحديد نوع أو كمية الطعام التي يأكلها الشخص، ويحاكي النصارى بذلك الأربعين يومًا التي قضاها السيد المسيح في صلاة وصوم في الفلاة، يُعدُّ نفسه لتعليم شعبه وقيادته، وقيل: إنَّ صوم النصارى خمسون يومًا[١٣]، ويسمّونه الصوم الكبير، لأنّه يوجد هناك صوم العذارى ثلاثة أيام قبله[١٤]، أولها يوم الاثنين وفطره يوم الخميس[١٥]، ولصوم العذارى قصة فحواها «أنه بلغ بعض الملوك أن بدير العذارى

---

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٧، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص١٣٣، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١١، ص١٧٧.

(٢) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص١٧٨.

(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٤٧٣.

(٤) الواقدي، **فتوح الشام**، م.س، جـ٢، ص١٨٥، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٢٠.

(٥) الزيات، حبيب، **الديارات النصرانية**، م.س، ص١٠٠.

(٦) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٧٠.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤٠، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦.

(٨) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٤١، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٤.

(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٥٦، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٨.

(١٠) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٣٠. والبيت للأعشى، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٤٤٣.

(١١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١١، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٥ ـ ٦٠٦.

(١٢) البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٣، ص٢٢٥.

(١٣) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٤، ص٤٦.

(١٤) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص١٠٨.

(١٥) أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٤٥.

نساء ذوات جمال، فأمر بحملهن إليه ليختار منهن ما شاء، فبلغهن ذلك فقمن ليلتهم يصلين ويستكفين شرَّه، فطرق ذلك الملك طارق في تلك الليلة فأصبح ميتًا، فأصبحن صيامًا؛ فلذلك تصوم النصارى صوم العذارى إلى الآن»[1]، «فاعتدن الصوم والصلاة ثلاثة أيام في مثل ذلك الموسم من كل سنة، ثم عمَّت العادة على كنيسة المشرق برمَّتها وسُميت الأيام «الباعوثا» أي الطلبة»[2]، وصام النصارى تقربًا إلى الله وطلبًا لقضاء حاجاتهم[3].

٤ ـ **الأعياد**: من أهم أعيادهم عيد الشعانين[4]، وهو اليوم الذي يكون في الثاني والأربعين من الخمسين يوم من صيامهم، فهو اليوم الذي نزل فيه عيسى بن مريم عليه السلام من الجبل ودخل بيت المقدس[5]. وفي هذا اليوم يخرج النصارى في أحسن زي، عليهم صلبان، وحلي، ويعطِّرون أنفسهم بأزكى العطور، ويوقدون العود الهندي والعنبر، والقسوس، والشماسة، بأيديهم المجامر[6]، ويحملون قضبان الريحان في يوم السباسب[7]، وهو يوم الشعانين[8]، وما يزال هذا التقليد متبعًا حتى يومنا هذا ويسمونه «الزّياح»، وتظهر هذه الطقوس التطور الاجتماعي والرقي الروحي الذي عاشه المناذرة في مناسباتهم الدينية.

ويأتي عيد الفصح بعد عيد الشعانين بأربعة أيام، وهو اليوم الذي خرج فيه النبي موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر[9]. وذكر خميس الفصح وهو بعد الشعانين بثلاثة أيام[10]، وهو من أهم أعياد النصارى السنوية، واحتُرِمَت أعيادهم من قِبَل الحكام،

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٢٢، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص١٠٨. ورد: بعض ملوك الفرس، بدل: ملوك، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٨٩.

(٢) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٤٧.

(٣) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤٨.

(٤) الشعانين، مشتقة من العبرية (هو شعنا)، ومعناها: أنقذنا، ويسوع مشتقة منها، ومعناها المخلِّص، الشابشتي، **الديارات**، م.س، هامش (١٤)، ص٦٤.

(٥) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٤، ص٤٦ ـ ٤٧، الشابشتي، **المصدر نفسه**.

(٦) الشابشتي، **المصدر نفسه**، ص٢٤١، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٨ ـ ٣٩٩ وص٤٠٧ وص٤١٤.

(٧) السَّباسِبُ: أيام السَّعانين، ويوم السباسب يوم العيد، وهو عيد للنصارى، ويسمونه السعانين، وهو يعنى عيد لهم، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٦٠.

(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٥٣، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٤١٣.

(٩) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٤، ص٤٧.

(١٠) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١١٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٩.

فقد أُطلق سراح بني تميم من قِبَل المكعبر في يوم الفصح[1]، ما هو إلّا دليل إيمان وتقرب إلى الله.

٥ ـ **القربان**: قدَّم النصارى المناذرة الأضحية الحيوانية قربانًا إلى الله تبركًا وتقربًا إليه، لدفع البلاء، وكثر هذا الطقس في الأعياد[2]، حيث يعتقدون بتقديم القرابين لله رمزًا إلى عقد رباط بين الإله والعابدين[3]. وآمنوا بيوم الحشر، يوم الحساب، فالله فاحص القلوب يعرف خفاياها ومكنونات الصدور وسيكشف لكلّ إنسان أعماله وما اقترفت يداه يوم الآخرة[4]. أمّا الموت فلا مفرَّ منه[5].

٢ ـ ديانات أخرى

أ ـ عبادة الأوثان والأصنام: يجب التفريق بين معنى وثن وصنم، فالوثن: هو عبارة عن حجارة كانت تعبد من دون الله، ويتقربون بعبادتها إلى الله عز وجل[6]، والوثن: «كل ما له جثَّة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة... والأوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها.

أمّا الصنم: هو نحت من خشب ويصاغ من فضة ونحاس، والجمع أصنام»[7]. وقيل: إن الوثن عبارة عن حجر، والصنم أيقون[8]؛ ما يدل على اختلاف في معنى الوثن والصنم، فالأخير يكون تمثالًا مصنوعًا من معادن وخشب وحجارة، بينما الوثن فهو من حجارة فقط.

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٦١، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٠.

(٢) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٨، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٧.

(٣) Smith. W. Robertson, **Lectures on the Religion of the Smithes**, Black LTD, 4,5 and 6 SOHO Square, Second Edition, London, 1923, p.326.

(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤٣، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٧، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٢٦٦.

(٥) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٣٠٠.

(٦) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص١٣٣ ـ ١٣٤. وذُكر أنه «يقال لكل صنم من حجر أو غيره: صنم، ولا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس وغيره»، السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١٠٢.

(٧) ابن الكلبي، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، طـ٣، ١٩٩٥، ص٥٣، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٣٤٩، وجـ١٣، ص٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٨) De Lacy O'Leary, D.D, **Arabia before Muhammad**, p.196.

والواقع أنَّ المناذرة بشكل خاص والعرب بشكل عام كانوا يميلون إلى عبادة الحجارة، «أمّا أسباب هذا الميل فغير معروفة ولعل أصلها عبادة سامية تتلاءم مع مزاجهم البدائي، أو لعلها في نظرهم مهبط لقوة غيبية، أو رمز لسرٍّ غامض مبهم يستوجب التقديس»[١]، أو أنهم «اعتقدوا بأنَّ الطبيعة التي تحيط بهم تمتلك من القوة ما تفوق قوتهم، ووسائل تقديرها توجب عليهم أن يعبدوها»[٢]، أو أنها كانت لإثارة الجدل ومصدر تفاخري وتمايزي بين القبائل، التي لجأت شيوخها إلى ملءِ فراغهم بأحاديث عن آلهتهم لتصوير أنفسهم بأنهم الأشهر والأصح بين القبائل الأخرى، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ عبادة الأصنام وممارسة طقوسها في المعابد لم يعنِ عرب الجاهلية عمومًا بأي نوع من الديانات إلّا قليلًا[٣]. ومن أهم الأوثان والأصنام:

١ ـ **الضيزنان**: اللذان كانا لجذيمة الأبرش، وكان يستنصر بهما على العدو[٤]، ما يظهر قِدم هذه العبادة في الحيرة، وقد ظل هذان الصنمان حتى أيام المنذر ابن ماء السماء[٥].

٢ ـ **اللّات**: وثن بالطائف، عبارة عن صخرة مربعة الشكل، سدنتها ثقيف بنو عتاب بن مالك، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وعظّمتها قريش وجميع العرب[٦]، وسبب عبادة هذه الصخرة أنَّ اللاتَّ الذي يلتُّ السويق للحجيج على الصخرة معروفة، تسمّى: صخرة اللات، ويقال إنَّ الذي يلتُّ كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو بن لحيّ[٧]، إنه لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى اللات[٨]، وتمثل عبادة اللات بعبادة الشمس[٩]، ولا نعرف ما هو الرابط بين عبادة حجر والكوكب، فهل كان ذلك تشبُّهًا باليونانيين؟

(١) ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدول العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥، ص٥٦.
(٢) Brockelmann. C, **History of the Islamic people**, p.8.
(٣) Nicholson. R.A, **A Literary History of the Arab**, p.135.
(٤) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٦٨، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٧٨. واسمهما الغريبات، ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٢٤.
(٥) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١٢٤.
(٦) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص١٦.
(٧) عمرو بن لحي، واسم لحي: ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، وهو أبو خزاعة، ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص٨.
(٨) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١٠٢، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٩٨.
(٩) De Lacy O'Leary, D.D, **Arabia before Muhammad**, p.194.

وانتشرت عبادة اللات في بلاد المناذرة، فالمنذر ابن ماء السماء كان يحلف بها[١]، وكذلك النعمان بن المنذر[٢]، والشاعر النابغة الذبياني بحضور النعمان[٣]، والشاعر المتلمس أيضًا[٤]، وعندما دخل الناس على النعمان بن المنذر حلفوا باللات أيضًا[٥]؛ ما يدلُّ على احترام كبير لهذا الصنم في أوساط المناذرة.

٣ ـ **العزى**: كانت من أعظم الأصنام[٦]، وهي شجرة بنخلة عندها وثن تعبدها غطفان، وسدنتها من بني حرمة بن مرة[٧]، والعزى كانت بواد من نخلة الشامية، بإزاء الغمير، عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، وكانوا يسمعون فيها صوتًا، وكانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سحرات ببطن نخلة[٨]، والسحرة هي الشجرة[٩]، وهي أحدث من اللات[١٠]، فالأشجار وبخاصة النخيل كانت تشكل عنصرًا أساسيًا يعتمد عليها كغذاء رئيس، وعلى أجزاء أخرى منها لتغطية حاجات وضرورات الإنسان في حياته اليومية[١١]، فمن هنا تظهر أهمية هذا الصنم كونه يؤمِّن حاجة غذائية تُدَّخر لسنوات وهي قوتهم الدائم. حلفوا بها كما هو الحال مع سائر الأصنام والمعبودات الأخرى[١٢].

ويعتبر العزى واللات من أهم المعبودات، وكانت طقوس عبادتهما لا تمارس بشكل فردي بل جماعي[١٣]؛ ما يظهر الامتداد الواسع لعبادتهما، حتى إنَّ المنذر بن ماء السماء قدَّم أحد أبناء الحارث بن جبلة الغساني قربانًا للإلٰه العزى[١٤]. وبإحدى غاراته على الغساسنة قام بذبح أربع مئة راهبة للعزى في يوم واحد في كنيسة ثوماث

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٤.
(٢) العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٧٥.
(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٦.
(٤) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص١٦ وص٤٣، أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٠٢.
(٥) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٢٤.
(٦) الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، م.س، ص٣٨٦.
(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٢، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٩١. وذُكر أن سدنتها بنو شيبان، ابن هشام، **السيرة**، م.س، جـ١، ص١٠٦.
(٨) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص١٨ وص٢٥.
(٩) الشامي، يحيى، **الشرك الجاهلي**، م.س، ص١٦٥.
(١٠) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص١٧.
(١١) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٣٥٨.
(١٢) ابن الكلبي، م.س، ص١٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٤.
(١٣) Lewis. B, **The Arabs in History**, p.25.
(١٤) Procopius, **Wars**, II, p.519.

Thomas في حمص[١]، رغم أنه مسيحي، فمن المعتقد أنها عادة لم تستطع الديانة المسيحية إبعاده عنها، حتى قيل فيه إنه تحول بسرعة لدين أجداده بعدما كان مسيحيًا باستخدامه الأضحية البشرية[٢]. وطابقوا بين العزى وكوكب الزهرة Venus[٣]، وهو تشبيه بآلهة اليونان.

٤ ـ سبد: صنم خُصَّ به أهل الحيرة، وكانوا يحلفون به[٤] ويعبدونه، فسُمّوا عباد سبد، قال رجل من بني ربي من نمارة من لخم جنى جناية في قومه فخلعوه فلجأ إلى الحيرة:

وألحقني العباد عباد سبدٍ ... بلا نسبٍ هناك ولا صرافه[٥]

٥ ـ الأقيصر: تصغير أقصر، صنم في مشارف الشام كان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة[٦] وغطفان، يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده، فكان كلما حلق رجل منهم رأسه ألقى مع كل شعرة قبضة من دقيق[٧] وتظهر التصرفات حول هذا الصنم وهن العقيدة وبساطتها لأنَّ ديانة العرب كانت بدائية جدًا[٨]، وممّا لا شك فيه أن العلاقة بين قربان الدم والشعر وثيقة، وأنهما في الأصل ذوي دلالة واحدة، والغرض منهما الامتزاج والاتحاد بين الإله والعابدين[٩].

٦ ـ ذو الكعبات[١٠]: تأثرت بعض القبائل بالكعبة المشرفة في مكة، وأثارت غيرتهم، فبنوا مثلها، حيث كان لإياد كعبة بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة[١١]، وكانت إياد تعبد ذا الكعبات، وهي وثن، وعبدها بكر بن وائل من بعدهم[١٢].

---

(١) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.207.

(٢) Theophanes, **The Chronicle**, Footenote (15), p.207.

(٣) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Muhammad**, p.194.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٤، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٣٥.

(٥) أبو البقاء، **المصدر نفسه**، جـ١، ص١١١.

(٦) بنو عاملة، وهو الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٨٥.

(٧) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص٤٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٣٨.

(٨) Brockelmann. C, **History of Islam**, p.8.

(٩) Smith. W. R, **Lectures on the Religion**, p.334.

(١٠) ابن هشام، **السيرة**، م.س، جـ١، ص١١٠.

(١١) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص٤٥، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢١٨.

(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٣٥٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ١، ص٦٩.

٧ ـ الخيل: عبده قوم من الأسبذيين نسبة إلى قرية الأسبذ[١] بهجر الخيل[٢]، و«الأسبذ» كلمة فارسية الأصل «أَسْبُ» وهو ذكر البراذين[٣]، وعُرِّبت فقيل: أسبذ، وهو اسم قائد من قواد كسرى على البحرين[٤]. ومرد عبادتهم الخيل هو المحبة له وكثرة اهتمامهم به. وهم من ولد عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[٥].

ورافق عبادة الأصنام والأوثان طقوس دينية أخرى، حيث ذبحوا العتائر عند الأصنام ليتقربوا منها على سبيل النذر بقصد الشفاعة، «فذبح العتائر.. كان يتم في مواسم معينة، إما تقربًا من الآلهة، أو وفاءً لنذر، أو برًّا بيمين، أو إنجازًا لوعد موعود»[٦]. وهذه الحجارة المنصوبة التي يطوفون بها ويعترون عندها يسمونها الأنصاب، ويسمى الطواف بها الدوار، وفي ذلك قول المثقب العبدي لعمرو بن هند:

يطيف بنصبهم حجنٌ صغارٌ ... فقد كادت حواجبهم تشيبُ[٧]

وسموا الذبيحة من الغنم التي ضحَّت بها عند الأصنام والأنصاب العتائر، والعتير في كلام العرب: الذبيحة، والمذبح الذي يذبحون فيه لها العتير[٨]، ويصب دم العاتر على رأس الصنم تبركًا وتوددًا[٩]، وكان طقس التضحية بالدماء وذبح الضحية جزءًا مهمًا في حياة الجاهليين، فلا يكمن في موت الضحية، ولكن في طلب حياتها أو دماء حياته[١٠] للذي يذبحها. واحتالوا على نذورهم باستعمال الظباء بدلًا من الغنم[١١].

---

(١) أَسْبَذُ: قرية بالبحرين، وقيل بعمان، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص١٧١.

(٢) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص١٠٧، ياقوت، **المصدر نفسه**، ص١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) البراذين: دابة نشطة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٥٢١.

(٤) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٨ ـ ٣٩، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص١٧١ ـ ١٧٢.

(٥) ياقوت، **المصدر نفسه**، ص١٧١.

(٦) الشامي، يحيى، **الشرك الجاهلي**، م.س، ص٨٩.

(٧) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص٤٢، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص١٧١.

(٨) ابن الكلبي، **المصدر نفسه**، ص٣٤، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٩٠.

(٩) Smith. W.R, **Lectures on the Religion**, p.388.

(١٠) الأنصاري، أحمد حمودي، **من ذبائح ونذور الجاهلي**، مجلة التراث الشعبي، دار الجاحظ للنشر، العدد الرابع، السنة الثالثة عشر، نيسان، ١٩٨٢، ص٣٩.

(١١) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص٥١١.

وكان الوثنيون معروفين بالنسبة إلى الغرباء عن بلاد المناذرة[1]، فربما حلفهم بالأوثان والأصنام، أو أنهم اتخذوا قلائد أو أي شيء يعرف بأنهم أتباع هذا الصنم أو ذاك الوثن.

تعتبر عبادة أو تقديس أشياء مادية محددة مثل الحجارة والأشجار من المرحلة الأولى في تطوير العبادة عند المناذرة، وهذا النوع من العبادة أو التقديس هو ما يعرف باسم «الأرواحية» أو حيوية المادة، أي أن يتصور المرء أن هناك روحًا تحل في هذه الأشياء فتعطيها هذه الفائدة الحيوية بالنسبة له[2].

ومن الطقوس الدينية الحج، أي الطواف حول الصنم، ومن العجب أن العرب المشركين كانوا يحجّون ويعتمرون[3]، فكان لهم أصنامًا وبيوتًا يحجّون إليها وينسكون فيها مناسكهم، ويذبحون فيها ذبائحهم، ويسمون الطواف بها الدوار[4]، وكان «الحجاج ينهمكون في أثناء الحج في الأغاني الموسيقية البدائية التي ما يزال يوجد منها التهليل والتلبية»[5]. ورُوي أن النعمان بن المنذر حج البيت الحرام، وزاره وهو ملك نصراني[6]، ومارس طقوس الحج الدينية[7]. وكان الرجل إذا مات يكفنونه، ويصلون عليه، وكانت صلاتهم أن يُحمل الميت على سرير ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول: «عليه رحمة الله»، ثم يُدفن[8].

ب - الزندقة: الزنديق: كلمة فارسية معرَّبة، كان أصله عندهم «زندهْ كره» «زنده» أي: الحياة، وورد «كرد» أي: العمل، أي: يقول بدوام الدهر[9]، والزنادقة هم المانوية والمزدكية[10]، أمّا المانوية، فهي تنسب إلى ماني بن حماد الزنديق، الذي ظهر في أيام شابور بن أردشير[11]، وذُكر أنه ظهر في أيام بهرام بن

(١) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.193.

(٢) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٣٥٨.

(٣) الشامي، يحيى، **الشرك الجاهلي**، م.س، ص٧٢.

(٤) ابن الكلبي، **الأصنام**، م.س، ص٤٢، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

(٥) Farmer. Henry George, **A History of Arabia Music to the XIIIth Century**, published by Good Word, New Delhi, Fist edition, 2001, p.8.

(٦) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٧٦.

(٧) ابن المستنير، أبو علي بن محمد (ت بعد ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، **كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية**، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسه الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص٤٠ - ٤١.

(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٦. (٩) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٦٧.

(١٠) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٤٦.

(١١) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٤١، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٣٩.

شابور[1]، وقيل: إنه ظهر في أيام بهرم بن بهرام بن بهرام[2]. ولد في سنة ٢١٥م وبدأ دعوته في عمر ٢٤ سنة[3]، فمن المرجَّح أنه كان في أيام شابور بن أردشير، وعمل عمرو بن عدي على حماية المانوية[4]، وذلك إرضاءً للفرس، وتقوم عقيدته على «أن مدبري العالم اثنان، نور وظلمة، وخالقان، خالق خير، وخالق شر، فكل منفعة هي من النور، وكل ضرر وبلاء فهو من الظلمة[5]، ويكرهون الزواج والتناسل[6]، فهو استمد مادة تفكيره من الديانة البابلية القديمة[7] والديانة البوذية[8]، وكان مسعاه الأساسي أن يوافق بين عقيدة زرادشت[9] والمسيحية[10]، لكنه انتُقد بشكل لاذع من قِبَل الأساقفة المسيحيين وقاموا بتكفيره[11]. وكانت نهاية ماني وخيمة، حيث سلخ جلده وحشي تبنًا وعُلِّق على باب مدينة جنديسابور[12]، والذي قتله شابور بن

(١) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٤٠.

(٢) ابن البطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١١١.

(٣) Browne. E.G, **A Literary History**, p.158.

(٤) Shahid. I, **Encyclopaedia of Islam, V**, p.633.

(٥) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٣٩، المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٢، ص٢٥.

(٦) الديانة البابلية القديمة: كان سكان بلاد بابل يعتقدون بأن أحداثًا ما تدور بين المعبودات في السماوات وأن هذه بدورها تؤدي إلى ما يطرأ في الطبيعة والكون من تغيرات، وكانوا يعتقدون أن الملك يحكم في الأرض كممثل لهذه المعبودات، وجاء زمن كان فيه الملك مؤلَّهًا، وكانت الديانة خليطًا من دراسة النجوم (التنجيم) والجو والسحر، **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ٤، ص١٦.

(٧) البوذية: ديانة أسسها بوذا الذي عاش على الأرجح ما بين ٥٦٣ - ٤٨٣ق.م، وتعلم عن الحقائق الأربع النبيلة، الألم موجود، أسباب الألم ناشئة عن الشهوات والرغبات، يبطل الحزن متى بطلت الشهوة، طريق السعادة يُعرف بالطريق الثماني النبيل يتضمن درجتين من الحكمة، وأربع درجات من الأخلاق، وينتهي بدرجتين من التأمل، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٢٣١.

(٨) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٧.

(٩) زرادشت: فارسي الأصل عاش في القرن السادس قبل الميلاد، أسس الديانة الزرادشتية التي يتمثل جوهرها في فكر الصراع بين الخير والشر، ونادى بالإيمان بأهورا مازدا زاعمًا أنه إله الحكمة، ويعتقد الزرادشتيون بالحياة الآخرة، كما يزعمون بأن الجميع سيعبرون نهرًا من الحمم، **الموسوعة العربية العالمية**، م.س، جـ١١، ص٥٤٤.

(١٠) Browne. E.G, **A Literary History**, I, p.154.

(١١) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.249.

(١٢) جُنْدَيْسابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنُسبت إليه، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص١٧٠.

أردشير[١]، وذُكر هرمز بن شابور[٢]، وروي أن بهرام بن هرمز قتله[٣]، ونُسب قتله إلى بهرام بن بهرام بن بهرام[٤]، وهناك رواية أخرى لقتله قيل فيها، أنَّه قتل وصلب في وبرامهرمر ـ من المرجَّح أنها منطقة قرب المدائن ـ، وروي أنه مات في محبس بهرام حتف أنفه فقطع رأسه[٥]، وسبب هذه النهاية هو خروجه عن الديانة المانوية[٦]، ولا نرى في هذه الديانة إلا انحطاطًا خلقيًا، وتشوهًا روحيًا، فهي تغرق في نزعتها الصوفية المتنكرة لكل نشاط ولكل حياة، والدعوة إلى الامتناع عن إنجاب الأطفال، فهي دعوة إلى إفناء الجنس البشري.

المزدكية، تنسب إلى مزدك بن بامداذ[٧]، من اصطخر[٨][٩]، ظهر بدعوته في عهد قباذ، ودعا إلى إباحة المحرمات، وارتكاب السيئات، وأُرجع سبب الاختلاف والتقاتل بين الناس إلى سببين: الأموال والنساء، ولا سبيل إلى السلام والمحبة إلا بالتسوية بين الناس في الأموال والأملاك والعبيد والنساء، وبهذا أحل مزدك الشيوع في النساء والأموال. وعندما استلم أنوشروان مقاليد الحكم قام بقتله[١٠]. فعقيدته تقوم على أن كل الشرور تنسب إلى شياطين الحسد والغضب والطمع التي تدمر التساوي بين الجنس البشري[١١]، فتم تبادل الزوجات والبضائع[١٢]. ودعا قباذ بن فيروز المنذر بن ماء السماء إلى الدخول في زندقة مزدك فأبى، فدعا الحارث بن

---

(١) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٣٩٦.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٤١.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٤٠، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٩٨.

(٤) ابن البطريق، **التاريخ المجموع**، م.س، جـ١، ص١١١.

(٥) الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص٩٣.

(٦) De Lacy O'Leary, **How Greek science,** p.16.

(٧) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٩٦. هو مزدك بن مازيار، أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٥٤. هو مزدك بن بامدادان الموبذ، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٢٨. مزدك الخرمي.

(٨) اصطخر: بلده بفارس من أقدم مدنها، بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخ، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢١١.

(٩) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٥٣.

(١٠) **المصدر نفسه**، ص٥٥، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(١١) Browne. E.G, **A Literary History**, p.170.

(١٢) Brockelmann. C, **History of the Islamic**, p.51.

عمرو فأجابه، فما كان من قباذ غير أن طرد المنذر عن مملكته وعيَّن مكانه الحارث بن عمرو[١].

وأخذت قبيلة قريش الزندقة (المانوية ـ المزدكية) من الحيرة[٢]، وروي أنهم «تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة»[٣]، فخلط هنا بين الزندقة ودين المسيحية، ربما بسبب جهلهم بتعاليم الديانة المسيحية، ويدل ذلك على شيوع هذه الهرطقة بين تجار وأفراد وأصحاب حوانيت الحيرة. حتى أنَّ المزدكية كانت بقبيلة تميم[٤]، وبالتأكيد لعبت التجارة دورًا كبيرًا في نقل الهراطقة إلى القبائل؛ ما يدل على سذاجة التفكير الديني، والتوجُّه إلى الديانات التي تبيح الملذات وذلك إرضاءً للنفس فقط.

ت ـ المجوسية: كلمة مجوس من الكلمات المعرَّبة[٥] عن لفظة «مفوس» الفارسية، والتي تعني: «عابد النار»[٦]، وسرت إلى المناذرة من الفرس[٧]، لمخالطتهم ملوك الفرس واتّباع مراضاتهم[٨]، «وعبادة النار تقرّب إلى البارئ ﷻ، لأنَّها أقوى الاسطقسات[٩] وأعظم الأركان، كما مال مشركو العرب في عبادتهم الأوثان، وما تعبدهم إلّا ليتقرَّبوا إلى الله زلفى»[١٠]. ومن طقوسهم أنّ المرأة إذا زنت في حملها أو حيضها لم تطهر إلّا بأن تأتي هذه النار فتتعرى لبعض الهرابذة فتطهر ببول البقر[١١]، والموبذ هو رئيس المجوسية، أي: قاضي القضاة[١٢]. ومن عبادتهم أنهم يحفرون أخدودًا مربعًا من الأرض ويطوفون به، ولا يتحرجون من

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٧٩، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٧. ذُكر أن حجر بن عمر الكندي تزندق بدل الحارث بن عمر، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٢٠.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٢٩، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٨٦.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص١٨٥ ـ ١٨٦، **والمنمق**، م.س، ص٣٨٩.

(٤) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٤، ص٣١.

(٥) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٢٠.

(٦) الفيومي، محمد إبراهيم، **تاريخ الفكر الديني**، م.س، ص٣٣٠.

(٧) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٢، ص٢٣٣.

(٨) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٤٤.

(٩) أظنها بمعنىٰ التقرب من خالق الكون.

(١٠) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ١، ص٦٢.

(١١) الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص١١٩.

(١٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٤٧.

نكاح المحارم، فحاجب بن زرارة المجوسي نكح ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي[١]، وحلفوا بها في أشعارهم[٢].

وهم ثلاثة أصناف: الجرمدينية، والهرابذة، والموابذة، الأولى والثانية تتفق على أن الخير من النور، والشر من الظلمة، أمّا الثالثة، فهم قضاة المجوس أصحاب خزائن كتبهم وعلومهم[٣].

وانتشرت المجوسية بشكل ملفت للنظر في بلاد المناذرة، فكانت في تميم[٤]، واتَّبعها بنو زرارة بن عدس وأولاده[٥]. وهي ديانة قديمة في العراق فمنذ أيام البرثيين كانت سائدة فيه[٦]، وقد أشير إلى وجودهم في أخبار الفتح الإسلامي للبحرين وهجر وعمان حيث دفع الجزية من رفض منهم الدخول في الدين الإسلامي[٧]، وكان للتجارة دورًا رائدًا في نشر هذه الديانة في العراق[٨]، ويرى المؤمنون من العرب بعبادة النار «قدرة فريدة تأثرت بها حياتهم ومعيشتهم، ولعلَّ أقرب الانتفاع بها في طهى طعامهم والتدفئة في الشتاء القارص، كما استخدموها في إنارة طريقهم في أسفارهم الطويلة»[٩]، وهناك من حلف بالنار دليلًا على ديانته المجوسية، فيهول عن الحلف إذا كان مذنبًا، ويجرؤ على الحلف إن كان بريئًا[١٠]، ولا تجد لهم كنائس وبيعًا، وبيوت العبادة عندهم لا تخلو من النار أبدًا ليلًا ونهارًا، حتى اتخذوا للنيران البيوت والسدنة[١١].

ث ـ الصابئة: عَبَدَ صنف من العرب الكواكب، وهم طائفة من تميم، عبدوا الدبران من النجوم، وبعض قبائل لخم وخزاعة عبد «الشعْرى العبور»[١٢]، فالصابئة

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٢٩. ذُكر أنه أولدها وسماها دخشوس باسم بنت كسرى، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٢، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٧٩.

(٣) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص١٤٢ ـ ١٤٣.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٢٩، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٨٦.

(٥) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٤٤٩، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٦٥.

(٦) بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى**، م.س، ص١.

(٧) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص١٠٧ ـ ١٠٨ وص١١١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص١٤٥.

(٨) الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، م.س، ص٤٤.

(٩) محمود، محمد عرفة، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٤٩.

(١٠) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ٣، ص٧.

(١١) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٤، ص٤٧٩.

(١٢) الألوسي، **بلوغ الأرب**، جـ٢، ص٢٣٩.

تعني عبادة الأفلاك[١]، فكل ما يحدث في هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجري به الكواكب عن أمر الله، فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم، ولمّا رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل جعلوا لها أصنامًا وتماثيل على صورها وأشكالها[٢]، ولا نرجّح أن هذه الديانة هي نفسها ديانة الصابئة القديمة، التي تنسب إلى صابئ بن لامك[٣]. فهم عبدوا الكواكب لاعتقادهم أنها آلهة تقضي بالأمر وتُقدِّر الأرزاق[٤]، ومن المهم التأكيد على فكرة أن «تأثير الدين على حياة العرب قبل الإسلام ضئيل، حتى لا تتوقع تأثيرًا كبيرًا له في شعره، والعربي لم يكن يولي الدين اهتمامًا كبيرًا»[٥]. والألوهية لم تطوق ملوك الحيرة[٦]، وهذه فكرة صحيحة تدل على أن العربي لم يكن لديه مجالًا واسعًا للدين، ولا يهتم بأي شيء إلّا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية يملؤه الشعور بكرامته الشخصية، وهنا يظهر أثر الطبيعة في تكوين مزاجه الديني.

ذكرنا في سكان بلاد المناذرة اليهود، ولكن لم نجد إشارة أو معلومة إلى ممارسة طقوس هذه الديانة، أو وجود كنائس ومعابد لهم.

٣ ـ القبور

كرَّم المناذرة موتاهم بدفنهم في التراب، لاعتقادهم بالحياة الثانية بعد الموت حسب تعاليمهم الدينية، وكثيرًا ما أورد الشعراء ذكر القبور في أشعارهم[٧].

وكان النصارى يعتقدون بفضيلة الدفن في أرض الحيرة، والظهر «ظهر الكوفة»[٨]، فالنعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد توقفا بظهر الحيرة على مقابر مما يلي النهر[٩]؛ ما يعني اتّساع حجم هذه المقابر، واتّخاذ سكان بلاد المناذرة مقبرة موحدة لدفن

---

(١) الفيومي، محمد إبراهيم، **تاريخ الفكر الديني**، م.س، ص٢٦٤.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١٣. وينسبون إلى إبراهيم الخليل، الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص٧٦. وقيل: إنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم سبع صلوات، ويصومون ثلاثين يومًا ويعظمون بيت مكة، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٣٢.

(٤) الشامي، يحيى، **الشرك الجاهلي**، م.س، ص٢٣.

(٥) Nicholson. R.A, **A Literary History**, p.135.

(٦) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.189.

(٧) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٠، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٥.

(٨) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٧٧.

(٩) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦٨.

موتاهم باستثناء بعض الحالات الخاصة برجال الدين، فمار آبا الكبير دُفن بالحيرة وبنى على قبره دير[١]. وأيشوعياب دُفن بالحيرة في دير هند أخت النعمان[٢]، وفي حال موت أحد الأفراد خارج الحيرة، يدفن في المنطقة التي كان فيها، لمنع تفسُّخ الجثة وروائحها الكريهة أثناء نقلها من مكان إلى آخر بعيد، فقد دفن رومانس بن معقل أخا النعمان بن المنذر لأمّه بالبردان، وله يقول عمرو بن الأسود[٣]:

لقد تركوا على البردان قبرًا | ونادوا بارتحال وانطلاق[٤]

وكتبوا بعض أبيات الشعر على قبور موتاهم ترثيهم وتذكر مآثرهم في الحياة، فأرادوا من ذلك الشعر الحكمة، قيل: وُجِد على قبر بالحيرة مكتوب عليه:

كأنما حياتهم لُعبة | سَرَى إلى بَيْنٍ بها راكب

ووجد على قبر آخر بالحيرة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي مكتوب عليه:

إن بني المنذر لمّا انقضوا | بحيث شاد البيعة الراهب

تنفح بالمسك محاريبهم | وعنبر يقطبه قاطب[٥]

وما تزال آثار القبور ماثلة حتى الآن في عين التمر والتي تعود إلى فترة المناذرة[٦]. ومن البدع التي مورست على القبور، أن الرجل إذا مات، عمدوا إلى راحلته التي ركبها، فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يدها ملفوفة الرأس في وليتها، فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، ليركبها إذا خرج من قبره، وكانوا يقولون: إن لم يفعل هذا حشر يوم القيامة على رجله، وكانت تلك الناقة التي يفعل بها هذا تسمى البَلِيَّة[٧]. وكان الميت يُحنَّط[٨] ويُكفَّن[٩]، ويضع على

---

(١) ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٥٢.

(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٧٢، ماري بن سليمان، **المصدر نفسه**، ص٥٧.

(٣) عمرو بن الأسود الكلبي من بني الأجدار بن عوف بن غدرة، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٥، ص٧٣.

(٤) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٣٧٨.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٦) Bell. G.L, **Amurath to Amurath**, p.143.

(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٧، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٨) الحَنُوطُ: طيب يخلط للميت خاصة مشتق من ذلك، له رائحة طيبة، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٧، ص٢٧٨.

(٩) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٩٠.

الإرانُ[١][٢]، وهو سرير الموت، ويصلون عليه، وكانت صلاتهم أن يحمل على سرير ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول: «عليك رحمة الله»، ثم يُدفن[٣].

ومن أشهر قبور المناذرة الغريّان، وهما قبران كالصومعتان بناهما المنذر بن ماء السماء على نديمين له من بني أسد، أحدهما خالد بن نضلة من بني عمرو بن الفعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان[٤]، والآخر عمرو بن مسعود[٥]، ففي أحد الأيام وهم على الشراب أغضبا المنذر في بعض المنطق فأمر بقتلهما وجُعلا في تابوتين، حتى إذا أصبح سأل عنهما، فأُخبر بهلاكهما، فندم على ذلك، وأمر ببناء الغرين عليهما بظهر الحيرة، فبُنيا، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغرين، ويُسمّى أحدهما يوم نعيم، والآخر يوم بؤس، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الإبل، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يأمر بذبحه ويغرى بدمه الغريان، فلبث بذلك برهة من الزمن[٦]. ـ ووردت كلمة تابوت وهذا يعني أنّهم اهتموا بجنازة الميت ـ وحدد موقعهما في الشمال الشرقي من الكوفة قرب نهر الفرات[٧]، وقال عبيد بن الأبرص في ذلك:

يا قبر بين بيوت آل محرقٍ | جاءت عليك رواعدٌ وبروق[٨]

ويقال: إنَّ المنذر غزا الحارث بن أبي شمر الغساني وكان بينهما يوم عين أباغ، فقُتِل للحارث ولدان، وقُتِل المنذر وانهزمت جيوشه، فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير، وجعل المنذر فوقهما، ثم رحل إلى الحيرة فنهبها وحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغرين عليهما[٩]، ولا نعتقد أن هذه القصة حقيقية، فكيف بملك يدفن ولديه في أرض قاتلهم وعدوه في آن واحد.

---

(١) الإرانُ: خشب يشد بعضه إلى بعض تحمل فيه الموتى، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص١٤ ـ ١٥.

(٢) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٦٢. (٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٦.

(٤) ورد خالد بن المضلل عند القالي، **الأمالي**، م.س، م٢، جـ٣، ص١٩٥، وأبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٨٦. وبالرجوع إلى كتب الأنساب ورد خالد بن نضلة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٩٦.

(٥) عمرو بن مسعود من بنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ابن حزم، **المصدر نفسه**، ص١٩٣.

(٦) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٥٥ ـ ٥٦، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٧) ماسينيون، لويس، **خطط الكوفة**، م.س، ص١٣٠.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٨٦.

(٩) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٢٧، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٧.

ورُوي أن المنذر قلَّد ملوك مصر القدامى في بناء الصومعتين اللتين بأرض مصر[١]. واعتبرت قصة يونانية اقتبسها المنذر[٢]. ونُسبت هذه القصة إلى جذيمة الأبرش الذي قتل مالك وعقيل أثناء سكره، فلمّا أصبح ندم وبنى عليهما الغرين[٣]. وقيل إن الملك كان النعمان بن المنذر أبو قابوس وليس المنذر ابن ماء السماء[٤]. وذُكرت نفس القصة ولكن من دون تحديد اسم الملك اللخمي بل ذُكر ملك من ملوك الحيرة[٥]. وزعم أنه بناهما على جاريتين كانتا قينتين تغنّيان بين يديه فماتتا، فأمر بدفنهما وبنى عليهما الغرين[٦]، ما هذه الصدفة التي تجمع موت قينتين في نفس الوقت بين يدي الملك، ولا نرجّح نسب قصة بناء الغريين للنعمان لأنه أمضى طول فترى حكمه خارج الحيرة هربًا من كسرى. وعُلِّق على ذلك «بأنَّ الأخبار التي وردت عنهما فيها سذاجة وتدل على جهل الناس، وهو أمر خلط الناس فيه الأحوال القديمة لهذا البناء، وأن الغري من المواضع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان، ومن الجائز أنهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرابين في المواسم الدينية في الأعياد، وقد عُرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى، فكانت تهرق الذبائح عند الأنصاب ثم تطلى بها، وما الغريان إلّا نصبان من الأنصاب، وذكرت الأخبار أن الغري نصب كان يذبح عليه العتائر»[٧]، في هذا الكلام شيء من المنطق، ولكن السؤال الذي يُطرح: إذا كان الغريان صنمان ولهما صلة بعابدة الأوثان، لماذا لم نسمع ممارسة سكان المناذرة لهذه العادة؟ ولماذا نُسبت هذه القصة للمنذر بن ماء السماء، ولم يمارسه الملوك من بعده؟ فلا نرى فيها أكثر من قتل نديمين ندم المنذر على قتلهما، فأراد ممارسة هذا النوع من العادة لإثارة الجدل.

---

(١) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٢٢٦، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٢٣٣ ـ ٢٤٣.

(٣) ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٤٥.

(٤) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص٩٩٥ ـ ٩٩٦.

(٥) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٣٢٠، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٧٣.

(٦) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٧.

(٧) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.

ثالثًا ـ العادات والتقاليد

ارتبطت العادات والتقاليد والأعراف بمعتقدات دينية وممارسات اجتماعية، متأثّرين في ذلك بالطبيعة الصحراوية التي جعلتهم يؤمنون بوجود قوى خفية خارقة لها أثرها في حياة الناس ومقدراتهم وما يتعرضون له، ولعبت الممالك العربية المحيطة بالمناذرة والدول الأجنبية دورًا في صبغ تصرفاتهم الاجتماعية، «فالحيرة كان يُنظر إليها جزءًا من بلاد العرب، فهي جزء أساسي من العادات والتقاليد العربية، فالاتصال المباشر مع بقية شبه الجزيرة العربية، وخضوعها للفرس، جعلها تأخذ ثقافتها الاجتماعية بشكل رئيس من الغرب والمسيحية والحضارة السورية»[١]، ومن أهم هذه العادات والتقاليد والأعراف:

١ ـ الاستقسام بالأزلام

الأزلام مفردها: زلم، وهو القدح الذي لا ريش عليه، أي: السهام التي يستقسمون بها[٢]، ويستقسمون بالأزلام، أي: طلب ما هو مقسوم في كل أمور حياتهم، فلا يكون لهم سفر ولا مقام، ولا نكاح، ولا معرفة حال، إلّا بالرجوع إلى القداح[٣][٤]، الذي فيه أفعل، ونعم، ولا، وخير، وشر، وبطيء، وسريع. أمّا المدارأة، فإن قداحها كانت بيضاء ليس فيها شيء، فيجيلونها[٥]، أي يضعونها في وعاء له، فإذا أراد أمرًا مهمًّا أدخل يده فأخرج منها زلمًا فإن خرج الأمر مضى لشأنه وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعل، فمن خرج سهمه فالحقُّ له، وللحضر والسفر سهمان يأتون سدنة وثنهم، فيقول السادن: «اللهم كان خيرًا أخرجه لفلان» فيرضى بما خرج له[٦]، وهذه عادة استعملها سكان المناذرة غالبًا

---

(١) Lewis. B, **The Arabs in History**, p.28.

(٢) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٣) القِدْحُ: السهم قبل أن يُنصل ويُريَّش، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٥٥٦.

(٤) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٥٩.

(٥) يجيلونها، من فعل جُلْتَ، أي: اخترت منها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١٣٣.

(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٣، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٢١.

في مسائل حياتهم[١]، ففي قصة تسيير لطيمة النعمان بن المنذر، اختلف البراض[٢] مع عروة بن عتبة[٣]، وشتم الأخير البراض، فأخرج الأزلام يستقسم بها بقتل عروة في الطريق، فقتله بعد أن جاءت النتيجة القداح إيجابية[٤]، ولم يستسغ هذه العادة جميع الأفراد، فهناك من هجرها مثل النابغة الجعدي[٥].

٢ ـ زجر الطير

الزَّجْرُ، هو ضرب من التكهن، وزجر الطير، هو التيمن والتشاؤم بها، والتفاؤل بطيرانها، كالسانح والبارح[٦]، وهو نوع من الكهانة[٧]، ويقال له العائف[٨]، فعقيدة البدوي على فطرته ضعيفة تقبل الخرافات، فكان يطلب الفأل الحسن بزجر الطير[٩]، لمعرفة ما يسمع من أحداث، فيتفائل بأسمائها وأصواتها[١٠]، «وكان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل، فإن سمع إنسانًا يقول: حجرًا، أو رأى حجر أسمى ابنه به، تفاؤل فيه الشدة والصلابة والبقاء الصبر»[١١]، وهذا باب مُسْلَم للعرب لهم فيه اليد الطولى[١٢]، اختصَّ بعض الأفراد به واتخذوه كمهنة يسترزقون بها، وكان معروفًا بالدليل، ومنهم على سبيل المثال نقيد من بني أسد بن

---

(١) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٤، ص٣٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٣، ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) البراض بن قيس بن رافع بن جدى بن حمزة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٨٦.

(٣) عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٢٨٦.

(٤) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٥، **والمنمق**، م.س، ص١٦٥ ـ ١٦٦، **وأسماء المغتالين**، م.س، ص٦٨.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٥، ص٩.

(٦) السانح: ما مرَّ بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمَّن به لأنه أمكن للرمي والصيد، والبارح، ما مر من الطير عن يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٤١١.

(٧) **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٣١٩.

(٨) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٣١.

(٩) ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي**، م.س، ص٥٩.

(١٠) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٤، ص٣٧٠.

(١١) **المصدر نفسه**، جـ١، ص٣٢٤.

(١٢) أبو عامر بن غرسيه، **رسالة ابن غرسيه، نوادر المخطوطات**، ٨ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٥٤، جـ٣، ص٣٢٢.

خزيمة[١]. وهي عادة مأخوذة من الطرق[٢]، وهو ضرب الحصى بعضه على بعض ثم يتفاءل ويزجر عليها[٣]. والملاحظ أن هذا العمل انتقد من قبل بعض الأفراد ولم يتقيدوا[٤].

٣ ـ الكهانة

الكاهن، هو مدعي معرفة الأسرار والمتعاطي أخبار الكائنات في الماضي والمستقبل[٥]، اتخذ من الأسواق التجارية مكانًا له[٦]، ليكون على احتكاك مباشر مع الناس، فالكهانة كانت «فاشية بين الناس»[٧].

«وللكهّان مرتبة عالية ولا يدانيها سوى مرتبة الخطيب والحكيم والشاعر والزاجر، ذلك أن هؤلاء جميعًا كان يُنظر إليهم على أن ثمة أرواحًا غريبة وشياطين حلّت في أجسادهم، فأطلقت لألسنتهم ولقرائهم العنان فألهمتهم الإنشاد»[٨]، فقد حذر الكاهن سلمة بن المفضل من بني الحرث جيشًا كان ذاهبًا إلى غزو بني تميم في المشقر فقال لهم: «إنكم تسيرون أعيانًا، وتغزون أحيانًا، سعدًا وريانًا، وتردون تميمًا فعضوه»[٩]. وتوخوا استعمال لغة مسجوعة للتمويه على الناس[١٠]. واستعان الفرس بفن الكهنة من عند المناذرة، فسطيح الكاهن[١١] أرسل إليه كسرى ليفسر رؤية له[١٢]. فالكهانة «سبب نفساني لطيف يتولد من صفا مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس... وطائفة ذهبت إلى أنه وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي... وذهب كثير ممن تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس إذا قويت

---

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٤٠١، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٨٦.

(٢) الطَّرْقُ: الضرب بالحصى، وهو ضرب من التكهُّن، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٢١٥.

(٣) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٩٨.

(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٠٠، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٠.

(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٣٦٣.

(٦) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٤، ص٣٧٠.

(٧) ابن غرسيه، **رسالة ابن غرسيه**، م.س، جـ٣، ص٣٢٢.

(٨) الشامي، يحيى، **الشرك الجاهلي**، م.س، ص٦١.

(٩) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٩٣.

(١٠) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٣٢٥.

(١١) سطيح الكاهن، اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذنب بن حارثة بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(١٢) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٩.

وزادت قهرت الطبيعة وأباحت للإنسان كل سر لطيف»[1]، ولا نرى به مظهرًا من مظاهر الشرك بالله كما فسّر يحيىٰ الشامي[2]، إنما هو عملية احتيال محبكة الكلمات والألفاظ، توهم بالعموميات فيطبقها على جزئيات حياته. فللكهانة شأن عظيم في حياة الناس، بل أصبحت جزءًا من حياتهم اليومية فلا يستطيع أي فرد أن يُقدِم على أي عمل إلّا بالرجوع إليهم، وهذا يدل على ضعف العقيدة الوثنية التي آمنوا بها.

ومن ضروب الكهانة الخط[3]، وهو أن يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهم بشعير أو نوى تمر، ويقول كذا وكذا، فإن أصاب الخط نفذ ما أراد[4].

٤ ـ الوفاء بالوعد

التزم الناس بالوفاء بالعهود والمواثيق، لأنَّها من الأصول الخيِّرة في الحياة، وهي صفة نبيلة من أخلاق العرب في الجاهلية بشكل عام، وتعتبر «من أعظم الصفات الملازمة للعرب»[5]، قال النعمان بن المنذر لكسرى مفتخرًا بقومه: «وأمّا وفاؤها فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويوفي الإيماءة، فهي ولث ـ العهد ـ وعقدة لا عليها إلا خروج نفسه، وإنَّ أحدهم ليرفع عودًا من الأرض فيكون رهنًا بدِينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته»[6]. وفي قصة يوم بؤس ونعيم الملك الحيري، فالذي دعا الملك إلى ترك سراح حنظلة الطائي، هو وفاء هذا الرجل لوعده[7]. واعتبر الملك عمرو بن هند من وافيات العرب الثلاث الذين وفوا بوعدهم، ولم يقتل مَروان بن زنباع الذي أغار على إبله لأنه استجار بعوف بن محلِّم[8][9]. وكان المجير يعلن الإجارة على الملأ في صراحة تامة، فالنعمان بن المنذر استجار بهانئ بن مسعود سيد بني شيبان، فقال: «قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأدنين رجل، وأن ذلك غير نافعك لأن مهلكي مهلكك، وعندي رأي لك،

---

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) الشامي، يحيى، **الشرك الجاهلي**، م.س، ص٦١.

(٣) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٤، ص٣٧٠.

(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٢٨٨.

(٥) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٤٠٦.

(٦) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٧) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٨٩ ـ ٩٠.

(٨) عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٢٢.

(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٣٤، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٢٧٢.

لست أشير به عليه لأدفعك عما تريده من مجاورتي»[1]. ولم يقتصر الوفاء على تقاليدهم وعادتهم الاجتماعية بل امتد ذلك إلى حياتهم الاقتصادية فوفّوا بالعقود التجارية أيضًا[2].

فالوفاء ميزة يتحلّى به العربي لأنه تجلب إليه الشهرة والسمعة الحسنة بين القبائل، فهي فخر واعتزاز يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولا يخلّون بها «فكانوا لا يقدّرون شيئًا كما يقدّرون الوفاء»[3].

٥ ـ السخاء والكرم

الكرم وسيلة من وسائل السيادة والجاه، وهي من الصفات الحميدة التي لعبت الطبيعة الصحراوية وتنقُّل وترحال السكان دورًا مهمًا في ممارستها، لأنَّ كل فرد معرَّض لنفاذ زاده ومياهه، لذلك أصبحت واجبًا على كل شخص إكرام الضيف واحترامه، وبعد استقبال الضيف وإكرامه لمدة ثلاثة أيام يسأل عن حاجته[4]. ويعتبر أكرام الضيف حقًا له وواجب على المضيف[5].

وقال النعمان بن المنذر لكسرى إبرويز عن صفة الكرم: «أمّا سخاؤها، فلأنَّ أدناهم رجلًا الذي تكون عنده البكرة والناب ـ الناقة السمينة ـ عليها بلاغه ـ معوله وكفايته ـ في حمولة وشبعه وريّه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ـ القطعة ـ وتجتزي بالشربة فيعقرها له، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر»[6].

وكان من عادة العرب الأجواد إيقاد النار في الليل ليراها الغريب والجائع من مسافة بعيدة فينفذ إليها حيث يجد من يقريه ويُقدِّم له ما يحتاج إليه من طعام، وأطلقوا على هذه النار (نار القِرى)[7] و(نار الضيافة)، وكانوا يوقدونها في الأماكن المرتفعة لتكون واضحة للعيان[8].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٦، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٠١.

(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢١، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٦.

(٣) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٦٩.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٥.

(٥) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص٢٢٩.

(٦) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

(٧) القرى: إكرام الضيف، ابن منظور، **لسان**، جـ١٥، ص١٧٩.

(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٤، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٢، ص١٦١.

ومن عفَّة الضيافة أن تأكل النساء لوحدهن، منفصلين عن الرجال، فعندما وجه عمرو بن هند دعوة إلى عمرو بن كلثوم وأمه لزيارته، واستبقاهم إلى مائدة الطعام، فصل بين مائدتي الرجال والنساء، كل واحدة في خيمة منفردة عن الأخرى[1].

فكان الكرم اللامحدود يمثل أحد مفاخرهم التي يحرصون عليها فيتباهون بكثرة الأضياف، وذبح الإبل، وإطعام المحتاج، لأنَّ الميل الفطري للعطاء هو من أهم سمات سخاء العرب، «ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم»[2]؛ لذلك حرصوا على تقديم أي شيء متوفر للضيف، وكان المضيف ينحر إبله للضيف حتى ولو كان لا يملك غيرها[3].

٦ ـ رمي السنّ

كان الغلام إذا سقطت سنُّه قذفها إلى الشمس قائلًا: أبدليني بها سنًا أحسن منها ولتجرِ في ظلمها آياتك، وزعموا أنه فعل ذلك ليأمن على أسنانه من العوج[4].

٧ ـ الفقء والتعمية

وكان من عاداتهم المعمول بها لحماية إبلهم من شر الحسد والعين وموت الإبل[5]، فقء عين فحل الإبل، إذا بلغت إبله ألفًا، وأن ذلك يدفع العين والغارة، فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى، وهو التعمية[6].

ومن عادات العرب الجاهليين بشكل عام، الاغتسال من الجنابة، ومداومة المضمضة والاستنشاق، وفرق الرأس[7]، والسواك[8]، وقص الشارب، والاستنجاء[9]، وتقليم الأظافر ونتف شعر الإبط، وحلق العانة[10]،

(١) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٠٦، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٨.

(٢) ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، م.س، ص٦٨.

(٣) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٥٦.

(٤) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٣، ص١٢٢.

(٥) الأنصاري، أحمد حمودي، **من ذبائح ونذور**، م.س، ص٤٧ ـ ٤٨.

(٦) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٧، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٤٨٧.

(٧) فرق الرأس: هو فرق الشعر بالمشط، أي سرحه، والفرق: موضع المفرق من الرأس، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٣٠١.

(٨) السِّواك: ما يدلك به الفم من العيدان، **المصدر نفسه**، ص٤٤٦.

(٩) الاسْتنجاء: الاغتسال بالماء والتمسح بالحجارة منه، أي الغسل والتطهير، **المصدر نفسه**، جـ١٥، ص٣٠٦.

(١٠) العانة: منبت الشعر فوق القُبُل من المرأة وفوق الذكر من الرجل، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٣٠٠.

والختان[1][2].

٨ ـ الثأر

تنتهي الحرب بوجود رابح وخاسر، فتشحن نفس المهزوم بالنار التي لا يطفئها إلّا الثأر لهزيمته، وللثأر بعض النفع، فهو «يكبح من جماح بعض الحمقى الذين تسيِّرهم شهوات القتل والقسوة، ولولاه لانغمسوا في إجابة غرائزهم وخروجهم على القانون من دون خوف أو رهبة من عقاب»[3]، فقصير هو أول من أدرك ثأره لوحده[4] في قصته مع الزباء، وسار على هذه العادة أغلب ملوك المناذرة، وكانت عادة ترك الثأر تجلب العار للقبيلة، قيل لعمرو بن عدي «أطلب بثأر ابن عمك وإلّا سبتك العرب»[5]، فالإنسان عندهم إذا قتل ولم يطالب بثأره، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة وصاح على قبره: اسقوني! اسقوني! إلى أن يطلب بثأره[6]، ولا ننسى العفو عند المقدرة، فهي سمة من سمات الأقوياء، فالملك عمرو بن هند أهدر ولم يثأر من بني تغلب، ويسمى هذا الهدر «طلت ماء القتلى»، قال الحارث بن حلزة:

من أصابوا من تغلب فمطلو ... ل عليه إذا تولى العفاء[7]

ووجب على القبيلة حماية أفرادها سواء كانوا ظالمين أو مظلومين، واعتُبر تسليم القاتل عار على القبيلة، ودليل ضعف وهوان وجبن. وحقنًا للدماء قبلوا الديَّة أحيانًا، فكانت عن كل فرد مائتا بعير[8]، وعن أولاد الملوك كل فرد ألف بعير[9]، وديَّة الهجين نصف ديَّة الصريح[10]، ومن عاداتهم أنهم لا يأخذون ثأرهم في الأشهر الحرم الأربع حتى ولو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره، وإدراك رغبة منه، فيحجزه كرمه[11]، ومن له ثأر عند آخر يتميز بسمات عن

(١) الخِتان: موضع القطع من الذكر الغلام وفرج الجارية، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٥ وص٣٢١، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٢٧٨.

(٣) Nicholson. R.A, **A Literary History of the Arabs**, p.93.

(٤) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢١٠ وص١٥٨.

(٥) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧١.

(٦) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٣، ص١٢١.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٤٧.

(٨) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٩.

(٩) ابن عبد ربه، **المصدر نفسه**، ص١٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١١١.

(١٠) القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ١، ص٧٣.

(١١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

الآخرين، على سبيل المثال: لا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا حتى يدرك ثأره[1].

وشابَ الثأر عادات وتقاليد مرعبة فعمرو بن المنذر بن امرئ القيس عندما قرر الأخذ بثأره من زرارة، ولم يجده في خيمته، فأخذ امرأته وهي حبلى فبقر بطنها وانصرف[2].

٩ ـ المرأة

كان للمرأة مكانة مرموقة، ومنزلة عالية، اتخذ منها الشعراء صورة للوصف والتغزُّل، وهذا دليل الدرجة المرموقة التي تليق بها، فهن ناعمات، آنسات الحديث[3]، وتمتعت النساء بهامش واسع من طيب العيش ورغده، ودلَّلن أنفسهن[4].

أمّا مقام المرأة فكان متصلًا بالمحافظة على النسب الصريح، الذي عُبِّر عنه بلفظ الأعراض[5]، حيث قال النعمان بن المنذر لإبرويز متباهيًا بذلك: «أمّا أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم إلّا وقد جهلت آباءهم وأصلها وكثيرًا من أولها، حتى إنَّ أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه، فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب إلّا يسمّي آباءه أبًا فأبًا، حاطوا بذلك أحسابهم، وحفظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل من غير قومه، ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يُدعى إلى غير أبيه»[6]، فالمجتمع ذكوري يعتمد على نسب المولود إلى أبيه وليس إلى أمّه. وبالنسبة لملكية الأولاد وحضانتها فهي للأب، حيث كان الأب يسمى باسم ابنه، ومن هنا كانت التكنية: «بأبي»[7].

إن الناقمية[8] تزوَّجها سعد بن زيد مناة من تميم، وهي حامل من معاوية بن

(١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٥١، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٩٩.
(٢) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٤١ ـ ٢٤٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص١٩١.
(٣) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٩٢.
(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤١.
(٥) فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، م.س، ص٦٠.
(٦) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.
(٧) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٣، ص١٩٦.
(٨) الناقمية: أمّ عنبر، وهي بنت ناقم، وهو عامر بن جدان بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، جـ٢، ص٣٠٨.

بكر[1]، فولدت على فراشه صعصعة بن معاوية[2]، ثم ولدت هبيرة ونجدة وجنادة، فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراث، وأخرجوا صعصعة منه، قالوا: أنت ابن معاوية، فلما رأى ذلك أتى بنو معاوية بن بكر فأقرّوا بنسبه ودفعوه عن الميراث[3].

ويلحق نسب المولود لفراش الرجل الذي تلد عليه المرأة، وليس من نكحها أولًا، فأمُّ سعد بن الضباب كانت تحت حجر بن الحارث الكندي فطلقها وكانت حاملًا وهو لا يعرف، فتزوجها الضباب فولدت سعدًا على فراشه فلحق نسبه به[4]، ما يدل على أن الولد ينتمي إلى الفراش وليس إلى والده[5]، وأول من حكم أن الولد للفراش أكثم بن حنفي[6][7]، ولعلَّ ذلك يقتصر على النسب فقط، ولا يتعداه إلى الميراث، وربما هي عادة المقصود فيها أن يتربى الولد في حجر أمِّه، فالأب يمضي معظم أوقاته في المعارك والعمل، وليس لديه متَّسع من الوقت لتربية الأولاد، «ومن الجدير بالذكر أنَّ المرأة لم يكن لها عدَّة»[8]، فالمتوفى زوجها تقعد سنة[9]؛ لذلك نسب الولد إلى الفراش أيضًا.

إنَّ المرأة مثار عاطفة الرجل، ومدار وجدانه، هي سر حياته وموته، هي مهاج غضبه، ومعقد أُلفته، «وتتجلّى منزلة المرأة العربية وعلو مكانتها في أنها كانت مثار افتخار ملوك العرب بنسبهم إلى أمهاتهم»[10]، كمنذر بن ماء السماء، وعمرو بن هند.

ومن سننهم في الزواج الخطوبة: وهي مرحلة ما قبل الزواج[11]، يتقدم الشاب

(١) معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢٦٤.
(٢) صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، **المصدر نفسه**، ص٢٧١.
(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٥، ص٣.
(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٧٥، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٩، ص٩٤، انظر أيضًا: أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٣.
(٥) Smith. W.R, **Kinship and marriage in early Arabia,** United Publishers, Beirut, 1973, p.133.
(٦) ورد أكثم بن صيفي بن رياح من بني أسيد بن عمرو بن تميم بن مرة، ابن سلام، **النسب**، م.س، ص٢٣٨.
(٧) العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٥٦.
(٨) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٣٨٩.
(٩) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٦، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٣، ص١٢٠.
(١٠) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٣٩٤.
(١١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٨.

لخطبة الفتاة التي يرغب بالاقتران بها، وتعتبر هذه المرحلة من المراحل الأساسية والمهمة لأنه يتم فيها تعرّف الشاب إلى محبوبته «فكانوا يخطبون المرأة إلى أبيها أو أخيها أو عمها أو بعض بني عمها، وكان يخطب الكفء إلى الكفء، فإن كان أحدهما أشف من الآخر في الحسب أرغب له المهر، وإن كان هجين خطب إلى هجين»[١]. أمّا مقدار مهور النساء في الحيرة فقد كانوا يتزوّجون مقابل خمسين مثقالًا دراهم، وستين مثقالًا دراهم، وثمانين مثقالًا دراهم، وعلى مائة مثقال دراهم[٢]، «وكانت كندة لا تزوج بناتها بأقل من مائة من الإبل، وربما أمهرت الواحدة ألفًا من الإبل، فصارت مهور كندة مثلًا في الغلاء»[٣]، ويستثنى من حالات المهر الأسرى من الحرب[٤]، وزعم أن سبب دفع المهر للمرأة هو تأسيس حق الرجل في أولاد المرأة من زوجها السابق[٥]، ونرى أنه تحليل غير دقيق فهناك فتيات بكر يتزوَّجن الرجال ويأخذن مهورهن، وزواج السبي لا يتطلّب موافقة المسبية وأهلها، وشاع هذا النوع من الزواج بسبب شيوع الحروب القبلية[٦]، أو لأنّ الرجل يفضل الزواج بامرأة من خارج عشيرته لتلد له أولادًا أقوياء، وأفضل بنيانًا، وأحدَّ ذكاءً، فالزواج من نفس العشيرة، ينتج عائلة قبيحة، وضعيفة في القتال[٧].

وكانوا لا ينكحون الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمّات، وأقبح شيء عندهم الجمع بين الأختين، ويعيبون المتزوّج بامرأة أبيه ويسمونه الضيزن، فكان الرجل إذا مات، قام ولده البكر فألقى ثوبه على امرأة أبيه، فورث نكاحها، ويسمّى هذا نكاح المقت، فإن لم يكن له حاجة فيها، تزوّجها بعض إخوته بمهر جديد[٨]، وهذا الزواج الأخير غير مرغوب به، وسُمّي الضيزن لأنه يعني الزواج المكروه[٩]، أمّا بالنسبة لزواج الرجل من ابنته فليس لدينا إلّا حادثة واحدة تنسب إلى حاجب بن زرارة الذي تزوج بابنته دختنوس[١٠]. وتزوجت النساء وهن

(١) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٠.
(٢) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٦٥٥.
(٣) الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٢٣.
(٤) Smith. W. R, **Ibid**, p.93.
(٥) زناتي، محمود سلام، **نظم العرب**، (د.ن)، ط١، ١٩٩٢، ص٢٦٤.
(٦) **المرجع نفسه**، ص٤٥.
(٧) Smith. W. R, **Kinship and marriage**, p.74 - 75.
(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٩، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١٥٤.
(٩) Smith. W. R, **Ibid**, p.107.
(١٠) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٢٩، ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص١٨٦.

حديثات السن في بداية عمرهن، فهند بنت النعمان بن المنذر تزوجها عدي بن زيد وعمرها إحدى عشرة سنة[١].

وكان تعدد الزوجات معروفًا عندهم، فالنعمان بن المنذر كان عنده عشر نسوة[٢]، ولكن بسبب تغلغل الديانة المسيحية بين القبائل بدأت تخفُّ أو تختفي هذه العادة، «فالشقاق بطل من الكنائس بهمة هذا الجاثليق مار آبا، غير أنّ الشرور المتولدة منه كانت باقية فإن كثيرًا من المسيحيين تراخت سيرتهم وضعف إيمانهن فاقتدوا بالمجوس واليهود والوثنيين، وتزوّجوا نظيرهم بامرأتين أو بامرأة الأب أو بعمتهم أو بخالتهم أو كنَّتهم أو باكرات أخيهم، وهلمّ جرّا، فأصدر مار آبا منشورًا عنوانه: تدبير الأفعال الصالحة، حرَّم فيه هذه الأفعال»[٣]، وإن استمرت عادة الزواج بأكثر من امرأة، فهو زواج لن تبالي الكنيسة به لأنه لم يكن كنسيًا[٤]. والقصد من تعدد الزوجات إنجاب أكبر عدد ممكن من الأولاد، فهم مصدر قوة وعز للقبيلة. قال عامر بن أحيم السعدي للنعمان بن المنذر: «أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة»[٥]، وذلك في مجلس تفاخري بين القبائل.

وهناك نوع آخر من زواج المشاركة يعرف بنكاح الاستبضاع[٦]، حيث كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من الطمث، اذهبي إلى فلان فاستبضعي منه، ثم يعتزلها لا يمسها حتى يتبيّن حملها من الرجل الذي استبضعت منه[٧].

وكان لهم غيرة على عرضهم ونسائهم وزوجاتهم، فرياح بن الأشل[٨] قتل شأس بن زهير[٩] لأنه اغتسل من غير قصد عاريًا أمام زوجته[١٠]، فهم يعتبرون

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٩.
(٢) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٨.
(٣) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص١٧٩.
(٤) نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، م.س، هامش (٧٩)، ص٣١.
(٥) التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص٢٣٧.
(٦) الاسْتِبْضاع: «نوع من نكاح الجاهلية، وهو استفعال من البضع الجماع، وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط، كان الرجل منهم يقول لأمته أو امرأته: أرسلي إلى فلان فأستبضعي منه، ويعتزلها فلا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل»، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص١٤.
(٧) Smith. W. R, **Kinship and marriage,** p.132.
(٨) رياح بن الأشل من بني هلال بن عبيد بن سعد بن عوف بن كعب بن مالك بن جلان بن غنم بن عمرو بن أعصر، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢٤٧.
(٩) شأس بن زهير بن جذيمة العبسي، **المصدر نفسه**.
(١٠) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٩٦، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٤.

تعرّي الرجال على مشهد من امرأة غير زوجته جرمًا خطيرًا يستتبع الانتقام من فاعله بقتله، ولم يكن تجريم الفعل على ما يبدو راجعًا إلى ما ينطوي عليه من إيذاء لحياة المرأة، «وإنما نظرًا لما يكشف عنه من استهانة بشأن زوج المرأة أو أوليائها وامتهانًا لكرامته»[١]. ولا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات أن يكون من صنف الملائكة أو أن يعيش في المدينة الفاضلة، ففي كل مجتمع تناقضاته ومآسيه، ومواقف يعتز بها، وفيه الصالح والطالح، فالدعارة أقدم مهنة في التاريخ مارستها بعض النساء، حيث كان لبعضهنَّ راية منصوبة في أسواق العرب، فيأتيها الناس فيفجرون بها، فيكسبون بفروجهن[٢]، ولم يقتصر الأمر على الأسواق فبنت عجلان كانت تأخذ كل عشية رجلًا ممّن يعجبها فيبيت معها[٣]، وهذا التصرف بعيد عن عادات وتقاليد العرب، فلعله استُمد من البيزنطيين، فالعاهرات عندهم كنَّ أكثر من خمسمائة، وهنَّ نساء يبعن في وسط الساحة العامة خدماتهم الجنسية[٤].

وكان جريان العرف بعدم قتل الزانية لأنهم نظروا إلى الزنا باعتباره اعتداء من الرجل الغريب أكثر من خيانة من جانب الزوجة[٥]، فقبيلة إياد كثرت فضاقت أرضها بها فخرجوا إلى الأرياف حتى نزلت بين الحيرة والبحرين، وإن فارسيًا وثب على امرأة منهم فنكحها، فوثب أخوها فنكح أخت الفارسي[٦]. واشتُهَّ بعض نساء المناذرة بممارسة العشق الإباحي، ففاطمة بنت المنذر، رغم الحراسة المشددة عليها كانت تمارس الجنس مع المرقش الأصغر[٧]، وعلاقة المتجردة مع المنخل اليشكري[٨]، والتي قيل فيها أيضًا، إنها فاجرة مومسة ناكحها هبيرة بن عامر عندما أُسرت وحدثت زوجها بذلك[٩]. ولا يميل المرء إلى تحميل هذه الممارسة لنساء

(١) زناتي، محمود سلام، **نظم العرب**، م.س، ص٢٠٣.
(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٢٨.
(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٥٧، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٦، ص١٣٦.
(٤) Procopius, **The Secret History**, p.124.
(٥) زناتي، محمود سلام، **نظم العرب**، م.س، ص١٩٧.
(٦) العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٧٥.
(٧) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٢٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٦، ص٣١٦ ـ ١٣٧.
(٨) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٨٥ ـ ٨٦، ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**، ص٨٩ وص٢٥٥.
(٩) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، ج٤، ص٣٧٥، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢٨٩.

بيت الملك المنذري فقط بسبب الغنى المادي، أو الترف السياسي، بل كان ذلك في عامة الشعب أيضًا، فمارية عشقت الشاعر عدي بن زيد وساعدت هند بنت النعمان بن المنذر على الزواج من عدي بن زيد مقابل أن يباطحها الأخير الغرام في إحدى حانات الحيرة[١].

١٠ ـ تربية الأولاد

أحب المناذرة الذكور وفضولهم على الإناث، ليس كرهًا بهنَّ، وإنّما لمواجهة المصاعب والأهوال والمتاعب بسبب طبيعة الحياة الجاهلية القائمة على الغزو والترحال التي يتعرضون لها، فكانوا يطلقون على الأمهات اللواتي يلدن ذكورًا تسموا بهم بيوتهم وتعزُّ بشهرتهم قبائلهم «المنجبات»[٢]. وكانوا يسمّون أبنائهم بأسماء قاسية، مثل: حجر، صخر، أسد، ليث، لما يُتفاءل فيه الشدة والصلابة[٣].

وعمد المناذرة إلى استرضاع أولادهم من نساء غير زوجاتهن، فيضمنوا بذلك قوة الجسد ورجاحة العقل، وفصاحة اللسان، فالمنذر ابن ماء السماء وضع ابنًا له صغيرًا عند زرارة بن عدس الدارمي[٤]، وكان أسعد أخا عمرو بن هند مسترضعًا في بني تميم[٥]، واسترضع الأسود بن المنذر ابنه شرحبيل عند سلمى امرأة سنان بن أبي حارثة وهي من بني غنم بن دودان بن أسد[٦]. فأدّى ذلك إلى نشوء أخوة بالحليب، فللنعمان بن المنذر أخًا بالرضاعة يقال له سعد القرقرة[٧] من أهل هجر[٨]، وبالمقابل فقد تربّى أولاد غرباء عن العرب في بلاد المناذرة فبهرام جور ترعرع في أحضان المناذرة، وشرِبَ من حليب نسائهن وتعلَّم من عاداتهم، «وربما

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٠.
(٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٢٨.
(٣) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص١٩٠، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٥٤.
(٥) الأصمعي، **تاريخ العرب**، م.س، ص١٠٩، ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٤٠.
(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٤، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص١٥.
(٧) سعد القرقرة: رجل من أهل هجر، كان القرقرة لقب سعد الذي كان يضحك منه النعمان بن المنذر، ويعدُّ من المستأكلين، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٠٦، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٨٩، وجـ٩، ص١٤٧.
(٨) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٧٠.

كانت هذه العادة خاصة بطبقة الأشراف والسادة فحسب أو تدبيرًا بيولوجيًا بحتًا أُريد به إفساح المجال أمام الأمّ كي تعاود الحمل بسرعة»[1].

١١ ـ الطلاق

كان العرف العربي يعترف للرجل بحق تسريح زوجته وفق قواعد قوامها الطلاق، وكانت أشهر صيغ الطلاق ثلاثة[2]، فالرجل يقول لامرأته: أنت طالق واحدة، فهو أحق الناس بها، فإن طلّقها اثنتين، فكذلك، فإن طلقها ثلاثًا فلا سبيل له عليها[3]. كذلك فالمنذر ابن ماء السماء بعد أن تزوّج هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي، طلّقها بعد أن رأى بنت أخيها أمامة بنت فلان بن الحارث[4]، وطلّق النعمان بن المنذر إحدى زوجاته، فتزوّجها عدي بن زيد العبادي[5]. وأكره النعمان بن المنذر عدي بن زيد على تطليق هند بنت النعمان منه، فحبسه حتى أجبره على طلاقه[6]. وهذا لا يعني أنّ سلطة الرجل كانت مطلقة على المرأة، فلها الحق بالرجوع إلى بيت أبيها إذا أساء زوجها معاملتها أو لم يسعدها[7]، ولم يكن للزوج الحق وحده في طلاق زوجته[8]، فبعض النساء يُطلّقن الرجال، وكان طلاقهن أنَّهن يغيِّرن اتّجاه باب الخيمة، فأن كان بابها قِبَل المشرق حوّلته قِبَل المغرب، وإن كان بابه قِبَل اليمن حولته قِبَل الشام، فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلّقته فلم يأتها[9]، فعادة تغير باب الخيمة هو تبرير ملكية المرأة لها، وأن زوجها استقبل بها[10]، لكنَّ هذا لا ينفي أنّ النساء كنّ يُطلِّقن أزواجهن.

١٢ ـ الوأد

رغم هامش الحرية الذي حصلت عليه المرأة عند المناذرة، غير أنها تعرَّضت لأبشع وأقبح عملية اضطهاد على مرِّ التاريخ، ولم تشهد مثلها أي حضارة من

(١) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٣١٦.
(٢) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٣٨٥.
(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٠٩ ـ ٣١٠، ابن بناته، **سرح العيون**، م.س، ص٢٦٦.
(٤) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٤٢.
(٥) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٨.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٣.
(٧) Nicholson. R, **A Literary History**. p.87.
(٨) Smith. W. R, **Kinship and marriage**, p.92.
(٩) القالي، **الأمالي**، م.س، م٢، جـ٣، ص١٥٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص٣٨٧.
(١٠) Smith. W. R, **Ibid,** p.80.

الحضارات أو عصر من عصور التاريخ، عملية وأد البنات «فهو اسم كان يقع على من كانت العرب تدفنه حيًا من بناتها، واشتقاق ذلك من قولهم، قد آدها بالتراب، يؤدُها، أي: أثقلها به»[1]، وهذا الأسلوب الجديد في التعامل مع المولودة الأنثى ظهر بسبب رواية فحواها «إنّ النعمان بن المنذر لمّا منعته بنو تميم الإتاوة فغزاهم وسبى نسائهم، فوفدت إليه بنو تميم وطلبوا استرجاع نسائهم، فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباها رُدَّت إليه، وإن اختارت صاحبها تُركت عليه، فكلهنَّ اخترن آباءهنَّ إلا ابنة لقيس بن عاصم[2] اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج، فنذر قيس لا يولد له ابنة إلّا قتلها»[3]. وذكر أن عادة وأد البنات نشأت باديْ ذي بدء في ربيعة، وذكروا أنه لما أغير عليهم سُبيَت بنت أمير لهم، فاستردها بعد الصلح، فخُيِّرت بين أبيها ومن هي عنده، فاختارت من كانت عنده وآثرته على أبيها، فغضب وسنّ لقومه الوأد، ففعلوا مخافة أن يقع بعد مثل ما وقع[4]. نلاحظ تشابه بين أحداث الروايتين، مع تغيُّر في أسماء الشخصيات، ولا نرجّح أن الوأد قد بدأ مع قيس بن عاصم[5] لأنه أدرك الإسلام وأسلم، وليس من المنطقي أن ينشأ الوأد قبل الإسلام ويشاع بهذه السرعة بين القبائل، حتى إنّ الفرس عيَّروا المناذرة بأنهم يئدون بناتهم أثناء سفارة النعمان بن المنذر عليهم[6]؛ ما يدل على قِدَم هذه العادة. فالوأد هنا سببه أَنَفه من العار، ومن أسبابه أيضًا الغيرة على الأزواج[7]، ومنهم من ردّه إلى الخوف من الفقر والعوز[8]، ولا نرجّح أن الوأد كان يستعمل على نطاق واسع بين القبائل، فالأولاد فلذات أكباد آبائهم، وإذا مورس بشكل كبير لانتفى الجنس البشري، «فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة»[9]، ويعلّل سبب الوأد «بالمجاعات

(١) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٢٧٨، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٤٤٢.
(٢) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة من تميم، ولّاه الرسول محمد ﷺ صدقات قومه، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٢١٦.
(٣) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٢٧٩، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٥٣١ ـ ٥٣٢.
(٤) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٤٣.
(٥) Kister. M.J, **Studies in Jahiliyya**, p.163.
(٦) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٨. (٧) **المصدر نفسه**.
(٨) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٣، ص١٢٦.
(٩) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٢٧٩.

التي كانت كثيرة الحدوث في بلاد العرب القليلة الأمطار، والتعالي الشاذ على الشرف، فقد كان الآباء يخشون أن يضطروا لإطعام أفواه لا ترتجى من أصحابها فائدة، أو أن يصيبهم العار إذا وقعت بناتهم أسيرات»[١]، فمردُّ أسباب الوأد إلى العار والفقر، أو بسبب أهمية مركز المرأة وحرصهم عليها وعلى سمعة القبيلة قاموا بوأدها، ونحن نعلم طبيعة الحياة القبلية القائمة على العفة والشرف، فهما مصدر تفاخري بين القبائل، أمّا الفقر فالحياة الجاهلية صعبة وقاسية، فحواها الغزو والترحال والصيد، وهذه أمور تستصعبها النساء، وليس لهنَّ القدرة على القيام بها مثل الرجال، لذلك كانوا يؤثرون الذكور على الإناث فيئدون بناتهم.

١٣ ـ الميراث

كان المناذرة لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان شيئًا من الميراث[٢]، لأنه يأخذ على عاتق الرجل تلبية احتياجات المنزل المادية.

وعرفت المرأة عادة شق الرداء والبرقع، «نزعوا أن المرأة إذا أحبت رجلًا أو أحبها ثم لم تشقَّ عليه رداءه ويشق عليها برقعها فسد حبهما، فإذا فعل ذلك دام حبهما»[٣]، وهذه عادة بالية تدل على خفة العقل وسذاجة الفكر، وفطرية الميل. وقامت المرأة أيضًا بشق جيبها حزنًا على شخص فقدته، فقد سمع الأسود بن المنذر الهتاف وعنده امرأة من بني عامر يقال لها: المتجردة، فشقت جيبها حزنًا[٤].

ولنساء العرب مظاهر من الوفاء كلها حسن جميل، فهي أحمل النساء لنازلة، وأصبر على ملمة إلّا إذا انتزع الموت منها أليفًا حميمًا أو عزيزًا عظيمًا[٥]. كما تعبِّر بعض الأعمال عن شخصية المرأة الاجتماعية، وما تتميز به من مواقف وفيَّة مفعمة بالمحبة والوفاء، فكانت تخمش وجهه، وتحلق شعرها إذا مات له أحد أولادها أو زوجها[٦]، واغرورقت عيناها بالبكاء على الحبيب واصطحب ذلك النياحة والندب[٧] لفراق محب[٨]، ورغم بشاعة هذه الأفعال التي فيها تعذيب

(١) Nicholson. R. A, **A Literary History**, p.90 - 91.
(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣١٨.
(٣) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٣، ص١٢٦.
(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٨، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٢٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٧.
(٥) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، جـ١، ص١٤٣.
(٦) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٥٠، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٦٩.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٩٠، ياقوت، **المصدر نفسه**، ص١٩٩.
(٨) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٣٤، ياقوت، **المصدر نفسه**، ص٦٩.

للروح والجسد، لكنها تخفي في مضامينها حب ووفاء لا مثيل له.

أمّا دور المرأة السياسي فلم يكن له تأثير في مراكز القرار إلّا نادرًا، فهند بنت الحارث الكندي امرأة المنذر ابن ماء السماء توسطت لخالها الحارثة ذي التاج عند المنذر زوجها فلمّا أقدم الليل أمر بقتله[١]، أمّا المتجردة زوجة النعمان بن المنذر، قالت لزوجها عندما غضب عليه كسرى وهرب منه: «إنَّ هذا العيش لا يصلح لك، فعد إلى صاحبك فاعتذر إليه»[٢]، فكان لهذا الطلب أثر في نفس النعمان الذي توجه إلى كسرى بناءً على هذه النصيحة.

١٤ ـ الطعام والشراب

ما انفكَّ المطبخ العربي قديمًا وحديثًا في تقديم أشهى وألذ الأطباق المتعددة المكونات التي سمحت البيئة الطبيعية وعملية الاستيراد في تكوينها، ولعب الترف المادي الذي عرفته بيئة المناذرة دورًا إيجابيًا في التلذذ والتنعُّم في طيبات الحياة. ولم يعتبر الفُرس المنذري فيه خيرًا إذا لم يكن أكولًا شرهًا[٣]. ومن أهم مأكولاتهم:

أ ـ التمر: «إحدى المواد الأولية المتوافرة، فهو زاد المسافر والجند، خفيف الحمل، وكثير الغذاء، ولا يحتاج إلى إعداد، ولذلك السبب يُعدُّ التمر من أهم أطعمة العرب»[٤]، ويتحمل الظروف المناخية بالنسبة للتخزين، فكلّما ارتفعت درجة الحرارة ومدة تخزينه زادت حلاوته وطراوته ولذَّته، وهذا يتناسب والبيئة الصحراوية التي عاش بها المناذرة، ويعتبر من أطباق ملوك المناذرة والتي يفتخروا في تقديمها مضيفة للزائر[٥]، بسبب أهميَّته الغذائية. ولإعطاء التمر نكهة أكثر في الأكل، قاموا بأكله مع الزبدة[٦]، وصنعوا الربيكة من البرِّ والتمر[٧].

ذُكر أنَّ رجلين أُسِرا فخيرهما فيما يتعشيان، فاختار أحدهما اللحم، والآخر

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٢٦.
(٢) **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٤٠١.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٧.
(٤) جميل، نينا، **الطعام في الثقافة**، م.س، ص٢٢.
(٥) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٢٢، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٣.
(٦) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م١، جـ٢، ص٢٧٩، المفضل بن سلمة، **المفضليات**، م.س، ص١٧٣.
(٧) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٤، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٤٣١.

التمر، فتعشيا وذلك في فصل الشتاء، فأصبح صاحب اللحم خامدًا، وأصبح صاحب التمر تزهو عيناه[١].

ب ـ الخبز: خُزّن القمح لاتخاذه طعامًا في أيام الشتاء والترحال، وحُضّر الخبز بواسطة عجينة البرِّ المخبوزة على التنور التي أتقنت صنعتها النساء[٢]، ولم يكن التنور من اختراع المناذرة بل استعمل قبلهم منذ قديم الزمن، ولم يستعمل للخبز فقط، وإنَّما استعمل لشَيِّ الدجاج واللحم وغيرهم من الأطباق[٣]. وما تزال دول الخليج العربي تُعِدُّ الخروف أو الشاة بطريقة مشابهة للشواء، فعادة شَيِّ اللحوم في حفرة مسخّنة في الأرض تعود إلى عصور ما قبل المناذرة[٤].

وشاع الخبز في بلاد المناذرة، فهو من أساسيات الموائد لفوائده الغذائية وقدرة القمح العالية على تحمُّل الحرارة المرتفعة والتخزين، إلى جانب توفره كمادة أولية من الحقول، فكان يُطحن على شكل دقيق بواسطة الرحى[٥]. ويخرج من بعدها للخبز على شكل ملَّة[٦]، وقيل، أكلنا خبر ملَّة، ولا يقال أكلنا ملَّة، لأن الملة الرماد الحار الذي يدفن فيه الخبز لينضج[٧].

ومدح كسرى إبرويز أحد حكماء بني تميم عندما وفد إليه فأعجبه كلامه، فقال له: هذا عقل الخبز، لا عقل اللبن والتمر، فصار الخبز عندهم ممدوحًا[٨].

وكان شكل الأرغفة رقيق، سهل المضغ[٩]، «ومن أغلب الاحتمالات أن خبز العرب كان فطيرًا، أي: لا يحتوي على الخميرة، وكان الخبز على قلّته يُعدُّ من حبوب الحنطة أو الشعير بعد طحنه بين حجرين دون نخل»[١٠]، ولا نرجّح أن الخبز كان فطيرًا، لأنَّ الخبز الفطير يكون شهيًا فقط عند إخراجه من التنور، بينما يصبح ثقيلًا وصلبًا عندما يبرد؛ لذلك لم يكن جميع أنواع خبزهم فطيرًا بل كان لديهم نوعًا

(١) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٢٤.
(٢) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٣٧٤.
(٣) Waines. D, **Encyclopaedia of Islam**, VI, p.808.
(٤) Tannahill. Ray, **Food in History**, Paladin, 1975, p.31.
(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٤٣.
(٦) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٦٢، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٧٠.
(٧) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٦٢٩ ـ ٦٣٠.
(٨) الجاحظ، **البخلاء**، م.س، جـ٢، ص٢٠٥، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٢٨.
(٩) الجاحظ، **المصدر نفسه**، ص٢٠٤، المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٧١.
(١٠) جميل، نينا، **الطعام**، م.س، ص٣٣.

من الخبز الغليظ يقال له: جرذق، والجَرْدَقُ، والجَرْدَقَةُ لفظة فارسية معرَّبة وأصلها «كرده»[١]، وهنا يظهر تأثير الفرس في مأكل ومشارب المناذرة.

ولم يُدخلوا القمح والشعير بصناعة الخبز فقط، بل طهوا السَّوِيق[٢]، وهو طعام يصنع من الحنطة، الشعير المدقوق[٣]، أمّا طريقة تحضيره فبعد تحميص حبوب القمح أو الشعير يطحن بين حجرين، ولجعل تلك الحبوب مستساغة، كان كل ما يحتاجه المرء هو إضافة السوائل إليها الماء أو اللبن للحصول على شراب، أو حساء تختلف درجة سخونته حسب كمية الحنطة أو الشعير المضافة، وأُضيف ما توفر عندهم من مواد إلى السويق مثل السمن أو التمر في إعداد أطعمة بسيطة تناسب حياتهم[٤]. وإذا خلط السويق بالأقط ثم لُتَّ بالسمن أو بالزيت يصبح اسم الطبق البَسيسة[٥]. وإذا خلط السويق بالدقيق وبُلَّ بالماء أو السمن يسمى البكيلة[٦].

ووصف السويق بأنه «طعام المسافر، وطعام العجلان، وغذاء المبكر، وبلغة المريض، ويشدُّ فؤاد الحزين، ويردف نفس الضعيف، وهو جيد في التسمين ونقاوة البلغم، ويصفي الدم، وإن شئت كان ثريدًا، وإن شئت كان خبيصًا، وإن شئت كان خبزًا»[٧]، وربما طبخ الرز مع اللحم والسمن على نفس الطريقة، لأن الرز كان موجودًا في بلاد المناذرة[٨]، فهو من قوائم مائدتهم[٩].

ت ـ اللحوم: تمرَّس المناذرة على صيد الحيوانات للاستفادة من لحومها وجلدها، وكانوا يمعنون في طلب الطريدة حتى يصطادوها، فينحروها ويشووا لحمها على نار ليصبح طيبًا مستساغًا شهيًا يقطر الدهن منه[١٠].

(١) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٩٥ وص١١٥.
(٢) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٠٧، السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١٠٢.
(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص١٧٠، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٤.
(٤) جميل، نينا، **الطعام**، م.س، ص٣٤ ـ ٣٥.
(٥) البَسيسَة: الدقيق والسويق يُلتُّ ويتخذ زاداً، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٢٩.
(٦) البَكيلة: أصله من الدقيق والأقط يبكل بالسمن، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٦٣.
(٧) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩، القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ٢، ص١٩٥.
(٨) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٢١٦.
(٩) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٣٩٦.
(١٠) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٩٦ ـ ٩٧، ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

وكان المناذرة ذائعي الصيت في أكل لحوم الإبل، التي لم يستسغها غيرهم، ففي سفارة النعمان بن المنذر على كسرى إبرويز، قال له الأخير يصف العرب: «فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها»، فرد عليه النعمان «أمّا قولك إنَّ أفضل لحوم الإبل على ما وضعت منها، فما تركوا ما دونها إلا احتقارًا له، فعمدوا إلى أجلِّها وأفضلها، فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحومًا وأطيبها لحومًا، وأرقها ألبانًا، وأقلها غائلة، وأجلّها مضغة، وأنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلّا استبان فضلها عليه»[١]، وسبب كره كسرى للجِمال أنهم لم يكن لديهم خبرة في طهوه، فقد قال أعرابي لكسرى عن لحم الجمال: «يطبخ لحم الجمل بماء وخل»[٢].

ومن هذا القول نستوضح أنَّ لحم الإبل كان المفضل عند المناذرة، واعتمدوا عليه بشكل أساس في أطعمتهم، بالإضافة إلى لحوم البقر والظباء والنعام والأرانب[٣]، وكانت الحيوانات الداجنة تؤكل كمظهر للترف، أو في أوقات المجاعة[٤].

فأكل اللحوم كان شائعًا عندهم، ونتردَّد بقبول كلمة نادرًا[٥]، ففي السنة المجدبة يعمدون إلى أولاد الإبل فيذبحونها وذلك لتسلم الأمهات[٦]، ونحن نعلم الكمَّ الهائل لأولاد الإبل، فكيف يكون أكل اللحم نادرًا؟ ومن مآكلهم شحم وسنام الجمل[٧]، وربما استغلّوه كمادة زيتية لتقلية الطبخة وإعطائها طعمًا لذيذًا ومذاقًا سلسًا، وسُمّي بالسديف[٨][٩].

ومن المرجَّح أن مهنة شوي اللحم وذبح الجمال وبيع لحمها في الحوانيت كانت رائجة في الأسواق كما في وقتنا الحالي[١٠].

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٥ وص٢٧٨.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٢١.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥١، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٤٣.

(٤) Smith.W. R, **Lectures on the Religion**, p.223.

(٥) Rodison. N, **Encyclopaedia of Islam**, II, p.1057

(٦) الأنصاري، أحمد حمودي، **من ذبائح ونذور**، م.س، ص٤٤.

(٧) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٩٧.

(٨) السَّديف، السنام المقطع، وقيل شحمه، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٤٨.

(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٥.

(١٠) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص١٣٩.

ومن أشهر أطباقهم الثريد[١]، بسبب لذَّته ونكهته بالأفاويه، فيعطي رائحة زكية تفتح النفس وتُرغبها لطلب الطعام، أمّا طريقة تحضير هذا الطبق فهي كالتالي: يوضع اللحم في الماء الساخن لسلقه، ويوضع العظم معه أحيانًا، ويضاف إليه الحمص الحب، وبعد استوائها، ترشُّ البهارات، ومن أهم أنواعها الفلفل الأسود، ثم يضاف مع مرقه إلى الخبز اليابس أو المحمَّص وتحته السمن، فتكون وجبة لذيذة[٢]، وهي شبيهة بأكلة «الفتَّة» حاليًا، وربما أضيف إليها الزبدة والتمر، لأنَّ أكل الثريد يعني ذلك[٣]، وشاع هذا الطبق في طبقة الأشراف عامة[٤].

وتفنَّن سكان العراق في صنع الأطباق الشهية لتأثرهم بالحضارة الفارسية، فعندما استوطن الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة واسط نفى النبط عنها، وكان في طباخيه رجل يطبخ أنواعًا تعجب الحجاج، فلمّا أمر بإخراج النبط فقد ذلك النوع من الطعام، فسأل عنه فقيل: إن طباخه نبطي، فلهى عنه مدة ثم قال: اشتروا لي غلامًا وعلموه صنع تلك الأنواع من الطعام، ففعلوا فلم يحكم الغلام الصنعة فقال: أدخلوا هذا النبطي نهارًا وأخرجوه ليلًا، فكان يأتي في كل يوم يعمل الطعام ثم ينصرف[٥].

زخرت بلاد المناذرة بالثروة السمكية النهرية والبحرية فاصطادوها وجعلوا منها طعامًا يقدم للضيوف[٦]. وذبحت قبيلة أسد الكلاب وأكلوا لحومها، أمّا قبيلة هذيل[٧] فقد أكلوا لحوم البشر[٨].

ث ـ الألبان والنباتات: تماوجت الأبقار والأغنام والماعز والجمال في تضاريس بلاد المناذرة، فاستفاد السكان من حليبها وألبانها، وطغى حليب الإبل على غيره من

---

(١) الثَّريدُ: ما ثرد من الخبز، ما يهشم من الخبز ويُبلُّ بماء القدر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص١٠٢.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٠٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٥٠٤.

(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٢١، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٢، ص١٠٥.

(٤) الجاحظ، **البخلاء**، م.س، جـ٢، ص٢٠٤.

(٥) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥١.

(٧) هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١١.

(٨) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨، ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٣٤.

الأنواع الأخرى فكان الشراب الرئيس لديهم[١]، بسبب الكمِّ الهائل لأعداد الجمال، وفضَّلوا اللبن الحامض على غيره، وحبَّذوا شرب الحليب كثيرًا[٢]. وبسبب حساسية الألبان من الحرارة المرتفعة، اخترعوا طرق مختلفة للمحافظة عليها وعدم إلحاق الأذى الجسدي للإنسان بسبب فسادها، فقاموا بتجفيف اللبن فسموه: الأقط[٣]، وذلك من خلال صخرة محوط حولها الرماد والنار الخفيفة، ثم يطبخ الأقط[٤]، ويُحضَّر هذا النوع من ألبان الجمال خاصة[٥].

وطبخوا الخبز أو التمر أو السمن مع وطب اللبن[٦]، وعُيِّرت تميم بالملفف في البجاد[٧]، الذي يطبخ بإلقاء الخبز أو التمر أو اللحم في وطب اللبن ليلف به ويحمى، فيُسمّى بعدها السخينة[٨]. ومن الأطباق الأخرى التي يدخل اللبن فها كمادة أساسية مرقة المضيرة، سُمّيت بذلك لأنَّها طبخت باللبن الماضر، أي: الحامض[٩]، وصنعت بغلي الماء وإلقاء اللحم فيه، وعند النضج يسكب اللبن فوقها[١٠]، ومن المرجَّح أنها حرِّكت بشكل دائم.

وطُبخت بالفوذج والسذاب[١١]، والكرفس[١٢][١٣]، ولم نجد معنى الفوذج في معاجم اللغة، لعلها تكون الفالوذ[١٤]، وأضيف إلى المضيرة بعض الأنواع من البقول لتعطيها نكهة الحرِّ.

---

(١) Radison. M, **Encyclopaedia of Islam**, II, p.1057.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٣٠.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٥.

(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص١٤٥.

(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٢٥٧.

(٦) وَطْب: جلد يوضع فيه اللبن، **المصدر نفسه**، جـ١٣، ص٧٩٧.

(٧) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص١٢١، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٠٥.

(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٧٧ ـ ٧٨، اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(٩) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٤، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٧٧١.

(١٠) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٧٠، ابن منظور، **المصدر نفسه**، ص١٧٨.

(١١) السَّذابُ: كلمة يونانية الأصل، وهو نوع من البقل، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٢، ص٦٩.

(١٢) الكَرْفس: بقلة من أحرار البقول، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٩٦.

(١٣) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٣٢٠.

(١٤) الفالوذ: من الحلواء، يسوَّى من لبِّ الحنطة، فارسي معرَّب، لا يقال له الفالوذج، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٥٠٣.

ومن طعامهم الهَلامُ، وهو «طعام يتخذ من لحم العجل بجلدها»[١]، وقيل هو مرق السكباج[٢] المبرّد المصفى من الدهن، والسكباج هو لحم يطبخ بخل، وهو من لحوم الخيول[٣].

الفالوذج، طبخة تحضر من المخ والمح[٤]، ولا أطيب منه، وذُكر بأنه نوع من الحلواء يُؤكل، ويصنع من لب الحنطة الذي يخلط مع العسل، وأصل الكلمة بالفارسية بولاده[٥] وهو أشرف طعام العرب[٦]، وهذا الطبق من ابتداع الفرس لا المناذرة، وفي الوقت ذاته كان بعضهم لا يأكل الفالوذ، ولا يستسيغه[٧].

ومن الأطعمة التي اقتبسها المناذرة عن الفرس «الخردق» وهو طعام شبيه بالحساء، ويقال لها الخزيرة وسُميت بالحريرة، وهي تتكون من الدسم والدقيق[٨]، فهي الحساء من الدسم والدقيق، وقيل: الحزيزة من النخال[٩]، أمّا طريقة تحضيرها، فبعد تقطيع اللحم إلى قطع صغيرة يصب في القدر من الماء الكثير فأن نضج ذرَّ عليه الدقيق[١٠]. وأكلت قبيلة طيء الجراد[١١]، والعبيثة[١٢]: طعام يطبخ ويجعل فيه جراد، ويقال له: الغثيمة أيضًا[١٣].

ومن مآكلهم النباتية، القتَّ، وهو حب أسود من ثمر العشب، تطبخه العرب، وتأكله في أيام القحط والجفاف[١٤]، وهذا الطعام هو للحيوانات، ولكن يجبر الإنسان على أكله في أيام المجاعة.

---

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٦١٧.

(٢) السِّكْباج: هو لحم يطبخ بخل، معرَّب، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٣، ص٤٠٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٢.

(٤) المُحُّ: صفرة البيض، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٨٩.

(٥) الجاحظ، **البخلاء**، م.س، جـ٢، ص٢٠٤، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٨، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٦) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٢٨.

(٧) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٢٦.

(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٥.

(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص١٨٤.

(١٠) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٥.

(١١) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٨٨ ـ ٨٩، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٨٤.

(١٢) العبيثة: الأقط يدق مع التمر فيؤكل ويشرب ويجعل فيه جراد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص١٦٦.

(١٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٤.

(١٤) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٠٩.

وأكلوا المخ والمح والزبدة[١]، وكبد الحيوان من أرفع القطع مقامًا عندهم في الأكل[٢]، وحبذوا أكل الكمأة[٣]، فبعد تنظيفها تقشر وتسلق بالماء والملح، ويضاف إليها المطيبات من السعتر والفلفل ثم تُقلى بالزيت[٤]، وهي طريقة لا تزال متَّبعة حتى الآن في طبخها. واعتمدوا على النار في طهو الطعام. أمّا أدوات المطبخ فهي الجفان[٥]، التي يضع فيها الطعام وكانت كبيرة يأكل منه القائم والراكب، وإذا وقع فيها الصبي يغرق[٦]، وطبخوا بالقدور[٧] المصنوعة من المعدن والتي توضع فوق نار ملتهبة[٨]. واعتمد الطباخون أساليب متنوعة في إعداد الطعام بين الشوي والطبخ في القدر[٩]، واستعملوا المغرفة[١٠]، والصحفة[١١][١٢]، وسكبوا الطعام في الطباق[١٣]، ووضع التمر في الجلة[١٤]، وحُضر الطعام من قبل النساء والرجال على حد سواء، فعدي بن زيد صنع طعامًا في بيعة[١٥].

ج ـ العسل: له قيمة غذائية كبيرة لا تفوقها أي مادة أخرى في أهميتها وفوائدها الصحية، مصدره هو النحل الذي اتخذ من الجبال أحيانًا موضعًا ليضع فيه

---

(١) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٤٩٢، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٨٢.
(٢) جميل، نينا، **الطعام في الثقافة**، م.س، ص٣١.
(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٣، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٧.
(٤) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٣١٨.
(٥) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٥٦ ـ ٥٧، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٤٨.
(٦) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٩١.
(٧) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٦٦، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٥.
(٨) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٦٣.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٣٤.
(١٠) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٦٦.
(١١) الصَّحْفة: كالقصعة شبه قصعة مسطحة عريضة وهي تشبع الخمسة ونحوهم، والجمع صحاف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٨٧.
(١٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٣.
(١٣) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٠٦، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٩.
(١٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٥٥.
(١٥) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٣، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص١٠٨.

العسل[١]، واتخذوه كحلوى باردة بعد الطعام[٢]، وفضَّل الملوك العسل على باقي الأطعمة، فالمنذر بن ماء السماء كان يقطع الخبز ويلوثه بالعسل[٣]، وسُمي بشهد الأبكار من النحل[٤]. وكان عسل بلاد المناذرة مشهورًا ومحبوبًا من سكان وتجار الممالك الأخرى، وتميَّز بكثرته أيضًا، فعندما فتح المسلمون الحيرة اشترطوا عليهم «ضيافة المسلمين وشيئًا من برٍّ وعسل»[٥].

وتفنَّن نحّالو الحيرة بصنع العسل، فحاول غيرهم تقليدهم، لذلك وضعت طرق عديدة لاكتشاف العسل المزيف، فكان يقال: «أجود العسل الذهبي الذي إذا قطرت منه قطرة على وجه الأرض استدار كما يستدير الزئبق، ولم ينفش ولم يختلط بالأرض والتراب»[٦]، وصنعوا بعض الحلويات الأخرى، فهناك السكنجبين المعمول بالسكر[٧]، والمن[٨] والسلوى[٩][١٠]، وبالإضافة إلى التمر حلوى المناذرة الأولى، كان عندهم الدبس أو عسل التمر[١١].

ح ـ الخمر: تلذَّذ المناذرة بشرب الخمر وبطعمه الرائع، فاشتهرت حوانيته ببيعه وتصديره إلى الخارج، وانتشرت هذه الحوانيت بشكل كبير حول الأديرة[١٢]. وأطلقوا على الخمر أسماء مختلفة في أشعارهم في وصفهم له، فقيل له: القهوة، قال الأصمعي أنه قرأ على قبر بالحيرة:

والخبز واللحم لهم راهن ... وقهوةٌ راووقها ساكب[١٣]

---

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٩.
(٢) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٢٧.
(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٥٢ ـ ٤٥٣.
(٤) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٤٩٢، وابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٨٢.
(٥) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٥.
(٦) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٢٨.
(٧) ابن قتيبة الدينوري، **المصدر نفسه**، ص٣٢٠.
(٨) المنّ: هو كالعسل في الحلاوة، شيء كان يسقط على الشجر الحلو يشرب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٤١٨.
(٩) السَّلوى: العسل، **المصدر نفسه**، جـ١٤، ص٣٩٥.
(١٠) البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٣، ص٢٢٥.
(١١) جميل، نينا، **الطعام في الثقافة**، م.س، ص٤٢.
(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٢٠ وص٩٤، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٣ وص٢٤٧.
(١٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص١٦٩.

وهناك أنواع للخمر منها السلاف[١][٢]، الذي هو أول الخمر، يتميَّز طعمه بحدَّته[٣]، واعتبر أن السلاف هو من يعطي للشباب لذة[٤]. وتم تعتيق الخمر ليصبح ألذ طعمًا، وتجاوزت المدة الزمنية الخمس سنوات[٥].

وحُضِّرت الخمور المعتَّقة بشكل صحي، فالمعاصر نظيفة وحسنة الصنعة، وآلاتها أنيقة، واختصّ باعتها وسقاتها باللباقة والملاحة في الحانات والملابس[٦]، وعُتِّق الخمر في الخوابي المطلية بالقار[٧]، للتقليل من وصول درجة الحرارة إلى جوفها، وقدحت، أي: خُرِقَ جانبها، لأنَّ العادة أن تخرق الخابية من جانبها تحت وسطها، فلو فتحوها من رأسها لطار ثاني أوكسيد الكربون منها، وأصبح الخمر شراب العنب، ووضع الخمر في الباطية المصنوعة من الطين أو الخشب[٨]، وشُرِبَ في القلَّة[٩][١٠].

من أنواع الخمر: الكميت، وهي الحمراء الضاربة إلى السواد المصنوعة من العنب الأسود، متى يسكب الماء عليها تزبد لأنها معتَّقة[١١].

واشتهر سكان بلاد المناذرة بشرب الخمر[١٢]، وهو مدعاة فخر وعزة لهم، بسبب جودته فهو «موصوف بالجودة كوصف القطربلى»[١٣][١٤]. وشربوه مع المكسرات من

---

(١) السلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر، وسمي الخمر سلاف، والسَّلافة: من الخمر أخلصها وأفضلها، وذلك إذا تحلب من العنب بلا عصر، وكذلك من التمر والزبيب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٦٠.

(٢) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٤٩٢.

(٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٣٧، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١١٠.

(٤) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢١٨.

(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٥٨، أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٣٤.

(٦) الزيات، حبيب، **الديارات النصرانية**، م.س، ص٤٢.

(٧) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٩، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٧٥ ـ ٥٧٦.

(٨) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٦١.

(٩) القلَّة: الكوز الصغير، والجمع القلل وقلال، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٦٥.

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥١ ـ ٣٥٢.

(١١) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٤، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٩٤.

(١٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٦١.

(١٣) قُطْرُبَل: موضع بالعراق، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٥٩.

(١٤) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٣، ص٣٤٥.

فستق وغيره، وفواكه مثل التفاح[١]، لتعطي نكهة ألذ، وتضفي شعورًا بالتلذذ والنشوة في الشراب.

١٥ ـ آداب الأكل

على الرغم من بساطة حياة المنذري غير أنه تقيد بقواعد سلوكية احترامًا لمائدة الطعام، فهي النعمة التي يتقوى بها، وتحميه من الأمراض، وتحافظ على استمراريته، فكانوا لا يأكلون مع المريض خوفًا من العدوى، فالنعمان بن المنذر منعه الشاعر لبيد بن ربيعة من الأكل مع الربيع بن زياد لأنه كان به برص[٢]، وكانوا يضعون الطعام على الأنطاع: وهو ما يؤخذ من الجلد ويوضع عليه الطعام[٣]، ويعاب على كل فرد لا يكرم الضيف ويقدم له أصناف الطعام، وبالمقابل كان المسافر أو قاطع الطريق عندما يشم رائحة الطعام يلتجئ إلى مصدره للأكل، أو عندما يرى دخان نار الطعام[٤]، وهذا مدعاة فخر واعتزاز للمضيف، فإكرام الضيف وإطعامه كان واجبًا لا مفرَّ منه. «ومن آدابهم أن يوضع الطعام بين يدي الضيف ولا يوضع في ناحية ويؤمر الضيف بأن يقترب منه»[٥]. وكان الشارب يقطع شربه ثلاث مرات لأنَّ ذلك أروى، وأمرأ وأبرأ له[٦]. ويقال لصاحب المأدبة: الأدب، والجَفْلى: تعني الدعوة العامة، بينما النَّقرى، دعوى خاصة[٧]، فقد طعن بسطام بن قيس الشيباني[٨] مالك بن المنتفق الضبي، لأنَّه لا يدعوه إلى الجفلى[٩]، ربما بسبب خلافات شخصية بينهما، والنقرى مذمومة تدلُّ على بخل صاحب الدعوى أو قلَّة ما في يده[١٠].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥٢.

(٢) **المصدر نفسه**، جـ١٥، ص٣٦٥، ابن رشيق، **العمدة**، جـ١، ص٥٦ ـ ٥٧.

(٣) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٥.

(٤) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٤٢، حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص١٢٠ - ١٢١.

(٥) جميل، نينا، **الطعام في الثقافة**، م.س، ص٥٥.

(٦) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٨.

(٧) الجاحظ، **البخلاء**، م.س، جـ٢، ص١٨٢، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٥.

(٨) بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٢٦.

(٩) الجاحظ، **البخلاء**، م.س، جـ٢، ص١٨٢.

(١٠) الأنصاري، أحمد حمودي، **من ذبائح ونذور**، م.س، ص٤٥.

رابعًا ـ الملابس والتبرج والزينة

١ ـ الملابس

اهتدى الإنسان إلى الملابس اتقاءً للحرِّ وللحماية من البرد، وهي حاجة من أجل ستر العورة، وربط الإنسان بين لباسه والحرارة، ففي البلاد الحارة يميل إلى الألبسة الرقيقة البيضاء اللون لتقيه من أشعة الشمس وحرارتها، وفي المناطق الباردة يلبس الثياب السميكة ذات الفرو الحيواني، وبسبب غلبة فصل الصيف على غيره من الفصول في بلاد المناذرة نجدهم يميلون إلى الثياب الرقيقة.

وتعتبر الملابس مرآة للتطور الحضاري والترف الاقتصادي الذي وصل إليه أي شعب من الشعوب، ففي أثناء مقابلة النعمان بن المنذر مع كسرى إبرويز مدح النعمان نساءه بأنهنَّ يلبسن أفضل اللباس[١]، أمّا تفاصيل هذا اللباس فهي: الحجاب، الذي اختلف في شكله لذلك أطلق عليه أسماء متعددة، ومنها: الوصواص[٢][٣]، أي: ذي الثقوب الضيِّقة لعينَي المرأة[٤]، وسمّي الوصاوص بالبراق أيضًا[٥][٦]. ولُوِّن الأخير بألوان مختلفة[٧].

الخمار: وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وجاء في كتب الأمثال «إنَّ العوان لا تعلِّم الخمرة»[٨]، فالعوان هي المرأة الثيب، أي: أن المرأة المجربة لا تعلم كيف

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

(٢) الوَصْواصُ: البرقع الصغير، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص١٠٥.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٢٥٠، المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٨٩.

(٤) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، ص١٠٩.

(٥) البرقع: تلبسه النساء، وبُرْقع مصوصٌ إذا كان صغير العينين، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٩.

(٦) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٢٩.

(٧) Dozy. R, **Dictionnaire détaillé,** p.65.

(٨) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٣٥، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٩.

تختمر، والخِمرَة من الخمار[١]، «وكانوا يمدحون المرأة التي تلبس خمارها وهو دليل العفة والحياء»[٢].

النصيف[٣]: هو نفس الخمار، وإنَّما سمي بالنصيف لأنه نصف بين الناس وبينها، فهو يحجز أبصارهم عنها[٤]، فعندما سقط خمار المتجردة سترت وجهها بيدها[٥]؛ ما يدل على حشمة نساء المناذرة واعتبارهن الشعر والوجه عورة، لذلك لبسن الحجاب، فاللباس عند المرأة هو تسوية بين الرغبة في أن تكون مكسوة والرغبة في أن تكون عارية، فالمهم لفت نظر الرجل.

وللثياب الرقيقة الحظ الوافر من ألبسة النساء، فالسبوب[٦]: مفردها السبّ، وهو الثوب الرقيق[٧]، وذكر أن السِّب هو الخمار[٨].

الدّخْدَار: ثوب أبيض أو أسود مصون، وهو أعجمي معرَّب، أصله: تخت دار[٩]، فهو ضرب من الثياب النفيسة[١٠].

المِلْحفة: هي اللباس الذي فوق سائر الثياب، يحمي من زمهرير البرد[١١].

والأزر[١٢]: هو ما يؤتزر به في الخصر من الثياب؛ ما يعطي صورة أن الثوب كان قطعة قماش كبيرة وفي وسطه قطعة قماش يربط بها، وهو شبيه بالعباية حاليًا، والملحفة هي نفسها الشَّوْذَرُ، وعُرِّبت الأخيرة عن الفارسية إلى الملحفة[١٣]. وقيل للأزر الملاءة، وصنعت أحيانًا بأطراف طويلة[١٤]، والشوذر يستر الجسم سترًا كاملًا

---

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٢٥٧.

(٢) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية**، م.س، ١١٩.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١١.

(٤) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، ص١٠٩.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٥٢.

(٦) المفضل، الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٣٩٣.

(٧) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٥٦.

(٨) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٩٦، ابن منظور، **المصدر نفسه**.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١١ وص١٥١، الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٤١.

(١٠) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية**، م.س، ص١٣٢.

(١١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٣١٤.

(١٢) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠٩.

(١٣) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٠٥.

(١٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٣.

من أعلى الرأس إلى أسفل القدمين، ولا يفتحن منها إلّا ثقوبًا صغيرة في مواضع العيون[1]، ولا يزال يستعمل حتى وقتنا الحالي ويختلف بأنه يستر كامل الجسم باستثناء الوجه.

المِرْط[2]: هو كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر، ومرط مُرَحَّل، هو الذي عليها تصاوير الرحال[3]، فهو الثوب الموشى باللوحات الفنية؛ ما يعني أنَّه أدخل فيه ألوان متعدّدة من الخيوط حتى تشكَّلت تلك الصور، وهذا يُظهر المدى الذي وصل له فن الإبداع في تزيين الملابس.

القَهْزُ: نوع من الثياب تتخذ من الصوف، وربما خالطها الحرير ذا اللون الأبيض، وهي كلمة أعجمية معربة[4]. والإضريح[5]: أكسية من خز[6]. والشرعبي: نوع من البُرود، وهي من الثياب الحارية، نسبة إلى الحيرة[7]، وقَدَّم النعمان بن المنذر بردي لشيخ أعز قبائل العرب[8]؛ ما يظهر أهمية هذا الثوب وقيمته العالية.

ومن أنواع الأكسية الأخرى: الطَّيلَسَان، وميزته لونه الأسود[9]، وهو مصنوع من الكتان الرقيق[10]، لباس أعجمي[11]، على الأرجح فارسي، دخل بلاد المناذرة فحاز على مرتبة مهمة بين الملابس، حتى إنّه دخل في هدايا ملوك المناذرة إلى من يحبون[12]، وقد تأثر عرب الجاهلية بأهل العراق، وبشكل خاص الأغنياء والتجار الذين كانوا يغدون عليهم فيقلدونهم في ملابسهم، فصاروا يلبسون الخَز والطيلسان[13].

(1) Dozy. R, **Dictionnaire détaillé,** p.217.

(2) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٨، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص٤٨٢.

(3) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٤٠١، جـ١١، ص٢٧٨.

(4) الجوليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٦٣ - ٣٦٤، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٣٩٨.

(5) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٦٤، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٥٣.

(6) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٣١٣.

(7) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٦٦.

(8) التنوخي، **المستجاد**، م.س، ص٢٣٧.

(9) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٢٥.

(10) Dozy. R, **Ibid,** p.279.

(11) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٢٧.

(12) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٦، ص٤.

(13) الجبوري، يحيى، **الملابس العربية**، م.س، ص١٣.

وصُبغت البرود باللون الأصفر أيضًا[1]، وهذا النوع من اللباس دليل على الترف والنعمة عند المرأة[2]، فالبرود الثوب الأبيض، والمجسد المصبوغ بالزعفران[3]، يعني تلبس ثوبين أحدهما أبيض والآخر مصبوغ.

التَّرمَقُ: فارسي معرب ومعناه اللين[4]، أراد ثيابًا لينة بيضاء، وهو بالفارسية «نرمه»، شُبّه السراب بها[5].

الكرباسة: وهي الثياب الخشنة[6]، فهي من الأنواع التي تلبس في فصل الشتاء.

الجُبَّةُ: ثوب من عدة قطع، جمعها: جبب[7].

الدِرْعُ والمِجْوَل[8]، الأول: هو ثوب يجوب وسط المرأة ويجعل له يديه، ويخاط فرجيه، أمّا الثاني: فهو ثوب يثنى ويخاط من أحد شقيه ويجعل له جيب[9].

وكثيرًا ما اعتمر الرجال العمامة[10]، لتقيهم من أشعة الشمس، وتزيد في جمالهم بسبب الطول الزائد الذي تعطيه للرجل، وتحميهم في الحروب من وقع السيوف والرماح «وترى إلى يومنا العمامة من ميزات الكهنة، والأساقفة، والبطاركة الكلدان في العراق، وجهات ما بين النهرين»[11].

وخُص لبس الأقبية[12] بالملوك، فهو لباس خارجي مقبول الطول وله أزرار في الجهة الأمامية[13]. ولبسوا الدراريع[14] المصنوعة من الكتان[15]، بينما ذُكر أنَّ

(1) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٣، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٨٨.

(2) حداد، شفيق مخائيل، **التبرج واللباس عند العرب**، دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٧٧.

(3) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص١٢١. (4) **المصدر نفسه**، جـ١٠، ص٣٥٢.

(5) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٣٣ - ٣٣٤.

(6) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٥٥.

(7) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٢٤٩، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١، ص٣٤٧.

(8) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، ص١٣٠.

(9) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٨٢، جـ١١، ص١٣١.

(10) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٠، ابن حوقل، **صورة الأرض**، م.س، جـ٢، ص٢٨٩.

(11) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٤٠٨.

(12) الأقبية: مفردها القباء من الثياب الذي يلبس مشتق من ذلك لاجتماع أطرافه، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٥، ص١٦٨.

(13) Dozy. R, **Dictionnaire détaillé,** p.352.

(14) الدَّرع، ثوب يجعل له يدين، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٨٢، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١١، ص١٠٨.

(15) ابن حوقل، **صورة الأرض**، م.س، جـ٢، ص٢٨٩.

الدراعة لم تكن تصنع إلّا من الصوف[1]، وارتدوا العَصْب[2][3]، والحلل[4] الديباج المذهَبَّة[5]، واليملق، الذي جاء ذُكر في وصف عدي بن زيد في يوم فصح دخل ليتقرب في كنيسة بالحيرة وكان لابسًا يملقًا مذهّبًا لم يُرَ مثله حسنًا[6]، فهو كلمة فارسية معربة تعني القباء[7]. وشد الرجال أوساط أجسامهم بالزنانير المفصصة بالجواهر[8].

٢ ـ التبرج والزينة

التبرج: «هو إظهار الزينة وما يستدعى به شهوة الرجل، وقيل: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال»[9]، ولا يكون إلّا ليبرز المرأة على أجمل صورة يتلقفها الضوء وليس العتمة أو الظلمة، لأنه عندما تنطفئ الأضواء كل النساء جميلات، «فالزينة التي منها التزويق واستخدام الحلي المختلفة والألبسة المتنوعة، كانت ولا تزال تتوقف إلى حد بعيد على المستوى العام للمعيشة من جهة، وعلى مقدار التقدم الحضاري عند الشعوب والأمم»[10].

وتميل النساء إلى الخضاب بمادة الحنة[11]، واستعملن الحناء للتخلص من بياض شعر الشيب[12]، وربما اتَّشم الرجل[13] بزعم أن الوشم يشد عضده ويقوى

(١) Dozy. R, **Dictionnaire détaillé,** p.177.

(٢) العَصْب: ضرب من برود اليمن، سمي عصبًا لأن عزله يعصب، أي يدرج، ثم يصنع ثم يحاك، وليس من برود الرقم، يأتي موشيًا لبقاء ما عصب منه أبيض، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٦٠٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٦.

(٤) الحُلَّة: رداء وقميص وتمامها العمامة، ولا تسمى حلّة حتى تكون ثوبين من جنس واحد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١٧٢.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٠، أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤٠.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(٧) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٥٥، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٣٨٧.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤٠، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٦.

(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢١٢.

(١٠) حداد، شفيق مخايل، **التبرج واللباس**، م.س، ص١٨.

(١١) أبو حنيفة الدينوري، **النبات**، م.س، جـ٣، ص١٧٨، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص١١.

(١٢) حداد، شفيق مخايل، **التبرج واللباس**، م.س، ص٢٥.

(١٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٩٧.

دمه[1]، وجُدد الوشم كل فترة حتى لا ينمحي[2].

وشمت النساء أيدهن بمناظر جميلة أو رسمة معبرة، والفرق بين الوشم والحنة، أنّ الأخيرة لا تدوم أكثر من عشرة أيام بينما الوشم يبقى للأبد، وطريقة الحصول على مواد الوشم فهي من «النّؤور، وهي شحمة تلقى على النار ويكب عليها طست أو غيرها مما يشبهها، فيعلق دخانها بها فيؤخذ ما لصق من الدخان بالطشت فيذر في مغرز الإبرة»[3]، التي تستخدم لرسم الوشم. واستُعمل القار للوشم أيضًا[4].

واكتحلت نساء الحيرة بالكحل الحاري نسبة إلى الحيرة لتجميل عيونهن[5]، فالكحل من وسائل التبرج المحببة جدًا إلى المرأة[6].

وزيَّنت النساء أجسادهن بالمجوهرات والأحجار الكريمة الثمينة[7]، فقد قال النابغة الذبياني في وصف عقد للمتجردة استُعمل في نظمه الدرُّ والياقوت واللؤلؤ وفصوص الزبرجد:

بـالـدرِّ والـيـاقـوت زيـن نـحـرهـا ومـفـصـل مـن لـؤلـؤ وزبـرجـد[8]

وتدلَّى الخلخال في أقدام النساء[9]، ويُطلق على ما له رنين[10]، لكي تلفت انتباه الرجل فينظر إليها وهي تمشي وتختال كالخيل في مشيتها.

ورصَّعن نحرهن بالجُمان، وهو خرز من فضة[11]، وغلَّفن سواعدهن بأساور مصنوعة من الذهب[12]، ولم يقتصر التزين بالحلي والمجوهرات على النساء فقط، فالنعمان بن المنذر تزيَّن بالقرط[13] والدّملج[14]، وهذا الأخير هو طوق العضد شبيه

(١) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، ص١٤٩.

(٢) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٣٩.

(٣) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٣٤.

(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٥٢.

(٥) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣٢٨.

(٦) حداد، شفيق مخايل، **التبرج واللباس**، م.س، ص٢٥.

(٧) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٤٥.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٨.

(٩) **المصدر نفسه**، جـ٢١، ص٣.

(١٠) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(١١) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٧، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٦١.

(١٢) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٣٢٥.

(١٣) القرط: نوع من حلي الأذن، **المصدر نفسه**، جـ٧، ص٣٧٤.

(١٤) الجاحظ، **البرصان**، م.س، ص١٠١ ـ ١٠٢.

بأسوار اليد[1]، واستعملت النساء القرط أيضًا «فعرفن أنواعًا، منها الحلقية البسيطة، ومنها ذات الأشكال الهلالية التي تنتهي في أسافلها بمجموعة من الديالات الصغيرة تزيد في جمال تلك الأقراط وبهائها»[2].

وتباهى ملوك المناذرة بلبس اللؤلؤ[3]، وألبسوا أطفالهم الطوق الذي هو عبارة عن حلي يحيط بالعنق[4]، فعمرو بن عدي ألبس الطوق من صغره[5]، ويكون إمّا من الذهب أو من الفضة، ولا خلاف واضح بين طوق الرجل والنساء، اللهم إلّا ما يُنظر في التماثيل من أن طوق الرجل أكثر سمكًا[6].

ومن لواحق الزينة بل من أصولها ودعائمها الطيب، وهو زينة العرب جميعًا رجالًا ونساءً وأطفالاً، فعمرو بن عدي تعطر في طفولته[7]، وذُكر نوع من العطور: المسك، وهو المشهور في الجاهلية[8]، ومن أزكى وأغلى صنوف الطيب عندهم العنبر والمسك[9]، وانتشرت رائحة المسك من النساء أثناء تجوالهن، وتميَّز برائحته الجميلة[10]، وعُطرت العروس بنوع خاص من العبير، وهو المَلابُ[11][12].

(١) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(٢) حداد، شفيق مخائل، **التبرج واللباس**، م.س، ص٢١.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢.

(٤) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، جـ١، ص١١٦.

(٥) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٧٣، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٩.

(٦) حداد، شفيق مخائل، **التبرج واللباس**، م.س، ص٢٢.

(٧) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٧، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ٢٦٤.

(٨) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٣٠، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٦٥.

(٩) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، جـ١، ص١١٧.

(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٥.

(١١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٧٤٦.

(١٢) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٦٥.

الفصل الخامس

الميادين الفكرية

أولًا ـ الخط والكتابة.

ثانيًا ـ الطب.

ثالثًا ـ الموسيقى والغناء.

رابعًا ـ علوم أخرى.

أولاً ـ الخط والكتابة

أصل الخط العربي مشكلة مستعصية كثرت حولها الآراء وتباينت التحليلات، فالمناذرة استعملوا الكتابة منذ أيام التنوخيين، حيث كان عدي بن نصر كاتبًا لجذيمة الأبرش[1]. ونَقْش أمِّ الجمال المقدَّر تاريخه بحوالي ٢٧٠م، يشير إلى أن جذيمة ملك تنوخ، وأن المناذرة قد أخذوا يستعملون القلم واللغة النبطية، كما فعل قبلهم الأنباط والتدمريون رغم وجود عناصر عربية فيهم، وتكلَّم سكان الحيرة اللغة النبطية[2]. أمّا نقش النمارة، شاهِدُ قبر امرئ القيس بن عمرو، ففيه دلائل واضحة أنه مشتق من خط آرامي[3]، فالكتابة العربية القديمة اعتمدت على الآرامية[4]، وهذا دليل ثابت على أنَّ المناذرة هم أول من استعملوا اللغة العربية لغة رسمية لمملكتهم.

«ولأهل الحيرة خط الجَزْم[5]، وهو خط المصاحف، فتعلَّمه منهم أهل الكوفة»[6]، فهذا الخط ينسب لأهل الحيرة لأنهم هم أول من استنبطوه[7].

ويعتبر «أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة[8]، من أهل الأنبار، ومن الأنبار انتشرت في الناس، وذكروا أن قريشًا سُئلوا: من أين لكم الكتاب؟ قالوا: من أهل الحيرة، وقيل لأهل الحيرة: من أين لكم الكتاب، قالوا من الأنبار»[9].

(١) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٣٣.

(٢) De Lacy. O'Leary, **Arabia before Mohammad**, p.154

(٣) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، م.س، جـ١، ص٦٣.

(٤) Grohmann, Adolf, **from the world of Arabic payri**, Al - Maaref Press, Cairo, 1952, p.71.

(٥) الجَزْم: خط مؤلف من حروف المعجم، سمي جزمًا لأنه جزم عن المسند، وهو خط حِمْيَر في أيام ملكهم، أي: قطع، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٩٧ ـ ٩٨.

(٦) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٣٦، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٧٣.

(٧) الخليفة، عبد الله بن خالد، **البحرين عبر التاريخ**، م.س، ص٩٦ ـ ٩٧.

(٨) مُرامِر: اسم رجل، أول من وضع خطَّنا، وهم رجال من طيء منهم مرامر بن مرة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٧١.

(٩) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٤٩٣، **وعيون الأخبار**، م.س، م١، جـ٢، ص١٠٣.

وقيل أيضًا: «إنَّ مرامر بن مرة وأسلم بن سلاه وهما من أهل الأنبار، وسُئل المهاجرون ممَّن تعلمتم الكتابة قالوا: من أهل الأنبار، وسئل أهل الحيرة عن ذلك فقالوا من أهل الأنبار»[1]. وذُكر أيضًا أن «بشر بن عبد الملك هو الذي علمه أهل الأنبار خطًا... وكان أول من كتبه قوم من طيء ببقة، فعلموه أهل الأنبار أهل الحيرة، وبشر بن عبد الملك شخص إلى مكة في تجارة فعلمه أبا سفيان بن حرب[2] وأبا قيس ابن عبد مناف بن زهرة»[3].

«وكان الخط العربي بالغًا مبالغة من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، وهو المسمّى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة... ومن الحيرة لُقِّنه أهل الطائف وقريش فيما ذُكر، ويقال: إنَّ الذي تعلم الكتابة من الحيرة وهو سفيان بن أمية[4]، ويقال: حرب بن أمية[5]، وأخذها من أسلم بن سدره»[6]، فأهل الحجاز أخذوا الخط من الحيرة، وأهل الحيرة أخذوه من التبابعة وحميَر سكان اليمن.

وقيل: إنَّ حرب بن أمية أول العرب الذين كتبوا بالعربية[7]، وهذا لا يتفق مع ما ذكرنا عن مرامر، لأنَّ حرب هو أول من تعلم الكتابة عن الحيرة، وليس أول من كتب بالعربية.

ولم يقتصر الأمر على نقل الكتابة العربية من الحيرة إلى شبه الجزيرة العربية، بل الكتابة الآرامية نقلت بدورها إلى شبه الجزيرة من قبل العباد أيضًا[8].

أمّا بالنسبة لأهل الأنبار، فكانت كتاباتهم باللغة السريانية، واخترعوا العربية منها، حيث «إنَّ ثلاثة نفر من طيء اجتمعوا ببقة، وهو مرامر بن مرة، وأسلم بن

(١) العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٦٧، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٧٢.

(٢) أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (ت٣١هـ/ ٦٥٢م)، صحابي، من سادات قريش في الجاهلية، أسلم يوم فتح مكة ٨هـ/ ٦٣٠م، الزركلي، **الأعلام**، م.س، جـ٣، ص٢٠١.

(٣) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٣٦.

(٤) سفيان بن أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٧٨.

(٥) حرب بن أمية بن عبد شمس من قريش (ت٣٦ق.هـ/ ٥٨٨م)، من قضاة العرب في الجاهلية، شهد حرب الفجار، ومات في الشام، الزركلي، **الأعلام**، م.س، جـ٢، ص١٧٢.

(٦) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٨٧، انظر أيضًا: الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٦٩.

(٧) بابوإسحق، روفائيل، **مدارس العراق**، ص١٠٦.

(٨) Nicholson. R.A, **A Literary History**, p.138.

سدرة، وعامر بن جدرة، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلمه قومٌ من الأنبار ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار»[١]، وهذا لا يتفق ومقولة أنَّ نصارى الحيرة أول من كتب الخط العربي[٢]، وهذه الرواية ليست جديدة عما سبقها، ولكن كلمة قياسهم تخرجنا بنتيجة أنَّ السريان والعرب هما من اخترعا الخط العربي، الذي تطور من المسند[٣]، إلى النبطي فالحيري، فالخط الحيري هو «أقدم أشكال الخط العربي، وقد تطور عنه الخط العربي الكوفي»[٤]. وذُكر «أن الخط العربي نشأ وتطور في الحجاز، وقد نشأ من الخط النبطي، وراح يتطور تدريجيًا حتى استقر شكله في مطلع القرن السادس الميلادي»[٥]، وهذه المقولة تنسف بشكل كامل دور المناذرة في ابتداع الخط العربي.

أمّا بالنسبة إلى أسماء الأشخاص الثلاثة فهي ألقاب لهم وليست أسماءهم الحقيقية، «فقد سمي لكل واحد من أولاده بكلمة من أبجد وهي ثمانية»[٦]. ووجد في آثار الحيرة كتابات قديمة بالسريانية الأسطرنجيلية[٧]، التي كانت تكتب إلى جانب العربية.

ولتعلُّم اللغة والكتابة اتَّبع المناذرة أسلوب المدارس التي أشرف عليها الأساتذة والمعلمون، فبهرام جور بن يزدجرد أحضر له المنذر بن النعمان مؤدِّبين من العرب لتعليمه الكتابة والفقه، فبرع في الأدب[٨]، وفي السياق نفسه فقد أتاه المنذر برهط من المعلمين والفقهاء[٩]؛ ما يدل على كثرتهم وتوفرهم تحت الطلب، ومعرفة مسبقة من الملوك بهذا الكمِّ من الأساتذة.

«والفضل يعود في ذلك إلى مدارس الديارات المنتشرة في الحيرة التي كانت بمثابة الأكاديميات العلمية، حيث أحرزت الحيرة سمعة كبيرة في دراسة العلوم»[١٠]،

(١) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٦٥٩، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٤، ص٢٤٠.
(٢) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، م.س، جـ١، ص١٢٤.
(٣) الخط المسند، خط حميَر، السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٧٩.
(٤) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٢٥.
(٥) سقال، ديزيره، **العرب في العصر الجاهلي**، م.س، ص٦٧.
(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٧١.
(٧) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(٨) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٤٤، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦.
(٩) ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، م.س، جـ١، ص٧٩.
(١٠) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٢٧.

ففي كنيسة بعين التمر وجد خالد بن الوليد ﷺ أثناء فتحه لها صبيانًا يتعلمون الكتابة[١]، وبلغ عدد هذه المدارس بحدود الخمسين مدرسة مسيحية منظَّمة تعلِّم في صفوفها العلوم الآرامية واليونانية[٢]، «واستخرجت أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بِيَع الحيرة، وفيها مُلْكهم وأمورهم كلها»[٣].

ومن أهم المدارس وأشهرها مدرسة الحيرة التي ظهر فيها علماء كثيرون طويلو الباع كتبوا في كل فن، ولا سيما الأمور الإلهية وتفسير الكتاب المقدس[٤]، ودرس فيها مار عبد الكبير[٥]، وجمع لبهرام جور «حكماء الروم وفارس ومحدثي العرب»[٦]؛ ما يعني أنَّ الحيرة كانت مهدًا للعلم والتعلم وتواجد فيها أساتذة من الامبراطوريتين الفرس وبيزنطة؛ ما يعني توفر حركة ترجمة نشطة، وتدريس لغات عديدة، ودفع أموال طائلة على عملية التعليم؛ لذلك لا نستغرب أن المناذرة «اعتنوا بعلوم الكلدان وفلسفة اليونان»[٧]، وترجموا كتبهم إلى العربية.

والاهتمام الكبير بالدراسات الدينية يدلُّ على أنَّ هذه المدارس كانت تحت إشراف رجال الدين والكنيسة، ولم تكن مدارس خاصة أنشأها أشخاص ابتغاء الربح المادي، فالشاعر المرقش الأكبر دفعه أبوه وأخوه حرملة إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط[٨]. «وذُكر لعمر بن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة، وكان نصرانيًا فقيل له: لو اتخذته كاتبًا»[٩]. والواضح أن النساطرة لعبوا دورًا كبيرًا في فتح هذه المدارس، كما كانت المدارس النسطورية واسعة الانتشار في بلاد فارس[١٠]؛ ما يدل على أنَّ التعلُّم كان يقتصر على النصارى لأنهم جعلوا من كنائسهم وبِيَعهم مدارس لهم، ونستغرب التحليل الذي ينفي أن يكون هناك ترجمة

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ١، ص٣١٩، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٣٠١.
(٢) بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى العراق**، م.س، ص٢٠.
(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٩ ـ ٣٧٠.
(٤) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٦٩.
(٥) **المرجع نفسه**، ص٢٦٦.
(٦) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٧٩.
(٧) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١٢٤.
(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، م.س، جـ٦، ص١٣٠.
(٩) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م١، جـ١، ص١٠٣.
(١٠) John Ephesus, **Live of Eastern Saints,** I, p.138.

للإنجيل المقدس إلى العربية قبل الإسلام[1]، رغم وجود هذا الكمّ من دراسات الدين والفقه.

واتبعت المدارس نظام العمر لدخولها، فبهرام جور كان عمره خمس سنوات، فقال له المنذر: إنَّك بعد صغير السن، ولم يأنِ لك أن تأخذ في التعليم[2]، فهذا دليل أنها اتبعت مراحل تعليمية، كل مرحلة تتوافق مع عمر الشخص، «فقسموا بادئ الأمر معاهدهم العلمية إلى أولية فابتدائية فعالية»[3]، فلما بلغ بهرام اثنتي عشر سنة تعلم كل ما يفيد وفاق معلميه[4]؛ ما يدل على أن ست سنوات كانت فترة التعليم الابتدائية، والتاريخ الذي وجد على نقش أمّ الجمال، ينمُّ عن مستوى متطور من التأريخ للأحداث بشكل مبكر، «فأهل الحيرة يعلِّمون صبيانهم في الكتاتيب أسماء ملوك آل نصر وسيرهم وأخبارهم وأحاديثهم كما يعلِّمونهم غير ذلك من أنواع العلوم»[5]، فالتاريخ كان مادة أساسية من مواد التعليم إلى جانب العلوم الأخرى، ومن غير المستبعد أن يكون المناذرة قد تأثروا بنظام التعليم في الامبراطورية البيزنطية، حيث كان فيها معلّمين من أبناء السادة[6].

وفي السياق نفسه يعتبر حماد أول من كتب من بني أيوب، وتعلمها في دار زيد بن أيوب، فخرج من أكتب الناس حتى صار كاتبًا للنعمان بن المنذر[7].

وعندما كبر عدي بن زيد طرحه أبوه في الكتّاب، حتى إذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه «شاهان مرد» إلى كتّاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربيّة[8]؛ ما يدل على أنَّ نظام تعليم المدارس المنذرية كانت بالتنسيق والتعاون مع الفرس، لأنَّ عملية إكمال عدي بن زيد لعلمه بالفارسية جاءت بعد انتهائه من دروس العربية؛ ما يظهر مدى

(١) Bell. R, **The Origin of Islam**, p.17.

(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٧٩.

(٣) بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى العراق**، م.س، ص٢٠ ـ ٢١.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٠٨.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٩١.

(٦) Procopius, **The secret History**, p.169.

(٧) ورد اسمه: حماز بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم، أول من تعلم الكتابة من بني أيوب وكتب للنعمان بن المنذر، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٠.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص١٠١.

تطور نظام مدارسهم، ويعتبر عدي بن زيد أول من كتب اللغة العربية في الامبراطورية الفارسية، لأنه قبْل ذهابه إلى فارس لم تكن اللغة العربية تكتب فيها[1].
وكتب لقيط بن يعمر الإيادي إلى قومه بالحيرة يحذرهم من غزو شابور ذي الأكتاف، حيث عمل لقيط في ديوان كسرى[2].

فالمدارس المنذرية كانت تحت إشراف تام من قِبَل ملوك الحيرة لأنها بحاجة إلى أساتذة، وهذا يعني أجور منتظمة تدفع لهم، ومن المؤكد أنَّ الدولة المنذرية هي من قامت بدفع هذه المستحقات المالية.

إذًا، انتشرت المدارس والكتابة في بلاد المناذرة، واستعمل الملوك الكتّاب، أو أنهم تعلموا الكتابة. قال قصير لجذيمة: «أكتب للزباء»[3]، فهذا دليل معرفة الكتابة في عهد جذيمة الأبرش.

واشتهر عمرو بن هند بصحيفة المتلمس، حيث كتب إلى عامله على البحرين بقتل طرفة والمتلمس، فطلب الأخير من صبي من عباد الحيرة أن يقرأ الصحيفة، وكان فيها هلاكه فأعلمه بذلك، ولما قدم طرفة على عامل البحرين دفع إليه كتاب عمرو بن هند فقرأه[4]. وكتب أيضًا إلى عمَّاله بنواحي الريف يأمرهم أن يأخذوا المتلمس إذا وجدوه[5]. «وكتب إبرويز يخطب إلى النعمان أخته أو ابنه، فلمّا قرأ النعمان الكتاب»[6]، وكتب صاحب الحيرة إلى كسرى[7]، فهل كانت الكتابة باللغة الفارسية أم العربية؟ وهل كان النعمان بن المنذر يفقه اللغتين، أم أن المقصود بكلمة: قرأ النعمان، أن أحد الكُتّاب قرأه له؟ مع الأخذ بعين الاعتبار أن الطبقة الحاكمة في الحيرة كانت تتكلم وتكتب العربية[8].

وكتب النعمان بن المنذر كتاب أمان للحارث بن ظالم[9]، وكان عدي بن زيد

(١) Nichoolson. R.A, **A Literary History**, p.45.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٣٥٨، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٠٢.

(٣) الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٣٠٢، ابن الأثير، **المصدر نفسه**، ص٢٦٦.

(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٩٨، ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢١٨.

(٥) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص١٠١.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٦، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٧٦.

(٧) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٠٠.

(٨) De Lacy. O'Leary, **How Greek Science**, p.164.

(٩) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢٣٨.

كاتبه[١]، فهل كان الملك يقرأ ويكتب، أم كان يتخذ كاتبًا له؟

هذا بالنسبة للطبقة الحاكمة، أمّا سكان بلاد المناذرة، فبالعودة إلى صحيفة المتلمس التي دفعها إلى أحد الصبية من عباد الحيرة ليقرأها له، يدل على أن هناك كمًّا هائلًا من سكان بلاد المناذرة تعلَّم القراءة والكتابة في المدارس التابعة للكنائس والأديرة، وكان كمٌّ كبيرٌ على دراية بالقراءة والكتابة باللغة العربية، بالإضافة إلى تعلُّم بعضهم اللغات الأجنبية، فعدي بن زيد كتب العربية والفارسية[٢]، وعبود الحيري كان ترجمان رستم[٣][٤].

فقد كان «العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة.. وفاق بعض آخر في اللغات فحذق العربية وتعلم الفارسية، وكانوا يتقنون في الغالب لغة بني إرم بحكم تنصُّرهم واعتبار النصارى لها لغة مقدسة، لأنَّها لغة الدين»[٥]، واستعمل القساوسة النساطرة اللغة السريانية في صلواتهم[٦].

ولم يكتفِ سكان بلاد المناذرة بتعلُّم العربية بل تعلَّموا اللغة الفارسية، واشتغلوا في البلاط الفارسي وحصلوا على مناصب رفيعة، فعدي بن زيد وابنه زيد، كانا في خدمة الأكاسرة، كذلك فإن قابوس بعث إلى إبرويز بعدي بن زيد وأخويه عمار وعمر ليكونا في كتابه يترجمون له بالفارسية والعربية[٧]، ولم يكونوا الوحيدين الذين اشتغلا في بلاط كسرى؛ بل كان هناك الكثير من المترجمين من الفارسية إلى العربية وبالعكس[٨]، حتى إنّ إبرويز تأثر بالعربية فقد «كان يحسن بالعربيّة شيئًا»[٩]، وهذا مردُّه لتأثره بعدي بن زيد وبالعلاقة السياسية التي تركت أثرها على اللغة. فالمناذرة لعبوا دورًا بارزًا في تطوير ثقافة العرب بشكل عام وثقافتهم بشكل خاص لارتباطهم

(١) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٢٣، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٧.
(٢) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٢.
(٣) رستم: قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية ضد المسلمين، قتله العرب في معركة مهرام سنة ١٥هـ/ ٦٣٧م. ED. **Encyclopaedia of Islam**, VIII, p.638.
(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٠٤.
(٥) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص١٧١.
(٦) De Lacy. O'Leary, **How Greek Science**, p.68.
(٧) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٦٦، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣٢ ـ ١٣٣.
(٨) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٨٧.
(٩) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٧٣.

المباشر بحضارة الفرس واطلاعهم على ثقافتهم[١]، ويعزى ذلك إلى إلمامهم باللغة الفارسية.

ـ مواد الكتابة

استعان المناذرة بالمواد الأولية البسيطة لتدوين كتاباتهم، ففي البدء استعلموا الحجارة، كما ورد في النقوش، وقيل في وصف «الكتابات القديمة: فقد كانوا يجعلون الكتاب حفرًا في الصخور، ونقشًا في الحجارة، وربما كان الكتاب هو الناتئ، وربما كان الكتاب هو الحفر، كما كتبوا على ركن المشقر»[٢]. وكتبوا على خشب الرحل[٣] أيضًا[٤]. «ووُجِد في قراطيس[٥] هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر»[٦]، فهم استعملوا القراطيس[٧]، «ولم يكن للعرب قبل الإسلام القرطاس، بل كان ما يمكن أن يكتب عليه»[٨]، فاصطنعوا مواد كصحيفة[٩]، وهي الكتاب الذي يكتب فيه[١٠]، ويقال لما يكتب فيه: الصحيفة[١١]، وهو ما يتَّخذ من جلود[١٢]، وكان استعمالها قديمًا في الحيرة[١٣].

واهتموا بتصنيع الصحيفة فكانت ناعمة الملمس، حتى شُبِّه وجه الحبيبة بالصحيفة ملمسًا ولينًا[١٤]. وغلب استعمال جلود الحيوانات كورق للكتابة. فالقضيم[١٥]: هو

(١) Bell. G.E, **Amurath to Amurath**, p.142.
(٢) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٦٨ ـ ٦٩.
(٣) الرَّحْل، مركب للبعير والناقة، ابن منظور، **لسان**، م.س، م.س، جـ١١، ص٢٧٤.
(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٢٠، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٦، ص١٣٠.
(٥) القرطاس: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٧٢.
(٦) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٤٠٢.
(٧) البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٧٨.
(٨) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٧٨.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٩٨، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٥.
(١٠) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٨٦، اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ٣، ص٥٠.
(١١) البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٧٩.
(١٢) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٧١.
(١٣) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٣١، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ١، ص٢٤٣.
(١٤) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص١١٥.
(١٥) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٦، ص١٢٧.

الجلد الأبيض الذي يكتب فيه[١]، وعندهم الرِّقُّ[٢]، وهو جلد رقيق تحسن الكتابة عليه، وربما كانوا يكتبون على العسيب[٣] والجريد[٤]، والقط ما قط الكاغد والرق[٥]، والقِطُّ الصَّك: هو الكتاب[٦]. ولم تكن تنتهي صلاحية الجلد بسهولة، فإن كتب فيه بعد محوٍ فهو طرس[٧]. وكانت الكتب ترقم، فالترْقِيش[٨]، الكتابة والتنقيط والتسطير[٩]، ووجد من وثائق البردى المدونة بالعربية واليونانية، ويعود تاريخها إلى سنة ٢٢هـ/٦٤٣م حروفًا منقطة[١٠].

والصكوك[١١] كانت في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد[١٢]، وكذلك كتب الجوائز والصلات، قال الأعشى:

ولا الملك النُّعمان حين لقيته   بغبطته يعطي القطوط ويأفق[١٣]

واستمر استعمال الجلد الناعم في الكتابة لفترة طويلة[١٤]. وكتبوا على المهاريق[١٥]، وهي القراطيس، وأصلها كلمة فارسية معربة (مهره)[١٦]، أو «مهره كرد» أي: المصقول[١٧]، وليس يراد بالمهاريق الصحف والكتب، ولا يقال للكتب

---

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٤٨٨.
(٢) الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء، وهو جلد رقيق، **المصدر نفسه**، جـ١٠، ص١٢٣.
(٣) العَسِيبُ: جريدة من النخيل مستقيمة، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٥٩٩.
(٤) البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٧٨ - ١٧٩، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٧٨.
(٥) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٦٨.
(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٧، ص٣٨٢.
(٧) الطرس: الكتاب الممحو الذي يستطاع أن تعاد فيه الكتابة، **المصدر نفسه**، جـ٦، ص١٢١، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٧١.
(٨) القالي، **الأمالي**، م.س، جـ٢، ص٢٤٦، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٨٠
(٩) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٣٠٥ - ٣٠٦.
(١٠) Grohmann. A, **from the World of Arabic**, II, p. 113 - 114.
(١١) الصكوك: مفردها صك كلمة فارسية معرَّبة وتعني الكتاب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٤٥٧.
(١٢) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٩٢.
(١٣) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٩٨، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٨.
(١٤) Grohmann. A, **from the World of Arabic**, p.46.
(١٥) مَهارق: مفردها المُهْرَقُ، فارسية معرَّبة وهي الصحيفة البيضاء يكتب فيها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٣٦٨.
(١٦) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٠٣، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٧٩.
(١٧) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٧٩.

مهارق حتى تكون كتب دين، أو كتب عهود وميثاق وأمان[١]

وشُبِّه آثار الديار بالمهارق، أي الورق الفارسي الذي يكتبون فيه[٢]؛ ما يدل على أنهم استوردوا المهارق من بلاد الفرس. والسِّفْرُ[٣]: هو الكتاب الكبير، والكلمة بالنبطية سافرًا[٤]. والقضمة: الكتاب أيضًا[٥].

ووردت إشارة إلى استعمالهم المداد[٦] في كتبهم[٧]، وصنع الحبر الأسود الممتاز في مقاطعات فارس[٨]، فمن المحتمل أنهم استوردوا الحبر من بلاد الفرس بسبب جودته. وكتبوا بالقلم[٩][١٠]، فهل كان هذا القلم مصنوع من الريش، أو من الخشب؟ ودوَّنوا بالمزبر[١١][١٢]، وقالوا لها الدواة[١٣][١٤].

ولمنع تزوير كتب ملوك الحيرة عمدوا إلى ختم تلك الكتب، فعمرو بن هند أمر بالكتب فخُتمت، فكان يُؤتى بالكتاب مطبوعًا، فيقال: من عنى به، فلذلك سُمّي عنوانًا[١٥].

---

(١) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٦٩ - ٧٠، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ٢، ص٧٢.
(٢) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص١٣٢.
(٣) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٧٨.
(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٣٧٠.
(٥) البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص١٧٩.
(٦) المِدادُ: الذي يكتب به، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٣٩٨، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٧٠.
(٧) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص١٢٤، ابن نباته، **سرح العيون**، م.س، ص٢٥٢.
(٨) Grohmann. A, **from the World of Arabic**, p.67.
(٩) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص٦٨.
(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٢، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٢٦.
(١١) المِزْبَرُ: القلم، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٣١٥.
(١٢) Grohmann. A, **Ibid**, p.62.
(١٣) الدَّواة: ما يكتب منه، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص٢٧٩.
(١٤) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٣٢.
(١٥) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٤، ص٢٤١، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ١، ص٢٠٠، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٢٣، واليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ٣، ص٥٣.

ثانيا ـ الطب

شعر الإنسان منذ وجوده بعذاب المرض فولَّد ذلك عنده حب البحث عن الداء والدواء، وهكذا كان علم الطب أسبق ما سعى إليه الإنسان، لأن مداره البحث في حفظ صحة الأبدان، وإذا جاز لنا تسميته بعلم الطب في بلاد المناذرة، لأنَّ كل ما توصلوا إليه من مبادئ العلوم الطبية البسيطة كان مبنيًا على قوة النظر وصدق الحسِّ مستمدًّا من التجربة حينًا ومن تقليد مَن جاورهم وخالطهم أحيانًا، وأصدق تعبير عن ذلك أن «للبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، ويتداولونه متوارثًا عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه بعض الناس، إلّا أنه ليس على قانون طبيعي، ولا عن موافقة المزاج، وكان عند العرب من هذا الطب كثير»[1]، فهم لم يكن عندهم علم منظم بأصول وقواعد، وإنَّ ما كان عندهم من هذا القبيل لا يتعدى معلومات أولية أو ملاحظات بسيطة[2].

١ ـ الطب البشري

من الأمراض التي عُرفت، البرص، وهو عبارة عن مرض يصيب الجلد، فجذيمة الأبرش أصيب به. ولتفادي هذا المرض كانوا يتجنبون الأكل مع المصاب[3]، ويفصلونه عن الحضور بستار[4]، لمنع انتقال العدوى، وعُرف عن عمرو بن هند كرهه للنظر إلى الأبرص[5]. واستعملوا الإثمد في علاج الرمد بالإضافة إلى أنه

(١) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٤٧٩.

(٢) أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، م.س، ص٤٩.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٠١، ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٤، ص٦٤ ـ ٦٥، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣٦٤ ـ ٣٦٥، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٣.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١١، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٤٣، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ٢، ص٦٣٦.

(٥) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٣٣.

يقوّي النظر ويُحدُّ البصر[1]، واشتهر القساوسة في علاج هذا المرض حتى إنهم استمروا في ذلك حتى وقت متأخر من العصر الإسلامي[2]. فقد لعبت «الأديرة دورًا صحيًا؛ إذ اشتهر أساقفة الحيرة في مزاولة الطب ومعالجة المرض، وكانت أديرتهم هذه مستشفيات يلجأ إليها المرضى طلبًا للشفاء والعلاج»[3]. ولكنها بالتأكيد لم ترتقِ إلى معنى مستشفى كما كان في بلاد فارس، التي احتوت في سنة ٥٥٥م على أطباء ومستشفيات[4]، وبُنيت المستشفيات في الرها البيزنطية في ٥٠٤م أيضًا[5].

وعرفوا الفتق في إحدى الخصيتين وسمّوه بالأدرة[6][7]وأجروا نوعًا من الولادة القيسرية، فكانوا يشقّون بطن المرأة لاستخراج المولود، وحصل هذا العمل الجراحي في حال وفاة المرأة وهي حامل[8]، وهي عملية تحتاج إلى دقة ومعرفة مسبقة واطّلاع، خشية أن يموت المولود. وبرعوا في استعمال الكيِّ كعلاج، ففي إحدى الروايات أن مسافر بن أبي ربيعة بن أمية بن عبد شمس وفد على النعمان بن المنذر، فمرض غمًا وتجمَّع في بطنه ماء، فدعا الملك إليه بطبيب ليكويه، فأتاه بمكواة فجعلها في النار، فلما حميت، مرَّرها على كشحه ما بين السرة ووسط الظهر، وكان هناك رجل قريب ينظر إليه، فجعل ذلك الرجل يضرط، فقال مسافر:

قد يضرط العلج والمكواة في النار[9]

فعبارة «استدعى النعمان الطبيب» تدل على مزاولة بعض الأشخاص لهذه المهنة، وهم معروفون وموضع ثقة[10]، وهذا ليس بمستغرب، فالأطباء كانوا معروفين، ومهنة تزاول في الامبراطوريات المجاورة كالبيزنطية[11]. أرسل عمرو بن

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٢.

(٢) **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص١٦٦.

(٣) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٥٢.

(٤) Zachariah, **The Syriac Chronicle**, p.331.

(٥) Joshua The Stylite, **The Chronicle of Joshua**, p.32.

(٦) الأدرة: نفخة في الخصية، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص١٥.

(٧) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١٠.

(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٤٥.

(٩) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٣٦٩، الجاحظ، **البرصان والعرجان**، م.س، ص٥٣، المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٧٢، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٠٤، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١١٦.

(١٠) الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٧٨.

(١١) Procopius, **Secret History**, p.169.

أمامة طبيبًا إلى هبيرة[1] فدخل عليه وهو يقيء الدم، فأدخل مكاويه في النار ثم جعله يضعه على بطنه فكشحه فشفي، فعاد الطبيب وطمأن عمرو بن أمامة لحالة هبيرة[2].

واشتهر من الأطباء الحارث بن كلدة[3]، من الطائف، سافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس وتمرَّن هناك وعرف الداء والدواء[4]، من المرجح أنه زار الحيرة[5]، سأله أنوشروان ما أفضل الدواء؟ قال: الأزم، يعني: الحمية، أي: قلة الأكل[6]. فالحيرة لعبت دورًا مهمًا في تطوير ثقافة العرب لاتصالهم بحضارة الفرس؛ ما مهَّد الطريق أمام العرب لاطلاعهم على المنجزات العلمية الفارسية والاستفادة منها[7]، فالحارث أتقن معرفته بالداء والدواء في بلاد فارس[8].

وعندما دخل المسلمون إلى العراق وجدوا أرزًّا في قشره فظنوه سمًّا، فقال لهم الحارث بن كلدة: نبت، فأمرهم بغليه، فطبخوه ونقّوه فجعلوا يأكلونه[9]، وهذا مردُّه إلى اطّلاعه الواسع على الأعشاب والنباتات التي لا يمكن فصلها عن علم صناعة الأدوية، ونهى عن أكل الضأن الفتي، واللحم المقدد لأنهما مهلكان، ودعاهم إلى

---

(١) هبيرة بن عبد يغوث بن الغزيل بن سلمة بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد، ويلقب الكشوح، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٠٧.
(٢) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١١٩، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٦١، أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٤٣.
(٣) الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف ابن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان، طبيب العرب، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، جـ١، ص٢٦٨.
(٤) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٠٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٨٤ ـ ٨٥، ابن حزم، **المصدر نفسه**، القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **تأريخ الحكماء**، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)، ص١٦١، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٦، ص٣٦٢، ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، م.س، ص١٦١ ـ ١٦٢.
(٥) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٢٨٠.
(٦) ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، م.س، م٢، جـ٣، ص٢٩٥، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٨٧، ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، م.س، ص١٦٥، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٧.
(٧) Bell. G.L, **Amurath to Amurath**, p.142.
(٨) فروخ، عمر، **تاريخ الجاهلية**، م.س، ص١٦٦.
(٩) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص٢١٦.

اجتناب لحم المعز والبقر، وفضَّل الرمان والأترج على غيرها من الفواكه، وأفضل البقول عنده الهندباء والخس[1].

وفي إحدى المرّات دُعي لمعالجة رجل، فلم يجد فيه مرض، فعرف أنه يعاني من علَّة العشق، فدعا بخمر وفتَّ فيها خبزًا، فأطعمه إياه ثم أتبعه بشربة منها، فشفي[2]، وهذا يدل على معالجة الأمراض النفسية الناشئة من مشاكل الحياة الاجتماعية.

وكان للنعمان بن المنذر طبيب يقال له النطاسي بن عامر بن جاوان من ولد اسماعيل، وهو دائم الحضور في مجلس النعمان، قال الربيع بن زياد فيه:

فأبرق بأرضك يا نعمان متّكئًا　　مع النّطاسي يومًا وابن توفيلا[3]

ومن المرجَّح أنَّ النطاسي لقب له وليس اسمه الحقيقي[4]، ويتضح لنا أنه كان ملازمًا للنعمان يسديه النصائح الطبية والغذائية التي وجد فيها الملك ضالّته للمحافظة على صحته. وكان مار عبدا الحيري تلميذ مار أوجين، وهذا الأخير يعتبر من العارفين بالطب[5].

وكما هي حال كل عصر فقد دخل الطب المنذري بعض العادات والتقاليد والخرافات، فمن عقائدهم أنَّ الرقي يشفي من المرض[6]. وعلَّقوا في أعناق أولادهم التّمائمُ[7]، وهي خرز يثقب ويجعل في سيور وخيوط يحمون بها من العين والحسد[8].

ووجدت بعض الأساطير الخرافية طريقها في معالجة مرضاهم، فدماء الملوك عندهم تشفي من الكلَب[9]، والخبَل[10]، والمجنَّة، أي: الجنون[11]. ومن مذاهبهم

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٨، ص٨٦، ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، م.س، ص١٦٣.
(٢) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٢٩، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٤٨ ـ ١٤٩، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ١، ص٣٨ ـ ٣٩.
(٣) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص١١٤، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص١٨٦.
(٤) النِطاسي: عالم بالأمور حاذق بالطب، وهو بالرومية النسطاس، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٢٣٢.
(٥) ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٢٦.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٧.
(٧) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٢٦.
(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٧٠.
(٩) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٦٦، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٣٠٣.
(١٠) الخَبْل: الجنون، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١٩٨.
(١١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٣١٨.

بالطب أيضًا تعليق الحلي والجلاجل[1] في يد من تلدغه الأفعى، لأنهم يرون أنه إذا نام يسري السمُّ فيه فيموت، فشغلوه بأصوات الحلي والجلاجل عن النوم[2].

ولكن رغم هذه الخرافات والأوهام التي دخلت الطب المنذري، غير أن الطب كان متقدمًا، وظلَّت شهرة الحيرة كمركز طبي قائمة حتى بعد ظهور الإسلام، وقيام الدول الإسلامية[3]، فمن مشاهير الأطباء ذوي الأصل الحيري في العصر العباسي حنين بن إسحاق، وكان أبوه صانع عقاقير مسيحيًا نسطوريًا[4].

٢ ـ الطب البيطري

اعتمد المناذرة على الحيوانات كمورد اقتصادي وأساس، لذلك سعوا بكل ما يملكون من معرفة متراكمة وخبرة متوارثة إلى الاستفادة قدر المستطاع لشفاء حيواناتهم من الأمراض المعدية والمميتة، فالبيطرة كانت مهمة في بلاد المناذرة، امتهنها بعض الأشخاص، فعبيد كان بيطري ذائع الصيت، كان يشفي الإبل من داء الخُمَال[5] الذي يأخذها في قوائمها، عبر قطع العرق[6]. والعضد[7]، داء يأخذ الإبل في أعضادها[8].

ومن الأمراض الجرب، ففي إحدى أبيات شعر النابغة الذبياني أمام النعمان بن المنذر شبَّه نفسه بالبعير الأجرب المطلي بالقطران[9]، لأنَّ الناس يطردونه إذا أراد الدخول بين إبلهم، فيقول:

فلا تتركنِّي بالوعيد كأنَّني إلى النّاس مطليٌّ به القار أجربُ[10]

وكووا حيواناتهم في حال تعرُّضها لمرض العرّ[11] في مشفرها وعضدها

(١) الجُلْجُل: الجرس الصغير، وصوته الجلجلة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١٢٢.
(٢) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٢، ص٣٠٤.
(٣) عاقل، نبيه، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٠٢.
(٤) De Lacy O'Leary, **How Greek Science**, p.164.
(٥) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٦٠.
(٦) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٢٢٢.
(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٣٣، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٢٩٥.
(٨) ابن منظور، **المصدر نفسه**، ص٢٩٤.
(٩) القَطِران: هو عصير ثمر الصنوبر، وقيل هو عصارة الأبهل والأرز، يطبخ فيتحلب منه ثم تهنأ به الإبل، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٠٥.
(١٠) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٢، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٢٥.
(١١) العُرُّ: داء يأخذ البعير عنه وبره حتى يبدو الجلد يبرق، وهو الجرب، المفضل بن سلمة، =

وفخذها[1]، فإنَّ ذلك يؤمنها من العدوى[2]، وكان الكي يلحق بالصحيح وليس العليل، لكي يكتسب مناعة لئلَّا يعدي المرض[3].

مرض العَبَدُ، هو الجرب الذي لا ينفعه دواء، وبعير معبد: أي مدهونة بالقطران، وإذا أصيب البعير بهذا الداء يتساقط وبره[4]. ومن الأمراض التي تفني الإبل عن بكرة أبيها «السوّاق»[5]، فإذا انتشر بين الإبل أهلكها[6]. والجارود مرض معدي[7]، فإذا دخل بالحيوانات أفناها، حيث أصاب إبل بكر بن وائل فأبادها، وكانوا على علم بهذا الداء[8].

= **المصدر نفسه**، ص٨١، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٥٥٥.
(١) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٤٢٧، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٣، ص١٢٣.
(٢) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٣، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٩١.
(٣) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٤٢٧، المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٢.
(٤) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٤.
(٥) السُّوَافُ: مرض الإبل الذي يميتها، **المصدر نفسه**، جـ٩، ص١٦٦.
(٦) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٥٣١.
(٧) الجارُودُ: مرض إذا فشا بالإبل يهلكها، والجارود لقب بشر بن عمرو بن حنش بن المعلّى من بني عبد القيس العبد، كنيته أبو المنذر وقيل أبو غياث وهو أصح، وسمي بالجارود لأنه فرّ بإبله الجرد، أي التي أصابها الجرد إلى أخواله من بني شيبان ففشا ذلك الداء في إبلهم فأهلكها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص١١٦، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ٤، ص٦٨٣.
(٨) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ٢، ص٣٢٧، ابن منظور، **المصدر نفسه**.

ثالثًا ـ الموسيقى والغناء

الموسيقى والغناء مرحلة حضارية راقية لا تصل إليها الأمة إلّا بعد تطورها، وتفهُّمها العميق للحضارة، وإلا بعد أن تكون الأمة مرهفة الذوق مصقولة الحواس، لأن فهم الموسيقى والشعور بجمال الأنغام والتمتع برقة الغناء والاهتزاز لروعة الأداء، كلها أمور تحتاج إلى قابلية حضارية وإلى مران فني، ورهافة حس، لا يمكن أن تكتسبها الأمم بسهولة؛ لذلك فإنَّ «الموسيقى من أجلِّ الفنون الجميلة»[1]؛ لأنها «غذاء للنفس، ومُطرِب لها، ومُلهِها، تبتهج عند سماعه، وتحن إلى تأليف أوضاعه»[2]؛ لذلك عدت فارس الغناء أدبًا والروم فلسفة[3].

«ولمّا كانت الموسيقى شديدة الارتباط بالشعر، فإننا نستطيع أن نخمِّن أنها لقيت مثلما لقي من كرم»[4].

القين: أطلق على مزاول مهنة الغناء «القين»، فالقَيْنة: المغنية، لأن الغناء صناعة وهي الأمَة، أي: عبد يملكه شخص[5]، فكل أمةٍ قينةٌ، مغنية كانت أو غير مغنية، ولا يقال للعبد قين[6]. فالقينة هنا هي الأمَة، ويقال: القينة الخادمة في بيت طرفة، فهي الأمَة المغنية كانت أو غير مغنية[7]، وسمّى العرب القينة بالكرينة[8]، وقيل لها:

(١) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٣٥٨.
(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ١، ص٣٥٥.
(٣) الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، جزآن، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٥، جـ٢، ص١٥٨.
(٤) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.5.
(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٣٥١، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٨، ص٤٦٩.
(٦) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٦.
(٧) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٨٨ ـ ١٨٩، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٧٧.
(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٨، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١٣٣ ـ ١٣٤.

الداجنة، أي: القينة المغنية[1].

إنَّ القينة في أصل مدلولها، إنّما هي مؤنث «القين»، بمعنى الصانع أو العامل إطلاقًا، فالقينة إذًا هي المرأة الصانعة أو العاملة[2]، ولم يقتصر هذا المصطلح على المؤنث فذكر أيضًا أن القين للرجل، فمالك وعقيل القينان أتيا جذيمة الأبرش[3]، فمزاولة هذه المهنة لم تقتصر على النساء، بل امتهنها الرجال، فقيل: القيان والقينان للمذكر[4]، فهي مهنة قديمة في بلاد المناذرة[5]، فعندما قصد مالك وعقيل كانا معهما قينة يقال لها أمّ عمر وكانت تعمل الطعام أيضًا[6].

فالقينة هي المغنية أو المغني اللذين لم يقتصر عملهما على الغناء، بل تجاوزا ذلك إلى أعمال أخرى كالدعارة للنساء، وتخصَّص بعضهم بسكب الخمور؛ ما يدل على أنها أمَة تميّزت عن غيرها من النساء الأمَات بصوتها الجميل وإتقانها لمهنة الغناء.

واستمتع الملوك بالقيان، وربما كانوا كثر، فبهرام جور الذي تربى في الحيرة أمضى وقتًا بين الجواري والقيان[7]. وبعث الأسود بن المنذر إلى الحارث بن ظالم ضيفه قينة تشغله في أمسيته[8]. وسقوا ضيوف الملوك بحضرتهم الخمر، كما حصل مع ضيوف النعمان بن المنذر عندما سقتهم الخمر قينة[9]. وكانت ماوية بنت عفزر ملكة تزوجها حاتم الطائي، وروي أن بنت عفزر هي قينة من أهل الحيرة تغني للنعمان بن المنذر وضيوفه[10]. وطلب لبيد بن ربيعة من القيان أن يبكوا على النعمان بن المنذر، فيقول:

ليبكِ على النعمان شربٌ وقينةٌ ... ومختبطاتٌ، كالسَّعالى أرامل[11]

(١) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٢٧٦.
(٢) الأسد، ناصر الدين، **القيان والغناء**، م.س، ص٢٦ ـ ٢٧.
(٣) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص٤٤٨.
(٤) ابن غرسيه، **رسالة**، م.س، جـ٣، ص٢٨٢. (٥) Nicholson. R.A, **A literary History**, p.54.
(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٦٧، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٥٤.
(٧) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٤٤، الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٤١.
(٨) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٣.
(٩) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص١٥٧.
(١٠) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص١٢١ ـ ١٢٢، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٥٩١.
(١١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٢٦.

وأسوأ ما نُعت به النعمان أنه كرَّس نفسه للخمر والنساء المغنين[1]. وأهدى إياس بن قبيصة لجبلة بن الأيهم الغساني عشر قيان[2].

فالمؤشرات المذكورة توحي بأنَّ هناك قيان في بلاط ملوك المناذرة، وهذا لم يقتصر على الملوك فقط، فالطبقة المخملية من سكان بلاد المناذرة استمتعوا بغناء القيان في منازلهم وخيمهم الخاصة، وقدَّموا القيان كعملة مالية أو هدية قيِّمة. فمجيّر لطيمة النعمان بن المنذر عروة الرحال بن عتبة كان يصطحب معه دائمًا في أسفاره قينة تغني له[3]. وأيوب بن محروف عندما اشترى منزل أوس بن قلام أعطاه مالًا وقينة[4]، وكان لبشر بن عمرو بن مرثد الأسدي قينتين[5]، ونجدهم مع البدو أيضًا[6].

فهم يتواجدون في منزل كل عربي ذي مكانة اجتماعية[7]، وغنّى القيان كلام الشعراء؛ لذلك كثيرًا ما أصطحب الشعراء معهم القيان[8]، وعندما عاد النابغة الذبياني من بلاط الغساسنة إلى النعمان بن المنذر دسَّ قينة تغنّي بشعره، فلمّا سمع الملك الشعر، قال: أقسم بالله إنه لشعر النابغة[9]. ومن الطبيعي أن يكون في بلاط ملوك الحيرة أكثر منهن في بيوت السكان وبشكل خاص البوادي. وتلذَّذ طرفة بن العبد بشرب الخمر على صوت غناء قينة في إحدى الحانات[10]، وتمتع الشباب بليالي الأنس الجميلة في الحانة وشرب الخمر على ألحان وغناء القينة[11]. فالقيان كانوا طبقتين رئيستين:

«**أولاهما**: قيان يختصصن بمالك واحد كقيان ملوك المناذرة... وأشراف العرب

(1) Nicholson. R.A, **Ibid**, p49.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص١٦٦.
(3) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٥٠٨، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١٥، ص٤٢٦.
(4) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٩٨.
(5) **المصدر نفسه**، جـ٩، ص١١٣.
(6) Farmer. H.G, **A History of Arabia Music**, p.12.
(7) Farmer. H.G, **Ibid**, p.10
(8) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص١٢٠.
(9) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٢٨.
(10) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٣، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٩٠ - ١٩١.
(11) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص١٧٩، الأنباري، **المصدر نفسه**، ص٥٧٤.

وساداتهم، وإنَّما يقتصرون على القصور والبيوت يُلهين ساداتهن في مجالس أُنسهم ويُطربنهم إذا خلوا إلى أهليهم وذويهم.

وثانيتهما: قيان الحانات والمواخير، حيث كانت كؤوس الشراب وغناء القيان تضرم في واردي الحانات سعار الجسد وتثير فيهم غرامًا متلظيًا»[1].

وأُحضرت القيان من أطراف بلاد الفرس والروم، ولم يكن الغناء في شيء من نساء العرب[2]، وصحيح أنَّ إياس بن قبيصة أهدى لجبلة بن الأيهم عشر قيان خمس منهم روميات[3]. وعندما دخل المسلمون العراق، جلب الغناء الرقيق من فارس والروم، فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية[4]. وكانت هريرة التي شبب بها الشاعر الأعشى أمَةً سوداء لحسان بن عمرو بن مرثد[5]. ولكن «ليس من الحق أن جميع القيان كن أجنبيات»[6] ويقينًا كان بعض النساء عربيات وأخريات أجانب[7]، ويغلب ذكر القيان الأجانب على العرب لأنها مرتبة اجتماعية متدنّية ضمن الإماء؛ لذلك امتهنت النساء العرب الغناء، ولكنهم ربما رفضوا لقب القينة. ومن الإنصاف القول أنَّ المناذرة أحبوا الغناء الفارسي والبيزنطي؛ لأن مؤديته كانت جميلة الشكل تختلف من حيث لون شعرها وبشرتها وعيونها عن العرب، فترك ذلك أثره على غنائها في نفوس المناذرة. حتى إنَّ «الألحان البيزنطية واضحة الأثر في الغناء المنذري فأصبحت تقليدًا شعبيًا»[8]. ولإظهار الدليل نذكر القينة التي غنَّت شعر النابغة الذبياني بشكل جيد، «فالحقُّ أن المرء لا يستطيع أن يتخيل أن العرب يرضون بالاستماع دقيقة واحدة للشعر العربي من فم أجنبي قلّما يستطيع أن يعطيه قيمته الصوتية التي لا تنفصل عن الفن الشعري وخاصة عند غنائه»[9].

ولتُضفي جمالًا على صوتها استعانت بالفن الاستعراضي مع الغناء، فكنَّ دائمًا يهتمَّنَّ بملابسهنَّ من حيث جودة القماش وهفهفة الألوان، وتعطَّرن بالمسك والعنبر ليصبحن صورة متكاملة الحواس، وكانت القينة تفتق فتقًا في كمِّها إلى الرسغ، فإذا

(1) الأسد، ناصر الدين، **القيان والغناء**، م.س، ص٦٦.
(2) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، جـ١، ص٨٥.
(3) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص١٦٦.
(4) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٤٨.
(5) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص١١٣.
(6) Farmer. H.G, **A History of Arabia Music**, p.13.
(7) الأسد، ناصر الدين، **القيان والغناء**، م.س، ص١٣٤.
(8) Runciman. S, **Byzantine Civilization**, p.250.
(9) Farmer. H.G, **Ibid**, p.13.

أراد الرجل أن يلتمس شيئًا أدخل يده فلمسها[1].

واهتمَّت القيان بجمالهن، فأحب الأعشى هريرة التي بين حاجبيها بلج، وفي جبهتها اتّساع، الكثيفة الشعر، بيضاء الأسنان، ذات المشية الهادئة[2].

لذلك أصبح «من الآفة عشق القيان على كثرة فضائلهن وسكون النفوس إليهن، وأنهن يجمعن للإنسان من اللذات ما لا يجتمع في شيء على وجه الأرض»[3].

١ ـ الآلات الموسيقية

صنع الإنسان الآلات الموسيقية متأثرًا بتيارات الحضارات البشرية المتنقلة من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى أخرى، فهي تعتبر جزءًا من الحضارات العامة، ومرجعًا تاريخيًا في التدليل على ما قطعته الشعوب في تلك الحضارات، لذلك يجب علينا أن لا نميل إلى الاعتقاد بأنَّ الآلات الموسيقية الموجودة في بلاد المناذرة وإن كانت في عصرهم هي من صنعهم، فقد تكون من عمل الشعوب والحضارات التي سبقتهم أو جاورتهم، وهذه الآلات أساسية في الغناء، «فقيمة الألحان التي تصدّرها الآلات الموسيقية كنسبة أمكنة الأدوية من البدن»[4]، ومن أهم الآلات:

أ ـ العود: يعتبر أهم الآلات الوترية في الموسيقى العربية حتى أطلق عليه اسم «ملك الآلات»[5] وهو أمير الآلات وشعار الموسيقى العربية المتقنة القديمة والحديثة[6]، إذًا هو أشهر الآلات[7]، وعرفت الحيرة العود، وأمتهن بعض الرجال الغناء والضرب عليه في آن واحد[8]، ويقال للعود الموتر[9]، وللقينة التي تضرب

(١) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٩٠.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص١٥٢ وص١٥٤.
(٣) الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، م.س، جـ٢، ص١٧٠.
(٤) الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، **كتاب الموسيقى الكبير**، ٣ أجزاء، تحقيق غطاس عبد الملك خشبه ومحمود أحمد الحنفي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، جـ١، ص٧٦.
(٥) الحفني، محمود أحمد، **علم الآلات الموسيقية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م، ص٧٣.
(٦) جارجي، سيمون، **الموسيقى العربية**، ترجمة عبد الله نعمان، المنشورات العربية، (د.ت)، ص١٨٨.
(٧) الفارابي، **كتاب الموسيقى**، م.س، جـ٢، ص٤٩٨.
(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٦، ص٢٤٢.
(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٧٩، ورد بصبوح، بدل لصبوح. الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٥٧٨، وابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص١٦٣.

على العود الكرينة[1]، فهذا الاسم صفة مشتقة من أفعال تفيد السمع والغناء ونحوهما، ثم جرت هذه الصفات مجرى الأسماء فغلبت وعُمِّمت وصارت تقوم وحدها لتدل على المغنية[2]. ووُصِف على هذا الشكل «فخرج فجاء بخشبة في يده، عينها في صدرها فيها خيوط أربعة، فاستخرج من جوانبها عودًا فوضعه على أذنه ثم زمَّ الخيوط الظاهرة، فلمّا أحكمها عرك أذنها فنطق فُوْها، فإذا هي أحسن قينة رأيتها قط، وغنى عليها فاستخفى حتى قمت من مجلسي فجلست إليه فقلت: بأبي أنت وأمّي، ما هذه الدابة؟ قال: يا أعرابي، هذا البربط، قلت: فما هذه الخيوط؟ قال: أمّا الأسفل فزير، والذي يليه مثنى، والذي يليه مَثلث، والذي يليه بَمّ»[3]، ففي هذا وصف للعود ليس بحاجة إلى تحليل أو تفسير. ويحدث النغم بقسمة الأوتار الموضوعة فيها، وتشد على عنق العود أو ساعده بدساتين[4] تحت الأوتار، ودساتينها المشهورة أربعة، مشدودة على الأمكنة التي تنالها الأصابع في أسهل موضع يمكن القبض عليها من واسطة المكان من الآلة، فأول هذه دستان السبابة، وثانيها دستان الوسطى، والثالث دستان البنصر، والرابع دستان الخنصر[5]. ويسمى العود المزهر والكِرَان[6]، وأحب عشاق الخمر السكر على ترنيم المزهر[7]. والبربط، نفس العود، والمزهر كلمة عربية وهو العود وهو البربط بالفارسي[8]. وقيل إنَّ العرب أخذوا أسماء آلاتهم العازفة عن الفرس كالبربط، ونرجِّح ذلك لأن البربط هو الاسم الفارسي للآلة الخشبية التجويف التي سماها العرب العود[9]، ومن

(١) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٣٥٧.
(٢) الأسد، ناصر الدين، **القيان والغناء**، م.س، ص٢٨.
(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٤، ص٧٨، وانظر أيضًا: الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٢١٠.
(٤) دستان، وهي الرباطات التي توضع الأصابع عليها، وأسامي دساتين العود تنسب للأصابع، الخوارزمي، **المصدر نفسه**.
(٥) الفارابي، **كتاب الموسيقى**، م.س، جـ٢، ص٤٩٨ ـ ٥٠٠، الخوارزمي، **المصدر نفسه**، ص٢١٠.
(٦) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٩ وص٧٨ ـ ٧٩، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١٣٣.
(٧) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٤٠٢.
(٨) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٩، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٦، ص٣٧٨.
(٩) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.16.

الإنصاف القول أنَّ هذه الآلة الموسيقية قديمة العهد لم يقتصر استعمالها على الفرس والمناذرة بل استعملها البيزنطيون أيضًا[١]؛ لذلك نُسب البربط إلى الروم[٢]، ولا نرجّح ذلك فربما استعمل الروم البربط ولكن أصله فارسي.

وحمل حنين بن بلوع الحيري العود دائمًا، واتَّخذ من الضرب عليها مع الغناء مهنة يعول به على عياله[٣]. وحصل انقسام في موضوع أصل العود، فبعضهم يردُّه إلى أصل فارسي[٤]، وقسم لا يُسلِّم باقتباس المناذرة العود من الفرس[٥]، بل على العكس فإن الفرس هم من اقتبسوا العود من المناذرة وسموه البربط[٦]، ولتسليط الضوء على هذه المسألة، نذكر ما يلي: «قدم النضر بن الحارث[٧]... من العراق وافدًا على كسرى بالحيرة، فتعلَّم ضرب العود والغناء عليه، فقدم مكة فعلَّم أهلها فاتخذوا القينات»[٨]، فالنضر بن الحارث تعلَّم على العود في الحيرة وليس بالمدائن أو بلاد الفرس؛ ما يدل على اشتهار الحيرة به أكثر من غيرها من الحواضر «فأصل العود هو عراقي، والعراق هو أقدم مكان في العالم القديم ظهر فيه العود»[٩]، ومن هذا البلد دخل العود إلى البلدان والممالك العربية الأخرى.

والبربط كلمة معرَّبة، وهو من ملاهي العجم، شُبِّه بصدر البط، والصدر بالفارسية (بر) فقيل بربط[١٠]، ولو كانت الكلمة فارسية معرَّبة لنقلها العرب مثل ما هي، ولكن من المرجَّح أنَّ الفرس هم من اقتبسوا العود عن المناذرة وليس العكس، فأطلقوا على العود اسم البربط. فالعود كلمة عربية «والعرب لم يأخذوا الكلمة الفارسية وإنَّ كل ما أخذوه من الفرس كلمة دساستين التي ما تزال مستعملة حتى وقتنا

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٧، ص١٦٦.

(٢) بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى العراق**، م.س، ص٢٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٤٨، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٤، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٤) الحنفي، محمود أحمد، **علم الآلات الموسيقية**، م.س، ص٧٣.

(٥) رشيد، صبحي أنور، **الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية**، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٥، ص٧٤.

(٦) Farmer. H.G, **Ibid**, p.16.

(٧) النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٢٦.

(٨) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١٣٤.

(٩) رشيد، صبحي أنور، **الآلات الموسيقية**، م.س، ص١٢٤.

(١٠) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٧١، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م.س، جـ٦، ص٣٧٨. وردت: بربت، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٢١٠.

الحاضر»[١]، ولقطع الشك باليقين وإظهار جلية الموضوع، «فأن أول من اتخذ العود لمك بن متوشلح بن محويل بن عاد بن خنوخ بن قاين بن آدم، وذلك أنه كان له ابن يحبه حبًا شديدًا، فمات، فعلَّقه بشجرة، فتقطعت أوصاله، حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والأصابع، فأخذ خشبًا فرقعه وألصقه، فجعل صدر العود كالفخذ، وعنقه كالساق، ورأسه كالقدم، والملاوي كالأصابع، والأوتار كالعروق، ثم ضرب به، وناح عليه، فنطق العود»[٢]، يتضح لنا مما سبق قدم استعمال العود، وأول من استعمله، وطريقة ابتكاره مما يبعد الشبهة عن أنَّ المناذرة أخذوا العود من الفرس.

ب ـ الطُّنْبُورُ: ألة وترية يلعب بها، معرَّبة، واستُعمل في لفظ العربية، وهي فارسية الأصل «دُنْبِ بَرَهْ» فقيل: طُنْبُورٌ[٣]، وهو قريب في الشهرة عند الجمهور من العود، وشأنه أنه يُستعمل فيه من الأوتار وتران فقط، وربما استُعمل فيه ثلاثة أوتار، غير أنه لما كان الأشهر فيه استعمال وترين[٤]، وروي أنه يحتوي على وتر رابع[٥]، ولا نرجّح ذلك لأنه يصبح مثل العود، أو قريب الشبه به. ويُعرف شكل قريب الشبه بالطنبور يسمى البزق[٦]. ونستغرب الكلام عن عدم العثور على ذكر الطنبور في الحيرة[٧]، لأنه بعد دخول المسلمين إلى العراق وجدوا المغنّين يستعملون الطنابير[٨].

ت ـ ألوَنُّ: ألة وترية فارسية معرَّبة، وهو الصنج الذي يضرب بالأصابع، وهو الونج[٩]، وكلاهما دخيل مشتق من كلام الفرس[١٠] وهو ألة طربية ذات أوتار، يضرب عليها بالأصابع[١١].

---

(١) رشيد، صبحي أنور، **الآلات الموسيقية**، م.س، ص٧٣.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١٣٢، انظر أيضًا: ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٩.

(٣) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢٢٥، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٥٠٤.

(٤) الفارابي، **كتاب الموسيقى**، م.س، جـ٢، ص٦٢٩.

(٥) الحنفي، محمود أحمد، **علم الآلات الموسيقية**، م.س، ص٨١.

(٦) جارجي، سيمون، **الموسيقى العربية**، م.س، ص١١٥.

(٧) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.15.

(٨) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٤٨.

(٩) الوَنْجُ: المفرق، وهو المزهر، والعود، وقيل: هو ضرب من الصنج ذي الأوتار وغيرها، فارسي معرَّب، أصله: ونه، والعرب قالت ألون، الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٢٠٩ - ٢١٠، الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٣٤٤، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٤٠١.

(١٠) الجواليقي، **المصدر نفسه**، ص٣٤٢.

(١١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٤ ـ ١٥٥، الجواليقي، **المصدر نفسه**، ص٣٤٤.

ث ـ **الصِّنْج**: بالفارسية جنك، وهو ذو الأوتار، والصنج عند المناذرة هو الذي يكون في الدفوف يُسمع له صوت كالجلجل، فأمّا ذو الأوتار فهو دخيل معرَّب، وقيل: إنما هو الونج[1]، فالأول فارسي معرَّب، والثاني عربي الأصل. وهو من الآلات الموسيقية التي تضرب ببعضها بعضًا لتحول الصوت إلى نغمة موسيقية[2]. يتألف من قطعتين مصنوعتين من معدن النحاس الأصفر اللون[3]، وزُعم أنه نوع من القانون، أي: الآلات الوترية[4]، ولا نرجّح ذلك، لأنه يطابق وصف ألة الصنج الوترية «وهي ألة مصرية بحتة تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسة، هي الصندوق المصوت والرقبة والأوتار، وتختلف عن سائر الآلات الوترية في أن أوتارها تنزل عامودية على صندوقها المصوت، بينما تكون الأوتار في بقية الآلات الوترية الأخرى موازية للصندوق»[5]، ونحن بصدد الحديث عن الصنج ذي الدفوف وليس ذي الأوتار، فالأخير دخيل معرَّب تختص به العجم وتكلَّمت به العرب، ولا نعرف كيف نُسب إلى بلاد مصر. وشُبّه صوت العود بصوت الصنج[6]، ولُقّب الشاعر الأعشى بصنّاجة العرب، لأنه أول من ذكر الصنج في شعره، أو لكثرة ما تغنى به[7]. وبهرام جور عندما تربى في الحيرة، كان يركب النجائب وتركب وراءه الصناجات يلهينه بضرب الدفوف[8]، التي كانوا يفضلونها على غيرها من الآلات الموسيقية[9].

ج ـ **آلات النفخ**: الزُّمْخَرُ[10]، المزمار الكبير الأسود[11]، فهو المزمار الكبير الحجم، واستعمل المناذرة المزامير والمعازف كآلة موسيقية للغناء متأثرين بالفرس والبيزنطيين[12].

(١) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص٢٠٩ ـ ٢١٠، الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢١٤.
(٢) الفارابي، **كتاب الموسيقى**، م.س، جـ١، ص٧٩.
(٣) باشا، أحمد تيمور، **الموسيقى والغناء**، نشر لجنة المؤلفات التيمورية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣، ص١٢٠.
(٤) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.16.
(٥) الحنفي، محمود أحمد، **علم الآلات الموسيقية**، م.س، ص٤١.
(٦) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٤.
(٧) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٢١٨.
(٨) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٤٤، الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٤٢.
(٩) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.16.
(١٠) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٣٦٢، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٣٣٠.
(١١) ابن منظور، **المصدر نفسه**، ص٣٢٩.
(١٢) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٤٨.

والناي[1] من الآلات الصغيرة التي يضربون بها نفخًا بالفم[2]، ابتكرها الفرس[3]، وهي بالفارسية «النّايَ نَرْمُ» من الملاهي[4]، تشبه المزمار حديثًا. ويجب الانتباه إلى أن العود والمزمار والدف والطنبور وغيرها من الآلات الموسيقية استُعملت قبل قيام مملكة المناذرة[5]، واستمر استعمالها في أيام ملكهم وحتى وقتنا الحاضر.

٢ ـ أنواع الغناء

شعر العرب أنّهم بحاجة إلى كلام يعبِّرون به عن عواطفهم وخيالاتهم، فاكتشفوا سرَّ القافية ووضعوها في آخر الكلام الموزون وأخذوا يجيدون الشعر ويرتجلونه، فقبل أن ترتقي الموسيقى المنذرية بمزاولة الغناء لم يكن موسيقاهم سوى الحداء[6]، فاستعمال الناس الحداء بالشعر وترديده شيئًا بعد شيء، وقيل: ضُرِب يد غلام بعصا، فجعل يقول له: يا يداه يا يداه، فاجتمعت الإبل[7]. فالغناء القديم كان في الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلّا الحداء والنشيد، وكانوا يسمونه الركبانية[8][9]، فالبداوة «كانت أغلب نحِلَهم، ثم تغنى الحداة منهم في حداء إبلهم والفتيان في قضاء خلواتهم، فرجعوا الأصوات وترنَّموا، وكانوا يُسمّون الترنُّم إذا كان بالشعر غناء، وإذا كان بالتهليل أو نوع القراءة تغبيرًا. . .ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم»[10].

فغناء الحداء يلائم سير الإبل، جاعلينها ميزان لحن موسيقاهم، فيصحُّ أن نقول عنه إنه ترنيم تناسب وحياتهم البسيطة. ولا ننسى دور الديانة المسيحية في تطوير

(١) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٤ ـ ١٥٥، الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٢١٤ وص٣٤٠.
(٢) باشا، أحمد تيمور، **الموسيقى والغناء**، م.س، ص٢.
(٣) Farmer. H.G, **Ibid**, p.7.
(٤) الجواليقي، م.س، ص٣٤٠.
(٥) Farmer. H.G, **Ibid**, p7.
(٦) الحداء: حَدَ الإبل وحدا بها يحدو حدوًا وحداءً، والحَدْوُ: سوق الإبل والغناء لها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص١٦٨.
(٧) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١٣٣، ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٤٨.
(٨) الرّكبان: أصحاب الإبل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٢٩.
(٩) باشا، أحمد تيمور، **الموسيقى والغناء**، م.س، ص٧.
(١٠) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٩٧.

الموسيقى التي أخذت شكلها الكنسي[١]، في كثير من التراتيل والترنيم التي تعتبر الغذاء الروحي.

وكان عندهم الشعر الذي يُعتبر لونًا من ألوان الغناء يأتي على أكثر من وزن من أوزان الشعر المعروفة اليوم، «فبحر الرجز[٢] من أشد الأنواع ملاءمة للغناء المرتجل الذي نقرأ عنه مرارًا وتكرارًا»[٣]، وقيل حول العلاقة بين الأوزان الشعرية والغناء: «أمّا الأوزان العروضية فلا ريب أنَّ بناءها تم بتأثير فنٍّ غنائي وإن كان بدائيًا، ويتضح مظهر ذلك الفن على الخصوص في الحداء الركبانية»[٤].

فالحداء كان بداية الغناء في بلاد المناذرة، ولكنه لم يكن الوحيد، فقيل: إنَّ الغناء على ثلاثة أوجه: «النصب[٥] والسناد والهزج[٦]، فأمّا النصب فغناء الركبان والفتيان، وأمّا السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات، وأمّا الهزج فالخفيف كله، وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم، وإنّما كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهرًا فاشيًا»[٧]، وكان غناء النصب ثلاثة أجناس: الركباني، والسناد الثقيل، والهزج الخفيف[٨]، بالنسبة للنصب، فهو قديم في الحيرة، حيث كانت هريرة وخليدة أختين قينتين لبشر بن عمرو بن مرثد، وكانتا تغنّيان النصب في الحيرة[٩]، فهو غناء يشبه الحداء، غير أنّه أرقّ. وكان غناء الحيرة بين الهزج والنصب[١٠]، وهذا النوع من الغناء تميَّز به أهل الحيرة عن غيرهم من الممالك العربية الأخرى، حتى أطلقوا عليه غناء أهل الحيرة[١١]. فالتأثير الفارسي

(١) Runicman. S, **Byzantine Civilization**, p.250.

(٢) الرَّجَز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء، وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم ويحدون به، وهو بحر من بحور الشعر معروف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٣٥٠.

(٣) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.14.

(٤) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، جـ١، ص١١١.

(٥) النَّصْبُ: ضرب من أغاني العرب، وهو حداء يشبه الغناء، والنصب غناء الركبان، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٧٦٢.

(٦) الهَزَج: من أعاريض الشعر: وهو مفاعيلن مفاعيلن، وهو من الأغاني وفيه ترنيم، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٧) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٨ ـ ٢٩، وانظر أيضًا: ابن رشق، **العمدة**، م.س، جـ٢، ص٢٤٨.

(٨) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١٣٣.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص١١٣.

(١٠) **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٥٢.

(١١) **المصدر نفسه**، جـ١٧، ص١٦٦.

والبيزنطي، ودور الشعراء، والمناسبات الدينية، وحياة الخانات من خمر ونساء، والغنى المادي، أوجدوا نوعًا من الغناء نُسب إلى أهل الحيرة بشكل خاص، ولم يقتصر الأمر على ابتداع المناذرة لهذا النوع من الغناء، بل ترك أثرًا في الممالك العربية المجاورة، حيث «لم تكن قريش تعرف من الغناء إلّا النصب حتى قدم النضر بن الحارث... من العراق وافدًا على كسرى بالحيرة، فتعلَّم ضرب العود والغناء عليه، فقدم مكة، فعلَّم أهلها فاتخذوا القينات»[١]، فرغم معرفة الحجاز لغناء النصب الذي كان لون الغناء الوحيد لديهم غير أنهم لم يبلغوا الحيرة في ذلك، بل أخذوا أفانين الغناء منهم[٢].

أمّا السِّنادُ: فهو الغناء الثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات، وهو اختلاف الأرداف، إذ قال: «عين وجين» فالسناد في القوافي مثل شيب وشيب[٣].

الهزج: هو الذي يطرب عليه فيُهيج الأنفس، وهو الشائع عندهم، ويدل اسمه على علاقة واضحة ببحور الشعر وأوزانه، حتى أنّه أُطلق على أحد بحور الشعر (الهزج)، فبعد أن كان مصطلحًا غنائيًا صار مصطلحًا عروضيًا، فالظاهر تفعيلات العروض كانت تتحكم في الوزن والموسيقى، الذي لم يتخلص من الوزن الشعري إذ سمي الأخير بالإيقاع كذلك[٤].

ويعتبر لون الهزج الغنائي من ألوان الغناء القديمة[٥]. فثمة علاقة وثيقة بين الشعر والغناء العربي، فهما متلازمان ووجدا مع بعضهما، وكلًّا منهما يكمل الآخر.

ـ المغنُّون

طارت شهرة بلاد المناذرة بالغناء، وحاناتها التي كانت ملهى وموطئ أُنس لكل تاجر وزائر، «فالغناء ميزة من ميزات العرب إلى جانب القتال والسلب»[٦]، وعناية المناذرة بالموسيقى والغناء وفهمها وتذوقها دليل على إنَّها قد قطعت شوطًا بعيدًا في الحضارة، لأنهما ترف حضاري يعكس لنا درجات رقيها الفني والحضاري، ومن أهم المغنّين:

١ ـ حنين بن بلوع الحيري: يُكنّى أبو كعب، كان مغنيًا من فحول المغنّين،

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١٣٤.

(٢) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.5 & p.14.

(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٢٢٢.

(٤) Farmer. H.G, **Ibid**, p.15.

(٥) العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، ص٣١٤.

(٦) Browne. E.G, **A Literary Hitory of Persia**, p.174.

يسكن الحيرة، نصراني الدين، أحبَّ سماع الغناء منذ نعومة أظافره حتى شدا منه أصواتًا فاستمعه الناس، كان مطبوعًا حسن الصوت، اشتهر غناؤه وشُهِرَ بالغناء ومهر فيه وبلغ فيه مبلغًا كبيرًا، وعوده لا يفارقه، فامتهن الغناء واقتات منه هو وعياله، مات وعمره مئة سنة وسبع سنين[1].

٢ ـ الجرادتان: هما لعبد الله بن جدعان[2]، وورد أنهما مغنيتان للملك النعمان بن المنذر[3]، وزُعم أنهما أول من غنّى من العرب، وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العملقي[4]، والواضح أن هذا غير دقيق، فعهد عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، غير عهد عاد، فالأول سماهما بجرادتي عاد ووهبهما لأمية بن أبي الصلت الثقفي[5]، ومن المرجَّح أنهما زارا بلاط النعمان، واستمتع الأخير بغنائهما لفترة غير قصيرة من الزمن.

٣ ـ هريرة وخليدة: هما أختان قينتان لبشر بن عمرو بن مرثد، كانا في أيام النعمان بن المنذر. فالمغنيات لعبن دورًا غير صغير في الحياة الموسيقية[6].

٤ ـ النضر بن الحارث: تعلّم ضرب العود والغناء عليه في الحيرة.

٥ ـ ماوية بنت عفرز: كانت تغني للنعمان بن المنذر، واشتهرت بالغناء في الحيرة[7].

٦ ـ ورد ذِكر نفر من السدريين يقال لهم: عباديس، وزيد بن الطليس، وزيد بن كعب، ومالك بن حممة، وكانوا يغنون غناء الحيرة[8].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٤١ وص٣٤٥ وص٣٥٢، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ٤، ص٢٩٣ ـ ٢٩٥.

(٢) الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، م.س، جـ٢، ص١٥٨. ورد جرادة جارية بن جدعان، العسكري، **الأوائل**، ص٣١٤.

(٣) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص١١٨.

(٤) المفضل بن سلمة، **الفاخر**، م.س، ص٨٢ ـ ٨٣، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٧، ص٢٩.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٨، ص٣٢٧.

(٦) Farmer. H.G, **A History of Arabia**, p.10.

(٧) عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية**، م.س، جـ١، ص٨٤، .

(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٥٢.

رابعًا ـ علوم أخرى

١ ـ التقويم

اتَّبع المناذرة تقويمًا يؤرِّخون به حوادثهم، ومن أقدم هذه التقاويم التي وصلت إلينا، تأريخ نص النمارة المؤرخ بتقويم البصرى، ويبدأ بدخول البصرى تحت قبضة الروم سنة (١٠٦م)[1]، أمّا أسباب حاجة المناذرة إلى التقويم فعديدة، فهي تحدد الإطار الذي كانت تدور في حدوده ضروب نشاطهم وأحوال معيشتهم في شتّى مناحيها، كما أنَّه يعيِّنُ الأوقات التي كانت تنظم نشاطهم الاجتماعي أو كانت تقع عندها مواسمهم الدينية، ثم إنه بعد ذلك عمل ينظر من قريب أو بعيد إلى ما كان يجول في الفكر العربي من تقلب أحوال الزمان وعما يشاهده من تعاقب الظواهر في هذا الكون، واستعمل نصارى المناذرة التقويم النصراني لارتباط حياتهم الدينية والاجتماعية به ارتباطًا وثيقًا، ونسبوا الأحداث العظام إلى السنة التي تقع فيها، فجعلوها تأريخًا، كعام الخَنَانِ[2]، وهو العام الذي وقع فيه مرض خطير فتك بالإنسان والإبل في أيام المنذر بن ماء السماء، وحدَّد النابغة الجعدي فترة عمر شبابه منذ أيام الخنان[3].

وتسمّى الأيام عندهم كالتالي: «أولها الأحد، وإنَّما سمّي بذلك لأنَّه أول يوم خلقه الله من الزمان، والاثنين سمي لأنه ثان، والثلاثاء لأنه ثالث، والأربعاء لأنه رابع، والخميس لأنه خامس، والجمعة لأن الخلق اجتمعوا فيه، والسبت لأن الخلق انقطع فيه، وخلق في آخره آدم. وهو مأخوذ من قولهم: نعل سبتيّة، وكانت العرب تسميها في الجاهلية، الأحد أول، والاثنين أهون، والثلاثاء جبار، والأربعاء دبار، والخميس مؤنس، والجمعة عروبة، والسبت سيار»[4]. فهذه الأيام هي نفس الأيام التي نعتمدها في تقويمنا الحالي.

---

(١) ديسو، رنيه، **العرب في سوريا**، م.س، ص٣٤.

(٢) الخُنَان: زمن ماتت فيه الإبل، وهو زمن معروف عند العرب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص١٤٣.

(٣) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٣، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٧٩.

(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص١٩١، وانظر أيضًا: ابن المستنير، **كتاب الأزمنة**، م.س، ص٣٤.

وشهورهم هي الشهور القمرية، وأيامها ثلاثمئة وأربعة وخمسين يومًا، أولها المحرم وصفر وربيع الأول، ، وجمادي، ورجب وشعبان، وسمي شعبان لتشعب القبائل فيه وتفرقها، ورمضان، وشوال، ذو القعدة، وذو الحجة[١]، فهم قسموا شهورهم حسب مواسم نشاطهم المعاشي والتي تتصل بدورة نباتهم أو نتاج أنعامهم[٢].

ومجموع هذه الشهور لمرة واحدة يسمى عام، والقابل[٣] للثاني لأنه يستقبلك[٤]، أمّا الفرق بين السنة والعام، فإنهم يقولون: «سنة جدب» و«عام خصب»[٥]، فالسنة دليل الجفاف وقلة المطر، والعام بعكسه، فنلاحظ أن مصطلحاتهم ارتبطت بحياتهم الاقتصادية، وقيل للعام حول[٦][٧]وسَمّوا العام حجَّة[٨][٩]. والسنة عندهم أربعة أزمنة: فأولها الوسمي، وثاني الربيع، والثالث الصيف، والرابع في لغة أهل الحجاز الخريف، وفي لغة تميم الحميم[١٠]، واستعمل المناذرة لفظة الخريف[١١]. واعتمدوا في تقسيم الفصول على النجوم، فأول نجوم الصيف الثريا[١٢]، ويتبعه الشعرى[١٣]، والعذرة[١٤]، وسهيل[١٥]، وآخرها السماك[١٦]، وأول نجوم فصل الخريف

---

(١) الفراء، **الأيام والليالي**، م.س، ص٩ ـ ١٥، ابن رسته، **كتاب الأزمنة**، م.س، ص٣٧ ـ ٣٨.

(٢) الحسيني، عبد المحسن، **تقويم العرب في الجاهلية**، مطبعة الاسكندرية، ١٩٦٣م، ص١٩.

(٣) القابِل: عام قابل، أي: مُقبل، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٣٧.

(٤) ابن المستنير، **كتاب الأزمنة**، م.س، ص٤٨.

(٥) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١، ص١٦٤.

(٦) الحَول: سنة بأسرها، والجمع أحوال، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص١٨٤.

(٧) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٦٩.

(٨) الحِجَّةُ: السنة، والجمع حجج، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٢٧.

(٩) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٠١.

(١٠) ابن المستنير، **كتاب الأزمنة**، م.س، ص٢٣.

(١١) ابن قتيبة الدينوري، **كتاب الأنواء في مواسم العرب**، (د.م)، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨، ص١٠٨ ـ ١٠٩.

(١٢) الثُّريَّا: من الكواكب، سميت بذلك لغزارة نوئها، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٤، ص١١٢.

(١٣) الشعرى: كوكب نيِّر يقال له: المرزم، يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحرّ، وتقول العرب: إذا طلعت الشعرى جعل النحل يرى، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٤١٦.

(١٤) العُذرة: نجم إذا طلع اشتد غمُّ الحرِّ، وهي تطلع بعد الشعرى، ولها وقدة ولا ريح لها، وتأخذ بالنفس، ثم يطلع سهيل بعدها، **المصدر نفسه**، ص٥٥٣.

(١٥) سُهَيْلُ: كوكب لا يرى بخراسان ويرى بالعراق، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٣٥٠.

(١٦) السّماكُ: نجم معروف وهما سماكان، رامح وأعزل، الرامح لا نوء له وهو إلى جهة الشمال، =

الغفر[١]، وآخرها البلدة[٢]، ونجوم فصل الشتاء العقرب[٣][٤]، والنعائم[٥]، والنسران[٦]، وسعد الذابح[٧]، وسعد السعود[٨]، وأول فصل الربيع الدلو[٩]. واستعانوا بالنجوم لمعرفة حالة الجو، فإذا ارتفعت الثريا مع غروب الشمس في المغرب، ولم يكن في ذلك الوقت برق، يريد لم يكن فيه مطر، وفي هذا الوقت يقال: «طلع النجم عشاء، ابتغى الراعي كساء»، فضيق وظلف العيش دائم ما دامت الثريا طالعة عشاء، فهم يراقبونها ويقدرون لها، وينتظرون لين الزمان[١٠].

فالحاجة إلى التوقيت حاجة قديمة عند المناذرة استدعتها ظروف حياتهم المعيشية. ووجدوا لزامًا عليهم لكي يحفظوا حياتهم وحياة أنعامهم أن يتوقّوا الجدب وأن يسعوا وراء الخصب، والجدب والخصب في بلاد المناذرة وإن ارتبطا إلى حد كبير بالمكان غير أنَّهما يتعاقبان بتعاقب الزمان وفي نفس المكان الواحد[١١].

ورافق حياة المناذرة شنُّ الغارات وطلب الثأر، وكانت تُمنع في الأشهر الحُرُم، فعملوا على ابتداع النسيء «أي: أنهم كانوا ينسئون المحرم إلى صفر ورجب إلى

= والأعزل من كواكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب، وطلوع السماك الأعزل مع الفجر يكون في شهر تشرين الأول، **المصدر نفسه**، جـ١٠، ص٤٤٤.

(١) الغَفرُ: منزل من منازل القمر ثلاثة أنجم صغار، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٢٩.

(٢) البَلْدَةُ: من منازل القمر بين النعائم وسعد الذبائح، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٩٥.

(٣) العَقربُ: برج من بروج السماء، وله من المنازل الشولة والقلب والزباني، **المصدر نفسه**، جـ١، ص٦٢٥.

(٤) ابن المستنير، **كتاب الأزمنة**، م.س، ص٢٥ ـ ٢٨، ابن قتيبة الدينوري، **كتاب الأنواء**، م.س، ص١١٨ ـ ١١٩.

(٥) النّعائمُ: من منازل القمر ثمانية كواكب، أربعة صادر، وأربعة وارد، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٥٨٦.

(٦) النَّسران: كوكبان في السماء معروفان على التشبيه بالنسر الطائر، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص٢٠٤.

(٧) سعد الذابح: كوكبان متقاربان، سمي أحداهما ذبحًا لأن معه كوكبًا صغيرًا غامضًا، يكاد يلزق به فكأنه مُكبٌّ عليه يذبحه، والذابح أنور منه قليلًا، **المصدر نفسه**، جـ٣، ص٢١٣.

(٨) سعد السعود: كوكبان، وهو أحمد السعود ولذلك أضيف إليها، وهو يشبه سعد الذابح في مطلعه، وهو كوكب ينير منفرداً، **المصدر نفسه**.

(٩) الدَّلْوُ: برج من بروج السماء معروف، سمي به تشبيهًا بالدلو، **المصدر نفسه**، جـ١٤، ص٢٦٦.

(١٠) ابن قتيبة الدينوري، **كتاب الأنواء**، م.س، ص٣٠ ـ ٣١.

(١١) الحسيني، عبد المحسن، **تقويم العرب**، م.س، ص٣.

شعبان، وكان جملة ما يعتقدونه من الدين تعظيم الأشهر الحرم الأربعة، وكانوا يتحرَّجون فيها من القتال، وكانت قبائل منهم يستجيبونها فإذا قاتلوا في شهر حرام، حرموا مكانه شهرًا من أشهر الحلّ، ويقولون نُسئ الشهر»[1]، فجوهر النسء «التأخير والزيادة، ومداره التأخير في الوقت أو الزيادة فيه»[2].

٢ ـ القيافة

«علم اختصت به العرب من بين سائر الأمم، وهو إصابة الفراسة في معرفة الأشياء في الأولاد والقرابات ومعرفة الآثار، فكانوا يُلحقون الأسود بالأبيض، والأبيض بالأسود، والوضيء[3] بالدميم[4]، والدميم بالوضيء، والطويل بالقصير، والقصير بالطويل»[5]، فيقصد بها التنبؤ والإخبار عن شيء بتتبع الأثر والشبه، وتنطوي في بابها قيافة آثار الأقدام والأخفاف وحوافر الحيوان والطير للاستدلال على أصحابها[6].

وساعدت الطبيعة الجغرافية الرملية لبلاد المناذرة في امتهان هذا العلم، فالبراض خرج في اقتفاء أثر عروة بن عتبة الرحال وقتله[7]. وطار صيت أهل الحيرة بالقيافة، فاستعان أهل مكة برجالها لاقتفاء الأثر[8]. وفي قصة فاطمة بنت المنذر، تم اقتفاء أثر بنت عجلان التي كانت تدخل عليها فقط، حيث وضعت الأخيرة المرقش الأصغر على ظهرها وأدخلته إلى فاطمة في أحد الأيام، فنظروا في الأثر، فقالوا: أثر بنت عجلان وهي مثقلة[9]. والمرجَّح أنهم استعانوا بالكلاب لاقتفاء الآثار، ودربوها على ذلك من خلال رائحة بول الإنسان[10].

٣ ـ الفلسفة

لم يشتهر المناذرة في النظريات الفلسفية، إذ كان همهم الأعظم أن يعيشوا في مواطنهم عيشة فطرية لا يزعجها ضنك الفكر ولا يخالطها التعمق في غوامض

(١) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١، ص١٦٥ ـ ١٦٦، وانظر أيضًا: العسكري، **الأوائل**، م.س، ص٤٤.
(٢) الحسيني، عبد المحسن، **تقويم العرب**، م.س، ص٢٩.
(٣) الوضيءُ: هو الحسن النظيف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص١٩٥.
(٤) دَميم: قبيح، **المصدر نفسه**، جـ١٢، ص٢٠٨.
(٥) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٦، ص٣٠، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٢٧٨.
(٦) محمود، عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، م.س، ص٤١٣.
(٧) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٢١٥.
(٨) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص١٥٠.
(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٦، ص١٣٧.
(١٠) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩.

الكون، لكن الفلسفة لا تظهر في المؤلفات النظرية فحسب، بل تظهر في مطاوي الكلام من نثره وشعره، فقد ذكر الحارث بن حلزة الحَدْسَ[1] في شعر، وما هو إلّا مصطلح فلسفي يدل على المعرفة[2].

وورد مصطلح المنطق على لسان العديد من حكماء بلاد المناذرة[3]، والمنطق هو معرفة الصح من الخطأ فهو من أسس علم الفلسفة.

ويثبت الفيلسوف بالبراهين العقلية وجود الله ووحدانيته، وخلقه العالم، وصفاته الحسنى، من قداسة وحكمة وقدرة وعدل وعناية بالمخلوقات، وآمن بعضهم بقضائه وقدره[4]، وعرفوا مذهب القدرية، وبعضهم ذهب مذهب الجبرية أيضًا[5]، فالمجبر هو الذي يقول بالجبر، وهو عند أهل الكلام إسناد أفعال العبد إلى الله سبحانه، ويقول الجبري: إنَّه لا قدرة للعبد أصلًا لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها. والقدري: من ينكر القدر، أي: ينكر أن يكون الله قد قدَّر على عباده شيئًا من خير أو شر، وإنَّما ذلك موكول إلى إرادتهم وقدرتهم، فمن عمل صالحًا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

ولطرفة بن العبد آراء فلسفية في شعره، فهو يرى أن الغاية من الحياة هي اللذة المادية العاجلة، ثم هو لا يلقي بالًا إلى موقف الناس منه في ذلك، ما دام هو وحده يتحمل نتائج سلوكه[6]، وفي نظرته التأملية للحياة يرى أنَّ الحياة كنز ينقص كل ليلة بسبب جمال ولذة العيش الذي سينتهي بالموت لا محال[7].

فهذه الخطرات الفلسفية التي وصلوا إليها مرده إلى ترجمة كثير من الكتب

(١) الحَدْسُ: الظن والتخمين والتوهم في معاني الكلام والأمور، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص٤٦ ـ ٤٧.
(٢) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ٢، ص٤٢.
(٣) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦.
(٤) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص١٨٤، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٣٧٤.
(٥) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٢، ص١٠٢، وجـ٦، ص٥٠٩، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٢، ص٢١٧ ـ ٢١٨.
(٦) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٤ وص٢٠٨، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٩٤ وص١٩٦ وص٢٢٠ ـ ٢٢١، ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٨١ وص٩١.
(٧) أبو زيد، **المصدر نفسه**، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦، ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٠٤.

الفلسفية والدينية إلى اللغة السريانية التي كانت شائعة عندهم[1]، وعن الفلسفة في الشعر «فقد نجد في بيت من الشعر الجاهلي... فكرة راقية، وربطًا للأسباب بالمسببات، ولكن حتى هذه يعوزها العمق في التفكير، كما يعوزه الشرح والتعليل»[2]. ولكننا لا نستطيع أن ننسف حكمهم الواردة في أقوالهم وشعرهم، ففي السؤال قال النعمان بن المنذر: «من سأل فوق حقه استحق الحرمان، ومن ألحف[3] في مسألته استحق المطل[4]، والرفق يُمْنٌ، والخرق شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو مع المقدرة»[5].

وأحضر المنذر لبهرام جور حكماء الروم والفرس ومحدثي العرب، واستمع من أهل الحكمة في الحيرة[6]، فمن المؤكد أن المناذرة تأثروا بفلسفة وحكمة الروم والفرس وتعلموا منها. ومن الحكم التي وردت على لسان الشعراء قول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلًا — ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد[7]

وقال عبيد بن الأبرص:

مـن سـأل الـنـاس يـحـرمـوه — وسـائـل الله لا يـخـيـب[8]

وقَدِم النعمان بن المنذر على كسرى إبرويز فسمع من الأخير كلامًا مجحفًا بحق العرب، فعندما عاد النعمان إلى الحيرة، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقُّص العرب وتهجين أمرهم، بعث إلى الحكماء: أكثم بن صيفي[9] وحاجب بن زرارة، وإلى الحارث بن عباد[10] وقيس بن مسعود البكري، وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن معد يكرب الزبيدي والحرث بن ظالم المري، فأرسلهم إلى كسرى،

(1) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص٨٠.
(2) أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، م.س، ص٤١.
(3) ألحف: ألحَّ، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص٣١٤.
(4) المَطلُ: التسويف، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص٦٢٤.
(5) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٢، ص٣٥٤.
(6) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٦، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص٧٩.
(7) أبو زيد، **جمهرة أشعار**، م.س، ص٢٠٩، الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٢٣٠.
(8) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٢، ص٣٥٥.
(9) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن مردة بن أسيد بن عمرو بن تميم، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢١٠.
(10) الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣١٩ ـ ٣٢٠.

وأقنعوه بكلامهم وحكمهم على أن العرب على غير ما يعتقد[1].

ولتفسير الأحلام حيز وافر في علم المناذرة، فقد طلب كسرى أنوشروان من النعمان بن المنذر أن يوجه إليه رجلًا من علمائهم من أصحاب علم بالحدثان لتفسير رؤيا له[2]. وهذا ليس بمستغرب «فالأعاجم قوم لهم حلم، وقد سمعوا ببعض علم العرب، وعرفوا أن هذا الأمر كان فيهم»[3].

فهناك فرق كبير بين مذهب فلسفي للرأي، وبرهنة عليه، ونقض للمخالفين، وهذه منزلة لم تصل إليها المناذرة في الجاهلية، أمّا الخطرة الفلسفية فدون ذلك لأنّها لا تتطلب إلّا التفات الذهن إلى معنى يتعلق بأصول الكون، ومن غير بحث منظم وتدليل وتفنيد، وهذه درجة وصل إليها المناذرة[4].

٤ ـ القضاء والتشريع

اتّسمت قضايا المناذرة الخلافية بالبساطة والابتعاد عن التعقيد لأنها وليدة الطبيعة البكر، ولهذا كان أساس الحكم فيها هو العرف وما تمليه المصلحة العامة، ولا ننفي عن مجتمع المناذرة معرفته ببعض التشريعات التي كانت وليدة بيئته وظروفه وحاجاته، ولكنها كانت بسيطة وغير معقدة متعارف عليها في المجتمع.

وعن سبب رجوع العرب إلى الأعراف، «فقد كان لهم حكّام ترجع إليهم في أمورك وتتحاكم في منافرتها ومواريثها ومياهها ودمائها، لأنه لم يكن لهم دين يرجع إلى شرائعه، فكانوا يُحكّمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة»[5]، فالنص يوضح صفات الحكم أو القاضي. ففي حين كان يوجد في بيزنطة نظام قضائي متخصِّص ولكل جريمة قاضٍ يحكم فيها[6]، كان الملك عند المناذرة هو الحكم والقاضي، فعمرو بن هند عندما أصلح بين قبيلتي بكر وتغلب

(1) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص١٥٨ ـ ١٥٩، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٢٠، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٨٧ وص٢٧٩، جـ٢، ص٣٥٤، وجـ١، ص١٩٩، جـ١، ص٨٩، جـ١، ص١٨٩، جـ١، ص١٩٤، جـ٢، ص١٦٤، جـ٢، ص١٧٦، جـ٢، ص٣٤٣، جـ٣، ص١٧، جـ٣، ص٤٢، جـ٣، ص٩٦، القالي، **الأمالي**، م.س، م١، جـ٢، ص١٧٢.
(2) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٩٤، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٠٠.
(3) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٤، ص٦٠.
(4) أمين، محمد، **فجر الإسلام**، م.س، ٤٩.
(5) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص٢٢٠.
(6) Procopius, **The Secret History**, p.140.

أخذ من القبيلتين رهنًا، أي من كل قبيلة مائة غلام ليكفَّ بعضهم عن بعض وتراضوا بحكمه وقضائه[1]. ومن الأعراف التي اعتادوا عليها أحكام تحرير الأسرى، فالملك يُحرَّر من الأسر مقابل ألف ناقة، والسيد أربعمائة بعير، والأفراد وعامة الناس يدفع مبلغ من المال من دون تحديد. واستعملوا أنواع مختلفة من القصاص كالحرق والصلب والخنق وفصد الأكحل. وسُنَّت قوانين ووضعت أنظمة في جباية الضرائب نسبتها ١٠٪ على السلع والبضائع، ونظموا عملية البيع والشراء والمعاملات التجارية.

وامتهن بعض الأشخاص القضاء والحكم بين الناس ممن اشتهروا بالحكمة ورجاحة العقل، فمنهم «خماشن بن معاوية بن شريف بن جرزرة بن أسيد بن عمرو بن تميم، وكان يجلس على سرير من خشب فسُمّي ذو الأعواد، وأكثم بن صيفي بن رياح، ووكيع بن سلمة بن زهير الإيادي»[2]، ولم يحكم هؤلاء بقوانين مدوَّنة ولا قواعد معروفة، إنما كانوا يرجعون إلى أعرافهم وتقاليدهم التي كونتها تجاربهم أحيانًا، ومعتقداتهم أحيانًا أخرى[3].

وتميّزت قوانينهم التي يصدرونها بأنها كانت مبرمة وغير قابلة للاستئناف، في حين نجد محامي دفاع محترفين في الدعاوي القضائية في بيزنطة[4]؛ ما يظهر بدائية القضاء والتشريع في بلاد المناذرة، ونلاحظ ندرة في مواد القانون والتشريع، وهذا مَرَدُّه إلى بساطة الحياة، وتركيز أغلب السلطات في يد الملك.

٥ ـ النسب

وضع المناذرة شجرة أنساب لهم ولقبائلهم ولحيواناتهم وخاصة الخيول، وذلك للمحافظة على النسب الصريح، ومن أهم نسّابي الحيرة جبر[5]. واستخرجت أنساب آل نصر بن ربيعة من بِيَع الحيرة، ما يدل على اهتمام واضح بذكر النسب والآباء والأجداد والأمهات، وكتابتهم ذلك. وافتخر النعمان بن المنذر أمام كسرى أنوشروان بأنساب أُمَّته، فقال: «وأمّا أنسابها وأحسابها، فليست أُمَّة من الأمم إلّا وقد جهلت آباءها، وأصولها وكثيرًا من أولها، حتى إنَّ أحدهم ليسأل عمَّن وراء أبيه

(١) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٣١، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٤٢.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ٢، ص٢٢٠.

(٣) أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، م.س، ص٢٢٥.

(٤) Procopius, **Ibid**, p.168 & p.170.

(٥) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ١، ص٣٠٣.

دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحد من العرب إلّا يُسمّي آباءه أبًا فأبًا، حاطوا بذلك أحسابهم، وحفظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يُدعى إلى غير أبيه»[1].

وسبب اهتمامهم بالأنساب لأنه سبب مهم عندهم في التناصر والألفة، وهم أحوج ما يكون إلى التضامن حيث كانوا قبائل متفرقة، ويُعرِّفهم هذا العلم على أنساب الناس حتى يظهر الأصيل من الدعيّ والدخيل، فالبيئة المنذرية بظروفها وأوضاعها فرضت على ساكنيها أن يكونوا متظافرين وليس لهم إلّا النسب، لأنَّ فيه تعاطف الأرحام.

(١) ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ١، ص٢٧٧.

الفصل السادس

فن البناء

أولًا ـ القصور.
ثانيًا ـ أماكن العبادة.
ثالثًا ـ الفتح الإسلامي لبلاد المناذرة.

أولاً ـ القصور

شيَّد الملوك والأعوان الكثير من الأبنية لأغراضهم الخاصة أو لشؤون مملكتهم، إلى جانب السرادقة[١][٢]، والقباب، والمظال، وبيوت الشعر[٣]، قال طرفة في هجائه لعمرو بن هند:

فليتَ لنا مكانَ عمروٍ رغوثًا حول قُبَّتنا تخورُ[٤]

وتميَّزت الخيمة بأنها مغلقة من ثلاث جهات، ومفتوحة من الجهة الرابعة، وأحيانًا تُغلق الجهة الرابعة بالسّجف[٥] المشقوق الوسط كالمصراعين[٦]، هذا بالنسبة للخيم، أمّا القلاع والحصون فقد لعبت دورًا رئيسًا في تاريخ المناذرة، فكانت بمثابة رمز للسلطة والحكم، وبالتالي كان الاهتمام ينصب عليها باستمرار، فأصبحت حيازة القلاع والحصون من مستلزمات إقامة بلد موحد بعد فترات الانقسام السياسي، وهذا ما ميَّز المناذرة عن الغساسنة، فملوك الأخيرة كانوا لا يستقرون في مدينة يتوارثون فيها الملك مثل المناذرة بالحيرة[٧].

وهذا يعنى أنَّ ملوك المناذرة لم يكونوا زعماء بدوٍ بُسطاء[٨]، بل أقاموا المدن

(١) السُّرادِق: هو كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص١٥٧. قيل: إن السُرَادق مصنوع من القطن، وكل بيت من كرسف القطن فهو سرادق، الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩٣.

(٢) الواقدي، **فتوح الشام**، م.س، جـ٢، ص١٨٥، التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٠٦.

(٣) التيمي، **المصدر نفسه**، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٥٤.

(٤) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص١٢٣.

(٥) السَّجْفُ: السِّتر، وهو الستران المقرونان بينهما فرجة، وكل باب ستر بسترين مقرونين، فكل شق منه سجف، والجمع أسجاف، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٤٤.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١١١، البطليوسي، **الاقتضاب**، م.س، جـ٣، ص٢٤١.

(٧) ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٠٧.

(٨) Bell. R, **The Origin of Islam**, p.26.

«لأنَّهم يحتاجون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة سياج الأسوار التي تحوطهم، ويصير جميعها مدينة واحدة ومصرًا واحدًا، يحوطهم فيها الحكام بدفاع بعضهم عن بعض، وقد يحتاجون إلى الاعتصام من العدو ويتخذون المعاقل والحصون لهم ولمن تحت أيديهم، وهؤلاء مثل الملوك ومن في معناهم من الأمراء وكبار القبائل»[١].

وما ينبغي التوقف عنده مليًا أن بيوت المدر[٢] كانت موجودة في الحيرة قبل استلام المناذرة الحكم[٣]. وبعد وصول بني لخم إلى الحكم أصبحت الحيرة «مفترشة البناء كبيرة»[٤]، تزخر بالمنازل الحسنة البناء[٥]، قال الأسود بن يعفر في منازل المناذرة وقبيلة إياد في أيام مُلك امرئ القيس بن عمرو:

ماذا أؤمّل بعد آل محرِّقٍ تركوا منازلهم وبعد إياد[٦]

فالحصون كانت ملفتة للنظر[٧]، ومفصول بعضها عن بعض بالحدائق[٨]، وقيل: إنَّ القلاع والقصور ارتفعت على طول حدود الحيرة، وما تزال آثارها ماثلة حتى الآن[٩]، فالبيوت والقصور كانت المراكز الرئيسة لإقامة ملوك المناذرة. ولكن المناخ لعب دورًا مهمًا في تحديد نوع المسكن، ففي فصلي الشتاء والربيع، اعتادوا على الخيم في الصحراء، أمّا في فصل الصيف فيرجعون إلى قصورهم[١٠]، اتقاءً لحرّه. ومُيِّز بين القصر والحصن، فالأول «بناء رحب تحيط به الحدائق والزهور، قليل الارتفاع، منظره الخارجي جميل يرتاح إليه النظر، وفرشه الداخلي وثير، وكل ما فيه يدل على الترف والنعمة، غالبًا ما يكون على ربوة... أمّا الحصن فغالبًا ما يكون بناءً ضخمًا مرتفعًا ما أمكن، يتعذر التسلق عليه من الخارج... جدرانه سميكة»[١١].

(١) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٧٧.

(٢) المَدَرُ: قطع الطين اليابس، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص١٦٢.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٢٦٢، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٣، ص٨٢.

(٤) الأصطخري، **مسالك الممالك**، م.س، ص٨٢.

(٥) الحميري، **الروض المعطار**، م.س، ص٢٠٧.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦١، ابن عبد ربه، **العقد**، م.س، جـ٣، ص٢٤٣.

(٧) John Ephesus, **The Ecclesiastical History**, p.378, &
الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ٢، ص١٤٨، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٠.

(٨) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.102.

(٩) Shahid. I, **Byzantium and the Arabs**, p.18.

(١٠) Musil. A, **Palmyrena**, p.288.

(١١) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٨٩.

وقيل للحصون المصانع[1][2]، ووردت بلفظة حصن[3]، وأُطلق على الحصون الأُطُم[4]، وهو الحصن المبني بالحجارة[5]، إذًا زخرت بلاد المناذرة بالحصون والقلاع، ووصفت الحيرة بأنها كانت محاطة بجدران قوية، وكل جهة فيها بوابة تقودك إلى ساحة محددة، حيث منازل القاطنين بُنيت في مجموعة قبالة الجدران المحيطة بها والحدائق والأسواق تملأ المسافات بين أماكن إقامة القبائل[6]، فهي عبارة عن قصور عديدة يحيط بها جدار خارجي[7]، متراصفة بقرب بعضها[8].

أمّا بالنسبة إلى مواد البناء، فإن العارفين بطبيعة تكوين بلاد المناذرة التضاريسية من السهل عليهم فهم النظام المعماري، فالطبيعة الرملية والتربة الطينية وقلّة الصخور والأحجار فرضت على السكان بناء بيوتهم من الطين، ونستبعد استنتاج استعمال الحجارة في بناء البيوت والشرفات[9]، لأنَّ عملية نقل الحجارة لو حصلت في ذلك الوقت لاستفاض المؤرخون بالحديث عنها، والشرفات يمكن بنائها بسهولة أكثر وأحسن من الخشب.

فبعد جبْل الطين يوضع ضمن قوالب ثم يجفف تحت أشعة الشمس أو بالنار، فيتحول إلى آجُرٍّ[10][11]، وفي كل آجُرَّة خروق صغيرة، وبها يبدأ البناء، حيث تلصق بين كل واحدة وأخرى من كل الجهات بمادة الطين والكلس أيضًا ليتماسك الجدار كأنه جسم واحد[12]، والذي يقوم بهذا العمل هو الطيان[13]، أمّا السقف فيتكوّن

(١) المَصانِعُ: واحدتها المَصْنعةُ، وهي الحصون، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٢١١.
(٢) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٦٩.
(٣) المفضل الضبي، **المفضليات**، م.س، ص٤٠١.
(٤) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٤١.
(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص١٩.
(٦) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.200 - 201.
(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٨.
(٨) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٣٢٨.
(٩) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٧٢.
(١٠) الآجر: طبيخ الطين، واحدة آجرة، وهو الذي يُبنى به، فارسي معرَّب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص١١.
(١١) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٣٧٣ - ٣٧٤.
(١٢) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٧٧ - ٣٧٨.
(١٣) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩١.

من جذوع النخل والقشب[1] والقصب[2]، حيث يمد الخشب المحكم النجارة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح موصولة بالدساتر، ويصب عليها التراب والكلس[3]، متخذين من السجناء عمالًا في مهن البناء[4].

وطَلوا الجدران الخارجية للبيوت باللون الأبيض لحماية المنزل من عوامل الطبيعة، للتخفيف من حرارة الشمس، فاللون الأبيض يعكس أشعة الشمس؛ لذلك قيل عن الحيرة البيضاء، فأصبح الطراز الحيري في فن البناء نموذجًا قائمًا بذاته[5]. وتأثر الغساسنة إلى حد كبير بفن العمارة الساسانية الذي كان يمارسه العرب في الحيرة[6]، ولكن المرجَّح أنَّ المناذرة استمدوا فنهم المعماري من البيزنطيين وليس من الفرس[7]، فالروم خصَّهم الله بالهندسة والحذق بالأبنية واتّخاذ القلاع والحصون وعقد الجسور والقناطر[8]، حتّى إنَّ الفرس استعانوا بالمهندسين الروم لبناء القناطر لهم[9]، فالبيزنطيون كانوا متفوقين على الفرس في الهندسة والبناء[10]، ومن زار بلاد البيزنطيين من الكتَّاب أول ما يلفت نظره البناء القوي ذو الهندسة الجميلة[11]، وبُنيت قنطرة في بلاد المناذرة على يد مهندس من بلاد الروم؛ لذلك نُعتت بقنطرة الرومي[12]، وتَغنّي الشعراء بالبناء الرومي يدل على تأثر المناذرة به أكثر من الفن الفارسي. ومن أهم قصور بلاد المناذرة:

(١) القِشْبُ: الخشب اليابس الصلب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٦٧٣.
(٢) John Ephesus, **The Ecclesiastical History**, p.378, &
ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٣٧٣.
(٣) ابن خلدون، **المقدمة**، م.س، ص٣٧٨.
(٤) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص١٢٠، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ٢، ص١٦٢.
(٥) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٧٤.
(٦) ديسو، رنيه، **العرب في سوريا**، م.س، ص٥٣.
(٧) عاقل، نبيه، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٠٣، ص١٦٨، سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ العرب**، م.س، ص٢٧٣.
(٨) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٥١٢.
(٩) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٣٩.
(١٠) De Lacy O'Leary. D.D, **Arabia before Mohammad**, p.157.
(١١) Joshua the Stylite, **The Chronicle of Joshua**, p.25.
(١٢) ابن نحاس، **شرح القصائد المشهورات**، م.س، جـ١، ص٦٦.

١ ـ الخورنق

حملت معاجم البلدان واللغة تفاسير عديدة ومختلفة لمعنى هذه الكلمة، فالخَوَرْنَق تعريب خَوَرْنَقَاه، وهي كلمة فارسية معرَّبة تعني الموضع الذي يأكل فيه الملك ويشرب[1]، وهي لفظة فارسية معرَّبة من الخُرَنْكَاهْ، وتفسيرها موضع الشرب[2]، ورُوي أنَّ الخورنق مشتق من الخرنق الصغير من الأرنب[3]، فهي لفظة فارسية معربة[4]، ومعناها مكان مظلّل بأغصان الأشجار المتشابكة أيضًا[5]، ويُسمى حديثًا «بصندوق الصيد»[6]، وأُقطع الخورنق لإبراهيم بن سلمة في العصر الإسلامي[7]، وأُردف بأن الخورنق موضع بالكوفة وقيل: هو نهر[8]، ولمنع حصول اشتباك الأفكار فالخورنق هو قصر بُني أيام المناذرة، وبعد الفتح الإسلامي للعراق، نُسب المكان إلى القصر فأُطلق على تلك البقعة الجغرافية اسم الخورنق لشهرة القصر. أمّا بالنسبة لموقع القصر، فهو بظهر الحيرة[9]، وهذا ما نرجِّحه، ويقع نهر الخصوص بين الخورنق والحيرة[10]، وشرق الأخيرة وبينهما ثلاثة أميال[11]، وقيل حديثًا إنه على بعد عدة أميال[12]، وحُدِّد استنادًا إلى المصادر الغربية بـ (١٠كم)[13]، ورُجّح أنه على مسافة ميل من الحيرة[14]، والخورنق يقع بالقرب من الحيرة مما يلي المشرق

---

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٦، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٠١.

(٢) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٢٦، ياقوت، **المصدر نفسه**.

(٣) ياقوت، **المصدر نفسه**.

(٤) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٣٥.

(٥) Massigon. L, **Encylopaedia of Islam**, IV, p.1133.

(٦) الحسيني، عبد الرزاق، **العراق قديمًا وحديثًا**، م.س، ص٨٤.

(٧) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٤٠٤.

(٨) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٠١، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٧٩، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٣، ص١١٣.

(٩) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٤٤.

(١٠) الطبري، **المصدر نفسه**، جـ٢، ص٣٨٧، ياقوت، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٢٩٢.

(١١) اليعقوبي، **البلدان**، م.س، ص١٤٦، النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٥، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٢٠٧.

(١٢) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.201.

(١٣) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.102.

(١٤) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٠١.

على نحو ميل، ويناقض نفسه الكاتب في مكان آخر، فيذكر أنَّه يقع على بعد ثلاثة أميال من الحيرة[1]، أمّا آثاره فتقع حاليًا على مسافة (١كم) شمال غربي أبي صخير[2]، وحُدد موقعه بشكل أدق، فهو يشرف على النجف من جهة الغرب، وعلى الفرات من الشرق[3]، ويدور عليه نهر الفرات في عاقول كالخندق[4]، ويجب الانتباه إلى أنَّ المؤرخين المسلمين تحدثوا عن موقع الخورنق في كتبهم، فذكروا أنه يقع بظهر الكوفة أو بالكوفة[5]. ويُعزى ذلك إلى أن المسلمين بعد فتحهم الحيرة تم تفكيك بنيانها ونقله إلى بناء مدينة الكوفة، فاختفت معالمها وأصبحت الكوفة هي المشهورة، فذكروا أن الخورنق بالكوفة.

وحصل التباس حول من بنى قصر الخورنق، فالذي أمر ببنائه النعمان بن امرئ القيس[6]، وزُعم أنه النعمان بن المنذر[7]، ونُسب إلى المنذر بن النعمان بن امرئ القيس[8]، وأُرجع زمن بنائه إلى جذيمة الأبرش[9]، ولفك هذا الالتباس فالذي سكن في الخورنق هو بهرام جور بن يزدجرد، وهذا الملك تتوافق سنوات حياته مع النعمان بن امرئ القيس وليس النعمان بن المنذر، ولعلَّ الدافع وراء نسبه إلى الملك الأخير هو لشهرته، ومدح الشاعر عدي بن زيد النعمان بن امرئ القيس برب الخورنق فقال:

وتبين رب الخورنق إذا أشـ   ـرف يومًا وللهدى تفكير[10]

بنى الخورنق مهندس رومي يقال له: سنمار[11]، استغرق بناؤه ستين سنة، كان

---

(١) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٧١ وص٢٧٨.

(٢) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٢٣٠.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ١، ص٥٦٢، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠.

(٤) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣.

(٥) **المصدر نفسه**، ص٢١٢، ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٦٢.

(٦) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ١، ص٥٦٢، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٤٠٤.

(٧) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٤.

(٨) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٤٠.

(٩) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٤٦.

(١٠) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٢، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ١، ص١٨٠.

(١١) السنمار في لغة هذيل: اللص، وذلك أنهم يقولون للذي لا ينام الليل سنمار، فسمّي اللّص =

يبني السنتين والثلاثة ثم يغيب الخمس سنين، فيُطلب فلا يوجد، ثم يأتي فيبني كذلك، حتى أتت عليه ستين سنة، وعندما فرغ من بناء الخورنق، صعد النعمان على دابته فنظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه فرأى الزرع والحيوانات، فقال لسنمار: ما رأيت مثل هذا البناء قط، فقال الأخير: أمّا إني أعلم موضع آجرة لو زالت زال هذا القصر كله، فقال له النعمان: أيعرفها أحد غيرك؟ قال: لا، قال: لا جرم لأدعنها لا يعرفها أحد ثم أمر بسنمار فقُذف به من فوق القصر فتقطّع، فضربت العرب به المثل حيث تقول: «جازاني جزاء سنمار»[1].

وفي رواية أخرى، إن أوّل من بنى الخورنق هو بهرام جور بن يزدجرد، وذلك أنَّ يزدجرد كان لا يبقى له ولد، وكان بهرام أصابه جنٌّ في صغره، فسأل عن منزل صحيح من الأدواء، فقال الأطباء: لا يبرأ حتى تخرجه من أرضك إلى بلاد العرب، فوجه يزدجرد إلى النعمان بن امرئ القيس وأمر ببناء الخورنق مسكنًا له ليعالج فيه، ولمّا فرغ سنمار منه وأحسن رصفه وأبدع وصفه في عشرين عام، أعطاه النعمان عطاءً جزيلًا، فقال له: لو علمت أنكم توفوني أجري لبنيت بناء يدور مع الشمس حيث ما دارت، فقال النعمان: وإنَّك لتقدر إن تبني أفضل منه فلم تبنه، فأمر فأُلقي من أعلاه على أمِّ رأسه فهلك، فقيل في المثل: «جزاه جزاء سنمار»[2]. ورماه من أعلاه لئلا يبني مثله لغيره[3]، وأصبح سنمار مضرب المثل في الجزاء بالشر على فعل الخير[4].

ووصف الهواء في منطقة بناء الخورنق بأنه صحي، لأنّ الرياح تصله بسهولة من جميع الجهات[5]. وروي أنّ قاتل سنمار هو امرؤ القيس بن النعمان الذي بنى له حصن الصنبر[6]، فكيف يكون النعمان بن امرئ القيس هو الذي قتل سنمار، وهذا

= لقلَّة نومه، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢٣٣، وقيل: إن السنمار من أسماء القمر، السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١١١.

(١) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٢، أورد الثعالبي نفس القصة ولكنه حدد مدة البناء بعشرين سنة، الثعالبي، **ثمار القلوب**، م.س، ص١٣٩، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٠١ ـ ٤٠٢، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص١٨٦.

(٢) ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٣٤١، **والمنمق**، م.س، ص٢٧٨، ابن فقيه الهمذاني، **المصدر نفسه**، ص٢١٣.

(٣) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٢٣، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢١٢.

(٤) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٧٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٥) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.105 - 106.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص١١٨.

الأخير بنى قصرًا لامرئ القيس بن النعمان؟ هذا الاشتباك بالأفكار مرجعه إلى التشابه في أسماء ملوك المناذرة، ودخول الأسطورة بعض الروايات.

ونُسبت قصة نهاية سنمار إلى أحيحة بن الجلاح الأوسي[1]، فهذا الأخير أراد بناء أطم له فبناه له سنمار، فلما انتهى عجب من بنائه، فقال له سنمار: إني لأعرف فيه حجرًا لو انتزع لتقوَّض عن آخر، فسأله عن الحجر، فأراه موضعه، فدفعه أحيحة من الأطم فخر ميتًا[2].

وفي النوادر أنَّ إنسانًا عمل أطمًا لبعض الملوك، فقال له: لئن نزع هذا الحجر تداعى البناء كله، فرُمي من فوقه لئلا يعلم به أحد غيره[3].

إنّ امرأ القيس بن النعمان هو صاحب سنمار الذي قتله حين بنى له الحصن الذي يسمى الصنين، فسنمار لم يبنِ حصن الصنين بسبب طول الفترة الزمنية التي تفصل بين ملك النعمان بن امرئ القيس (٤٠٤ ـ ٤٣١م) وامرئ القيس بن النعمان (٥٠٦ ـ ٥١٤)، فالمرجّح أنّ الأسطورة دخلت على هذه الرواية[4].

وبالعودة إلى النصّين حول بناء القصر، نلاحظ أنَّ عملية بناء القصر أصبحت أسطورة حتى حصل ارتباك في كتابتها، فقد ذُكر أن سنمار رجل من أهل فارس، وشُكِّك في هويته القومية[5].

وتأرجحت فترة بناء القصر بين العشرين والستين سنة، ووصلت إلى السبعين[6]، والمرجح أن الفترة الزمنية الدقيقة حسب ما نعتقد هو سنتان[7]، فكلمة (الستين) قريبة بالشكل من (السنتين)، فلعلَّ هناك خطأ كتابي لم يُتدارك، وعلى ما نرجّح أنه استغرق أقل بكثير من العشرين سنة، لأنَّ بهرام جور سكن فيه، والنعمان بن امرئ القيس هو بانيه[8].

(١) أُحَيْحَة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٣٥.

(٢) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٧٨، الميداني، **مجمع الأمثال**، م.س، جـ١، ص٢١٣.

(٣) اليوسي، **زهرة الأكم**، م.س، جـ٢، ص٤٧.

(٤) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠. ورد اسم الحصن: الصنبر، حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١.

(٥) ابن حبيب، **المنمق**، م.س، ص٢٧٧.

(٦) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ١، ص٢٣، الزمخشري، **المستقصى**، م.س، جـ٢، ص٥٢.

(٧) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٢، ص٩١.

(٨) ابن قتيبة الدينوري، **المعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦٢، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣.

وحُدِّد تاريخ بنائه بعد ٤١٨م[١]، وهذا بالتأكيد غير دقيق لأنّ النعمان استلم الحكم في ٤٠٣م، فالبناء تم بعد هذا التاريخ بفترة زمنية غير طويلة، وعلى أبعد تقدير تم بناء القصر قبْل ٤١٨م.

أمّا عن طريقة بناء القصر وشكله، فقد وُضِعَت الآجرّات بعضها فوق بعض، وألصقت ببعضها بواسطة الطين والكلس، ومن ثم سكب على الحائط مادة طينة لزجة أيضًا لتمسك الآجرات مع بعضها بعضًا، وتعطي منظرًا رائعًا وجميلًا، فالسّكب، هو ما يسكب عليه من الصاروج[٢][٣]، وزُعم أن السكب هو النحاس أو الرصاص[٤]، وهذا صحيح في معاجم اللغة[٥]، ولكن من غير المقبول أن تُطلى المنازل بمعدني الرصاص والنحاس، فالإمكانيات غير متوفّرة، وطلاء المنازل بالمعدن يجعله مرتفع الحرارة صيفًا وغير صالح للسكن، ونحن نعرف قيظ الصيف في المناخ الصحراوي. وأظهرت الحفريات حاليًا أنّ الجدران بُنيت باللّبن وطليت بالجص، وحجم القطعة الواحدة ٣٠×٣٠×٨,٥٠ سم، أمّا عرض الجدران فتراوح بين ٥٥ و١٦٠ سم، وبُلِّطت على نوعين بالجص، ففي الأماكن المكشوفة مثل الساحات والممرات كان حجم الآجَرَّة ١٧×١٧×٤ سم، أمّا مداخل الحجر فكان يتراوح بين ٩٥ و١١٥ سم[٦]، وزُيّنت الجدران بالرسوم[٧]، ومن المرجّح أنّ أبوابه وشبابيكه إمَّا كانت معقودة على شكل هلال، أو من خشب، وزُيّن الخورْنق بالشرفات[٨][٩]، واحتوى على إيوان[١٠]، وهذا بالتأكيد يزيد القْصر رونقًا وبهجة.

---

(١) Massigon. L, **Encyclopaedia of Islam**, IV, p.1133.

(٢) الصَّارُوج: مادة النورة بأخلاطها تطلى بها المنازل، وهي بالفارسية جاروف، عُرِّبت فقيل: صاروج، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٣١٠.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٦.

(٤) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، هامش(٤)، ص٢٣، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، هامش(٥)، ص١٤٥.

(٥) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٧٠.

(٦) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٧) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، م.س، ص١٦٢.

(٨) الشُّرفة: ما يوضع على أعالي القصور والمدن، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٩، ص١٧١.

(٩) ابن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، م.س، ص١٥٢، **والمعارف**، م.س، جـ٢، ص٥٦١ ـ ٥٦٢.

(١٠) الأيوانُ: بيت يبنى طولًا غير مسدود الوجه، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٠٨، وجـ١٣، ص٤٠، الزبيدي، **تاج**، م.س، جـ١٨، ص٤٠.

صعد النعمان بن امرئ القيس قلّته[١][٢]، ما يعني أنه وجد درجًا أو سلّمًا ثابتًا للصعود إلى أعلى القصر فالخورنق «كان يعتبر أعجوبة معمارية في عصر النعمان»[٣]، وقد أُحدث قصر في العصر العباسي جاء على شكل قصر أحد الملوك النعمانية من بني نصر، فقد بُنيَ على صورة الحرب وهيئتها، فكان الرواق[٤]، مجلس الملك وهو الصورة[٥]، والكمّان ميمنة وميسرة، ويكون في البيتين اللذين هما الكمّان من يقرب منه في خواصه، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب، والرواق قد عم فضاءه الصدر، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق[٦]، ولعل هذا الوصف صورة لقصر الخورنق على ما نرجّح، والذي جعلنا نعتقد أنَّ قصر الخورنق بقي حتى فترة متأخرة من العصر العباسي، هو أنَّ «إبراهيم بن سلمة الذي أقطع الخورنق... أحدث قبة الخورنق في خلافة أبي العباس ولم تكن قبل ذلك»[٧].

وصُنّف الخورنق ضمن مجموعة الأبنية المنتمية إلى الهندسة الفارسية[٨]، ولا نعرف مدى صحة هذا التصنيف، رغم أن المهندس رومي.

فالخورنق أصبح مضربًا للشهرة، فعند الحديث عن مآثر المناذرة أول ما يذكر الخورنق الذي ارتبط اسمه بالحيرة، فبدل ذكر الأخيرة يذكر الخورنق[٩]. أمّا الآن فلم يبقَ من هذا القصر شيء على ما يظهر[١٠].

٢ ـ السدير

تعدّدت الآراء في معنى كلمة السدير وأصلها، فالسدير سُمّي سديرًا لأنَّ العرب نظرت إلى سواد النخل فسُدِرَت أعينهم، أي: تحيَّرت، فقالوا: ما هذا إلّا سدير،

---

(١) قُلَّة: لكل شيء رأسه، والقلة كل شيء أعلاه، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٥٦٥.

(٢) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص١٨٧.

(٣) يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، م.س، ص٣٢٩.

(٤) الرواق: مقدمة البيت، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص١٣٣.

(٥) الصَّوْرة: النخلة، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٤٧٥.

(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص٤ ـ ٥.

(٧) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٤٠٤.

(٨) Bell. G.L, **Amurath to Amurath**, p.142.

(٩) الأصمعي، **الأصمعيات**، م.س، ص١٣٣.

(١٠) ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة**، م.س، ص١٠٢.

أي: سدير النخل(١)، ولكن تحيُّر البصر هو السَّدو، وليس السدير(٢)، فربما عنوا بالسدير هنا اسم موضع جغرافي تموج فيه أشجار النخيل، وهو السَّدلّى، وهي كلمة فارسية معرَّبة، وسُمّي السدير لكثرة سواده وشجره(٣)، فالنخل هنا منسوب إلى القصر لأنَّه من أعظم أبنية ملوك المناذرة في العراق(٤)، وهناك تحليل قريب من هذا المعنى، فالأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إلى قصر السدير، فتسدر من علوّه، فيقال: سدر بصره، إذا تحيَّر(٥)، وفي هذا تحليل لاسم قصر السدير المتميز بارتفاعه، وروي أن السدير بالفارسية: سه دلَّى(٦)، ومعنى السدير بالفارسية، بيت الملك، يقولون له: «سِهدلّى»(٧)، ويُعزى هذا الاختلاف في كتابة الكلمة إلى اختلاف مصادر الرواة وتنوع كتابة الكلمة من اللغة الفارسية إلى العربية؛ ما يؤدي إلى هذا الاختلاف، وقيل: سه دلِة، أو سه دل، فعرَّبته العرب، فقالوا: سدير(٨)، وأصله: سَادلي، وهو السِّدلي، فأعربته العرب فقيل سديرٌ(٩)، والسدير تعريب سادل(١٠)، وروى بأنه سه دّلى(١١). والسدير اسم نهر(١٢)، فربما نسب إلى القصر فسمي نهر السدير، وذكر السدير موضع معروف بالحيرة(١٣)، ويُعزى ذلك إلى قصر السدير، فالقصر أعطى اسمه للمكان، فهو قصر أقل ما يقال فيه: إنَّه عظيم(١٤). وهناك اعتقاد بأنَّ قصر السدير هو قصر الأخيصر(١٥)، لكنَّ الأخير يقع على بُعد خمسة وخمسين كيلومترًا جنوب غرب مدينة كربلاء، واكتُشف فيه مسجد ومحْراب،

(١) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٣، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٦، وجـ٣، ص٧٢٩ ـ ٧٣٠.
(٢) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٣٥٥.
(٣) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٠١.
(٤) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٣٣.
(٥) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١١١.
(٦) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٨٧، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٦.
(٧) السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١١١، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٤، ص٣٥٥.
(٨) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٠١، ابن منظور، **المصدر نفسه**.
(٩) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٨٧ ـ ١٨٨، ابن منظور، **المصدر نفسه**.
(١٠) النويري، **نهاية الأرب**، م.س، جـ١، ص٣٨٦.
(١١) الحميري، **الروض المعطار**، م.س، ص٢٢٦.
(١٢) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٨٨، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٧.
(١٣) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٢٠١.
(١٤) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٦.
(١٥) ماسينيون، **خطط الكوفة**، م.س، ص٣٠. =

فنُسب البناء إلى العصر الإسلامي(١)، فموقع الأخيصر هو كلّيًا غير موقع السدير، فالأخير يقع ما بين نهر الحيرة إلى النجف(٢)، والسدير ينتمي إلى مجموعة الأبنية الساسانية القديمة(٣)، ومع أنَّ هذه المعلومة تنفي أن يكون عربي الهندسية لكنّنا نعود لنرجِّح بأنه رومي الهندسة.

وبالعودة إلى موقع القصر فهو في برّيّة بالقرب من الخورنق بين الحيرة ونهر الفرات(٤)، أي: في ظهر الحيرة(٥)، على بعد عدة أميال منها(٦)، لكنَّه أبعد من الخورنق عن الحيرة، ويقع على مسافة بعيدة عن الحيرة في وسط البرية التي بينها وبين الشام(٧)، أمّا الملك الذي أمر ببنائه فهو النعمان بن امرئ القيس(٨)، وهو الذي عناه المنخل اليشكري بقوله:

وإذا سكرت فأنني ... ربُّ الخورنق والسدير(٩)

ونسب إلى المنذر بن النعمان بن امرئ القيس(١٠)، وزُعم أنَّ بانيه النعمان بن المنذر لبهرام جور(١١)، ولكنَّ المرجَّح أنَّ بانيه هو النعمان بن امرئ القيس، لأنَّ اسم السدير ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالخورنق، أمّا بالنسبة إلى المنذر بن النعمان فمن المرجَّح أنَّه سكن به، ومن غير المرجَّح أن النعمان بن المنذر شيَّده لأنَّ هناك فترة زمنية طويلة بين النعمان بن المنذر (٥٨٢ ـ ٦٠٤) وبهرام الذي حكم بلاد فارس بين (٣٨٨ ـ ٣٩٩م)، وسكن بالقصر عمرو بن هند، قال طرفة بن العبد:

= - Massigon. L, **Encyclopaedia of Islam,** IV, p.1133.
(١) الحسيني، عبد الرزاق، **العراق قديمًا وحديثًا**، منشورات دار اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٢، ص٨٢.
(٢) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٢٥، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٠٢.
(٣) Bell. G.L, **Amurath to Amurath,** p.142.
(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٠١، ابن سعيد، **نشوة الطرب**، م.س، جـ١، ص٢٧٥.
(٥) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٤٠، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٧.
(٦) Trimingham. J.S, **Christianity among the Arab**, p.201.
(٧) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٠١.
(٨) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٧٩، الحميري، **الحور العين**، م.س، ص٣١٠.
(٩) الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ٣، ص٣٤٦، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٧، وجـ٣، ص٧٣٠.
(١٠) الثعالبي، **تاريخ غرر**، م.س، ص٥٤٠.
(١١) المطهر المقدسي، **البدء والتأريخ**، م.س، جـ٣، ص١٦٥.

أبى القلب أن يهوى السدير وأهله ... وإن قيل عيشٌ بالسدير غزير
به البقُّ والحمى وأسدٌ خفيةٌ ... وعمرو بن هندٍ يعتدي ويجور[١]

رُوي أن «الخورنق والسدير بناهما سنمار»[٢]، فهذه الرواية اليتيمة تظهر بأنَّ سنمار الرومي هو نفسه الذي بنى القصرين، فهل بناهما معًا؟ وإذا كان قد شيّد الخورنق أولًا، حسب سياق الكلام، وطُرح من أعلاه فكيف يبني السدير وهو قد مات؟ فمن المحتمل أنه بنى السدير أولًا ثم الخورنق، أو بنى القصرين معًا.

ولا نرجّح أنه كان الأضخم بنيانًا[٣]، بسبب شهرة الخورنق الذي أُعِدَّ للسكن وليكون حصنًا يهيمن على مشارف البادية[٤].

وكان شكله عبارة عن ثلاث قباب متداخلة[٥]، وقيل: ثلاث شعب[٦][٧]، فهذا «الطابع ليس رومانيًا ولا إغريقيًا، بل هو طابع شرقي يرجع إلى عهد سحيق، وقد دخل فن العمارة البيزنطي منذ وقت بعيد، غير أنَّ الفن العربي هو الذي اصطفاه بوجه خاص»[٨]، وهذه المقولة غير دقيقة، لأنَّ من بناه هو رومي استعان بالتأكيد بفن بلاده، وبيت مقبب، أي: قُسِّم على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتِّساع أسفله[٩]، فهو على الأرجح يتكوَّن من آجرُ ملصقة ببعضها بعضًا بواسطة الكلس أو الطين، ويحتوي على نوافذ وأبواب معقودة، ويعلو القصر ثلاث قباب متداخلةٌ مع بعضها بعضًا، وهنا يظهر الفن في إقامة السطوح المقببة، إ«يتكوَّن من إيوان في صدره غرفة، وفي جانبيه غرفتان»[١٠].

سكن عمرو بن هند قصر السدير، فقال عمرو بن أمامة، أخاه لأمّه، عندما منعه الأخير من إقطاعه:

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٠.
(٢) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٢٩٤.
(٣) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٨١.
(٤) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٠٢.
(٥) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٨٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٠١.
(٦) الشُّعب: مفردها الشُّعْبة وهي القطعة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٩٩.
(٧) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٦، السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١١١.
(٨) ديسو، رنيه، **العرب في سوريا**، م.س، ص٤٣.
(٩) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩٠.
(١٠) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١٢٤، **ومحاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٧٨.

منع ابن أمك خيره ... وله الخورنق والسَّدير[١]

وبقي اسم السدير مقترنًا بالخورنق، فذكره عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة عند غلبة خالد بن الوليد والمسلمين على الحيرة سنة ١٢هـ/ ٦٣٤م، فقال:

أبعد المنذرين أرى سوامًا[٢] ... تروَّح بالخورنق والسَّدير[٣]

ما يدل على هجران القصر وتحوله إلى خربة.

٣ ـ القصر الأبيض

من قصور الحيرة يقع إلى الشرق منها[٤]، نزله النعمان بن المنذر[٥]. صاحبه هو الأسقف جابر بن شمعون[٦]، المشهور بثرائه والذي قصده النعمان مع عدي بن زيد لطلب استدانة المال منه؛ ما يرجّح قدرة جابر على بناء مثل هذا القصر. وفي الحيرة الآن موقع أثري يُعرف بقصر الأبيض أُعلن عن أثريته سنة ١٩٣٥م[٧].

يعتبر من القصور الكبيرة والمحصنة وربما المسيَّجة بجدران، لأنَّ إياس بن قبيصة تحصَّن به عندما حاصره المسلمون بقيادة ضرار بن الأزور[٨][٩]، ولم يظهر الأثر الفارسي في بناء القصر إلّا بالنقش الخارجي، أمّا طريقة البناء فكانت لخمية بحته[١٠].

وهناك القصر الأبيض للأكاسرة بالمدائن الذي كان من عجائب الدنيا[١١]، وهذا القصر هو بالتأكيد غير الذي نحن بصدد الحديث عنه. فالقصر الأبيض بالمدائن يقع شرق نهر دجلة[١٢]؛ ما يبدِّد الشك بأنه هو نفسه فهما قصران يجمع بينهما صفة اللون الأبيض وليس أكثر.

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٤٢.
(٢) السُّوامُ: طائر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٣١٤.
(٣) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٧.
(٤) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٥٤.
(٥) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٤٩.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٥.
(٧) الطريحي، محمد سعيد، **الديارت والأمكنة**، م.س، هامش (٥)، ص٧٨.
(٨) ضرار بن الأزور بن مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٩٢ ـ ١٩٣.
(٩) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٥.
(١٠) ديسو، رنيه، **العرب في سوريا**، م.س، ص٤٣.
(١١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٨٥، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٤٥٣.
(١٢) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٢٠٣.

أبى القلب أن يهوى السدير وأهله ... وإن قيل عيشٌ بالسدير غزير

به البقُّ والحمى وأسدٌ خفيةٌ ... وعمرو بن هندٍ يعتدي ويجور[١]

رُوي أن «الخورنق والسدير بناهما سنمار»[٢]، فهذه الرواية اليتيمة تظهر بأنَّ سنمار الرومي هو نفسه الذي بنى القصرين، فهل بناهما معًا؟ وإذا كان قد شيّد الخورنق أولًا، حسب سياق الكلام، وطُرح من أعلاه فكيف يبني السدير وهو قد مات؟ فمن المحتمل أنه بنى السدير أولًا ثم الخورنق، أو بنى القصرين معًا.

ولا نرجّح أنه كان الأضخم بنيانًا[٣]، بسبب شهرة الخورنق الذي أُعِدَّ للسكن وليكون حصنًا يهيمن على مشارف البادية[٤].

وكان شكله عبارة عن ثلاث قباب متداخلة[٥]، وقيل: ثلاث شعب[٦][٧]، فهذا «الطابع ليس رومانيًا ولا إغريقيًا، بل هو طابع شرقي يرجع إلى عهد سحيق، وقد دخل فن العمارة البيزنطي منذ وقت بعيد، غير أنَّ الفن العربي هو الذي اصطفاه بوجه خاص»[٨]، وهذه المقولة غير دقيقة، لأنَّ من بناه هو رومي استعان بالتأكيد بفن بلاده، وبيت مقبب، أي: قُسِّم على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتِّساع أسفله[٩]، فهو على الأرجح يتكوّن من آجرُ ملصقة ببعضها بعضًا بواسطة الكلس أو الطين، ويحتوي على نوافذ وأبواب معقودة، ويعلو القصر ثلاث قباب متداخلة مع بعضها بعضًا، وهنا يظهر الفن في إقامة السطوح المقببة، و«يتكوَّن من إيوان في صدره غرفة، وفي جانبيه غرفتان»[١٠].

سكن عمرو بن هند قصر السدير، فقال عمرو بن أمامة، أخاه لأمّه، عندما منعه الأخير من إقطاعه:

---

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص١٤٠.

(٢) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٢٩٤.

(٣) الصمد، واضح، **الصناعات والحرف**، م.س، ص٢٨١.

(٤) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٠٢.

(٥) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص١٨٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٠١.

(٦) الشُّعب: مفردها الشُّعْبة وهي القطعة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١، ص٤٩٩.

(٧) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٦، السهيلي، **الروض الأنف**، م.س، جـ١، ص١١١.

(٨) ديسو، رنيه، **العرب في سوريا**، م.س، ص٤٣.

(٩) الألوسي، **بلوغ الأرب**، م.س، جـ٣، ص٣٩٠.

(١٠) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١٢٤، **ومحاضرات في تاريخ العرب**، م.س، ص٧٨.

منع ابن أمك خيره ... وله الخورنق والسَّدير[١]

وبقي اسم السدير مقترنًا بالخورنق، فذكره عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة عند غلبة خالد بن الوليد والمسلمين على الحيرة سنة ١٢هـ/ ٦٣٤م، فقال:

أبعد المنذرين أرى سوامًا[٢] ... تروّح بالخورنق والسّدير[٣]

ما يدل على هجران القصر وتحوله إلى خربة.

٣ ـ القصر الأبيض

من قصور الحيرة يقع إلى الشرق منها[٤]، نزله النعمان بن المنذر[٥]. صاحبه هو الأسقف جابر بن شمعون[٦]، المشهور بثرائه والذي قصده النعمان مع عدي بن زيد لطلب استدانة المال منه؛ ما يرجّح قدرة جابر على بناء مثل هذا القصر. وفي الحيرة الآن موقع أثري يُعرف بقصر الأبيض أُعلن عن أثريته سنة ١٩٣٥م[٧].

يعتبر من القصور الكبيرة والمحصنة وربما المسيَّجة بجدران، لأنَّ إياس بن قبيصة تحصَّن به عندما حاصره المسلمون بقيادة ضرار بن الأزور[٨][٩]، ولم يظهر الأثر الفارسي في بناء القصر إلّا بالنقش الخارجي، أمّا طريقة البناء فكانت لخمية بحته[١٠].

وهناك القصر الأبيض للأكاسرة بالمدائن الذي كان من عجائب الدنيا[١١]، وهذا القصر هو بالتأكيد غير الذي نحن بصدد الحديث عنه، فالقصر الأبيض بالمدائن يقع شرق نهر دجلة[١٢]؛ ما يبدِّد الشك بأنه هو نفسه فهما قصران يجمع بينهما صفة اللون الأبيض وليس أكثر.

---

(١) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤٤٢.

(٢) السُّوامُ: طائر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٢، ص٣١٤.

(٣) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٧.

(٤) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٥٤.

(٥) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٤٩.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١١٥.

(٧) الطريحي، محمد سعيد، **الديارت والأمكنة**، م.س، هامش (٥)، ص٧٨.

(٨) ضرار بن الأزور بن مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٩٢ ـ ١٩٣.

(٩) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٥.

(١٠) ديسو، رنيه، **العرب في سوريا**، م.س، ص٤٣.

(١١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٨٥، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٤٥٣.

(١٢) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٢٠٣.

واكتُشف قصر شمعون بعين التمر بجدرانه الضخمة والقديمة يضم مدخلًا مقوسًا بجدران مشوهة من الجص والقرميد غير المحروق[١]، ونرجِّح أنَّ هناك نفس صفة البناء ولكنه ليس القصر الأبيض المقصود بدراستنا أيضًا.

٤ ـ قصر أبي الخصيب

مشرف على النجف[٢]، «يقع بظاهر الكوفة قريب من السدير، بينه وبين الأخير ديارات الأساقف، وهو أحد المنتزهات يشرف على النجف وعلى ذلك الظهر كله، يصعد من أسفله في خمسين درجة إلى سطح آخر أفيح في غاية الحُسْن، وهو عجيب الصنعة»[٣]، «فمن سطحه كان المرء يرى النجف والحيرة»[٤]، بسبب ارتفاعه أو تموضعه على تلة، وتُعزى تسميته بقصر أبي الخصيب إلى أنَّ الأخير أمر مرزوقًا مولاه فبنى القصر على أساس قديم، ويقال إنَّ أبا الخصيب بناه لنفسه[٥]. استمر القصر محافظًا على بنيانه في العصر العباسي الأول[٦]، ويظهر من وصف هذا القصر أنَّ المناذرة عرفوا فن بناء الطوابق فوق بعضها، ففي إحدى الحفريات أثبت أنهم شيدوا ثلاثة طوابق[٧]، وهذا يحتاج إلى خبرة وهندسة كان من النادر توافرها في ذلك الوقت؛ ما يدل على تقدم الفكر الهندسي المعماري الذي تمتعوا به.

ولا نرجّح مقولة أن أبا الخصيب صاحب القصر هو مولى الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٧ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥م) وحاجبه[٨]، لأنَّه من بداية الفتح الإسلامي للعراق تم نقل آجر قصور الحيرة لبناء الكوفة، وانتهى دور الحيرة السياسي والحضاري نوعًا ما، فكيف يبني أبو الخصيب قصرًا قرب أطلال قصري الخورنق والسدير، ويمدح الشاعر بالخورنق والسدير وأبي الخصيب؟ ما يدل على قدم بناء القصر.

٥ ـ قصر المُشَقَّر

المُشَقَّر، مأخوذة من الشقر وهي شقائق النعمان بن المنذر، يقع القصر بالبحرين، وقيل هو مدينة هجر، والمُشَقَّر مدينة عظيمة قديمة في وسطها قلعة على قارة تسمّى

---

(١) Bell. G.L, **Amurath to Amurath,** p.139.

(٢) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٦.

(٣) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٥٤.

(٤) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٣٧.

(٥) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص١٨٤.

(٦) البلاذري، **المصدر نفسه**، ص٤٠٤.

(٧) Bell. G.L, **Amurath to Amurath**, p.148.

(٨) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٦.

عطالة[١][٢]، وحُدد موقعه بأنَّه بين نجران والبحرين على تلٍ عالٍ[٣]، ونرجّح النص الأول، لأنَّه كان على اتصال وثيق بالخليج العربي، أي: أنه قرب البحر، وليس داخل البر. بنى المشقر معاوية بن الحارث الكندي[٤].

وروي أنَّه حصن عظيم لعبد القيس[٥]، وأُرجع بنائه إلى طسم[٦][٧]، وزعموا أنه بُنيَ في الدهر الأول[٨]، ومن غير المعقول أن يكون من بناء طسم لأنَّه من العاربة الذين أبيدوا، ولم يبقَ على أديم الأرض منهم أحد[٩]. بناه رجل من أساورة كسرى يقال له: «بسك بن ماهبوذ» كان كسرى قد وجهه لبنائه[١٠]. واشتهر المشقر جراء حادثة غدر المعكبر عامل كسرى ببني تميم وقتلهم داخل القصر[١١]، وكان للحصن أبواب كثيرة[١٢]، ما يدلُّ على اتِّساع مساحاته.

٦ ـ قصر العَدَسيين

جاء في معنى كلمة العدسيين، جمع العدسي أي الذي يطبخ العدس للطعام، ويقع القصر بالكوفة في طرف الحيرة الشرقي[١٣]، وهو لبني عمار بن عبد المسيح[١٤]

---

(١) عَطالَةُ، جبل بالبحرين منيع شامخ، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص١٢٩.

(٢) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٤، ص١٢٣٢ ـ ١٢٣٣، ياقوت، **المصدر نفسه**، جـ٥، ص١٣٤ ـ ١٣٥.

(٣) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص١١٠، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص٨٣.

(٤) معاوية بن الحارث بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٥.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٣، ص٢٥٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٣٤.

(٦) طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٦٢.

(٧) القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص١١٠.

(٨) ابن دريد، **الاشتقاق**، م.س، جـ١، ص١٩٧.

(٩) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٨ ـ ٩.

(١٠) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٤٦٠.

(١١) حمزة الأصفهاني، **الدرة**، م.س، جـ١، ص١٢٠، العسكري، **جمهرة الأمثال**، م.س، جـ١، ص١٠٢.

(١٢) التيمي، **أيام العرب**، م.س، جـ٢، ص٦٨.

(١٣) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٦.

(١٤) بنو عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عشير بن الرماح بن عامر المذمم بن =

الذين نُسبوا إلى أُمِّهم عدسة بنت مالك بن عامر بن عوف الكلبي[١]، ويعتبر من أول القصور التي فتحها المسلمون في العراق، حيث قام ضرار بن الخطاب[٢] بمحاصرته وفيه عدي بن عدي[٣] المقتول[٤]، فهو من الحصون التي تحصَّن بها أهل الحيرة عند مهاجمة المسلمين لهم[٥]؛ ما يدل على ضخامة بنيانه واتساعه وقوة جدرانه؛ ما أعطى للطراز الحيري في البناء موقعًا بين باقي الفنون المعمارية[٦]، ومن المحتمل أنَّ الإنشاءات المسوَّرة للقصر كانت مبنية بقطع آجر ضخمة مشذَّبة على شكل قوالب ليس من السهل أحداث ثقوب بها، أو هدمها بسهولة.

٧ ـ قصر الصنين

ورد ذكر قصر الصنين في الفتوحات الإسلامية للحيرة، فعندما تقدم المسلمون إلى جسر السيلحين يريدون الحيرة، سمعوا صوت خيول، وإذا أخت آزاد مردبه آزاذبه مرزبان الحيرة تُزَفُّ إلى صاحب الصنين[٧]. يقع القصر إلى الجنوب الغربي من الخورنق، واكتُشف سنة ١٩٠٨م[٨]، يعتبر من الحصون القديمة بناه امرؤ القيس بن النعمان[٩].

ونشك بوجود قصر اسمه الصنبر من بناء سنمار الرومي في فترة حكم امرئ القيس بن النعمان[١٠]، فالمرجَّح أنَّ القصر هو الصنين، وكُتب الصنبر بسبب خطأ

= عوف بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، ياقوت، **المصدر نفسه**، ص٣٦٠.

(١) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٣٦٥، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٦٠. ذُكر أن عدسة جدَّتهم بدل أمِّهم في كل من، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٤٠١ ـ ٤٠٢، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص١٨٣.

(٢) ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن مهز، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) عدي بن عدي المقتول بن زيد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة، **المصدر نفسه**، ص٢١٤.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٦، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٤٠٣. ورد اسمه قصر الغريين، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٢٤٣.

(٥) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤١.

(٦) المعطي، علي، **تاريخ العرب السياسي**، م.س، ص٣٢٦.

(٧) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٨٨.

(٨) ماسينيون، **خطط الكوفة**، م.س، ص٣٠ وص١٣١.

(٩) الخوارزمي، **مفاتيح**، م.س، ص١١٠.

(١٠) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص٨١.

الناسخ، أو تغيُّر اللفظ بسبب تواتر الأخبار، أمّا بالنسبة إلى بيت الشعر فالكلمة هي الصَّنَيَّن مكان الصنبر[١]؛ ما يرجِّح خطأ في النسخ لأنَّه لا وجود لموضع اسمه الصنبر بالعراق، بل صَنْبُر اسم جبل بالأردن[٢]. وبالعودة إلى قصة سنمار فهي غير دقيقة. وما تزال آثاره موجودة حتى الآن في الحيرة[٣].

٨ ـ قصر مقاتل

يقع القصر بين عين التمر والشام، وهو قرب القطقطانة وسلام[٤] ثم القريات[٥][٦]، ونُسب بناؤه إلى مقاتل بن حسان[٧][٨]. ومن الملوك الفرس الذين نزلوا القصر قباذ بن فيروز حيث أتاه المنذر ابن ماء السماء[٩]، ومكث فيه عمرو بن هند عندما خرج للصيد خارج الحيرة[١٠]، والنعمان بن المنذر[١١]، ونزله كسرى إبرويز بن هرمز حيث أتاه إياس بن قبيصة الطائي[١٢]، وكان لكسرى مرابطة في القصر[١٣]، فهو يعتبر من القصور القديمة التي دخلها أشهر ملوك المناذرة والفرس[١٤].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٤٧ ـ ٣٤٨، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٢٥٠.

(٢) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٣) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.117.

(٤) سُلامُ: موضع عند قصر مقاتل بين عين التمر والشام، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٣٤.

(٥) القُرَيّات: من منازل طيء، من يتماء إلى القريات ثلاث أو أربع ليالي، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٣٣٥.

(٦) **المصدر نفسه**، ص٣٦٤.

(٧) هو مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٧، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢١٤، ياقوت، **المصدر نفسه**.

(٨) البلاذري، **المصدر نفسه**، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٧.

(٩) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٥١٧.

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٥٤.

(١١) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٢٣٨، أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، جـ١١، ص١٢٠.

(١٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ٢، ص٤١٠.

(١٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٢٩.

(١٤) الجاحظ، **الحيوان**، م.س، جـ٥، ص١٥٧ ـ ١٥٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٥٧، وجـ٤، ص٣٦٤.

٩ ـ قصر بقيلة

شيّد عبد المسيح بن عمرو قصر بني بقيلة[١] بالحيرة[٢]، بأعلى النجف[٣]. تحصن به أهل الحيرة بقيادة عمرو بن عبد المسيح عندما فتح المثنى بن حارثة الحيرة[٤]؛ ما يدل على حداثة بناء القصر؛ أي لم يمتد لأكثر من جيل، لأنَّ عمرو هو ابن باني القصر عبد المسيح، فمن المحتمل أنه بُني بعد ٥٥٠م. ويقال له: القصر الأبيض[٥] فربما بُيِّض من الخارج بمادة الكلس فقيل له الأبيض لبياضه، ولكنَّ الاسم الغالب عليه هو قصر ابن بقيلة.

١٠ ـ قصر السنداد

السِنْدادُ، قصر بمنطقة العذيب، ولعله القصر ذي الشرفات الذي يقول فيه الأسود بن يعفر: والقصر ذي الشرفات من سنداد.

كانت العرب تحج إليه[٦]، ورُوي أنَّ سنداد هو نهر[٧]، وهذا صحيح فسنداد نهر عظيم بالسواد، كان عليه قصر مشرف[٨]، فربما نُسب اسم القصر إلى النهر أو بالعكس، وزُعم أن سنداد موضع وليس قصرًا[٩]، ولكن المرجّح أنَّه قصر اتَّخذه المنذر بن النعمان الأعور مقرًا لبعض ملوك العجم[١٠]، ويقع بظهر الكوفة[١١].

١١ ـ قصر ابن مازن

من قصور الحيرة التي تحصَّن بها أهلها أثناء حصار المسلمين لها بقيادة

---

(١) بُقَيْلة، بطن من الحيرة، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٦٢.

(٢) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص١٨١، الجاحظ، **البيان والتبيين**، م.س، جـ٢، ص١٤٧.

(٣) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٠.

(٤) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤١، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٦.

(٥) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص١٨١، الحميري، **الروض**، م.س، ص٢٠٨ وص٥٧٥.

(٦) حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني**، م.س، ص١٠٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٧) ياقوت، **المصدر نفسه**، ص٢٦٥، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٣، ص٢٢٣.

(٨) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ١، ص٢٠٤.

(٩) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٣٠٣.

(١٠) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥١٧.

(١١) الحميري، **الروض**، م.س، ص٣٢٥.

ضرار بن مقرن المزني، وكان بداخله ابن أكال[١]، ومن المحتمل أنَّ هذه القصور كانت تقع على أرض مرتفعة عما حولها، تحميها من فيضانات الأنهار وهجمات الأعداء.

١٢ ـ قصر غمير اللصوص[٢]

يقع في مقابل الحيرة[٣]، وعندما مرض النعمان بن المنذر كان يُحمل على سريره ويُنقل ما بين الغمر وقصور الحيرة[٤].

١٣ ـ قصر العذيب

ورد ذكره في الفتوحات الإسلامية للحيرة، وفيما بعد نزله سعد بن أبي وقاص[٥]، وجلس في أعلاه يشرف على الناس[٦].

١٤ ـ قصر لَحْيَان

قصر أبيض اللون، كان للنعمان بن المنذر بالحيرة[٧].

١٥ ـ قصر الزوراء

دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة، وزُعم أنَّ أبا جعفر المنصور هدمها[٨].

١٦ ـ قصر المسقَّطات

قصر فيه آزاج[٩] مستطلية مسقطة شرقي الحيرة[١٠].

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٦، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٢٠٣.

(٢) عمير اللصوص: قرية من قرى الحيرة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص١٥٩ وص٣٣٥.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص١٠٠٤، ياقوت، **المصدر نفسه**.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١١، ص٢٩.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٢٩.

(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٣١٤.

(٧) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص١٥.

(٨) **المصدر نفسه**، جـ٣، ص١٥٦.

(٩) آزاجٌ: مفردها الأَزَجُ، بيت يبنى طولًا، ويقال له بالفارسية: أوستان، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٢، ص٢٠٨.

(١٠) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٨.

١٧ ـ قصر الفِرس

وهو أحد قصور الحيرة الأربعة[١]، إلى جانب قصر الطين[٢]، والقصور الحُمر نُسبة إلى بنائها بطين أحمر[٣]. وهذا ما يميِّز مملكة المناذرة عن غيرها من الممالك العربية الأخرى، حيث عاشوا في قصور ومدن كبيرة[٤]، بينما غيرهم لم يركزوا على أي مستقر، بل كانوا يتحركون وفقًا لفصول السنة.

ولعل سائلًا يسأل أين هي هذه الحصون والقصور؟ الإجابة: إنَّها اختفت تحت الزحف الإسلامي، واستخدمت مواد بنائها من أجل بناء مدينة الكوفة[٥].

والحقيقة أنَّ المسلمين لم يستخدموا آجُر قصور الحيرة في البناء فقط، بل إنَّ براعة أهل الحيرة في العمارة آثر عنهم طرازًا متفرّدًا في بناء القصور توارثه عنهم المسلمون[٦]، وهذا يُظهر الدور الكبير الذي لعبه المناذرة في إحداث قفزة كبيرة لنهوض الحضارة الإسلامية العمرانية فيما بعد.

---

(١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٦٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٣٥٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص٣٦٨ وجـ١٦، ص٣٥٦.

(٤) Trimingahm. J.S, **Christianity among the Arab**, p.182.

(٥) Bell. G.L, **Amurath to Amurath**, p.142.

(٦) الشطي، عبد الفتاح عبد المحسن، **إمارة الحيرة الجاهلية تاريخيًا وحضاريًا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

ثانيًا ـ أماكن العبادة

الدير، «بيت يتعبد فيه الرهبان، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم، إنَّما في الصحاري ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر كانت كنيسة[١] أو بِيعة»[٢][٣]، فالمتعارف عليه أنَّ أغلب الأديرة تتموضع في أعالي الجبال[٤]، ولكن طبيعة تكوين بلاد المناذرة التضاريسية، وخاصة الحيرة لم تسمح بتمركز الأديرة في الجبال، بالإضافة إلى مواد البناء حيث تدخَّلت الطبيعة مرة أخرى، ففرضت استعمال الآجُر في بناء أماكن العبادة، في حين كانت كنائس بلاد الشام تبنى بالحجارة[٥]، بسبب توفُّر هذه المواد الأولية في بلادهم.

وردًّا البيعة والكنيسة إلى أصل فارسي، عُرِّبا إلى العربية[٦]، والدير لفظة آرامية الأصل تعني المسكن أو الدير[٧]، امتلأت بلاد المناذرة بالأديرة المسكونة بالرهبان[٨]، والبِيَع[٩]، والكنائس[١٠]، والصوامع[١١][١٢]، والقلالي[١٣]،

---

(١) الكنيسة: مكان لعبادة النصارى، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٦، ص١٩٩.

(٢) البِيْعَة: كنيسة النصارى، والجمع: البِيَع، **المصدر نفسه**، جـ٨، ص٢٦.

(٣) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٩٥. الدَّيْرُ: خان النصارى، ابن منظور، **المصدر نفسه**، جـ٤، ص٣٠١.

(٤) John Ephesus, **Live of the Eastern Saints**, I, p.57.

(٥) ابن رسته، **الأعلاق**، م.س، ص٧٩.

(٦) الجواليقي، **المعرب**، م.س، ص٨١.

(٧) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٢٥.

(٨) المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٨١، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٢٤٣.

(٩) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ٢، ص٤٠٧، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ١، ص٣٧٠.

(١٠) John Ephesus, **The Ecclesiastical History**, p.378, & البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٦.

(١١) الصوامع: مفردها الصَّوْمَعَةُ: سميت بذلك لتلطيف أعلاها، وهي منار الراهب، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٨، ص٢٠٨.

(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣٥.

(١٣) القلالي: مفردها القَلَّايةُ: وهي تعريب كلاذة، وهي من بيوت العبادة كالصومعة، ابن منظور، =

وتفنَّنوا في نقش عماراتهم، وكنائسهم، وزخرفتها برسوم هندسية ونباتية رائعة[1]، فهي لا تخلو من النفاسة والتأنُّق وبصمة الإبداع والإتقان، حتى قيل: «إنَّ من أجمل وأكبر البيع والكنائس في تلك الأزمنة: كنائس الحيرة»[2].

وكلَّما كبر الدير يدل على كثرة الرهبان والمتعبدين، وكلَّما صغر يدل على ضيق مساحته، «واشتهرت الأديار في الجاهلية بإيواء المجتاز بها، وضيافة اللاجئ إليها، والإحسان إلى كل طارق محتاج، ولم يكن فيها وقتئذ دُور خاصة بالضيافة، بل كان نزول الأضياف في بعض الحجر»[3]، وبشكل عام قامت معظم الديارات قرب عين ماء أو سيل أو نهر، وإلا اضطروا إلى توفر المياه، وكانت الديارات محاطة بالبساتين[4]، وأول عمل يقوم به الراهب قبْل بناء الدير هو الزراعة حول المكان المراد البناء فيه[5]، وكثيرًا ما تبرَّع بعض المؤمنين ليكونوا مصلحين وحامين للأديرة[6].

ولعبت دُور العبادة دورًا اجتماعيًا مهمًا في اتصال الناس مع بعضهم، إلى جانب دورها الديني، فكان النصارى يتوجَّهون إلى هذه الأماكن أيام الأعياد، فتكون موضع تجمع ولقاء، وكانوا يقصدونها للتقرب إلى الله والصلاة إليه والتوسُّل له[7]، حتَّى إنَّ الملوك والعظماء يقصدون الديارات للصلاة والتبرك والراحة، ويجب الانتباه إلى أن «لفظة الدير هي من الألفاظ النصرانية الشهيرة المعروفة بين العرب، وهي أكثر اشتهارًا من الألفاظ الأخرى التي لها علاقة بمواضع العبادة أو السكن عند النصارى»[8].

١ ـ الأديرة

أ ـ دير ابن برَّاقٍ: يقع بظاهر الحيرة، بالقرب من قصر الخورنق[9]، «وفي النجف حاليًا محلة قديمة تعرف بمحلة البراق لا يعرف حتى الآن وجه تسميتها بهذا

= **لسان**، م.س، جـ١٥، ص٢٠١.

(١) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٢٦.

(٢) بابوإسحق، روفائيل، **مدارس العراق**، م.س، ص٤٩.

(٣) زيات، حبيب، **الديارات النصرانية**، م.س، ص٦٥.

(٤) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٢٦.

(٥) John Ephesus, **Live of the Eastern Saints**, I, p.6.

(٦) De Lacy O'leary, **Howe Greek science**, p.66.

(٧) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٥١.

(٨) الفيومي، محمد إبراهيم، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٤، ص٢٤٩.

(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٩٦.

الاسم، ونستطيع أن نقرّب بين اسم هذا الدير واسم المحلة»[1].

ب ـ دير ابن وضّاح: يقع بنواحي الحيرة، وهو على الأرجح من جهة الغرب، ويسمّى هذا الدير: مَرْعَبْدَ أيضًا، نسبة إلى مؤسسه مَرْعَبْدا بن حنيف بن وضّاح اللحياني، وكان مع ملوك المناذرة[2]، وهو من الرهبان الأجلّاء الذين اشتهروا في نهاية الجيل الرابع[3]؛ ما يدل على قدم الدير. أمّا حاليًا فيسمى بدير الأنبا مار عبدا[4].

ت ـ ديارات الأساقِف: الديارات جمع دير، والأساقف جمع أسقف، وهم رؤساء النصارى، تقع هذه الديارات بالنجف بظاهر الكوفة في أول الحيرة، وهي قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير[5]، عن يمينه قصر أبي الخصيب، وعن شماله السَّدير[6]، فهي تقع في شمال الحيرة من جهة النجف.

ث ـ دير الأسكون: «وهو بالحيرة راكب على النجف، وفيه قلالي وهياكل، ورهبان يُضيفون من ورد عليهم، وعليه سورٌ عالٍ حصين، وعليه باب حديد، ومنه يهبط الهابط إلى غدير الحيرة، أرضه رضراضٌ ورمل أبيض، له مشرعة تقابل الحيرة لها درج، إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة، قلت هكذا وصف مصنِّفوا الديارات هذا الدير، ورأيت أنا في طريق واسط قرب العاقول[7] موضعًا يقال له: الأسكون، فإذا كان الذي بالحيرة غيره وإلّا فالصواب أنَّه في طريق واسط»[8]. نلاحظ في هذا الدير مدى التقدم العمراني الذي وصل إليه المناذرة من إقامة أديرتهم وتحصينها بأسوار عالية.

ج ـ دير الأعْوَر: تموضع بظاهر الكوفة، بناه رجل من إياد يقال له: الأعور من

(١) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٨١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٦٨ ـ ٦٩، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٩.

(٣) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٣٠.

(٤) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٨٢.

(٥) نهر الغدير: هو نفسه نهر الحيرة، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٥.

(٦) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٤، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٧) دير العاقول: يقع على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٤، ص١١٢.

(٨) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٤٩٨، انظر أيضًا: العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٤.

بني أمية بن حذاقة بن زهر بن إياد[١]، والواضح أنَّه كان قريبًا من نهر الفرات[٢]، وبشكل أدق في جهة الشمال الشرقي من الكوفة[٣]. ويعتبر من الأديرة التي كانت لقبيلة إياد[٤]. ورُبِط بين اسم الدير ولقب الأعور للنعمان بن امرئ القيس، ولا نرجّح هذا الربط لأنَّ الأخير ما إن اعتنق المسيحية حتى ساح واختفى، فكيف يكون قد بنى الدير.

ح ـ دير أمّ عمرو: من أديرة الحيرة التي ورد ذكره أثناء الفتوحات الإسلامية، تموضع بالكوفة قرب دير سلسلة وحرقة[٥].

خ ـ دير بني مَرِينا: يقع بظاهر الحيرة[٦]، بين دير هند والكوفة[٧]، كان مبنيًا في أيام المنذر بن ماء السماء[٨]، أي في بدايات القرن السادس الميلادي[٩].

د ـ دير توما: قيل لها: بيعة دومة، وتوما هو الأصح، غصَّ بالرهبان ومن كان يأتيها من جواري الحيرة، تميَّز بحُسن بنائه ووسع مساحته[١٠]، وبحماماته المريحة[١١]. فهو من أديرة الحيرة المنسوبة إلى توما النصراني، الذي يعتبر من الأعلام التاريخية التي اختصَّت بالنصارى، وهو من أصل سرياني، ويعني: «التوأم»، وهو من أصل كلمة توماس، وهي من أسماء الأعلام عند الأوروبيين[١٢].

ذ ـ دير الجَرَعَة أو عبد المسيح بن بقيلة: الجرع جمع جرعة، وهي نوع من الرمل لا يُنبت شيئًا، وتقول العرب أنَّ الجرعة الرملة الطيبة المنبت التي لا وعوثة

---

(١) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٥٥، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٢) البلاذري، **المصدر نفسه**، ص٣٥٤، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٩٦، وجـ٣، ص٤١١.

(٣) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤١٣.

(٤) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٥٥، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٨.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٧٨، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٦) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠١.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٩، ص٨٠، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ١، ص٣٣٧.

(٨) ابن رشيق، **العمدة**، م.س، جـ١، ص٨٦.

(٩) الأنباري، **شرح القصائد السبع**، م.س، ص٤٩٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠١.

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٢٩.

(١١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٢.

(١٢) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٩٢.

فيها، والجرعة ههنا، موضع بظاهر الحيرة، والدير مضاف إليه، وهو بالحيرة، ويقال له: دير عبد المسيح[١]. وحُدّد موقعه بالشمال الغربي من الكوفة[٢]، فالدير أخذ اسمه من مكان بنائه، والمرجَّح أنَّه بعد موت عبد المسيح بانيه سمّي باسمه، أمّا شكله فبعد خرابه ظهر فيه آزج معقود من حجارة، وظنوه كنزًا، ففتحوه، فإذا بسرير رخام، عليه رجل ميت وعند رأسه لوح فيه مكتوب، أنا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة:

حلبت الدهر أشطره حياتي ... ونلت من المنى فوق المزيد
فكافحت الأمور وكافحتني ... فلم أخضع لمعضلةٍ كؤود
وكدت أنال في الشَّرف الثُّريا ... ولكن لا سبيل إلى الخلود[٣]

ويعتبر من الأديرة الحديثة البناء بالنسبة لعصر المناذرة، فربما بُني في القرن السادس الميلادي.

ر ـ دير الجماجم: يقع بظاهر الكوفة على ضفة نهر الفرات على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة[٤]، وهو منسوب لقبيلة إياد، صاحبه بلال الرماح بن محرز بن إياد[٥]، ولكن شُكّك في ذلك وقيل إنَّه لغيرهم[٦].

وسبب تسمية هذا الدير بالجماجم ترجع إلى حرب بين إياد والفرس، هُزمت الأخيرة فيها، وقتل جمعٌ عظيمٌ منهم حتى قيل إنَّه لم يفلت منهم إلَّا القليل، فجمعوا جماجمهم وأجسادهم، فكانت كالتل العظيم على ضفة نهر الفرات الغربية، وكان إلى جانبهم دير، فسمي دير الجماجم[٧]، وهذا غير دقيق لأنَّه مخالف لطبيعة العلاقة بشكل عام بين العرب والفرس، حتى كان أوّل انتصار للعرب عليهم في موقعة ذي قار.

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١١٦، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٣.

(٢) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٢٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١١٦ ـ ١١٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٢١.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص٦٤ ـ ٦٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٥) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٥٨، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٨.

(٦) البلاذري، **المصدر نفسه**.

(٧) **المصدر نفسه**، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢٢، ص٣٥٦.

وقيل في سبب التسمية أيضًا: «إن إياد... كانت بينهم وبين بهراء...، وبين بني القين بن جسر بن شيع الله بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران الحاف حرب، فقُتل فيها من إياد خلقٌ، فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدير، وكان الناس بعد ذلك يحفرون، فخرج جماجم، فسُمّي دير الجماجم»[1].

ورُوي أنَّ بني تميم، وذبيان لما واقعت بني عامر وانتصرت الأخيرة، وكثر القتلى في بني تميم بنوا بجماجمهم هذا الدير شكرًا على ظفرهم، لكن «وقعة بني عامر وبني تميم وذبيان كانت بشعب جبلة، وهو بأرض نجد وليس بالكوفة»، وقيل أيضًا: «إنه وقعت بين إياد وبين بني نهد حرب في مكانه فقُتل فيها خلق من إياد وقضاعة ودفنوا قتلاهم هناك، فكان الناس إذا حفروا استخرجوا جماجمهم فسمي بذلك»[2].

والجمجمة: هي البئر الذي يحفر في سبخة، فيجوز أن يكون الموضع سمي بذلك[3]، ولكن قربه من الفرات يُبدِّد هذا الشك، والمرجَّح عندنا أن الدير سُمّي بذلك لأنه كان يعمل فيه أقداح من الخشب، يقال لها: جمجمة[4]، فسُمي دير الجماجم.

ز ـ دير الحَرِيق: دير قديم بالحيرة، بناه النعمان بن المنذر[5]، واختلف ياقوت مع العمري في سبب تسميته، فالأول يعزي السبب إلى قوم أُحرقوا في موضعه ثم دفن فيه قوم من أهل من أُحرق هناك[6].

أمّا الثاني فيتحدث عن بناء النعمان بن المنذر على ولدٍ كان له، عُدِيَ علَيه وأُحرق فيه، وإلى جانبه قبة تعرف بقبة الشنيق[7].

والحريق هو ابن النعمان بن المنذر، وحرقة بنته[8]، ونستغرب إغفال المصادر عن ذكر ابنه حريق وحادثة قتله؛ لذلك نرجّح الرواية الأولى في سبب تسميته.

س ـ دير حنَّة: هناك ديرين باسم القديسة حنَّة في منطقة الحيرة[9]، الأول دير

(١) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٨، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٧.
(٢) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٤.
(٣) **المصدر نفسه**.
(٤) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٤، ياقوت، **المصدر نفسه**، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤.
(٥) ياقوت، **المصدر نفسه**، ص٥٠٥، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٨.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٦٢، ياقوت، **المصدر نفسه**.
(٧) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٨.
(٨) ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٤٦.
(٩) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٣١.

حنَّة الكبير، وهو دير قديم بالحيرة من أيام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم: بنو ساطع، تحاذيه منارة عالية كالمرقب تسمى القائم لبني أوس بن عمرو بن عامر[1]، يقع قرب قصر الخورنق ودير ابن براق[2]، ورُوي أنَّه من بناء نوح عليه السلام[3]، ولعل نوح هي نفس كلمة تنوخ، ولكن هناك خطأ مطبعي أو من الناسخ.

ونُسب بناء الدير إلى المنذر بن النعمان الذي أنفق في بنائه أموالًا طائلة بسبب كبر حجمه وانتظامه وحسن بنائه[4].

وهناك دير حنَّة الصغير بالأكيراح بناحية البليخ[5]، وهذا أيضًا بظاهر الكوفة والحيرة، والأكيراح بلدٌ نزه كثير البساتين والرياض والمياه، وهو قباب صغار يسكنها الرهبان[6].

ويقع هذا الدير في الثوية ويتمثل موقع الثوية الآن جنوب شرقي مسجد الكوفة، ونعتقد أنَّ دير حنَّة هو نفس المسجد المعروف الآن بالحنانة وقد تطورت لفظة حنَّة إلى الحنانة[7].

ش ـ دير حنظلة اللخمي: يقع بالحيرة بالقرب من ديارات ابن علقمة، وصاحبه حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربي بن نمارة بن لخم[8]، وحُدد موقعه بالشرق من الحيرة على نحو فرسخ، في موضع حسن لما فيه من حدائق ورهبان وأشجار[9]، وأُرِّخ زمن تأسيسه في نحو سنة ٥٥٠م[10]، ووجد في صدر الدير مكتوب بالرصاص في ساج محفور: «بنى هذا الهيكل المقدس، محبة لولاية

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٨، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٧.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٧٣، البكري، **المصدر نفسه**.
(٣) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٤.
(٤) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص٤١.
(٥) البليخ: اسم نهر بالرقة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٤٩٣.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٦٨، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٨ ـ ٥٧٩.
(٧) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٠٠، أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٣١.
(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٧٨، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٧.
(٩) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٨٨.
(١٠) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٣٤.

الحق والأمانة، حنظلة بن عبد المسيح، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه، كما يذكر أولياؤه بالعصمة، يكون ذكر الخاطئ حنظلة»[١].

تلذذ الزوار بشرب الخمر به[٢]. وذُكر دير حنظلة آخر يقع بالجزيرة بالقرب من ضفة نهر الفرات الشرقية[٣].

ص ـ دير سرجس: ورد باسم سرجس، أمّا عند العرب سرجيس، يقع في طيزناباذ، وهو بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق، وبينه وبين القادسية ميل، وأرضه محفوفة بالنخيل والكروم والشجر والحانات والمعاصر، خُرب بعد ما كان من أحسن الديارات عمارة، وأنزهها موضعًا[٤]، ولم يبقَ منه إلّا بعض الآثار وتلال القرميد المبني منها[٥].

ض ـ دير سلسلة: عندما أراد المسلمون أيام عمر بن الخطاب بناء الكوفة سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م كان فيها ثلاث أديرة من بينهم دير سلسلة[٦]، ويظهر أنه من الأديرة القديمة في منطقة الكوفة[٧].

ط ـ دير السَّوا: يقع بظاهرة الحيرة، ومعناه دير العدل لأنَّهم يتحالفون عنده فيتناصفون ويحلف بعضهم لبعض على الحقوق، وهو منسوب إلى رجل من إياد، قره بن بني أمية بن حذاقة بن زهر بن إياد[٨]، وقيل: السوا امرأة منهم، والسوا: أرض نسب الدير إليها[٩].

وقد يكون أصل اسم الدير هو دير ساوا، أي: الشيخ والراهب[١٠]، وزُعم «بأنه

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٧٨، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٧.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٠٧.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٠، ص٢٠٠ ـ ٢٠١، و**الديارات**، م.س، ص٧٥.
(٤) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٣ ـ ٢٣٤، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٥٩.
(٥) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.110.
(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٢٧٨، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.
(٧) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٤٣.
(٨) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص٥٥، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٨.
(٩) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٨٧، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥١٨.
(١٠) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٤٤.

منسوب إلى رجل من إياد، وقيل: بني حذاقة»[١]، ولكن بني حذاقة من إياد.

على الأغلب أنَّ السوا كلمة تدل على العدل، حيث كانوا يعقدون فيها عقودهم ويحلفون[٢].

ظ ـ دير عبد يشوع: يعتبر هذا الدير أول دير أسس في الحيرة، ذلك قبل سنة ٤١٠م، في عهد النعمان بن امرئ القيس[٣]، وذُكر أنه تأسس بين ٣٦٣ و٣٧١م[٤]، ونُرجّح التاريخ الثاني لأنَّ عبد يشوع كان في عهد الجاثليق تومرصا الذي يوافق ٧٢١ يوناني سنة وفاته، ومدة رياسته ثماني سنوات وشهور[٥]. نشأ عبد يشوع في بلدة ميشان ثم تنقَّل في عدة مناطق، منها اليمامة، حتى استقر فيما بعد ثلاثة أميال من الحيرة ومن بعدها ذهب إلى الحيرة وبنى الدير[٦].

ع ـ دير العذارى: شيد النصارى أديرة كثيرة في العراق عرفت باسم دير العذارى، فهو موجود في سرَّ من رأى[٧]، بجانب العلث على نهر دجلة[٨]، وهناك دير العذارى بين أرض الموصل وأرض باجرمي من أعمال الرقة[٩]، أمّا الدير الذي نحن بصدد الحديث عنه فهو دير العذارى في الحيرة[١٠]، وسبب تسميته بهذا الاسم يُعزى إلى بعض النساء العذارى، كانت إقامتهن فيه للعبادة، فبلغ بعض الملوك أنَّ فيه نساء ذوات جمال، فأمر بحملهن إليه ليختار منهن ما يريد، فبلغهن ذلك فقمن ليلتهن يصلين ويستكفين شرَّه فطرق ذلك الملك طارق فأتلفه من ليلته، فأصبحن صيامًا[١١]. ولا نعرف إذا كانت هذه القصة الغير واضحة تنطبق على دير العذارى الذي نحن بصدد الحديث عنه، أمّا دير آخر اسمه العذارى، حيث قيل بأنَّ هذه

(١) شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها**، م.س، ص٨٣.
(٢) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١١٧.
(٣) **المرجع نفسه**، ص١١٩.
(٤) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٤٦.
(٥) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٢٠.
(٦) **المصدر نفسه**، ص٢٠ ـ ٢١، ماري بن سليمان، **أخبار بطاركة**، م.س، ص٢٨ ـ ٢٩.
(٧) سامَرّاء: سر من رأي، مدينة بين بغداد وتكريت شرقي دجلة، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص١٧٣.
(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٢٢، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص١٠٩.
(٩) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، القزويني، **آثار البلاد**، م.س، ص٣٧٠.
(١٠) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٢٣.
(١١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٢٢ ـ ١٢٣، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٨٨ ـ ٥٨٩.

القصة تنطبق على دير العذارى في الحيرة، وإنَّ عادة الصيام هذه انتشرت في الحيرة في عهد أسقفها يوحنا الأزرق[1]، أي في بداية القرن السادس الميلادي، ويتحدّث آخر عن حادثة صوم النصارى في عهد شابور بن شابور(٣٨٣ ـ ٣٨٨)[2]، فالمنذر بن ماء السماء توافق فترة حكمه بداية القرن السادس، والمعروف أنَّ تاريخه ملطَّخ بوصمة عار، حيث ذبح أربعمائة راهبة من كنيسة بحمص للإلهة العزى، وقصة موته تختلف عما ذكر في نهاية قصة صوم العذارى.

غ ـ دير عَلْقَمَة: يقع بالحيرة، وهو منسوب إلى علقمة بن عدي بن الرميك بن ثوب بن أسس بن ربى بن نمارة بن لخم، وُصِف برائحة خمره الزكية[3]، والواضح أن عدي بن زيد كان يتردد إلى هذا الدير كثيرًا، وعلى صلة وثيقة بعلقمة صاحبه[4]. وحُدد تاريخ تأسيسه على نحو سنة ٥٠٠م[5].

ف ـ دير قُرّه: يقع بإزاء دير الجماجم، قرَّه الذي بناه رجل من لخم، شيَّده في أيام ملك المنذر بن ماء السماء، وهو ملاصق لطف البرّ، ودير الجماجم مما يلي الكوفة، نزله الحجاج هو وجيشه، فقال: ما اسم هذا الدير قيل: دير قره[6]. وبالعودة إلى نسب صاحب الدير، فهو من قبيلة إياد، وبالتحديد إلى قرة أحد بني أمية بن حذاقة. أمّا بالنسبة إلى موقعه، فهو يقع شمال الكوفة بالقرب من طريق القادسية ـ المداين[7]، دخله سعد بن أبي وقاص في سنة ١٤هـ/٦٣٦م[8].

ق ـ دير كعب: هو لقبيلة إياد[9]، ويقع قرب الكوفة، في منطقة مجاورة لمدينة الحلة الحالية[10]، ورد ذكره في فتوحات المسلمين للحيرة[11].

---

(١) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٤٧.
(٢) حداد، بطرس، **كنائس بغداد**، م.س، ص٢٢٩.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٢٦، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٠.
(٤) البكري، **المصدر نفسه**.
(٥) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٤٨.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٣٣، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٢ ـ ٥٩٢.
(٧) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٤٩.
(٨) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٣١.
(٩) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٨، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٧.
(١٠) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٥٠.
(١١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٣، ص١٩١.

ك ـ دير اللُّجّ: كان يسمى أصلًا دير اللِّجّة[1]، يقع «بالحيرة، بناه النعمان بن المنذر أبو قابوس في أيام ملكه، ولم يكن في ديارات الحيرة أحسن منه، ولا أنزه موضعًا، وفيه يقول:

سقى اللَّه دير اللجِّ غيثًا، فإنه ... على بعده منّي إليَّ حبيب»[2]

يعتبر من الأديرة المحببة عند النعمان حيث «كان يركب في كل أحدٍ إليه، في كل عيد، ومعه أهل بيته، خاصة من آل المنذر، عليهم حلل الديباج المذهَّبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المفصصة بالجواهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان، وإذا قضوا صلاتهم انصرفوا إلى مستشرفة على النجف، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقية يومه»[3].

فمن المرجَّح أنَّه أفضل أديرة الحيرة هندسة وجمالًا، لأنه دير الملك النعمان.

ل ـ دير مار آبا الكبير: توفي مار آبا في ٥٥٢م، ودفن في الحيرة وبنى ديرًا على قبره[4]، فهو مات في سجن الفرس ونُقل جثمانه إلى الحيرة[5].

م ـ دير مار فاثيون[6]: تموضع بالحيرة أسفل النجف[7]، وزُعم أنَّه غير بعيد عن دير ابن مزعوق[8]، ولكن هذا غير دقيق، فالأخير يقع بأعلى النجف، بينما مار فاثيون في أسفل النجف. واحتوى على هيكل ومذبح، وجُدِّد بناؤه في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨هـ ـ ٨١٤م/ ٢١٨هـ ـ ٨٣٣م)[9].

ن ـ دير مارة[10] **مريم**[11]: من بناء آل المنذر، يقع بنواحي الحيرة بين الخورنق

---

(١) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٥٢.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٣٩، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٥.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص١٤٠، البكري، **المصدر نفسه**، ص٥٩٦ ـ ٥٩٧.
(٤) مار ميخائيل، **تاريخ مار ميخائيل**، م.س، جـ٣، ص٤٠٢، عمرو بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٤١.
(٥) De Lacy. O'Leary, **How Greek Science**, p.66.
(٦) القديس مار فاثيون ظهر بحلوان في سنة ٤٢١م، عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٢٩.
(٧) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٠، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٣١ وص٥٣٧.
(٨) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٥٦.
(٩) عمر بن متى، **أخبار فطاركة**، م.س، ص٦٩ ـ ٧٠.
(١٠) مارة: اسم أعجمي، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٧.
(١١) ورد: مارت مَريم عند ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٣١.

والسدير وقصر أبي الخصيب، مشرف على النجف[١]. وروي أنه «بالحيرة من بناء المنذر، وهما ديران متقابلان وبينهما مدرجة الحاج وطريق السابلة[٢] إلى القادسية، وهما مشرفان على النجف، ومن أراد الخورنق عدل عن جادتهما ذات اليسار»[٣].

فهو من المرجح من بناء المناذرة، فإذا كان المنذر، لعله على الأرجح، المنذر ابن ماء السماء، ويُعتقد أنه بُني في عهد المنذر بن النعمان، أي في نحو منتصف القرن الخامس[٤]، وذُكر أنه قديم جدًا[٥]. واشتهر هذا الدير بخمره، وكان فيه قسٌّ يقال له يحيى بن خمار، تألفه الفتيان ويشربون على سطحه وفي قلايته[٦].

وصمد الدير أمام أهوال الطبيعة وتقلبات الفصول والحرارة لفترة طويلة فالخليفة العباسي الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ ـ ٨٤٦م) عندما زار الحيرة رأى الدير[٧]؛ ما يدل على متانة عمرانه، وجمال هندسته، وضخامة بنائه، لذلك زاره الخليفة.

هـ ـ دير المزعُوق: ويقال له دير ابن المزعوق، يقع في وسط الحيرة[٨]، وروي بأنَّه قديم بظاهر الحيرة[٩]، ونرجّح المقولة الثانية بسبب قربه من دير الحريق[١٠]. وتموضع الدير بأعلى النجف[١١]. كثير الرهبان[١٢]، حسن العمارة، وهو أحد المنتزهات المقصودة والأماكن الموصوفة «في أنزه البقاع زهرًا، ورقيق الهواء، وتدفّق الماء»[١٣]، تميّز بعظمة بنائه وارتياد الناس فيه للنزهة في أروقته، خاصة في الأعياد[١٤].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤١ ـ ١٤٢، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، ص٥٩٧ ـ ٥٩٨.

(٢) السابِلَة: أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم، والجمع السوابل، ابن السبيل: الغريب الذي أتى به الطريق، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١١، ص٣٢٠.

(٣) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠١.

(٤) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٥٧.

(٥) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١٣٢.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٤١، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٩٧ ـ ٥٩٨.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٥، ص٤٢٧.

(٨) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٠، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٩.

(٩) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٣٧.

(١٠) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٣٢، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٩.

(١١) الشابشتي، **المصدر نفسه**، ص٢٣٠، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٣٧.

(١٢) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.103.

(١٣) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٣٩٩.

(١٤) De Lacy. O'Leary, **How Greek Science,** p.185.

و ـ دير هِنْد الصغرى: بَنتهُ هند بنت النعمان بن المنذر، وهي التي تعرف بالحرقة، يقع بالحيرة بين الخندق وحصراه بكر، ويقارب مواضع بني عبد الله بن دارم بالكوفة[١]، فهو يقع في شمال الحيرة[٢]، وسمي بدير حرقة أيضًا[٣]، ويُدعى «الدير الجديد»[٤]. أمّا سبب بناء الدير فيعود إلى رواية فحواها: «إنَّ كسرى غضب على النعمان بن المنذر فحبسه، فأعطت بنته هند عهدًا لله إن ردَّه الله إلى ملكه أن تبني ديرًا تسكنه حتى تموت، فخلّى كسرى عن أبيها النعمان فبَنَت الدير وأقامت به إلى أن ماتت ودفنت فيه»[٥]. ولكن نحن نعلم أن النعمان مات في بلاد فارس.

ورُوي أنه بعد موت النعمان بثلاث سنين ترهَّبت هند، واحتبست بديرها حتى ماتت[٦]، وذُكر أنَّ النعمان بن المنذر هو الذي بنى هذا الدير لابنته هند لتتعبد فيه، وأنَّ النعمان كان يصلي به ويتقرب فيه إلى الله، وعلّق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة، وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبانٍ[٧] وما شاكلهما من الأدهان، ويوقد فيه العود الهندي والعنبر، فكان شيئًا يجلُّ عن الوصف[٨].

فهذه الرواية تنسف الرواية السابقة حول من بنى الدير، ونرجّح صحتها بسبب موت النعمان في بلاد الفرس، وعلى ما نعتقد ليس اسم الشخص المقصود هنا النعمان بن المنذر بل ربما إيشوع بت، الذي أحضرت هند بنت النعمان جثمانه من بلاد الفرس ودفنته في ديرها بالحيرة[٩].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٦٦، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٤٤، شمس الدين محمد بن علي بن محمد (من رجال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)، **البدور المسفرة في نعت الأديرة**، تحقيق هلال ناجي، دار الحرية للطباعة، العراق، ١٩٧٥، ص٢١.

(٢) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.104, De Lacy. O'Leary, **How Greek Science**, p.185.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٤٧٨. ورد ذكرها: بيعة حرقة، المسعودي، **مروج الذهب**، م.س، جـ٢، ص٧٩.

(٤) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٦٢.

(٥) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٤١.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣١.

(٧) البانُ: شجر له هدبٌ طوالٌ شديد الخضرة، ينبت في الهضاب وثمرته تشبه قرون اللوبياء إلا أن خضرتها شديدة، ولها حبٌّ، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٣، ص٧٠.

(٨) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٧.

(٩) De Lacy. O'Leary, **Ibid,** p.185.

ومن المسلمين الذين دخلوا دير هند خالد بن الوليد، فسلّمت عليه هند[1]، وسعد بن أبي وقاص حين فتح العراق أتى هندًا إلى ديرها[2]، والمغيرة بن شعبة الثقفي[3] طلب يدها ولكنها رفضت وقالت له: أنا عجوز عمياء[4]، ودخله الحجاج بن يوسف سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م[5]، ولا نرجح لقاء الحجاج بن يوسف بهند بسبب طول الفترة الزمنية التي تفصل بينهما، ونرجّح أن هندًا توفيت في فترة حكم المغيرة بن شعبة للكوفة، لأنَّها عميت ورفضت الزواج به لكبر سنِّها. وكثيرًا ما تردد إليه الأفراد وناموا بداخله؛ ما يدل على مساحته الكبيرة[6].

وما تزال آثار دير هند موجودة إلى الآن[7]، لأنه كان يُعتبر أكبر دير في الحيرة[8]، وحُددت المساحة الكلية لأكبر دير من خلال الاكتشافات الأثرية بنحو ١٥ ألف متر[9]. ونرجّح مساحة دير هند بهذه الحدود.

ي ـ دير هند الكبرى: سُمّي دير هند الأقدم[10]، وقيل: دير هند الأول[11]، يقع بالحيرة قرب النجف، بَنَتهُ هند بنت الحارث بن عمرو الكندي، وكان في صدر الدير مكتوب: بَنَتْ هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك وأمّ الملك عمرو بن المنذر، أَمَة المسيح وأمّ عبده وبنت عبيده، في مُلك مَلك الأملاك خسرو أنوشروان، في زمن مار أفريم الأسقف، فالإلـه الذي بنت له هذا

---

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٤، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٥٤١.
(٢) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٤٥، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٩.
(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي (ت٥٠هـ/ ٦٧٠م)، أبو عبد الله، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، صحابي، ولّاه عمر بن الخطاب ﷺ على البصرة والكوفة، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٧، ص٢٧٧.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٣١، الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٤٦.
(٥) الشابشتي، **المصدر نفسه**، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤٠٨.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٦٦، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٥ ـ ٦٠٦.
(٧) De Lacy. O'Leary, **Arabia before Mohammad**, p.160.
(٨) Musil. A, **The Middle Euphrates**, p.103.
(٩) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٧٩.
(١٠) العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤١٢.
(١١) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٦٠.

الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها إلى إقامة الحق، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر»[1]، فهو يعتبر من أشهر الأبنية التابعة للكنائس[2]، ورُجّح زمن بنائه بين ٥٦٣ و٥٧٨م[3]، وحُدد أيضًا بين ٥٥٤ و٥٦٩م[4]، ولكن الراجح عندنا أنّه بنيَ بين ٥٥٧ و٥٧٩م، لأن هذا التاريخ يوافق زمن كسرى أنوشروان ومُلك عمرو بن هند، وهذا ما أُكِّد عليه بأنَّ الدير بُنيّ في أيام عمرو بن هند[5].

٢ ـ الكنائس

ـ كنيسة عين التمر:

أثناء الفتوحات الإسلامية وجد خالد بن الوليد في كنيسة بعين التمر صبيانًا يتعلمون الكتابة في قرية من قرى عين التمر يقال لها النُّقَيْرَة[6].

٣ ـ البِيَع

أ ـ بيعة بني مازن[7]: تقع بالحيرة، وهي لقوم من بني عمرو بن مازن، وهم من غسان[8].

ب ـ بيعة عدي بن زيد: منسوبة إلى بني عدي بن الزميل[9] من لخم تقع في الحيرة[10]، ولكن ذُكر موضعها بالكوفة، وبانيها هو عدي بن الدّميك اللخمي[11]،

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٦٨، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٦ ـ ٦٠٧.
(٢) الفيومي، محمد إبراهيم، **تاريخ الفكر الديني**، م.س، ص١٢٥.
(٣) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤٦٠، الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٣٨.
(٤) Shahid. I, **Byzantium and the Arabs**, p.355.
(٥) علي، جواد، **المفصل**، م.س، جـ٣، ص٢٥٧.
(٦) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ١، ص٣١٩، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٥، ص٣٠١.
(٧) بنو مازن بن تيم الله بن حقال بن أنمار بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٧٤.
(٨) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٩٦، ابن حزم، **المصدر نفسه**.
(٩) ورد: الذميل، بدل: الزميل، البلاذري، **المصدر نفسه**، ص٣٩٨. ورد: الدميل، بدل: الزميل، ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٢١٧.
(١٠) ابن الكلبي، **نسب معد**، م.س، جـ١، ص١٦٥، البلاذري، **المصدر نفسه**.
(١١) ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٥٣٢.

وهي البيعة التي صنع فيها عدي بن زيد الطعام[1].

ت ـ بيعة الكرسي: تقع في الحيرة، بناها الأسقف شمعون بن جابر، واشتهرت بمذبحها[2].

ث ـ بيعة عمرو بن حيان: قُرئ على حائط بيعة بالحيرة: بُنيت هذه البيعة والملك عمرو بن المنذر الشقيقة على يد عمرو بن حيان، فالإله يغفر له خطيئته، ويقبل نقله إلى دار الحق، وفي أسفل ذلك مكتوب:

رأينا (...)[3] بالإنسان جمًّا ولا تنجي من الدهر الحدود

ولا تُنجي من الآجال أرضٌ تحلُّ بها، ولا قصرٌ مشيد[4]

ويمكننا أن نُسمّي هذه البيعة، باسم بانيها عمرو بن حيان، لأنَّ هذا ما درج عليه سكان المناذرة من نسب البيعة إلى بانيها، أو إلى البلدة أو البقعة الجغرافية الموجودة فيها، والمرجح أن عمر بن المنذر هو الملك عمرو بن هند.

ج ـ بيعة عين التمر: عندما فتح خالد بن الوليد عين التمر وجد في بيعتهم أربعين غلام يتعلمون الإنجيل[5]. نستطيع أن نسمّيها بيعة عين التمر.

٤ ـ القلالي

أ ـ قلاية القس: قلاية هي بناء كالدير[6]، وهي لفظة يونانية ـ لاتينية ـ: المَخزن أو بيت المؤونة[7]، ورُجِّح أن القلاية عربية أصيلة محرَّفة عن الخلية[8]، تقع بظاهر الحيرة، في موضع حسن، والقس الذي تنسب إليه القلاية من ملاح النصارى، كان ناسكًا، ثم صار فاتكًا[9][10]، وعُرف بكثرة العبادة ثم ترك ذلك واشتغل باللهو[11].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ٢، ص١٠٨، ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٢٦.
(٢) أبو البقاء، **المناقب**، م.س، جـ١، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.
(٣) كلمة مطموسة من المصدر.
(٤) ابن فقيه الهمذاني، **البلدان**، م.س، ص٤٥٣.
(٥) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٥ ـ ٣٤٦، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٢٤.
(٦) الزيات، حبيب، **الديارات النصرانية**، م.س، ص٢٥.
(٧) حداد، بطرس، **كنائس بغداد**، م.س، هامش (١٨)، ص٣٨.
(٨) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٥٧.
(٩) فاتكًا: الذي يهجم على الأمور العظام، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص٤٧٣.
(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٣٩، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص١٠٩١ ـ ١٠٩٢.
(١١) البكري، **المصدر نفسه**، ص١٠٩١، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٤، ص٣٨٦.

ب ـ قلّاية العُمر: منسوبة إلى عمر بن نصر، وهي من منتزهات آل المنذر بالحيرة، كان بها خمّار يقال له يوشع[1]، والعمر كلمة آرامية تعني: البيت أو المنزل أو الدير[2]، واحتوت على ناقوس وعدد غير قليل من الرهبان[3].

٥ ـ القباب

أ ـ قبة الشتيق[4]: من الأبنية القديمة بالحيرة، وهي بقرب قباب يقال لها الشكورة، جميعها للنصارى، وعيد الشعانين بها نزه، يخرج فيه النصارى من الشكورة إلى القبة في أحسن زي[5].

وقيل لقبة الشتيق دير الشتيق، ويقع نحو الجنوب من نهر الحيرة[6]، والشتيق لفظة سريانية «شتيقا» بمعنى: الساكت والصامت، ولا يستبعد أنَّ هذه القبة كانت منسكًا لراهب انقطع عن الناس ولازم السكوت، فعُرفت به من هذه الجهة[7]. وتُعتبر من القباب الجميلة في الحيرة[8]. واستقى المناذرة فكرة بناء القبة من الهندسة المعمارية البيزنطية[9].

ب ـ قبة غصين: تقع إلى جانب دير الحريق في الحيرة[10]، فهي بأعلى النجف، ووُصفت بأنها «بديعة البناء، تستوقف طرف الناظر إليها، وهي على ما يظهر منسوبة إلى راهب نصراني اسمه غصين»[11].

٦ ـ الأكيراح

لفظة سريانية ومعناها: الكوخ الصغير[12]، بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين

---

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص١٠٨٩ ـ ١٠٩٠.
(٢) بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى العراق**، م.س، هامش (٩)، ص٢٤.
(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٣، ص١٠٨٩ ـ ١٠٩٠.
(٤) وردت: قبة السنيق، أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٧. السُّنَّيْق: البيت المجصص، سنيق اسم أكمة معروفة، وجمعها سنيقات، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٧٠، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ١٠، ص١٦٥.
(٥) الشابشتي، **الديارات**، م.س، ص٢٤١. ورد السكورة بدل الشكورة، العمري، **مسالك الأبصار**، م.س، جـ١، ص٤١٣ ـ ٤١٤.
(٦) أبونا، ألبير، **ديارات العراق**، م.س، ص٤١٩.
(٧) الشابشتي، **الديارات**، م.س، هامش (١)، ص٢٤١.
(٨) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٧.
(٩) زيات، حبيب، **الديارات النصرانية**، م.س، ص٢١.
(١٠) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٧.
(١١) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص١٦٣.
(١٢) الزيات، حبيب، **الديارات النصرانية**، م.س، ص٢٨.

لا قلالي لهم، يقال لواحدها: كرح، وبالقرب منها ديرين، يقال لأحدهما: دير مرعبدا، وللآخر: دير حنَّة، ويقع بظاهر الكوفة كثير من البساتين والرياض[١].

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص٦٨ ـ ٦٩، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٥٧٩.

ثالثًا ـ الفتح الإسلامي لبلاد المناذرة

وضع النبي محمد ﷺ الحجر الأساس لتأسيس دولة إسلامية قوية، اتخذت من مكة المكرمة نقطة البداية، لتتخطى بعدها كل الحدود المسموح بها آنذاك. أمّا بالنسبة إلى الحيرة، حاضرة المناذرة، فلم تكن بعيدة لا هي ولا قبائلها عن مسامع الرسول محمد ﷺ، فقد ذكر الرسول ﷺ معركة ذي قار، وأهميتها على صعيد انفصال المناذرة عن الفرس، واعتبرها خطوة مهمة في سبيل امتداد الدين الإسلامي، وبشَّر الرسول ﷺ بفتح الحيرة، ويومها سأله خريم بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ابنة بقيلة[١]. وأكثر من ذلك ذكره استيلاء أمته على الحيرة، فطلب شويل أن يتزوج كرامة بنت عبد المسيح، وكان قد رآها شابة فمال إليها، فوعده النبي ﷺ بذلك[٢].

تتابع دخول القبائل العربية في الدين الإسلامي، وأعلنت عُمان ولاءها للدعوة الإسلامية في سنة ٨هـ/ ٦٢٩م، وفي نفس العام وجَّه الرسول محمد ﷺ العلاء بن عبد الله الحضرمي، إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، فقبلت الإسلام، وأسلم معها جميع العرب هناك وبعض الفرس[٣]. وهذا يعني بداية قضم لأراضي وشعوب بلاد المناذرة من الجنوب إلى الشمال. وغزا علي بن أبي طالب ديار طَيء، وأسلم شيخهم عدي بن حاتم[٤] في سنة ٩هـ/ ٦٣٠م، ومن بعدها أخذت الوفود والقبائل تتدفق على رسول الله ﷺ، ومنها وفد بني أسد، ووفد بني تميم مع

(١) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤١.

(٢) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٩، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠٤.

(٣) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص١٠٣ ـ ١٠٤ وص١٠٧، أبو الفدا، **المختصر**، م.س، جـ١، ص٢٠٣.

(٤) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي (ت٦٨هـ/ ٦٨٧م)، أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام، وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٤، ص٢٢٠.

حاجب بن زرارة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا[1]. وجاء إلى النبي ﷺ قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم[2]ابن عمه، فتسابّا وتهاترا عنده، فقال قيس لعمرو بن الأهتم: والله يا رسول الله ما هم منّا، وإنّهم لمن أهل الحيرة، فقال عمرو بن الأهتم: بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منا، فأجابه قيس بن عاصم:

ما في بني الأهتم من طائلٍ	يرجى ولا خيرٍ له يصلحون
قل لبني الحيريِّ مخصوصةً	تظهر منهم بعض ما يكتمون
لولا دفاعي كنتم أعبدًا	مسكنها الحيرة فالسَّيلحون[3]

وقال عدي بن حاتم الطائي: سمعت رسول الله ﷺ يذكر ما رُفِع له من البلدان، فذكر الحيرة فيما رُفِع، وكأن شُرَف قصورها أضراس الكلاب، فعرف أنها ستفتح[4]. والملاحظ أن بعض العباد دخلوا الإسلام، وخدموا النبي محمد ﷺ وأقطعوا البلدان، مثل تميم بن أوس بن خارجة بن سوي بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار بن هاني من العباديين[5].

لم يسمح الوقت بفتح الحيرة في زمن رسول الله ﷺ، لأنَّ المنية وافته في ١١هـ/ ٦٣٢م، فاجتمعت قبيلة ربيعة بالبحرين على الردَّة، إلّا الجارود قائد عبد القيس ومن تبعه، وقالوا: يُرَدُّ الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمّى الغرور، فلما أسلم كان يقول: أنا المغرور ولست بالغرور[6].

وارتدت بنو بكر بن وائل بأرض البحرين، وكان السبب في ذلك أن نفرًا من بكر بن وائل كانوا يعادون قبائل عبد القيس، والأخيرة يومئذ بالبحرين متمسكون بدين الإسلام، ولم يرتدوا مع من ارتد، وجعل هؤلاء الذين ارتدوا من بكر بن وائل يقول بعضهم لبعض: تعالوا حتى نَرُدَّ الملك في دار النعمان بن المنذر، فإنَّه أحق بهذا الأمر من أبي بكر الصديق[7]، وأرسل الحطم بن ضبيعة[8] إلى الغرور بن

---

(١) ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) عمرو بن الأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص٢١٦ ـ ٢١٧.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٤، ص٨٧ ـ ٨٨.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٨.

(٥) ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٤٢٢.

(٦) ابن حبيب، **أسماء المغتالين**، م.س، ص٩٤، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٢٨٦.

(٧) الواقدي، **الردة**، م.س، ص٥٠ وص١٤٧.

(٨) الحطم بن ضبيعة، وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة، والحطم لقب له، البلاذري، **فتوح**، م.س، ص١١٤.

سويد بن المنذر ابن أخي النعمان بن المنذر، فقال له: «اثبت فإني إن ظفرت ملَّكتك البحرين، حتى تكون كالنعمان بالحيرة»[1]. فقبيلة عبد القيس تعلم أهمية المناذرة والكسب العسكري الذي تسعى إليه من وجود أحد أفراد البيت المنذري معها، وهذا يعني ارتداد أغلب القبائل الحديثة الإيمان بالدين الإسلامي إلى حضن المناذرة، وبالتالي إجهاض المشروع الإسلامي.

وكان المنذر الغرور يُمنِّي نفسه بتأسيس دولة في البحرين، وقد نجح فعلًا في ذلك، وحدَّ من توغل النفوذ الفارسي في شبه الجزيرة العربية، ولكن نفوذه لم يكن مكينًا، إذ كان لرؤساء القبائل سلطان قوي حدَّ من سلطانه[2].

أرسل أبو بكر الصديق العلاء بن الحضرمي لقتال أهل الردة بالبحرين، فاجتمعت إليه بنو تميم، والرباب، فنزلوا بهجر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم بن ضبيعة، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر، وخندق العلاء على نفسه، واتَّبع أسلوب الحطم نفسه، واستمرت المعركة شهرًا، حتى استطاع المسلمون في النهاية من قتل الحطم، وأُسر المنذر بن النعمان الغرور، فتواسطت الرباب فيه، فأجاره العلاء، فأسلم وبقي بهجر، أمّا المنذر بن سويد أخو الغرور لأمُّه فقتل في سنة ١١هـ/ ٦٣٢م[3].

ورُوي أنَّ المنذر بن النعمان الغرور هرب حتى صار إلى آل جفنة فاستجار بهم، فأجاروه، وندم فيما بعد على ما صدر منه أشد الندامة، ثم كتب إلى أبي بكر بهذه الأبيات:

عجبًا لأمري والحوادث جمَّةٌ	أُدعى الغرور وإنَّني مغرور
قد قلت لما لم أجد لي مهربًا	إنَّي لعمرك واتر موتور
وأطعت كسرى في الذي أمَّلته	ووترت قومًا وترهم محذور[4]

ويقال: «إنَّ المنذر ومن معه نجا، فدخل المشقر وأرسل الماء حوله فلم يوصل إليه، حتى صالح الغرور على أن يخلي المدينة فخلّاها، ولحق بمسيلمة[5]، فقُتل

---

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٢٨٦، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٢) العلي، صالح، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١٦.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، م.س، جـ١٥، ص٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(٤) الواقدي، **الردة**، م.س، ص١٦٥ ـ ١٦٦.

(٥) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي (ت١٢هـ/ ٦٣٣م)، ولد ونشأ باليمامة، =

معه، وقال قوم: قُتل المنذر يوم جواثا»[1]، وهذا ما رجح عندنا في ترجمته.

١ ـ فتح الحيرة

كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد يأمر بالمسير إلى العراق، والبدء بفرج الهند في سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م[2]، والمقصود بفرج الهند منطقة الأبلة، وهي أقرب مناطق العراق للقادم من اليمامة، وتعتبر منعزلة نسبيًا عن باقي السواد، كما أنَّها بعيدة عن أخطار تهديدات الفرس، لذلك لم تكن فيها قوة عسكرية كبيرة، والسيطرة عليها تحرم الفرس والمناذرة من قواعد برية وبحرية تُفشل سيطرة وإحكام قبضة المسلمين على بلاد المناذرة، وقيل: إنَّ أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد بالمسير إلى الحيرة[3]، ولكننا نرجّح الأبلة، لأنّ فتوحات المسلمين أخذت شكل قضم المنطقة تلو الأخرى، وسبق المثنى بن حارثة الشيباني قدوم خالد بالإغارة على السواد مع رجال من قومه، فقدم على أبي بكر فقال له: يا خليفة رسول الله ﷺ استعملني على من أسلم من قومي، فكتب له أبو بكر يأمره بالسمع والطاعة لخالد بن الوليد[4]، بينما روي أنَّ المثنى لم يأتِ أبا بكر بل راسله، وطلب منه العون العسكري[5].

اعتمد المثنى في حركاته العسكرية الأولى على رجال قومه وقبيلة بني شيبان، ويبدو أنَّ ميدان تحركاته كان غرب نهر الفرات في المناطق المعروفة جيدًا بالنسبة إليه، أي: ليس بعيدًا على حاضرة المناذرة.

سار خالد بن الوليد حتى نزل ببانقيا وباروسما[6] وأليس[7]، فصالح أهلها، ثم توجه إلى الحيرة، فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائي، فدعاهم خالد إلى

= تلقَّب بالجاهلية بالرحمن، قتله خالد بن الوليد، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، م.س، جـ٧، ص٢٢٦.

(١) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص١١٦.

(٢) **المصدر نفسه**، اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ٢، ص٨٩.

(٣) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٨٨.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٩٨ ـ ٩٩، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٢٣٨.

(٥) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٨٧.

(٦) بارُوسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٣٢٠.

(٧) أَلَّيْسُ: موضع في أول أرض العراق، من ناحية البادية، **المصدر نفسه**، ص٢٤٨.

الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فاختاروا الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم[1]، وهي أول جزية حُملت من العراق، وزُعِم أنها أول جزية من بلاد الفرس في الإسلام[2]، ونلاحظ هنا اعتبار الكاتب أنَّ الحيرة مقاطعة فارسية بحتة ونسيَ أنَّها عاصمة مملكة عربية عريقة التاريخ.

وبالنسبة لمقدار المبلغ فهو ضئيل بالنسبة إلى واردات العراق التي كانت تبلغ مائة مليون درهم[3]، ومردُّ ذلك أنهم لم يبدوا مقاومة بوجه خالد بن الوليد؛ لذلك استطاع استيعابهم بفرض ضرائب مخفضة، وكان دخوله الحيرة يعني في المفهوم السياسي السيطرة على حاضرة بلاد المناذرة وأهم قاعدة عسكرية أمامية للفرس، ومن الناحية الاقتصادية فلها دور تجاري مهم، «فهي العاصمة الغنية في المقاطعات العراقية»[4].

نص حوار الصلح الذي عُقد بين خالد بن الوليد من جهة وقبيصة بن إياس الطائي وأشراف الحيرة من جهة أخرى في ١٢هـ/ ٦٣٣م على ما يلي: «فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد آتيكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم، فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا، ونعطيك الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم»[5].

وفي رواية أخرى أنَّ خالد بن الوليد دنا من الحيرة «فخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب، فلقوهم بمجتمع الأنهار، فتوجه إليهم المثنى بن حارثة، فهزمهم الله، ولما رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه، منهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة، وهانئ بن قبيصة، فقال خالد لعبد المسيح: من أثرك؟ قال: من ظهر أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمّي، قال: ويحك على أي شيء أنت؟ قال: على الأرض، قال: ويلك في أي شيء أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ويحك، تعقل؟ قال: نعم وأُقيِّد، قال: إنما أسألك، قال: وأنا أجيبك، قال: أَسِلْمٌ أنت أم حَرب؟ قال: بل سلم، قال: فما

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٠٧، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٩٨.

(٢) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١٦.

(٣) العلي، صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم**، م.س، ص١١٧.

(٤) Gilman. A, **The Story of Saracens**, p.228.

(٥) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٠، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٠٧.

هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه، قال خالد: إني أدعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم قاتلتكم، قالوا: لا حاجة لنا في حربك، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم، وأن يكونوا عيونًا له»[١]. فنحن أمام روايتين لهما نفس الخاتمة ولكنهما تختلفان بالأحداث والشخصيات، ولا نرجّح أنَّ آزاذبه عقد صلحًا مع خالد بن الوليد، لأنَّ عقلية الفرس آنذاك لا تقبل بمثل هذا الطرح، ويبدوا أنَّ المناذرة كانوا على علاقة سياسية سيئة آنذاك مع الفرس، ولم يتوانوا بالترحيب بالمسلمين حتى قيل إن: «سكان الحيرة سعداء بسبب المعاهدة التي ألزمتهم بدفع ضريبة سنوية للخليفة»[٢]، والمعلوم أنَّ الحيرة فتحت على أيدي المسلمين من دون مقاومة حربية تذكر[٣].

وتُبيّن نظرة شاملة إلى بلاد المناذرة كقصر من رمل جرفه موج البحر، فلم يعد الأمر مجرَّد محاولة لفتح الحيرة، أو بعض الأجزاء من بلاد المناذرة، بل إنّ المسألة أكبر من ذلك بكثير، لأنَّه أخذ يهدد الامبراطورية الفارسية الكبيرة. وساهمت عدة أسباب في هذا الفتح الإسلامي السريع لبلاد المناذرة.

فبالنسبة للفرس حدثت خلافات على العرش، فقد قُتل شيرويه الذي عزل أباه إبرويز، وتعاقب خلال سبع سنوات ستة من الأكاسرة، وكان من يعتلي العرش يُقرِّب أنصاره، ويقضي على أنصار من سبقه أو يقتلهم[٤]. ومن الأمور السياسية التي ساعدت على فتح الحيرة وصول بوران بنت كسرى إلى سدة الحكم في بلاد فارس، فشاع أن لا ملك بأرض فارس، وإنَّما يلوذون بباب امرأة[٥]. بالإضافة إلى الانقسامات الداخلية والفتن الأهلية والحروب الدموية التي دامت أكثر من عشرين سنة بين خسرو الثاني (أنوشروان) وملوك بيزنطة، فقد أضعفت جدًا المملكة الفارسية[٦]، وعندما نذكر حربًا طويلة الأمد يرافقها قتل كثير من الجند وزيادة ضرائب لمواجهة تكاليف الحروب، وتراجع الاقتصاد واستنزاف داخلي، وانشغال عن قضايا خارجية أخرى.

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٠٨، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) Gilman. A, **The Story of Saracens**, p.229.

(٣) Brockelmann. C, **History of the Islamic**, p.51.

(٤) ابن مسكويه، **تجارب**، م.س، جـ١، ص١٤٣ ـ ١٤٥.

(٥) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٨٧.

(٦) شير، أدي، **تاريخ كلدو**، م.س، جـ٢، ص٢٥٢.

وساهمت معركة ذي قار في فك علاقة المناذرة بالفرس، وبذلك ضعف الشرطي المنذري، فأصبحت المواجهة مباشرة بين الفرس والعرب الذين لا يرتبطون مع الفرس إلّا من خلال المناذرة، وممّا عمّق العداء أكثر إزالة الفرس لمملكة المناذرة وطريقة قتل النعمان بن المنذر، فأثار استعطاف العرب مع بعضهم ضدَّ الفرس، فعندما جاءَ المسلمون إلى الحيرة كانت الأخيرة، قد «فقدت أهميتها كحدٍّ ضد هجمات العرب»[١]، بدليل أنَّهم لم يحاربوا خالد بن الوليد بل رضخوا للسلم، وروي أن «سكان العراق ولا سيما الحيريين كانوا ينزعون إلى أبناء عنصرهم»[٢]، ومردُّ ذلك معركة ذي قار ونتائجها، وسوء سياسة الفرس تجاه المناذرة فلولاهما لم تتحقق هذه المقولة، لأنَّ السياسة لا تعرف هوى قومي أو عنصري أو ديني أو مذهبي، إنما هي بالدرجة الأولى مصالح.

لذلك أحسَّ الفرس بفداحة الخطأ الاستراتيجي الذي قاموا به، وهو إنهاء دور مملكة المناذرة، واتباع سياسة كسر العظم معهم، فخالد بن الوليد أخذ يُسقط المناطق العراقية الواحدة تلو الأخرى، في معارك أولها ذات السلاسل[٣] في ١٢هـ/ ٦٣٣م، وكان على رأس الفرس هرمز، وسميت ذات السلاسل لأنَّ هرمز وأصحابه اقترنوا بالسلاسل، فنزل خالد عليهم وقاتلهم فهزمهم[٤].

انتصر خالد بن الوليد على الفرس في موقعة المذار أو الثني[٥]، ولم تُسجّل المعركتان السابقتان أي مشاركة للمناذرة أو أي قبيلة عربية كانت تحت حكم المناذرة إلى جانب الفرس ضد المسلمين[٦].

أرسل أردشير بن شيرويه في ١٢هـ/ ٦٣٤م بعد الهزيمتين الأندرزغر ـ اسم قائد عسكري فارسي ـ، وحشر إليه من بين الحيرة وكسكر ومن عرب الضاحية، وعسكروا بالولجة، فسار إليهم خالد واقتتلوا قتالًا شديدًا، فانتصر المسلمون،

(١) Brockelmann. C, **History of Islamic**, p.51.

(٢) بابوإسحق، روفائيل، **تاريخ نصارى العراق**، م.س، ص٥٦.

(٣) السَّلاسل: ماء بأرض جذام، وبذلك سمّيت غزوة ذات السلاسل، فاسم الماء سلسلة، وبه سميت ذات السلاسل، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٣، ص٢٣٣.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٠، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠١ ـ ١٠٢.

(٥) الثَّنيُ: يقال الثني لكل نهر، والثني من كل نهر أو جبل منعطفه، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ٢، ص٨٦.

(٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٠ ـ ٣١٢، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠٢.

وأسروا أُناسًا من قبيلة بكر بن وائل في معركة الولجة[1]، ما سبب في غضب نصارى قومهم، فكاتبت بكر بن وائل الفرس واجتمعوا على أليس وعليهم عبد الأسود العجلي، وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس، فقدم واجتمعت عليه نصارى عجل، وتيم اللات، وضبيعة، وجابر بن بجير، وعرب الضاحية من أهل الحيرة، فسار إليهم خالد بن الوليد، وسبقت المعركة مبارزة فردية، ثم انقضَّ خالد عليهم بهجوم قوي فهزمهم، وما إن انتهى من أليس حتى سار إلى أمغيشيا[2] فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله في ١٢هـ/ ٦٣٣م[3].

ثم خرج آزاذبه وابنه نحو خالد في عسكر كبير، فقتلهم الأخير حتى أتى منهم وهرب آزاذبه، فقصد خالد الحيرة، وسار حتى نزل الخورنق والنجف، وأدخل الحيرة الخيل، وأمر كل قائد من قواده بمحاصرة قصر من قصورها، فكان ضرار بن الأزور محاصرًا للقصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وضرار بن الخطاب محاصرًا قصر العدسين[4]، وفيه عدي بن عدي، وضرار بن مقرن المازني محاصرًا قصب بني مازن وفيه ابن آكّال، والمثنى محاصرًا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح، فدعوهم جميعًا، وأجّلوهم يومًا وليلة، فأبى أهل الحيرة ولجّوا، فناوشهم المسلمون وافتتحوا الدور والأديار وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرهبان: يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم، فصاح أهل القصور: كفّوا عنا حتى تبلغونا إلى خالد، وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح وهو بقيلة، فلما وصل الرؤساء إلى خالد، قال: اختاروا واحدة من ثلاث: إمّا أن تدخلوا في ديننا، وإمَّا الجزية، وإمّا المناجزة[5]، فقد والله أتيتكم بأقوام أحرص على الموت منكم على الحياة، قالوا: بل الجزية، فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفًا في كل سنة، فبعث بالهدايا والفتح إلى أبي بكر الصديق فقبلها، وكتب إلى خالد: أحسب لهم

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٢، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠٢.

(٢) أَمْغِيشِيَا: موضع كان بالعراق، وكانت مصرًا كالحيرة، وينتهي إليها فرات بادقلي وأليس من مسالحها، ياقوت، **معجم البلدان**، م.س، جـ١، ص٢٥٤.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٣ ـ ٣١٥، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠٣.

(٤) ورد: قصر الغريين، بدل: العدسين، والأرجح العدسين، ابن الأثير، **الكامل**، م.س، جـ٢، ص٢٤٣.

(٥) المُنَاجَزَةُ: المبارزة والمقاتلة، وهو أن يتبارز الفارسان حتى يقتل أحدهما الأخر، ابن منظور، **لسان**، م.س، جـ٥، ص٤١٤.

هداياهم من الجزية، وصالحهم في ربيع سنة ١٢هـ/ ٦٣٤م[1]، فالذين دفعوا الجزية هم العباد الذين ظلوا على الديانة المسيحية، أمَّا الباقي فقد اعتنق الإسلام[2]. وفي رواية أخرى أنَّ الحيرة فُتحت على يد سعد بن أبي وقاص في أيام النعمان بن المنذر، وبلغ تعداد جيش الأخير ثمانين ألفًا[3]، وفي تمحيص هذه المقولة نجد أنَّ سعد بن أبي وقاص دخل العراق أيام عمر بن الخطاب سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م، والنعمان بن المنذر قُتل في بلاد الفرس، وتعداد جيش المناذرة بثمانين ألفًا يجعلنا نصطدم بأرقام خيالية يصعب على جيش بهذا العدد التحرك آنذاك في ساحات المعارك، ولو كان هذا الرقم صحيحًا لتغلَّب على جيش المسلمين وهزم الفرس والبيزنطيين.

وبالعودة إلى صلح خالد بن الوليد مع الحيرة، يمكن تلخيص بنود الصلح بما يلي: دفع مائة ألف درهم سنويًا، وأن يكونوا سكان الحيرة عيونًا للمسلمين على أهل فارس، وأن لا يهدم لهم بيعة ولا قصرًا، ولا يغوا المسلمين غائلة[4].

نقض أهل الحيرة الصلح ثلاث مرات: فصالحهم خالد في سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م، فلما كفر أهل السواد بعد موت أبي بكر الصديق استخفّوا بالكتاب وضيّعوه فيمن كفر، وغلب عليهم أهل فارس، فلما افتتحها المثنى بن حارثة ثانيةً، أدلوا بذلك فلم يجبهم إليه، وعاد بشروط أخرى، فلما غلب المثنى على البلاد كفروا واستخفوا وأضاعوا الكتاب، فلما افتتحها سعد بن أبي وقاص، وأدلوا بذلك سألهم واحدًا من الشرطين فلم يجيئوا بهما، فوضع عليهم وتحرّى ما يرى أنَّهم مطيعون[5]، وكان الفتح الأخير في سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م. فالفرس وما يمثلوه من حيثية عسكرية واقتصادية لا يمكن التخلي عنها بسرعة بالنسبة للمناذرة، مقابل سكان مسلمين جدد من أبناء جلدتهم، اعتادوا النظر إليهم بنظرة دونية، فمن الأسباب الاقتصادية لفتح الحيرة أنَّ خالدًا لمَّا سار إليها تحصَّن أهلها بقصورهم فلم يستطع أن يأخذها، ولكنهم لم يستطيعوا أن يستحضروا قطعانهم أو أغنامهم في مكان أمين فتركوها في الخارج، فساق العرب الحيوانات إلى زرعهم الذي لم يكن قد حصد، وعندئذ طلب أهل الحيرة المفاوضة

(١) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، م.س، جـ٢، ص٨٩، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٥ ـ ٣١٧.

(٢) De Lacy O'Leary, **How Greek Science**, p.185.

(٣) الواقدي، **فتوح الشام**، م.س، جـ٢، ص١٨٥.

(٤) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٠.

(٥) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣١٨.

على التسليم(١). ولا نعتقد أنَّ الفرس اتخذوا موقف اللامكترث تجاه الأحداث في الحيرة، فمن المرجَّح أنهم حرَّضوا سكانه على الانتفاضة على الصلح ونقده والتحضُّر لمحاربة المسلمين، وبالمقابل استوعب المسلمون هذا الوضع، وفرضوا عليهم معاهدة صلح لا تستفز سكان الحيرة، ولا تمسُّ مشاعرهم الدينية «فالمعاهدات تُمنح للناس الذين يخضعون بمشيئتهم»(٢)، ولا تَمنح الدول المهزومة في ذلك الوقت.

والواضح أنَّ أبا بكر الصديق كان على علم بحضارة الحيرة وعمرانها، فأسال لعاب خالد بن الوليد وعياض(٣) عليها «فعهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها، وإلى عياض أن يأتي العراق من فوقها، وأيكما ما سبق إلى الحيرة، فهو أمير على الحيرة»(٤). وأُعجب خالد بن الوليد بالحيرة وقصورها فاتخذها منزلًا لسنة(٥). وفي إحدى الأيام دخل على دير هند بنت النعمان بن المنذر، فقال لها: أسلمي حتى أزوّجك رجلًا من المسلمين شريفًا أصلًا يشبهك في حسبك، فقالت: أمّا ديني فمالي عنه رغبة، ولا أبغي به بدلًا، وأمّا التزويج فلو كنت في بقية ما تزوجت، ولا رغبة لي فيه، فكيف وأنا عجوز هامة اليوم، أو غد، قال لها: فسليني حاجة أقضيكها، قالت: أكبر حاجتي هؤلاء النصارى الذين في ذمَّتكم، قال: نعم هذا فرض علينا، أوصانا به نبينا ﷺ، فهل غير هذا؟ قالت: «إنا في هذا الدير ملاصقة لهذه الأعظم البالية من أهل بيتي وملّتي حتى ألحق بهم، وأمر لها بمال وكسوة»(٦)، وسرْدُ هذه الرواية يوضح لنا أنَّ الفتح الإسلامي للحيرة لم يؤثر على النصارى في حال من الأحوال، فأجاز لهم حرية العقيدة وحرمة النفس والمال(٧).

٢ ـ فتح الأنبار

تقدم خالد إلى الأنبار فطاف بخندقهم، ونشب القتال، فتقدم إلى رماته فقال لهم: «إنّي أرى أقوامًا لا علم لهم بالقتال، فارموا عيونهم»، فرموا رشقًا واحدًا ففُقئت

(١) De Lacy O'Leary, **How Greek Science**, p.184.

(٢) Laurance. E. Broune. B.D, **the Eclipse of Christianity**, p.31 - 32.

(٣) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ١، ص١٧٧.

(٤) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٢٢.

(٥) **المصدر نفسه**، ص٣٢١، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠٦.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، **الديارات**، م.س، ص١٦٥، البكري، **معجم ما استعجم**، م.س، جـ٢، ص٦٠٤ ـ ٦٠٥.

(٧) الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة**، م.س، ص٢٩ ـ ٣٠.

ألف عين، فسميت تلك الواقعة ذات العيون، ثم اقتحم الخندق المتحصنين به فقهرهم، وذلك في سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م(١)، ولا نرجّح أنهم رموا السهام ففقئت ألف عين، وهذا الكلام مبالغ به كثيرًا من الناحية العسكرية، فالمعركة بالتأكيد شهدت رمي سهام، فقد رمى أحد الفرس «عمرو بن زياد بن حذيفة بن هشام بن المغيرة بنشابه فقتله ودفن هناك»(٢)، وهذه رواية موضوعية، أمّا سبب تسميتها بذات العيون فربما فُقِئَ كمٌّ محدد من العيون برمي السهام، فلشحن النفوس بالخوف من قوة المسلمين سموها ذات العيون. ويمكن الاستدلال على أهمية فتح الحيرة من الفتوحات التالية لها، والتي بدأت عوارضها بالظهور تدريجيًا من خلال انهيار الجيوش المحاربة المنذرية والفارسية والعربية في وجه المسلمين، وفتح المدن من دون معارك قاسية وطويلة تذكر، وهذا مردُّه إلى «النجاح غير المتوقع لفتح الحيرة؛ ما شجع المسلمين ورفع معنوياتهم العسكرية»(٣).

٣ ـ فتح عين التمر

لما فرغ خالد من الأنبار سار إلى عين التمر، وفيها مهران بن بهرام جوبين، في جمع عظيم من العجم، وعقه بن أبي عقه(٤) في جمع عظيم من العرب من النمر، وتغلب، وإياد، وغيرهم. فقال عقه لبهرام: إنَّ العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدًا، قال مهران: صدقت، وكان الأخير يقصد بانسحابه من المعركة إضعاف جميع العرب والمسلمين، لتُخلى له الساحة، وسار عقه إلى خالد فالتقوا، فأسر خالد عقه وانهزم جيشه من دون قتال»، فلما بلغ الخبر مهران تحصن في الحصن، فوصل إليه خالد فطلب مهران الأمان منه، فأبى فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى، وذلك في ١٢هـ/ ٦٣٣م(٥).

(١) الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٢٢ ـ ٣٢٣، ابن الجوزي، **المنتظم**، م.س، جـ٤، ص١٠٦.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، **الأخبار الطوال**، م.س، ص٨٨.

(٣) Lewis. B, **The Arabs in history**, p.52.

(٤) لم نجد ترجمة لعقَّة، فربما هناك خطأ من الناسخ، فهناك عقبة بن قيس بن البشر بن قيس بن زهير بن عقبة بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان، قتله خالد بن الوليد وصلبه يوم عين التمر، ابن حزم، **جمهرة أنساب**، م.س، جـ٢، ص٣٠١. ورد أن خالد بن الوليد ﷺ صلب عقة بن جشم بن هلال النميري بعين التمر، ابن حبيب، **المحبر**، م.س، ص٤٤٠.

(٥) البلاذري، **فتوح**، م.س، ص٣٤٥، الطبري، **تاريخ الأمم**، م.س، جـ٢، ص٣٢٤.

انقرضت دولة اللخميين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في سنة ١٣هـ/ ٦٣٢م[1]، وهذا الكلام صحيح من ناحية الحدث، ولكنه غير دقيق من جهة موافقة التاريخ الميلادي للهجري، فانقراض دولة المناذرة كان في ١٣هـ/ ٦٣٤م.

(١) البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، م.س، ص١١٨.

الخاتمة

بناءً على ما تقدم وفي ضوء هذه الدراسة، هل كانت مملكة المناذرة مستقلة سياسيًا وتضطلع بدور يتناسب ومصالحها السياسية والاقتصادية، أم كانت ولاية تابعة للفرس؟ وإلى أي مدى أثَّرت وتأثَّرت من الناحيتين الاجتماعية والعلمية بالمحيط الأعجمي والعربي؟

يتبيَّن لنا أنَّ المناذرة انتهجوا سياسة تمخضت عن قيام مملكة يدين شعبها بالولاء لملوكها، عبَّؤوا من خلالها نفوس الشعوب والقبائل الخاضعة لهم بالخوف والهلع، ولم يتوانوا عن استعمال أساليب وحشية في القتل، كالحرق والصلب، وهذا مما تأباه العقول وتَمَجُّهُ الأسماع، وكانوا أصحاب شجاعةٍ، وهمَّةٍ عاليةٍ، وتؤيدهم شعوبهم وتتعاطف معهم، غير أنَّ التسلط العسكري الذي كان في هذه الحقبة من الزمن قد أذلَّ الرجال ولوى أعناقهم، وتصرَّف بالبلاد وبأولي الأمر كما شاء له هواه، فنظرنا إلى هذا التسلط وما نتج عنه كضرورة أمنية أرخت بثقلها الكبير على الحراك السياسي الداخلي، خصوصًا في ظل النتائج الأولية التي حملها تخلّي الفرس عن المناذرة لصالح زعماء قبائل أخرى. ولم يفرَّ المناذرة من تبادل الاعتراف بالدور والحجم للقبائل العربية، على قاعدة أنَّ مواصلة سياسة النعامة وإخفاء الرأس في الرمل إنَّما تحجب رؤية الواقع ولا تلغيه بطبيعة الحال، فابتدعوا مراكز سياسية مرموقة أسندوها إلى رؤساء القبائل التي انطوت تحت لوائهم، لضمان ولائهم السياسي. وتأثرت إدارة مملكة المناذرة بالمنهجية الفارسية بحيث أعطوا الفرس شيئًا من الدينامية لعملية تشكيل المؤسسات الحكومية التي ساعدت المناذرة في إدارة البلاد، حتى أنَّ الملوك المناذرة تشبهوا بالفرس إلى أقصى الحدود، وبَدَوا وكأنهم يتحايلون على التخلف والبداوة الذي اعتاد رسم مسار العرب، فقرروا الاستفادة من الفرس في بناء دولتهم، فكانوا واضعي اللبنة الأولى لبناء الدولة الإسلامية فيما بعد، عبر التقليل من اضطراب الحياة المادية وعدم استقرارها، وتشكيل دولة تحفظ حقوق الناس وأرواحهم وممتلكاتهم، ومجابهة قسوة الحياة الصحراوية المترامية الأطراف.

وكيَّف المناذرة سياستهم تجاه الامبراطوريتين العظيمتين الفرس والبيزنطيين حسب

احتياجاتها، فمن البداية مهّدت الجغرافيا الطريق إلى قيام تحالف منذري فارسي صلب الأسس، ولكنه تعرض لبعض الهزات التي تركت ندبات واضحة في جسم العلاقة، واتضح لنا من خلال دراسة أهمية الموقع الجغرافي لبلاد المناذرة ومضامينه الجيوبوليتيكية أنَّ إطار الموقع الجغرافي أسهم بشكل فاعل في إعطائها أهمية استثنائية في جانبين متناقضين: الأول يتعلق بالمردودات الاقتصادية الناجمة عنه، والآخر يتعلق باعتبار بلاد المناذرة ميدانًا لصراع دولي بين قوى كبرى تحاول كلٌّ منها أن تستخدم المناذرة «كمّاشة» للاستفادة من الثأر. فهي إن صح التعبير عنها بمثابة منطقة عازلة خطيرة بين الفرس والبيزنطيين، ما يترتب عليها مسؤوليات متعددة على الصعيد الذاتي وعلى الصعيد الإقليمي والدولي في آنٍ واحد. فاختار المناذرة تحالفهم مع الفرس على حساب العرب، والذي كان موجهًا بشكل خاص ضد الغساسنة حلفاء بيزنطة. فاستعمل المناذرة أحيانًا والغساسنة كدروع واقية للفرس والبيزنطيين على التوالي؛ ما طرح علامة استفهام حول أهمية موضوع تحالف العرب مع بعضهم بعضًا، من باب استطاعة هؤلاء ـ أي: العرب ـ تأسيس أقوى وأكبر دولة كما حدث في العصور الإسلامية اللاحقة، ليوفروا على أنفسهم ويلات الحرب والدمار، والتي لا تعني إلَّا التخلف والتراجع في مختلف ميادين الحياة، أفما كان من الأجدى أن يتوحد العرب تحت راية العروبة، فهل يتعلم الحاضرون واللاحقون من تجربة من سبقهم من ممالك عربية بأنَّ الوحدة قوة وفي التفرق ضعف وهوان.

والجدير بالذكر أن الفرس أحسنوا استخدام حب العربي للحُكم، بسبب العصبية القبلية والعقلية، التي أجادوا اللعب على أوتارها، فأسندوا الحكم في بلاد المناذرة إلى قبيلة كندة بدل لخم، وما إن أصبح الفرس بحاجة إلى المناذرة وخدماتهم حتى أرجعوهم إلى الحكم، ليرتكب المناذرة مجزرة بحق قبيلة كندة. وليطالعنا استفسار حول استطاعتنا التعلم من تجربة الماضي؟ فرغم هذا الزمن الطويل لم يعمل على إزالة التناقضات القبلية من نفوس العرب.

وهنا لا بد من الاعتراف بأنَّ المناذرة استعملوا أسلوبًا عسكريًا يتناسب مع قدراتهم العسكرية، لأنَّ غايتهم الأولى والأخيرة من الحرب هي السلب والنهب والسبي. ولم يطمحوا إلى استعمال أساليب حصار طويلة الأمد للقلاع والحصون، لذلك نجدهم يستعملون أسلحة تضمن لهم سرعة الكرِّ والفرِّ، فهي سهلة الحمل وسريعة الإصابة للهدف، فهم في أسلوبهم اعتمدوا على خاتمة الأمور وليس بدايتها، ووزَّعوا جيشهم على فرق عسكرية منظمة قتالية جاهزة في أي وقت لخوض غمار أي حرب ضد أي عدو، أو للدفاع عن المملكة ضد أي هجوم، واعتمدوا على وحدة

القيادة، ومركزية القرار، إلى جانب مركز البريد الموزع على جميع أرجاء المملكة، وبفضل هذا التنظيم أضحت أوامر القيادة تُنقل بسرعة بين قطعات الجيش. ومن الأهمية بمكان أن نُعلِّق على معارك المناذرة، فهي لم تكن غير انتصارات في جولات عسكرية لم تحمل في طيّاتها انتصارات فكرية أو ثقافية مهمة. ولكن الخبرات العسكرية المتراكمة للمناذرة استُثمرت بشكل ناجح في الفتوحات الإسلامية فيما بعد. وقد وجدنا أنَّ هناك رقيًا وتخلفًا في آن واحد معًا في سياسة السجون، بحيث أنَّ التفنُّن في مختلف أشكال التعذيب والقتل كان أمرًا تأباه العقول، وفي نفس الوقت اطّلعنا على أسلوب حضاري متطور في إدارة السجون لناحية السماح للعائلة بزيارة السجين والمبيت عنده. فهل يلقى هذا التصرف آذانًا صاغية في معاملة السجناء؟

بالنسبة لنظام الأمن الداخلي والخارجي، فالمعروف أنَّ سياسة العيون لها حصة الأسد في صنع الأمن، فهي تمدُّنا بمعطيات عن تحركات العدو وتكتيكاته بما يؤدي إلى إفشال مخططات عسكرية وإلحاق الفشل في أي هجوم لافتقاده إلى عنصر المفاجئة. وقد دارت أيام عديدة بين المناذرة وأبناء جلدتهم من العرب، وهذا أمر طبيعي، لأنَّ الاختلاف سمة من سمات البشر، ولكن من غير المقبول هو تفاهة الأسباب التي تؤدي إلى اندلاع أيام بين العرب، ومنع الركون إلى الحِلم والعقل بدل الغضب والجهل، بسبب تغلُّب العصبية القبلية الممزوجة بالتخلف العَقلي على تفكير بعضهم، أو محاولة مجابهة الهمِّ والحزن والقلق والطبيعة الصحراوية الصعبة بالانفعالات العصبية. فهل يستطيع العرب الخروج من دوامة الغضب والجهل، والتوجه قدر المستطاع إلى التفكير العقلاني لكبح جماح أيِّ تصرف يؤدي إلى نتائج غير محمودة؟

لقد ارتبط الاقتصاد بالتوسع العمراني نتيجة للزيادة السكانية، فعملت الحكومة على زيادة الأراضي الزراعية من خلال نظام الإقطاع والري، فرغب الفلاحون في العمل الزراعي بسبب توفير الأسواق التجارية لتصريف الإنتاج، والأراضي الزراعية الشاسعة، والمياه لري المزروعات، إلى جانب سعي المناذرة قدر المستطاع إلى تخفيض قيمة الضرائب بما يؤدي إلى ازدهار الزراعة وتوفير الأمن الغذائي للسكان. وانهمك المناذرة في شقِّ ترع الري لاستصلاح الأراضي الصحراوية لجعلها مرفقًا غذائيًا لسكان الحيرة.

وفي السياق نفسه وجدنا هؤلاء يركنون إلى أنواع زراعية تتناسب مع العوامل المناخية والبيئة التضاريسية، كشجرة التمر ونبات القمح، لأنهما يحتملان التخزين لسنوات.

في حين كانت الثروة الحيوانية تسدُّ حيزًا مهمًا في غذاء الإنسان لناحية ألبانها ولحومها، ونال الحصان حيزًا مهمًا أيضًا في حياتهم بما يمثله من صديق يرافق صاحبه وينقله إلى حيثما يريد، واعتمدوا على الإبل في معظم شؤونهم الحياتية بسبب تأقلمه مع الحياة الصحراوية الصعبة، فقد سعى هؤلاء قدر المستطاع إلى الاعتماد على عامل الزراعة وتربية الحيوانات والتجارة لسدِّ أي نقص غذائي أو مواجهة موجة جفاف تجتاح المنطقة، لذلك لم نقرأ عن سنوات جوع أو موت بسبب قلَّة الطعام رغم الأساليب البدائية المستخدمة آنذاك.

وقد سخَّر المناذرة موادَّهم الأولية الموجودة عندهم لمصنوعات اختلفت أنواعها وتنوعت ما بين نسيجية ومعدنية لتُغطي احتياجات المجتمع، ونرى نمطًا ملائمًا لمقتضيات البيئة الصحراوية كما تُلائم الصناعة مقتضيات الجغرافيا الطبيعية في سويسرا، والملاحظ في الخط البياني للصناعة العربية منذ العصر المنذري حتى وقتنا هذا ارتفاع تدريجي بطيء لا يجاري صناعات الدول الأخرى. رغم قِدم الحِرَف والمهن وتوفر المواد الأولية اللازمة للصناعة، ومردُّ ذلك أنها لم تُعطَ حقها من ناحية البحث والاهتمام العلمي، ولم تخضع إلى تطور يتماشى مع متطلبات كل عصر رغم قدمها.

في الواقع استفاد المناذرة إلى أقصى الحدود من موقعهم الجغرافي ليكونوا صلة وصل بين الشرق المتمثل بالفرس وما ورائهم، والغرب الذي يضم الممالك والشعوب العربية، إلى جانب إطلالهم على سواحل الخليج العربي جنوبًا وحدود بيزنطية شمالًا؛ ما أهَّلهم لأن يكونوا عقدة وصل لا بد لأي طريق تجارية إلَّا أن تمرَّ بهم. فمبادئ الجغرافيا لا تزال ثابتة في منطقة شبه الجزيرة العربية وجوارها، وما دامت الجغرافيا السياسية على حالها، رغم ابتعاد الفترة الزمنية وعصرنا الحالي يظل احتمال استفادة الدرس والعبرة قائم. فالعوامل الاقتصادية من زراعة وحرف وتجارة ساهمت بشكل فعّال وأساس في تحويل المجتمع البدوي إلى مجتمع مدني حضاري تمارس فيه مختلف الفعاليات المدنية.

ونتيجة لوجود شكل مركزي لدولة لها ملكها وجيوشها المنظمة، ونظام أمني يختلف عن النظام القبلي إلى حد ما، فقد أدى ذلك إلى ضيق علاقات الإنتاج القبلية القديمة وتمزُّقها، وإحلال علاقات اقتصادية جديدة قوامها التجارة الواسعة والزراعة المستقرة، وما أفرزه هذا النظام الاقتصادي من ظاهرة الأسواق التي لم تكن أسواقًا اقتصادية فحسب؛ بل تضمنت ظواهر اجتماعية وثقافية متكاملة.

مثَّل المناذرة أحلافًا قبلية حلَّت الواحدة منها محل الأخرى، لم تنخرط في وحدة

متكاملة، فاحتوى المجتمع على طبقتين اجتماعيتين، غير أننا لم نقرأ أي انتهاك أو تعذيب لطبقة دونية على طبقة تعلوها. فالواضح أنَّ العدالة الاجتماعية مورست إلى حدٍّ ما من دون استنادها إلى نص مكتوب أو قانون معمول به.

وإنَّ توحيد القبائل العربية سبقته محاولات ناجحة إلى حدٍّ ما، من أهمها محاولات المناذرة. ومما لا شك فيه أنَّ التطور الاجتماعي بلغ آنذاك مرحلة تحددت فيها بوضوح حاجتهم إلى ديانة تتجاوز الاختلافات القبلية وتجمع كلمة القبائل تحت لواء المناذرة، فكانت الديانة المسيحية التي أسهمت في توحيد كلمة القبائل المنطوية تحت لواء المناذرة نوعًا ما، ولكنها لم تمتد إلى جماعات أخرى، بسبب تمسُّك بعضهم بعبادة تعتمد في المقام الأول على المعبود الخاص بكل قبيلة، سواء تمثَّل هذا المعبود في الأصنام أو الأوثان أو في الكواكب وظواهر الطبيعة، أو حتى في الأرواح التي تسكن هذه الأشياء، وهي بمجملها عبادات مورست بشكل ساذج وسطحي من قِبَل المناذرة، ومعنى هذا أنه لم يكن لديهم إحساس ديني عام يمكن أن يجمع شملهم أو يقارب درجة التوحيد الديني، أو حتى الالتفاف حول عدد رئيس للمعبودات بدلًا من تشتتها وتبعثرها بهذا الشكل، فهذا الإحساس الديني الجماعي هو الذي تقوم الدول والحضارات - ضمن ما تقوم - على أساسه، نظرًا لاشتماله على وعي الأمة بذاتها وتميزها عن غيرها. ومما لا شك فيه أنَّ التطور الاجتماعي للمناذرة بلغ آنذاك مرحلة تحدَّدت فيها بوضوح حاجتهم إلى ديانة تتجاوز الاختلافات القبلية وتجمع كلمة العرب، وكان في الإسلام استجابة لهذه الحاجة المُلحَّة وللمستوى الحضاري الذي بلغه المناذرة آنذاك.

لقد فضَّل المناذرة الأولاد الذكور على الإناث، بل أكثر من ذلك، فقد تعرضت الإناث لأقبح عمل عُرف عبر التاريخ، حيث كانوا يئدون المولودة الأنثى؛ ما حثَّ الحضارات المتتالية بعدهم إلى إعطاء المرأة حقوقها ومساواتها بالرجل في الكثير من المسائل، ولكن يجب الانتباه إلى أنَّ عادة وأد البنات لم تكن متَّبعة عند كافة القبائل المنضوية تحت حكم المناذرة، بل اقتصرت على بعض البطون والعشائر، فالمعيار لم يكن ثابتًا، بحيث حصلت المرأة على حقوق كثيرة أقل ما يقال إنَّها كانت تطلِّق زوجها، وهنا يجب أن لا نخدع التاريخ في ماضيه فنمثله شوكًا لا زهر فيه، حيث أقرَّ الإسلام بعض العادات والتقاليد المنذرية واعترف بوجودها وقيمتها بعد تعديل بسيط يتناسب مع مبادئ وأوضاع العصر الجديد، فكثير من النظم المنذرية أصبح جزءًا من النظم الإسلامية ومن القانون الذي يسير عليه المسلمون حتى الآن.

قدَّم المطبخ ألذ الأطباق وأشهى المشروبات، فالطبيعة أنعمت عليهم بأنواع

متعددة من الأشجار والنباتات بالإضافة إلى الثروة الحيوانية، وما تزال بعض المأكولات التي تعتبر من اختراع المناذرة، تستخدم حتى يومنا هذا في المطبخ العربي، وإن كان قد دخلها بعض التعديلات أو التحسينات، لكن الأُسس ما تزال كما كانت في عصرهم، والخمر في ذلك الوقت كان بمثابة «حبل السُرَّة» لكثير من الأفراد، فتخلق عالمًا وهميًا من نوع آخر، إنه عالم يقوم على النسيان المتعمَّد والتذاهل، فتوهَّم شاربها أنها قادرة على احتواء الزمان وتوجيهه نحو ما يريد.

وفي كل بقعة جغرافيا يجبر المناخ الإنسان على ارتداء نوع معين من الألبسة، فصنع المناذرة أنواعًا تتناسب وطبيعتهم المناخية. وتبرَّجت النساء وتزينت بأجمل المجوهرات لتظهر أنيقة تلفت نظر الرجل، فالكثير من الألبسة وأدوات الزينة التي كانت من ابتداعهم ما تزال تترك أثرًا واضحًا في حياة سكان العراق حتى يومنا هذا، حتى إنَّ بعض التسميات ما تزال على حالها.

لم يُسلّم المنذري نفسه لثقافة الطبيعة الصحراوية الساذجة، بل حاول التمرد على بعض هذه الأعراف الصارمة، محاولًا قدر الإمكان تقوية التسبب العقلي عنده، وإحسانه لربط المسببات بأسبابها ربطًا حكيمًا، وهذا طبيعي لأنهم كانوا سكان مدن، شَجَّع ملوكهم الحياة العلمية والأدبية، ويجب أن لا ننظر نظرة عابرة أو خاطفة إلى كتابتهم وشعرهم. فكان لهم اليد الطولى في تعليم الكتابة ونقلها إلى المدن والممالك العربية الأخرى، وهنا تكمن أهمية انتشار هذا الخط الحيري في بلاد العرب وقدرته على إخفاء الخطوط السابقة المشتقة من المسند، بسبب قوة الثقافة المنذرية وتغلُّبها على باقي الثقافات، ويُعزى ذلك إلى دور الأديرة والكنائس، فقد كانت اللغة السريانية همزة وصل بين العرب والثقافات الأخرى، حيث نشطت حركة الترجمة، فأصبح للمنذري ابتكارات واختراعات في الطب والصيدلة، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ نخبة من علماء النصارى خدموا الخلفاء المسلمين واستمروا طيلة قرون طويلة قادة النهضة العلمية في أغلب الميادين العلمية والأدبية.

وحقًا شاعت عندهم الحكمة والفلسفة، ولكن ليس بمعناها الذي نعرفه اليوم، وإنَّما بمعنى الخبرة التي تصورها عبارة شعرية أو حكمة قصيرة. لا يستلزم الغناء في نشأته وتطوره الانتقال من بلد إلى آخر، لأنَّه عامل جسماني يصدر من الشعوب مهما كانت فطرتها، أما الآلات الموسيقية فهي على النقيض من ذلك تمامًا، فنشأتها وتطورها يرجع إلى عامل مدني بحت، وقد أثَّر وتأثَّر المناذرة بالفرس والبيزنطيين بصنع الآلات الموسيقية، واعتُرف لهم بالفضل والسبق في كثير من الآلات التي ما تزال معتمدة حتى عصرنا هذا، وتُعتبر أساسًا في الموسيقى، إذ الآلات الموسيقية

هي من صنع الإنسان المتأثر بتيارات الحضارات البشرية والمتنقل من بلد إلى أخر ومن حضارة إلى حضارة أخرى.

أما في موضوع البناء فبرز لدينا علم أسَّس لنهضة عمرانية لاحقة ارتكزت على نوعين أساسين: **الأول**: القصور، **والثاني**: الأديرة. تحول البناء من ضرب الخيام إلى اعتماد منشآت عمرانية مبنية من اللِّبن والآجُر ومطلية بالكلس، بما يوحي بتطور فن العمران والانتقال إلى نمط الحياة المستقرة، فاعتماد البناء المحكم المحاط بأسوار المبنية من مواد أولية طبيعية متوفرة كان له عظيم الأثر في تصميم المدن الإسلامية فيما بعد، فالبناء المنذري تمتع بخصائص متفوقة تتمثل في الجدران السميكة واللون الأبيض للمحافظة على اعتدال درجات الحرارة صيفًا وشتاءً. فالمناذرة كانوا عنصرًا أساسًا في تأسيس الفن المعماري العربي ولم يكونوا عنصرًا ثانويًا، ويُعزى السبب في اندثار آثار هذه القصور والأديرة إلى حاجة المسلمين في مواد بنائها التي نقلوها من الحيرة إلى الكوفة. ومن ناحية أخرى استعان المناذرة بالبيزنطيين لتطوير حصونهم بشكل أرقى. والباحث في يومنا هذا يرى أن العمارة العراقية تمرُّ بخصوصية مقلقة، بحيث باتت المشكلة تهمُّ المعماريين والمهندسين في العراق الذي ازدهرت العمارة فيه بالحيرة ووصلت إلى مرتبة عالية آنذاك وأصبح لها شخصية معمارية مميّزة تضعها في مصافِّ أرقى الفنون المعمارية بين حضارة الممالك العربية، فيراها الباحث اليوم وقد نُبذت بكل أسف جملةً وتفصيلًا.

على أنَّ أمورًا أخرى كانت قد بدأت تستجدُّ في وسط شبه الجزيرة في ذلك الوقت بحدود أوائل القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، حيث كان الرسول ﷺ قد بدأ يُرْسي في منطقة الحجاز الدعوة الإسلامية الوليدة، وقد قُدّر لهذه الدعوة أن تُغيِّر مجرى التاريخ لقرون طويلة تالية، وأن تُغيِّر معه كل ما يتَّصل بالمجال الدولي من علاقات وأبعاد. فالمناذرة أسَّسوا للدولة الإسلامية من خلال الوحدة المتكاملة التي سعوا إلى أحلال جميع القبائل العربية فيها، وإن كانت قد أُجهضت هذه المحاولات قبل الإسلام غير أنَّه لا يمكن إلغاء دورها التأسيسي في قيام الدولة الإسلامية الموحَّدة.

طَرَحنا تجربة مملكة عربية سيق بحقها الكثير من التُهم والتجنّي والتخلُّف والجهل والتبعية للفرس، فنأمل أن يكون بحثنا هذا قد أماط اللثام عن حقائق تاريخية عُمد إلى إخفائها وطمسها، ويمكن النظر إلى تاريخ المناذرة على أنَّه رسم الخطوط الأولى لقيام الدولة الإسلامية اللاحقة، بل إنَّ المنجَزات الحضارية التالية للمناذرة لم تكن لتنجح وتتبلور لولا تاريخ المناذرة.



الملاحق

الملحق رقم (١)

نقش النمارة

1. תי נפש מראלקיש בר עמרו מלך אל-ערב כלה דו אשר אל-תג
2. ומלך אל-אשדין ונזרו ומלוכהם והרב מדחגו עכדי וגא
3. בזגי (?) פי הבג נגרן מדינת שמר ומלך מעדו ונזל בניה
4. אל-שעוב ווכלה לפרש ולרום פלם יכלע מלך מבלעה
5. עכדי הלך שנת 200 + 20 + 3 יום 7 בכשלול בלשעד [ד]ו ולדה

١ - «هذه هو قبر امرئ القيس بن عمرو، ملك جميع العرب، ذلك الذي كُلِّل بالتاج.

٢ - ذلك الذي أخضع (قبيلتي) أسد و(قبيلة) نزار وملوكها، هذا الذي شتت شمل مذحج حى يومنا هذا.

٣ - نجاحًا (؟) في حصار نجران، بمدينة شمار، ذلك الذي أخضع (قبيلة) معد، ذلك الذي ولى أولاده.

٤ - على القبائل وندبهم لدى الفرس والرومان. لم يصل ملك إلى مجده.

٥ - حتى يومنا هذا. ومات عام ٢٢٣ في السابع من كسلول. لتنعم ذريته بالسعادة!»[1].

(١) ديسو، رنيه، **العرب في سوريا**، م.س، ص٣٣، ٣٤.

ملحق رقم (٢)

نقش أم الجمال

تاريخه سنة ٢٧٠ للميلاد. وكلماته هي: «سلي» - وهو اسم علم (الكلمة الثانية في السطر الثاني)، و«جذيمة» (الكلمة الأخيرة في السطر نفسه)، و«ملك» (الكلمة الأولى في السطر الثالث)[1].

(١) أسد، ناصر الدين، **مصادر الشعر الجاهلي**، م.س، ص٢٥، ٢٦.

الملحق رقم (٣)

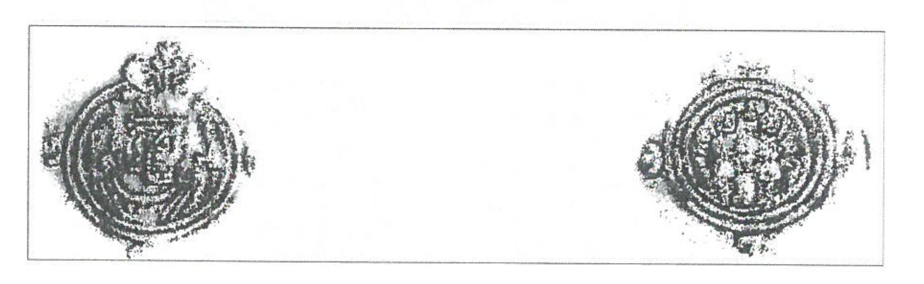
«معد يكرب يعفر ملك سبأ [و]ذوريدان [و]حضرموت [و]يمنات وأعرابها بالنجاد والتهام» أمر بنقش هذا الرقيم بمأسل جمحان. وقد اضطلع معد يكرب بالحملة لأن عرب ق س د م «المستعمرات العسكرية» طلبوا منه العون بسبب غارة المنذر عليهم. وقد تقاتل معه جيش معد يكرب الذي كان يضم «قبائل سبأ وحمير ورحبتن وحضر موت ويهن مع أعرابهم كدت ومذحج، ومع بني ثُعلبت ومدرّ» ـ وب ع م / ء ع ر ب هـ م و / ك د ت / و م ذ ح [ج م] / و ب ع م / ب ن ي / ت ع ل ب ت / و م ذ ر (السطران السابع والثامن). هذا وقد نُصب الرقيم في شهر ذي قيظان عام ٦٣١ (الموافق ٥١٦ ميلادية)[١].

---

(١) بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا، **العرب على حدود**، م.س، ص٩٨.

الملحق رقم (٤)

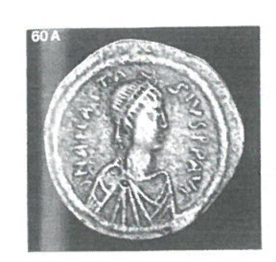
نموذج الدرهم الفارسي في العهد الساساني



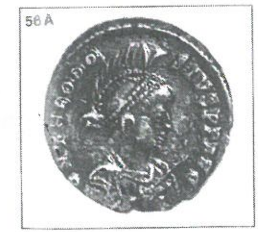
درهم فضي ساساني ضُرب في عهد خسرو الثاني (٥٩٠ ـ ٦٢٧م) كان يُستعمل كعملة في صدر الإسلام.

الملحق رقم (٥)

نموذج الدينار البيزنطي











مسكوكات العالم القديم والإسلامي، البنك العربي، طبع أكواميديا، الأردن، ١٩٩١م، ص٤٣.

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والشعوب

فهرس الأماكن

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

١ ـ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٢ ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، ١٠ أجزاء، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٨٧م.

٣ ـ ابن بطريق، أفتيشيوس المكنى بسعيد (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، **كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**، جزآن، مطبعة الآباء اليسوعين، بيروت، ١٩٠٥م.

٤ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ١٨ جزء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، طـ٢، بيروت، ١٩٩٥م.

٥ ـ ابن حبيب، أبو جعفر محمد ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب، طـ١، بيروت، ١٩٨٥م.

ـ **المحبّر**، تحقيق سيد كسروى، نشر دار الغد العربي، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٠م.

ـ **أسماء المغتالين من الإشراف في الجاهلية والإسلام**، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ٢٠٠١م.

٦ ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٨٣م.

٧ ـ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، **صورة الأرض**، جزآن، طبع في بريل، ليدن، طـ٢، ١٩٣٨م.

٨ ـ ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٩ ـ ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، طـ٢، صيدا، ١٩٩٧م.

١٠ ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، ٨ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت، ١٩٦٨م.

١١ ـ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، **الاشتقاق**، جزآن، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر مؤسسة الخانجي، مصر، ١٩٥٨م.

١٢ ـ ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/ ٩١٣م)، **الأعلاق النفيسة**، تحقيق خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٩٨م.

١٣ ـ ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، جزآن، منشورات دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ٢٠٠١م.

١٤ ـ ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، جزآن، تحقيق نصرت عبد الرحمٰن، مكتبة الأقصى، عمان، (د.ط)، ١٩٨٢م.

١٥ ـ ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م)، **كتاب النسب**، تحقيق مريم محمد خير الحرع، دار الفكر، طـ١، بيروت، ١٩٨٩م.

١٦ ـ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، **العقد الفريد**، ٩ أجزاء، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، طـ٣، بيروت، ١٩٨٧م.

١٧ ـ ابن غرسيه، أبو عامر، **رسالة ابن غرسيه، نوادر المخطوطات**، ٨ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، طـ١، القاهرة، ١٩٥٤م.

١٨ ـ ابن فقيه الهمذاني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، **كتاب البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، طـ١، بيروت، ١٩٩٦م.

١٩ ـ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء**، تحقيق مفيد قميحة ونعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، طـ٢، بيروت، .١٩٨٥

ـ **عيون الأخبار**، مجلدان، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٨٦م.

ـ **الأنواء في مواسم العرب**، (د.م)، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

ـ **من كتاب المعارف**، جزآن، تحقيق منير عبد القادر حديد، منشورات وزارة الثقافة، (د.ط)، دمشق، ٢٠٠٠م.

٢٠ ـ ابن الكلبي، هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب(ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، **نسب معد واليمن الكبير**، ٣ أجزاء، تحقيق محمود فردوس العظيم، دار اليقظة العربية، سوريا، ١٩٨٣م.

ـ **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، طـ٣، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢١ ـ ابن المستنير، أبو علي بن محمد (ت بعد ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، **كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية**، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسه الرسالة، طـ٢، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٢ ـ ابن مسكويه، أبو علي الرازي (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، **تجارب الأمم**، جزآن، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طـ١، طهران، ١٩٨٧م.

٢٣ ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، ٥ أجزاء، دار صادر، طـ٣، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٤ ـ ابن نباته، جمال الدين محمد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، **سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق محمد قطة العدوي، مطبعة الأميرية ببولاق، طـ١، مصر، ١٨٦١م.

٢٥ ـ ابن النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)، **شرح القصائد المشهورات**، جزآن، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٦ ـ ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك المعافرى (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، **السيرة النبوية**، ٤ أجزاء، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، طـ١، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٧ ـ ابن واصل الحموي (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، **تجريد الأغاني**، ٣ أقسام، تحقيق طه حسين، وإبراهيم الأبياري، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢٨ ـ أبو البقاء هبة الله الحلى (توفي في النصف الأول القرن السادس للهجرة/ القرن الثاني عشر الميلادي)، **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية**، جزآن، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، وصالح موسى دراكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، طـ١، الإمارات، العين، ٢٠٠٠م.

٢٩ ـ أبو حنيفة الدينوري، بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، كتاب **النبات**، جـ٣ والنصف الأول من الجزء٥، تحقيق برنهار دلفين، دار النشر فرانزشتا ينزبفيسبادن، طبع في دار القلم، بيروت، ١٩٧٤م.

ـ **الأخبار الطوال**، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، طـ١، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٠ ـ أبو زيد، محمد بن أبي الخطاب (ت حوالي ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٨٦م.

٣١ ـ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **المختصر في أخبار البشر**، جزآن، تحقيق محمود ديوب، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٢ ـ أبو الفرج الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمٰن بن مروان بن عبد الله بن عبد مناف (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، **الديارات**، تحقيق جليل عطية، رياض الريس للكتب والنشر، طـ١، لندن، ١٩٩١م.

ـ **الأغاني**، ٢٤ جزء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣٣ ـ الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧م.

٣٤ ـ الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، مطبعة المعارف، طـ١، بغداد، ١٩٥٩م.

ـ **الأصمعيات**، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، طـ٢، مصر، ١٩٦٤م.

٣٥ ـ الأنباري، أبو بكر محمد القاسم (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، طـ٥، القاهرة، (د.ت).

٣٦ ـ البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، جزآن، تحقيق مصطفى السقا، نشر مكتبة الخانجي، طـ٣، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٧ ـ البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، ٣ أجزاء، تحقيق، مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طـ١، القاهرة، ١٩٨٢م.

٣٨ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر داوود البغدادي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (د.ط)، بيروت، ١٩٧٥م.

ـ **رسالة في النقود**، تحقيق إنستاس الكرملي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، طـ٢، بور سعيد، ١٩٨٧م.

٣٩ ـ التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، **المستجاد من فعلات الأجواد**، تحقيق محمد كرد علي، (د.ن)، دمشق، ١٩٧٠م.

٤٠ ـ التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، **كتاب أيام العرب قبل الإسلام**، جزأن، تحقيق عادل جاسم البياتي، عالم الكتاب، طـ١، بيروت، ١٩٨٧م.

ـ **كتاب الديباج**، تحقيق عبد الله بن سليمان الجربوعي، وعبد الرحمٰن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، طـ١، القاهرة، ١٩٩١م.

٤١ ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٥٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، ١٩٦٥م.

ـ **تاريخ غرر السير المعروف بكتاب أخبار ملوك الفرس وسيرهم**، (د.م)، مكتبة الأسدي، ميدان بهمارستان طهران، طـ٢، ١٩٦٣م.

٤٢ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، **الحيوان**، ٧ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، طـ١، مصر، ١٩٣٨م.

ـ **البيان والتبين**، ٤ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، طـ٣، القاهرة، ١٩٦٨م.

ـ **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، تحقيق مرسى الخولى، دار الاعتصام للطبع والنشر، (د.ط)، بيروت، ١٩٧٢م.

٤٣ ـ الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، طـ٣، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤٤ ـ الحربي، إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله أبو إسحاق (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (د.ط)، الرياض، ١٩٦٩م.

٤٥ ـ حمزة الأصفهاني، بن الحسن أبو الفرج (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، (د.ت).

ـ **الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة**، جزآن، (د.م)، دار المعارف، مصر، ١٩٩٦م.

٤٦ ـ الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، **الحور العين**، تحقيق كمال مصطفى، (د.ن)، طهران، (د.ط)، ١٩٧٢م.

٤٧ ـ الحميري، محمد ابن عبد المنعم (ت حدود ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق حسان عباس، مكتبة لبنان، طـ٢، بيروت، ١٩٨٤م.

٤٨ ـ الخوارزمي، أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، **مفاتيح العلوم**، تحقيق جودت فخر الدين، دار المناهل للطباعة والنشر، طـ١، بيروت، ١٩٩١م.

٤٩ ـ الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، **تاج العروس**، ٢٠ جزء، تحقيق علي بشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م.

٥٠ ـ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، **المستقصى في أمثال العرب**، جزآن، (د.م)، دار الكتب العلمية، طـ٢، بيروت، ١٩٨٧م.

٥١ ـ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله ابن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، **الروض الأنف**، ٤ أجزاء، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، طـ١، بيروت، ١٩٨٩م.

٥٢ ـ الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، **الديارات**، تحقيق كوركيس عواد، منشورات مكتبة المثنى، مطبعة المعارف، طـ٢، بغداد، ١٩٦٦م.

٥٣ ـ شمس الدين محمد بن علي بن محمد (من رجال القرن الثامن للهجري/ الرابع عشر الميلادي)، **البدور المسفرة في نعت الأديرة**، تحقيق هلال ناجي، دار الحرية للطباعة، العراق، ١٩٧٥م.

٥٤ ـ الصاحبي، محمد بن كامل التاجي (ت القرن السابع الهجري/ القرن الرابع عشر الميلادي)، **الحلبة في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام**، تحقيق عبد الله الجبوري، النادي الأدبي، الرياض، ١٩٨١م.

٥٥ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، ٦ أجزاء، (د.م)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ٢٠٠١م.

٥٦ ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م)، **كتاب الأوائل**، تحقيق محمد السيد الوكيل، نشر أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة، (د.ط)، ١٩٦٦م.

ـ **جمهرة الأمثال**، جزآن، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٧ ـ عمر بن متى (توفي حوالي النصف الأول من القرن الثامن للهجري/ النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي)، **أخبار فطاركة كرسي المشرق**، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٦م.

٥٨ ـ العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **مسالك الأبصار**، ٢٢ جزء، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، المجمع الثقافي أبو ظبي، (د.ط)، ٢٠٠٣م.

٥٩ ـ الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، **كتاب الموسيقى الكبير**، ٣ أجزاء، تحقيق غطاس عبد الملك خشبه ومحمود أحمد الحنفى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

٦٠ ـ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، **الأيام والليالي والشهور**، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

٦١ ـ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، **كتاب الأمالي**، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٦٢ ـ قدامة، أبو الفرج بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، **نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩، نشر دار صادر، بيروت، (د.ت).

٦٣ ـ القزويني، زكريا محمد بن محمد (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، ١٩٦٠م.

٦٤ ـ القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، **تأريخ الحكماء**، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

٦٥ ـ ماري بن سليمان، (توفى حوالي القرن الثامن للهجري/ القرن الرابع عشر الميلادي)، **أخبار بطاركة كرسي المشرق**، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٩م.

٦٦ ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية**، جزآن، تحقيق عبد الرحمٰن عميرة، دار الإعتصام، (د.ت).

٦٧ ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ أجزاء، تحقيق يوسف أسعد داغر، دار الاندلس، طـ١، بيروت، ١٩٦٥م.

٦٨ ـ المطهر المقدسي، بن طاهر (ت حوالي ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)، **كتاب البدء والتأريخ**، ٣ أجزاء، (د.ت)، دار صادر، (د.ط)، بيروت، ١٨٩٩م.

٦٩ ـ المفضل بن سلمة، أبو طالب بن عاصم (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٤م)، **الفاخر**، تحقيق عبد العليم الطحاوي، الجمهورية العربية المتحدة، دار إحياء، الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، طـ١، ١٩٦٠م.

٧٠ ـ المفضل الضبي، بن محمد بن يَعْلى بن عامر بن سالم (ت١٧٨هـ/ ٧٩٤م)، **المفضليات**، تحقيق أحمد محمود شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، طـ٤، مصر، ١٩٦٣م.

٧١ ـ الميداني، أبو الفضل أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، **مجمع الأمثال**، جزآن، تحقيق نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٨٨م.

٧٢ - النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ١٧ جزء، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

٧٣ - الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، **فتوح الشام**، جزآن، تحقيق عمر أبو النصر، منشورات المكتبة الأهلية، طـ١، بيروت، ١٩٦٦م.

- **كتاب الردة**، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الاسلامي، طـ١، بيروت، ١٩٩٠م.

٧٤ - ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، (د.م)، نشر دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م.

٧٥ - اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، **تاريخ اليعقوبي**، جزآن، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ١٩٩٩م.

- **البلدان**، تحقيق أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ٢٠٠٢م.

٧٦ - اليوسي، نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد (ت ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) **زهرة الأكم في الأمثال والحكم**، ٣ أجزاء، تحقيق محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، طـ١، ١٩٨١م.

ثانيًا: المصادر السريانية المعرَّبة

١ - إيليا برشينا، أوالنصبيني، الأب القديس مار إيليا مطران نصيبين المعروف بابن السني (ت ٤٣٧هـ/ ١٠٤٦م)، **تاريخ إيليا برشينايا**، عربه من السريانية د. يوسف حبي، مطبوعات جمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٥م.

٢ - مار ميخائيل الكبير ابن ايليا آل قنداسي السرياني، **تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية**، ٣ أجزاء، عربه عن السريانية مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، طـ١، حلب، ١٩٩٦م.

ثالثًا: المراجع العربية

١ - الأسد، ناصر الدين، **القيان والغناء في العصر الجاهلي**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.

- **مصادر الشعر الجاهلي**، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.

٢ - الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب**، مطابع دار الفكر، طـ٢، دمشق، ١٩٦٠م.

٣ - أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، طـ١٠، بيروت، ١٩٦٩م.

٤ - الأنصاري، أحمد حمودي، **من ذبائح ونذور الجاهلي**، مجلة التراث الشعبي، دار الجاحظ للنشر، العدد الرابع، السنة الثالثة عشر، نيسان، ١٩٨٢م.

٥ - بابو إسحاق، روفائيل، **مدارس العراق قبل الاسلام**، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٥م.

٦ - باشا، أحمد تيمور، **الموسيقى والغناء**، نشر لجنة المؤلفات التيمورية، طـ١، القاهرة، ١٩٦٣م.

٧ - البغدادي، علي الظريف الأعظمي، **تاريخ ملوك الحيرة**، المكتبة السلفية، (د.ط)، مصر، ١٩٢٠م.

٨ - الجبوري، يحيى، **الملابس العربية من الشعر الجاهلي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م.

٩ - الجندي، علي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، دار مكتبة الجامعة العربية، طـ٣، بيروت، ١٩٦٦م.

١٠ - جميل، نينا، **الطعام في الثقافة العربية**، رياض الريس للكتب والنشر، طـ١، لندن، ١٩٩٤م.

١١ - حداد، شفيق مخائيل، **التبرج واللباس عند العرب**، دار العلوم العربية، طـ١، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٢ - الحسيني، عبد الرزاق، **العراق قديمًا وحديثًا**، منشورات دار اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٢م.

١٣ - الحسيني، عبد المحسن، **تقويم العرب في الجاهلية**، مطبعة الإسكندرية، ١٩٦٣م.

١٤ - الحفني، محمود أحمد، **علم الآلات الموسيقية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

١٥ - خلف، جاسم محمد، **جغرافية العراق الطبيعية والإقتصادية والبشرية**، دار المعرفة، طـ٣، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٦ - الخليفة، عبد الله بن خالد، **البحرين عبر التاريخ**، المطبعة الشرقية، البحرين، ١٩٧٠م.

١٧ - رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، جزآن، دار المكشوف، طـ١، بيروت، ١٩٥٥م.

- **كنيسة مدينة إنطاكية**، ٣ أجزاء، منشورات المكتبة البولسية، طـ١، لبنان، ١٩٨٨م.

١٨ - الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، طـ١٠، بيروت، ١٩٩٢م.

١٩ - زناتي، محمود سلام، **نظم العرب**، (د.ن)، طـ١، ١٩٩٢م.

٢٠ - الزيات، حبيب، **الديارات النصرانية في الإسلام**، دار المشرق، طـ٣، بيروت، ١٩٩٩م.

٢١ ـ زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، دار الهلال، القاهرة، (د.ت).
٢٢ ـ سالم، عبد العزيز، **تاريخ العرب في العصر الجاهلي**، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ٢٠٠٢م.
٢٣ ـ سحاب، فيكتور، **إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف**، كومبيونشر: المركز الثقافي العربي، طـ١، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٤ ـ السقاف، أحمد محمد زين، **الأوراق**، مطابع دار الكشاف، طـ١، بيروت، ١٩٥٤م.
٢٥ ـ سقال، ديزيره، **العرب في العصر الجاهلي**، دار الصداقة العربية، طـ١، بيروت ١٩٩٥م.
٢٦ ـ سلامة، عبد الحميد، **قضايا الماءعند العرب قديمًا: من الجاهلية القرن ٦م إلى القرن (١١هـ/١٧م)**، دار الغرب الإسلامي، طـ١، بيروت، ٢٠٠٤م.
٢٧ ـ الشاعر، محمد فتحي، **السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي، عصر جوستنيان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٩م.
٢٨ ـ شرف الدين، عمر، **الشعر في ظل المناذرة والغساسنة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٧م.
٢٩ ـ الشطي، عبد الفتاح عبد المحسن، **إمارة الحيرة الجاهلية تاريخيًا وحضاريًا**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.
٣٠ ـ شمس الدين، إبراهيم، **مجموعة أيام العرب في الجاهلية والإسلام**، دار الكتب العلمية، طـ١، بيروت، ٢٠٠٢م.
٣١ ـ شيخو، لويس، **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**، دار المشرق، طـ٢، بيروت، ١٩٨٩م.
٣٣ ـ شير، أدي، **مدرسة نصيبين الشهيرة**، طبع في المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعين، بيروت، ١٩٠٥م.
ـ **تاريخ كلدو واثور**، جزآن، طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، جـ١، ١٩١٢، وجـ٢، ١٩١٣م.
٣٤ ـ صبحي أنور، **الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية**، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٥م.
٣٥ ـ الصمد، واضح، **الصناعات والحرب عند العرب في العصر الجاهلي**، المؤسسة الجامعية للطبعة والنشر، طـ١، بيروت، ١٩٨١م.
٣٦ ـ ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، دار المعارف، طـ١٢، القاهرة، ١٩٦٠م.
٣٧ ـ الطريحي، محمد سعيد، **الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها**، مطبعة المثني، طـ١، بيروت، ١٩٨١م.

٣٨ ـ عاقل، نبيه، **تاريخ العرب القديم وعصر الرسول**، (د.ن)، دمشق، ١٩٦٨م.
٣٩ ـ عبد الرزاق، ناهض، **المسكوكات**، طبع في مطابع دار السياسة الكويت، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، (د.ت.).
٤٠ ـ عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، جزآن، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت.).
٤١ ـ عكاشة، محمود أبو المعاطي، **الحكم القبلي في العصر الجاهلي**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠٠٢م.
٤٢ ـ علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب**، ١٠ أجزاء، جامعة بغداد، طـ٢، بغداد، ١٩٩٣م
٤٣ ـ العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، مكتبة المثنى، طـ٤، بغداد، ١٩٦٨م.
ـ **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، طـ١، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤٤ ـ فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، ٦ أجزاء، دار العلم للملايين، طـ٦، بيروت، ١٩٩٢م.
٤٥ ـ الفيومي، محمد إبراهيم، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، دار الفكر العربي، طـ٤، القاهرة، ١٩٩٤م.
٤٦ ـ قاشا، سهيل، **الكنيسة العراقية إزاء الإضطهادات الفارسية**، مكتبة السائح، طـ١، طرابلس، ٢٠٠٦م.
٤٧ ـ الكرملي، أنستاس، **النقود العربية والإسلامية وعلم النميات**، نشر مكتبة الثقافة الدينية، طـ٢، بور سعيد، ١٩٨٧م.
٤٨ ـ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدول العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، طـ٣، القاهرة، ١٩٦٥م.
٤٩ ـ محمود، محمود عرفة، **العرب قبل الإسلام**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.
٥٠ ـ المعطي، علي، **تاريخ العرب الإقتصادي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني، طـ١، بيروت، ٢٠٠٣م.
ـ **تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني، طـ١، بيروت، ٢٠٠٤م.
ـ **تاريخ النقود العربية والإسلامية**، دار المنهل اللبناني، طـ١، بيروت، ٢٠٠٨م.
٥١ ـ مؤنس، حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، طـ١، القاهرة، ١٩٨٧م.

٥٢ ـ النص، محمد إحسان، **قبيلة إياد منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي**، حوليات كلية الآداب، جامعة للكويت، الحولية الثامنة، الرسالة السابعة والأربعون، ١٩٨٧م.

٥٣ ـ هبو، أحمد رحيم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب، طـ٢، سوريا، ١٩٨١م.

٥٤ ـ هلال، هيثم جمعة، **حروب ومعارك العرب في الجاهلية**، دار المعرفة، طـ١، بيروت، ٢٠٠٤م.

٥٥ ـ يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، طـ١، بيروت، ١٩٧٨م.

٥٦ ـ مسكوكات العالمين القديم والإسلامي، البنك العربي، طبع أكواميديا، الأردن، ١٩٩١م.

٥٧ ـ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، طـ٢، الرياض، ١٩٩٩م.

رابعًا: المراجع المعرَّبة

١ ـ بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ٦ أجزاء، ترجمة عبد الحليم نجار، دار المعارف، طـ٤، القاهرة، (د.ت).

٢ ـ بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م.

٣ ـ جارجي، سيمون، **الموسيقى العربية**، ترجمة عبد الله نعمان، المنشورات العربية، (د.ت).

٤ ـ حوراني، جورج فضلو، **الملاحة في المحيط الهندي من العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى**، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.

٥ ـ دوبولس، خريسوستمس بابا، **تاريخ كنيسة انطاكية**، تعريب استفانس حداد، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٤م.

٦ ـ ديسو، رنيه، **العرب في سوريا قبل الاسلام**، ترجمة عب الحميد الدواحلي، دار الحداثة للطباعة والنشر، طـ٢، بيروت، ١٩٨٥م.

٧ ـ سيديو، **خلاصة تاريخ العرب**، دار الآثار، طـ٢، بيروت، ١٩٧٩م.

٨ ـ لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الشريف الرضى، قم، طـ٤، ١٩٥٤م.

٩ ـ ماسينيون، لويس، **خطط الكوفة وشرح خريطتها**، ترجمة تقي محمد المصعبي، تحقيق سلمان الجبوري، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، طـ١، ١٩٧٩م.

١٠ ـ نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، تعريب بندلى جوزى وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣م.

خامسًا: المصادر المترجمة إلى الإنكليزية

1 - John of Ephesus (D. 586AD), **Ecclesiastical History**, Translated to English from the original Syriac by R. Payne Smith, M.A, Oxford University Press, 1860.

- **Live of the Eastern Saints,** II, Syriac Text Edited and Translated By, E.W. Brooks, Di Dot Etc. Imprimeurs editeurs, Librairie De Paris, 56. Rue Jacob, (patrologia orientalis. 17), Paris, 1923.

2 - Joshua the stylite, (D. 518AD), **The Chronicle of Joshua**, translated from Syriac to English by William Wright, Amsterdam Philo press, 1988.

3 - Procopius of caesarea, (D.approximate 600AD), **The Secret History,** Translated by Williamson. G.A, Printed in Cox & Wyman Ltd, First Published, London, 1966.

- **History of the Wars,** 2parts, Translated to English by H.B.Dewing, Cambridg, Massachusetts, Harvard University Press, fifth Edition, London, 1979.

4 - Theophanes Confessor, (D. 818 A D), **The Chronicle of Theophanes Confessor Byzantine and Near Eastern History AD284 - 813,** translated to English by Mango, Cyril. and Scott, Roger, Clarendon Press, Oxford, 1997.

5 - Zachariah of Mitylene, (D569A D), **The Syriac Chronicle**, Translated to English by F.G, Hamilton, D.D, and E.W. Brooks. M.A, Methuen and CO. 36 Essex Street, W.C, London, 1899.

6 - Zuqnin, **The Chronicle of Zuqnin**, parts III & IV, A.D. 488 - 775, Translated by Amir Harrak, Pontifical Institute of Mediaval Studies, Toronto, Canada, 1999.

سادسًا: المراجع الأجنبية

1 - Arthus. Gilman. M.A, **The Story of the Saracens**, G.p. putnams sons, Newyork, 1889.

2 - Bell, Geatrude Lowthian, **Amurath to Amurath**, William Heinenann, London, 1911.

3 - Bell. Richard, **The Origin of Islam in its Christian environment,** MacMillan, and CO, limited, London, 1920.

4 - Brockelmann. Carl, **History of Islamic peoples**, translated by Joel Carmichael and Moshe perlmann, Routledge and Kegan paul, London, 1979.

5 - David. F. Graf, **The Saracens and the Defence of the Arabia frontier,** Bulletin of the American school of oriental research, Atlenta, 1978.

6 - De lacy O'Leary, D.D, **Arabia before Muhammad**, Kegan paul, trench trubner and CO, LTD, London, 1927.

- **How Greek Science passed to the Arabs,** Published by Good Word Books, India, 2001.

7 - Dozy. R.P.A, **Dictionnaire DÏtaillÏ DES Noms Des Vetment CHEZ Les Arabes,** Jean Müller, Amsterdam, 1845.

8 - Farmer. Henry George, **A History of Arabia Music to the XIIIth Century,** published by Good Word, First edition, New Delhi, 2001.

9 - Grohmann, Adolf, **from the world of Arabic payri,** Al - Maaref Press, Cairo, 1952.

10 - Halm. Heinz, **The Arabs A Short History,** Translated from German by Allison Brown, Thomas Lampert, Marks Wiener, Publishers Princeton, 2007.

11 - Kister. M. J, **Studies in Jahiliyya and Early Islam**, VorioRum, Rprints, Second Edition, London, 1980.

12 - Laurence. E, Browne. B.D, **The Eclipse of Christianity in Asia**, Cambridge University Press, 1933.

13 - Lewis. Bernard, **The Arabs in History,** Oxford University press, Fifth Edition, 1993.

14 - Musil. Alios, **The Middle Euphrates,** A topographical itinerary published by the institute for the History of Arabic - Islamic Science, Belin, 1929.

- **Palmyrena,** New York, 1928.

15 - Nicholson. Reynold. A, **A Literary History of the Arabs**, Cambridge University press, Second edition, London, 1930.

16 - Olinder, Gunnar, **The kings of kinda of the family of Akil Al - Murar**, printed by Hakan Ohlsson, Lund, 1927.

17 - Philby. H. Stj.B, **The Background of Islam being asketch of Arabian History in pre - Islamic times**, white Head Morris Egypt, Alexandria, 1947.

22 - Runciman. Steven, **Byzantine Civilization**, Butler and tanner Ltd, First published, London, 1933.

23 - Shahid. Irfan, **Byzantium and the Arabs in the fourth Century**, Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University Washington, 1984.

24 - Smith. W. Robertson, **Lectures on the Religion of the Smithes,** Black LTD, 4, 5 and 6 SOHO Square, Second Edition, London, 1923.

- **Kinship and marriage in early Arabia,** United Publishers, Beirut, 1973.

25 - Sykes. S. p, **A History of Persia,** II, St. Martin's press, third edition, Macmillan, New York, 1963.

26 - Tannahill. Ray, **Food in History,** Paladin, 1975.

27 - Trimingham. J. Spencer, **Christianity among the Arabic pre - Islamic times**, Longman Group Limited, First Edition, London, 1979.

28 - Charlesworth.M.P, **Trade - routes and commerce of Roman empire,** Georgolms, Verlagsbuch handlug, Hildesheim, Second edition, Germany, 1961.

29 - ....., **Arab Archery,** An Arabic Manuscript of About A.P. 1500, "A book on The Excellence of the Bow and Arrow and the Description there of, Translated and Edited by Nabih Amin Faris and Roberst Potter Eimer, Princeton University Press, New Jersey, 1945.

30 - Encyclopaedia of Islam, 12 Volumes, E.J. Brill, Leiden, third edition, 1986.

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية

الموضوع الصفحة

الفصل الرابع: الحياة الاجتماعية

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

من منشورات «دار النفائس»

- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد، تحقيق: د. إحسان حقي.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، د. محمد حميد الله.
- المدخل إلى التاريخ، د. محمد فتحي عثمان.
- تاريخ القوقاز، محمود عبد الرحمن.
- تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، د. عباس صباغ.
- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، لابن الحمصي، ت: عبد العزيز فياض.
- المذهب العسكري الإسلامي، بسام العسلي.
- المذاهب العسكرية في العالم، بسام العسلي.
- الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، بسام العسلي.
- جهاد شعب الجزائر (٣ مجلدات)، بسام العسلي.
- سلسلة مشاهير الخلفاء والأمراء ١/١٠، بسام العسلي.
- مشاهير قادة الإسلام (٣ مجلدات)، بسام العسلي.
- تاريخ الإمارات العربية المتحدة، د. محمد محمود المندلاوي.
- التاريخ الإسلامي الوجيز، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الخلفاء الراشدين، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الدولة الأموية، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الدولة العباسية، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ سلاجقة الروم، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ المسلمين في الأندلس. د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الفاطميين، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الحروب الصليبية، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ العرب قبل الإسلام، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ الجزيرة العربية (الحديث والمعاصر)، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ بلاد الشام (الحديث والمعاصر)، د. محمد سهيل طقوش.
- تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، د. محمد سهيل طقوش.
- حدائق الياسمين، محمد بن عيسى بن كنان، ت: عباس صباغ.
- الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، د. محمد شندب.
- السلطة في بلاد الشام في (القرن الثامن عشر)، د. عبد الغني عماد.
- الفتنة ووقعة الجمل (رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي)، تصنيف: أحمد راتب عرموش.
- تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان.
- عز الدين القسام وصفحات من تاريخ بلاد الشام، حسام الدين بلبل.

رقم: 597 - 14



مملكة المناذرة إحدى الممالك العربية المشهورة قبل الإسلام، أسّسها اللخميّون في المنطقة الممتدة من جنوبي العراق، حيث كانت عاصمتهم «الحيرة»، إلى منطقة الخليج العربي وشمالي الجزيرة العربية، وشملت حوض الفرات العراقي الغربي وتاخمت بادية الشام، وكانت معاصرة لدولة الغساسنة إلى الغرب منها.

وبما أن الدراسات عن هذه الدولة التي امتدّ تاريخها من ٢٦٨ إلى ٦٣٤م مختصرة، ونظراً لمكانتها في التاريخ العربي، فقد اختارها الباحث موضوعاً لأطروحته الجامعيّة. واعتمد على مصادر أصلية، سريانية وإغريقية، بالإضافة إلى المصادر العربية، وقد استوفى كل ما يهمُّ القارئ والباحث عن دولة المناذرة في ستة فصول:

عدّد في الأول ملوك المناذرة وكل ما يتعلق بشخصياتهم ومُدد حكمهم.

وتحدّث في الثاني عن الاستراتيجية العسكرية في تلك الدولة وفنون القتال وكل ما يتعلق بالجيش وتسليحه وحروبه.

وضمَّن الثالث الزراعة والتجارة والحرف والثروة الحيوانية .

وتعرّض في الرابع إلى الحياة الاجتماعية وطبقات المجتمع ودياناته.

ودرس في الخامس الحياة العلمية والثقافية.

ووصف في السادس التقدُّم العمراني والقصور والأديرة والكنائس.

وختم بالفتح الإسلامي للحيرة.

وبناءً على ما تقدم يمكننا أن نعدّ هذا الكتاب أشمل وأوسع وأدقّ كتاب في موضوعه.

الناشر

ISBN 978-9953-18-530-9

